كلية الآداب والعلوم الانسانية
- بني ملال -

جامعة السلطان مولاي سليمان
Université Sultan Moulay Slimane

مركز الدكتوراه للآداب والعلوم الإنسانية

تكوين التاريخ والتراث الجهوي

أطروحة لنيل الدكتوراه في موضوع:

الحلي والمجتمع في الجنوب المغربي
من القرن السادس عشر الميلادي إلى بداية الحماية الفرنسية

إعداد الطالب:
عبد السلام أمرير
رقم التسجيل بالكلية: 08/15 HPR

تحت إشراف الأستاذ:
الدكتور محمد العاملي

السنة الجامعية

2021-2020

الإهداء

إلى والدتي، وارثة أسرار حلي أمهات الأجيال الماضية، وإلى والدي، عاشق الأناقة المغربية الأصيلة.

الشكر

يسعدني في البداية أن أتوجه بخالص الشكر والإمتنان للدكتور محمد العاملي، الذي تفضل بالإشراف على هذه الاطروحة، وتابع مختلف مراحل إنجازها؛ فتتبع معنا باستمرار تقدم العمل الميداني، والإطلاع على الأرشيفات المحلية المكتوبة، ووجهنا نحو أنسب السبل المنهجية للتغلب على صعوبات الموضوع، والتحكم في قضاياه المتشعبة. ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته إلى أن وضعنا تصميم البحث وشرعنا في التحرير.

وأفادتني الدكتورة سعاد بلحسين في ضبط الجوانب المنهجية للبحث أثناء محاضرات "القاعة 13" التي كنت أحضرها بانتظام إلى جانب زميلاتي وزملائي الطلبة الباحثين، وأُثناء الأبحاث الميدانية بجماعات جهة بني ملال خنيفرة. لقد حظيت على الدوام بدعم الأستاذة؛ فشكرا لها على مساندتها المتواصلة، وتوجيهاتها العلمية، وجميل صبرها.

وتحية للإستاذة سعاد بلحسين على "نضالها"، هي والأستاذ محمد العاملي، من أجل تكوين جيل من الباحثين في الإرث الحضاري بالجهة، وعلى جهودهما من أجل دعم ممارسي هذا التراث بمبادرات جادة.

وأشكر أساتذة كلية الآداب والعلوم الانسانية ببني ملال الذين أفادوني بآرائهم وتوجيهاتهم، ومنهم: الدكتور باسو حمري، والدكتورحسن بودرقة...

وأتوجه بالشكر إلى الذين أمدوني بالوثائق النفيسة والصور النادرة، وأذكر منهم: أحمد بزيد الكنساني، مريام روفسينج اولسون (Miriam Rovsing Olsen)، عبد الله كيكر، أحمد بومزكو، عبد الهادي ڤلڤ، محمد كونبارك، جامع حربوش، خديد رضوان، محمد الحاتمي، عبد الرحمن عريس، عبد الهادي زيدان...

وموصول الشكر لأصدقاء يسروا لي الاتصال بالحرفيين، وأذكر منهم: عبد الحق أرخاوي، من مدينة تيزنيت، ومولاي خالد الجلايلي الإدريسي من مدينة طاطا.

وشكري مجدد لمجموعة من الصديقات والأصدقاء الذين وجدنا عندهم المساندة في مراحل مختلفة من إنجاز هذه الأطروحة، ومنهم: رتيبة ريكلمة، خديد رضوان، عبد الله فلي، الحسين الفرز، حسن بلكبير، إبراهيم أُدادّا، مصطفى جلوق، سعاد كروم ...

ولا أنسى زملائي الطلبة الباحثين في "القاعة 13" وأذكر منهم على سبيل المثال: زهري عثمان، محمود نورالدين، عبد الكريم جلال، عبد الله الشيفاوي، حسن أيت علي، كمال أحشوش، عبد السلام العزيز...

وفي الختام، يسعدني أن أجدد شكري لشقيقي عمر أمرير ولصهري أحمد بوزيد ولزوجتي نادية بوزيد الذين ساندوني باستمرار، وساهموا في توفير الظروف المناسبة لإنجاز هذه الأطروحة.

مقدمة

تتناول هذه الأطروحة موضوع الحلي والمجتمع في الجنوب المغربي خلال الفترة الممتدة من القرن السادس عشر إلى بداية الحماية الفرنسية. وينطلق هذا الموضوع من التركيز على دور الحلي في مقاربة المجتمع بقيمه الجمالية، وخبراته التقنية، وممارساته التنظيمية، وأنشطته الاقتصادية، وذلك في مجال جغرافي محدد، وفي فترة تاريخية محددة.

- مجال (تازرزيت)

يضم مجال الدراسة تكوينات جغرافية متعددة، فسهل سوس الذي يتوسط هذا المجال محاط بسلاسل جبيلة من ثلاث جهات: الأطلس الكبير الغربي من الشمال، والأطلس الصغير ثم جبل باني من الجنوب، وجبل سيروا من الشرق. أما من الغرب، فيلتقي هذا السهل مع المحيط الأطلسي الذي كان بوابته للاتصال بالعالم الخارجي عبر البحر. ويُعرف هذا المجال عادة بمنطقة سوس، غير أن هذا الاسم، تغير مدلوله الجغرافي باختلاف الأطوار التاريخية المتعاقبة، فبعد أن كان يشمل رقعة واسعة تمتد من (تلسمان) إلى المحيط الأطلسي، تراجعت دلالته لتشمل في القرن التاسع عشر ""الرقعة التي يطل عليها القادم من الشمال عندما ينحدر من السفوح الجنوبية للأطلس الكبير"[1].

إذا كان من الصعب ربط مجال هذه الدراسة بخصائص جغرافية مشتركة، أو بتحديد تاريخي مضبوط، فإن الاعتماد على الخصائص الثقافية والاجتماعية من شأنه أن يساعد على وضع إطار عام للمجموعات البشرية التي تقيم في هذا المجال، وتتوارث رصيدا حضاريا مشتركا[2]. ويشمل هذا الرصيد اللغة، وبالضبط الفرع الأمازيغي السوسي، بالإضافة إلى روابط اقتصادية وبشرية، وانتشار نفس الممارسات الدينية ونفس الإرث القانوني[3]، ونفس الخصائص الفنية المرتبطة بانتشار أنواع رقصات (أحواش)[4]، ويشمل هذا الإرث المشترك

[1] - عمر أفا، 1988، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-1906)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، الطبعة الأولى. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص. 68 = أفا، النقود.

[2] Montagne R., Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc, Collection Archives, Editions Afrique-Orient, 1989. p.22. = Montagne R., Les Berbères

[3] - Berque J., Structures sociales du Haut-Atlas, suivi de retour aux Seksawa, 2e édition, Paris, Presse Universitaire de France., 1978, p.401.= - Berque J., Structures

[4] - Flint B., « Essai d'inventaire des styles dans les arts populaires du Maroc », Maghreb art 2, pp.31 – 44., p.32.= Flint B., Essai d'inventaire.

كذلك الخبرات المتشابهة في مجالات الطبخ والحرف اليدوية، والمؤسسات الاجتماعية كالمحازن الجماعية...

ينسجم مجال دراستنا مع مجال "سوس" الثقافي والاجتماعي كما اقترحه روبير مونطاني، والذي يمكن تحديده بخط يمر من مدينة الصويرة ويسير بمحاذاة السفح الشمالي للأطلس الكبير [الغربي] وصولا إلى منطقة دمنات. وفي الجنوب، يفصل كل من المجرى السفلي لواد نون وخط جبل باني هذا المجال عن الصحراء الذي تقيم فيه قبائل الرحل العربية. أما الحدود الشرقية فيصعب ضبطها بدقة، ولكن يبدو أنها كانت تصل الى (تيزي ن فدغات)، الواقعة شرق (تيزي ن تلوات)، والتي كانت تربط بين دمنات وسكورة.[1]

تشكل الصياغة أحد الخصائص المحددة لمجال الدراسة، من خلال القواسم المشتركة بين مختلف المراكز على مستوى المعجم والتقنيات، من جهة، ومن خلال الممارسات التنظيمية والاجتماعية المؤطرة لتداول الحلي، وضبط تنقلاتها بين الأفراد والجماعات، من جهة ثانية. وبما أن اللغة كانت من أهم معايير تحديد المناطق الجغرافية المختلفة التي تغطيها دراستنا، وتمييزها عن المناطق المجاورة[2]، فإننا نقترح أن نطلق عليها اسم: "مجال تازرزيت". و(تازرزيت) هو اسم أحد المشبكين الفضيين الذين تزين بهما المرأة جذعها، وتشد بهما الحائك الذي ترتديه حول جسدها، ويقتصر انتشار هذا المصطلح على سوس دون غيرها من المناطق[3].

زمن الفضة

وجّهتنا عوامل موضوعية لتحديد الإطار الزمني لموضوع هذه الأطروحة، وحصره في الفترة الممتدة من القرن السادس عشر إلى دخول الحماية الفرنسية. فانطلاقا من بداية القرن السادس عشر، ستتضح أهم الخصائص العامة لصناعة الحلي كما وصلتنا في بداية القرن العشرين، والتي اعتمدت أساسا على الفضة كمعدن "رسمي" للصياغة. كما أن أهم الممارسات الاجتماعية التي ارتبطت بالحلي في الجنوب كجهاز العروس وحظ الكد والسعاية ظهرت في هذه المرحلة بشكل بارز. وانطلاقا من القرن السادس عشر، ستتوفر معطيات

[1] **Montagne R., Les Berbères. op. cit. p. 24-25.**

[2] **- Rabaté M.-R., 1996, Bijoux du Maroc du Haut Atlas à la vallée du Draa, Edisud/Le Fennec, Aix-en Provence, Réédition : 2015, ACR Edition, Paris-La Défense, p.19. = Rabaté M.-R., Bijoux**

[3] **يُعرف المشبك باسم (الخلالة) في كل من حوز مراكش نحو الشمال، وانطلاقا من واد نون نحو الجنوب. أما المناطق الواقعة في اتجاه الشرق، فينتشر فيها مصطلح (تاسغنست).**

تاريخية من مصادر متنوعة تسمح بالغوص في الجوانب التاريخية والاجتماعية للحلي، ففي هذه الفترة ظهرت كتابات الوزان[1]، وغيره من الكتّاب الأوروبيين، الذين اهتموا بتفاصيل الحلي والازياء، كما وفرت الوثائق الأوروبية التي نشرها دوكاستري[2] معطيات دقيقة عن استيراد مواد تركيب الحلي عبر موانئ الجنوب. وستعرف هذه الفترة أيضا توسع استعمال الأرشيفات العائلية المحلية التي توثق للكثير من المظاهر الاجتماعية الثقافية والسياسية، والتي تثير أهم القضايا المرتبطة بالحلي. وستترسخ هذه الممارسات في مختلف مناطق مجال الدراسة إلى بداية القرن العشرين، ووصول جيوش الحماية الفرنسية إلى سوس، وما رافقها من تحولات اجتماعية عميقة أثرت بشكل مباشر على ميدان الصياغة، فتم التخلي تدريجيا عن التقنيات والأشكال التراثية أمام اكتساح حلي الذهب، كما توقفت المراكز التقليدية لصناعة الحلي تدريجيا بعد هجرة الحرفيين نحو المدن. لقد شكلت الحماية الفرنسية نهاية "زمن الفضة" بخبراته المتوارثة، وأنظمته الاجتماعية، وخصائصه الثقافية.

حظي موضوع الحلي في مجال دراستنا بمجموعة من الدراسات والأبحاث المختلفة، والتي بدأت مع كتابات الباحث الفرنسي بول اوديل (Paul Eudel)، واستمرت إلى الآن. ولم يسبق لبول أوديل أن زار المغرب، ولكنه قدم لنا أقدم معطيات مضبوطة عن بعض خصائص الحلي بالجنوب المغربي بعد أن بعث له أحد الفرنسيين المستقرين بمدينة الصويرة وثائق ومعلومات عن الصياغة في المدينة أواخر القرن التاسع عشر. أصدر بول أوديل كتابه الأول سنة 1902 تحت عنوان :"الصياغة الجزائرية والتونسية"[3]، ويضم معلومات هامة عن الحلي في الصويرة. وأورد الكتاب أسماء بعض الحرفيين من هذه المدينة، وأسماء بعض الحلي، بالإضافة إلى صورة نادرة لصائغ يهودي مغربي ينقش حلية فوق حامل خشبي. وبعد

1 الوزان، 1983، وصف افريقيا، الجزء الاول، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت دار الغرب الإسلامي

[2] - De Castries H., Les Sources inédites de l'Histoire du Maroc,Première partie, Dynastie Saadienne, Archives et Bibliothèques d'Angleterre, T. :I, Paris Editions Ernest Leroux/ Londres Luzae et Cie 1918.

-De Castries Le Lt-Colonel H., Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, Archives et Bibliothèques des Pays-Bas, Tome : 5, Paris Editions Ernest Leroux/ La Haye Mertinus NijHoff, 1920.

[3] Eudel P., L'Orfèvrerie algérienne et tunisienne, Alger, Adolph Jourdin Imprimeur-Editeur, 1902.= Eudel P., L'Orfèvrerie

أربع سنوات، أي سنة 1906، سيصدر نفس الكاتب معجما للحلي بشمال افريقيا، وفيه إشارات إلى بعض حلي الجنوب[1].

ستبدأ الدراسات المركزة على مجالات جغرافية محددة من المغرب مع الحماية الفرنسية، فنشر كوضاغ سنة 1928 مقالا حول حلي بعض قبائل الأطلس المتوسط [2]. ثم ظهرت دراسة هامة سنة 1939 لمارتينيز حول حلي تودغة وأيت عطا بالجنوب الشرقي[3]، والتي تقدم معطيات مفيدة للمقارنة مع حلي سوس، خاصة على مستوى الأدوات المستعملة في الصياغة. وخلال نفس الفترة، كان بوزنسونو يتنقل في الأطلس الصغير وجبال باني، ووثق نتائج أبحاثه في كتابين هامين، الأول بعنوان: "أزياء المغرب"[4] الصادر سنة 1940، والثاني بعنوان: "الحلي العربية والأمازيغية المغربية"[5] الصادر سنة 1953. ويضم هاذان الكتابان معلومات متنوعة عن الحلي بالأطلس الصغير الغربي والأوسط، بالإضافة الى جبال باني، كما تحفل كتاباته برسوم تشكيلية فنية، ووصف إثنوغرافي دقيق، ومعطيات لسانية متنوعة.

نشر اندري أدام مقالا عن أزياء بعض قبائل الأطلس الصغير الغربي، سنة 1952، وضَمَّنَه وصفا لحلي المنطقة، وبعض الصور، كما استعرض خصائص حلي وأزياء اليهوديات بقرية (تاهالا) التي كانت من بين أبرز مراكز الصياغة في سوس[6]. ونشرت جاك مونيي مقالة عامة عن الصاغة والصياغة بالجنوب سنة1961، وضمنتها معطيات تاريخية عن أُصول ممارسي هذه الحرفة بالمنطقة، كما اقترحت أول تصنيف دقيق للتقنيات وأشكال الحلي في إطارها الجغرافي والقبلي[7]. وستظهر بعد ذلك أطروحة جامعية نوقشت بـ(إكس أون بروفانس) سنة 1972 ، للكاتبة الفرنسية ماري روز راباتي التي شرعت، ومنذ 1963، في أبحاثها الميدانية بأغلب المجالات الجغرافية للجنوب، في كل من الأطلس الصغير،

---

[1] Eudel P., Dictionnaire des Bijoux de l'Afrique du Nord, Paris, Ernest Leroux Editeur Eudel P. 1906. = Eudel P. , Dictionnaire

[2] . Goudard J., Bijoux d'argent de la tache de Taza, Hesperis , p.285-340, 1928.= Goudard J., Bijoux.

[3] M., Martinez, 1939, Les Bijoux du Toudgha et des ait Atta, rapport dactylographié.

[4] - Besancenot J., 1940, Types et costumes du Maroc, Paris, Les Horizons de France, Réedition : Costumes du Maroc , Edisud, 1988,

[5] Jean Besancenot J., Bijoux arabes et berbères du Maroc, Edit. la Cigogne, casablanca, 1953

[6] A. Adams., Le Costume dans quelques tribus de l'Anti-Atlas, Hesperis , 1952, p.459-485

7 Jacques-Meunier D., 1960-1961, Bijoux et bijoutiers du Sud marocain, Cahiers des Arts et Techiques d'Afrique du Nord, N.6, Toulouse, Editions Privat.

والأطلس الكبير الغربي، وجبل باني وسهل سوس وصولا إلى الجنوب الشرقي. واستطاعت الكاتبة أن توثق أغلب أنواع الحلي وأهم التقنيات. ستُنشر هذه الأطروحة في طبعة أولى سنة 1996 تحت عنوان : حلي المغرب من الأطلس الكبير إلى وادي درعة[1]. وتنتمي ماري روز راباتي، إلى آخر جيل من الدراسين الذين انتقلوا إلى الميدان وزاروا المراكز الحرفية للقاء الصاغة، والوقوف على خصائص الحلي في عين المكان. وأنجز هذا الجيل أبحاثه في فترة دقيقة من تاريخ المغرب، في الوقت الذي كانت فيه البنيات الاجتماعية المحلية تعرف تحولات عميقة أدت إلى تراجع القيم الثقافية التقليدية أمام اكتساح القيم الوافدة. وساهمت تلك الدراسات في توثيق مجموعة من الخصائص التي اختفت اليوم، ولم تعد إلا ذكرى باهتة عند بعض المُسِنِّين.

ستظهر انطلاقا من أواخر الثمانينيات من القرن الماضي فئة جديدة من الكتابات حول الحلي في إصدارات أنيقة. غير أن أغلب هذه المؤلفات لم تعتمد على أبحاث ميدانية، واكتفى أصحابها بتكرار المعطيات التي وثقتها الدراسات الإثنوغرافية السابقة. ولتعويض النقص على مستوى المعلومات الميدانية، استعان كتاب هذه الفئة بالصور الاحترافية، وبالتحليلات الرمزية لأشكال الحلي. وهكذا، ظهر كتاب جماعي حول المشابك الفضية باسم "تيزرزاي" سنة 1987، يستعرض مختلف أنواع هذه الحلي بالمغرب، ومن ضمنها مشابك الجنوب[2]؛ وبعد عامين، وبالضبط في سنة 1989، سيصدر كتاب "الحلي الأمازيغية في المغرب من خلال التقاليد اليهودية العربية"[3] لدافيد راووش، الذي قسم تراث الصياغة في المغرب إلى مجالات جغرافية متعددة، وتطرق فيها إلى حلي الجنوب، ونظرا لعدم قيام المؤلف بأبحاث ميدانية، فقد ارتكب أخطاء عديدة ونسب بعض القطع إلى غير مجالاتها، كما أفرط في تحليلاته الرمزية. وفي السنة الموالية، ستصدر آنا بارتيميل كتابا تحت عنوان "تازرا: الزربية والحلي في وارزازات"[4]، وتحيل كلمة "تازرا" الواردة في العنوان على اسم قلادة منتشرة شرق سهل سوس في اتجاه درعة. وسينشر كل من فرانسيس راميريز وكريستيان

1 - Rabaté J. et M.-R., 1996, Bijoux du Maroc du Haut Atlas à la vallée du Draa, Edisud/Le Fennec, Aix-en Provence, Réédition : 2015, ACR Edition, Paris-La Défense

2 Marchesani I., d'Alesandro F., et Othmani M., Tizerzai, 1987, la fibule au Maroc Edit. Scopa, Milan,

3 Hg David Raouch, Bijoux berbères au Maroc dans la tradition judéo-arabe, Edit. ACR, Courboie, 1989

[4] A., Barthémély, 1990, Tazra :Tapis et Bijoux de Ouarzazat, Edisud, Aix-en-Provence,

رولو كتابا حول هذا الموضوع سنة 2002، واختارا له عنوانا مثيرا، وهو: "حلي المغرب: جمال العفاريت/ الجن"[1]، وهذا العنوان وحده كاف لإعطاء فكرة واضحة عن مضمون الكتاب، الذي يغوص بدوره في "المقاربات الرمزية" المجانية بحثا عن الإثارة والغرائبية. وحظيت المشابك بكتاب آخر لمؤلفته سوني برولونجو-واد، سنة 2008. يحمل هذا الكتاب عنوان: "سفر في بلاد المشابك"[2]، ويعرَّف بهذه الحلي في كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا. وأُرفِقت المشابكُ بصور احترافية ومعطيات عن مواطنها وقياسها وتاريخ صناعتها.

وبالموازاة مع هذه المؤلفات الخاصة بالصياغة، ظهرت الحلي في العديد من المؤلفات الأنيقة حول التراث المغربي، إلى جانب المكونات الثقافية الأخرى من معمار وطبخ وأزياء... ولكن أغلب هذه الكتابات كانت تكتفي بالصور الاحترافية، والوصف التقني للحلي الموضوعة في مخازن المتاحف الوطنية والدولية، أو دراسة مجموعات خاصة في ملكية بعض الهواة.

تنتمي أبحاث الهولندي بيرت فلانت (Bert Flint) إلى الفئة الأولى من الدراسات من حيث الزمن الذي أنجزت، لأنه شرع في أبحاثه منذ الستينيات من القرن الماضي، غير أن مقاربته تميل أكثر نحو الفئة الثانية التي ظهرت أواخر الثمانينيات. لقد "تجول" الكاتب في مختلف مناطق الجنوب، وسنحت له الفرصة للالتقاء بالصاغة في العديد من المراكز الحرفية المشهورة، وبدل أن يوثق تراثا حرفيا فريدا كان يحتضر ببطء شديد، فضل الانسياق خلف توجهاته الاديولوجية، فهام وراء التحاليل الرمزية المجردة[3].

ونشير في الختام إلى بعض الأبحاث التي أنجزها طلبة كلية الآداب التابعة لجامعة ابن زهر بأكادير، نذكر من بينها أطروحة الدكتوراه التي ناقشتها خديجة بجي سنة 2014 حول "الحلي في عقود النكاح السوسية: دراسة معجمية احصائية "[4]. وحاولت الباحثة دراسة معجم

---

[1] **Francis RAMIREZ et Christian ROLOT.2002, BIJOUX DU MAROC. La Beauté des Diables, Edit. ACR**

[2] **Prolongeau-Wade S., 2008, Voyage au pays des fibules, Paris, Editions du Regard.**

[3] **- Bert Flint 1973 Bijoux et Amulette. Formes et Symboles dans les Arts du Maroc, tome: I, Editeur E.M.I. Rabat.**

[4] **- بجي خديجة، الحلي في عقود النكاح السوسية: دراسة معجمية احصائية، اطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، السنة الجامعية 2013-2014.**

الحلي انطلاقا من عقود الجهاز التي كانت تضم جردا لما كانت الأسر تقدمه للفتاة من أموال وأثاث وأغراض مختلفة بمناسبة زواجها.

من خلال استعراضنا لأهم ما كتب عن حلي منطقة سوس، نلاحظ أن الدراسات التي أنجزها الرواد، منذ أوديل سنة 1902 إلى ماري روز راباتي في السبعينيات من القرن الماضي، كانت تحرص على توثيق العديد من خصائص الصياغة المحلية. ورغم تنوع مرجعيات الباحثين، وتعدد مناهجهم، واختلاف الظروف التاريخية التي انجزوا فيها دراساتهم، فإن المادة التي جمعوها تشكل إرثا علميا "حيّا" يمكن العودة إليه باستمرار لدراسة الحلي بالمنطقة؛ فتطور المناهج وتجدد المقاربات لا يمنعان الدراس من الاعتماد على هذه الوثائق النفيسة وتناولها بالتحليل من زوايا مختلفة. أما الكثير من الدراسات التي أنجزت منذ الثمانينات إلى الآن، فلا تقدم في الغالب إلا تحليلات "محنطة"، لأنها تقدم الحلي خارج إطارها الثقافي والاجتماعي.

قمنا بتصنيف المادة التي جردناها من أغلب الدراسات التي أنجزت حول الحلي بمجال الدراسة، فخرجنا بخمس خلاصات أساسية:

1- وثقت هذه الدراسات أسماءَ الحلي ومجال انتشارها الجغرافي، وخصائصها الفنية وتقنيات إنجازها. غير أن أغلب هذه المعطيات في حاجة إلى المزيد من التدقيق، من خلال استقصاء التفاصيل المميزة لمختلف التقنيات، وضبط أنواع الحلي ومجالات انتشارها، بالإضافة إلى التوسع في جمع المعطيات اللسانية التي لم تهتم بها الدراسات أحيانا.

2- لا تهتم الدراسات عادة بمكانة الصياغة في الممارسات الاجتماعية والثقافية للسكان، واقتصرت على إبراز الوظائف التجميلية والتزينية للحلي. صحيح أن الجوانب الجمالية أساسية في فهم عوالم الصياغة، ولكن الحلي في الجنوب، كما في أغلب مناطق المغرب، كان لها حضور في العادات والتقاليد والنظم والمعاملات الاقتصادية المختلفة، ونرى من الضروري تتبع مختلف مظاهر هذا الحضور.

3- تكاد تغيب المقاربة التاريخية عن أغلب الدراسات التي أنجزت حول الحلي بمنطقة سوس. وحتى الباحثين الذين تناولوا هذا الجانب، كانوا يركزون على بعض القضايا

المرتبطة بأصول بعض الخبرات كتقينة "النيال الزجاجي". وكانت مقاربتهم تندرج في إطار ايديولوجي يهدف إلى ربط كل العناصر المميزة في الثقافة المغربية بأصول أجنبية.

4 - تنطوي بعض الدراسات على أحكام جاهزة ومعلومات متجاوزة، وخاصة عند التطرق لمكانة الصائغ في المجتمع التقليدي، والذي تقدمه هذه الدراسات باعتباره شخصا متواضعا يعيش على هامش المجتمع، ولا يحظى بأي احترام.

5- أغرت المقاربة الرمزية العديد من الباحثين الذين لم يتنقل أغلبهم إلى الميدان، ولم يعرفوا المجتمع الذي صاغ تلك الحلي. وانطلقوا من مرجعيات ثقافية غريبة عن الخصوصية المغربية. ونرى أن هؤلاء الباحثين الذين يسارعون إلى الاستنجاد بالأساطير العالمية لفهم الدلالة الرمزية لحلية في أبعد قرية في الجنوب، يتصرفون كمن يضع "العربة قبل الحصان" في مجال التحليل؛ فَفَهْمُ رموز منتجات الصياغة لن يتأتى إلا بعد رصد الوظائف المختلفة للحلي، ومقاربة مكانتها في الممارسات الاجتماعية بشكل عام.

أفضت بنا هذه الخلاصات إلى صياغة إشكالية مركزية، عبرنا عنها بالسؤالين التاليين:

1- هل يمكن رصد بعض عناصر الإطار التاريخي للممارسات الإقتصادية والسياسية والاجتماعية المرتبطة بالحلي بالجنوب المغربي؟

2- كيف يمكن تجاوز المقاربات التقليدية في مجال الثقافة المادية (نموذج الحلي المغربية) في تجديد كتابة تاريخ المجتمع؟

وعلاقة بهذين السؤالين المركزيين، صغنا سؤالين فرعيين، وهما:

- هل المكان النهائي للحلي هو أروقة المتاحف ومستودعاتها، أم يمكن لها أن تشكل وثيقة لدراسة المجتمع في ديناميته التاريخية؟

- ما هي طبيعة الوثائق التي يمكن الاستعانة بها للإحاطة بالجوانب الاجتماعية والتاريخية للحلي؟

من أجل الاجابة على هذه الأسئلة، وتجاوز ما ظهر لنا من نقص في الأبحاث المنجزة حول الحلي بسوس، ومن أجل مقاربة المجتمع من زاوية الصياغة والتطرق إلى الجوانب الثقافية والتاريخية التي لم تحظى لحد الآن بدراسات مفصلة، من أجل كل ذلك، كان

لزاما علينا تنويع المادة العلمية التي سنعتمد عليها في التحرير، فتوجهنا نحو ثلاث مصادر متكاملة، وهي: التراث الشفوي، و"الأرشيفات" العائلية المحلية المخطوطة(ءارّاتن)، والبحث الأثري.

- التراث الشفوي:

تنقلنا في مختلف مناطق الجنوب: في السفحين الشمالي والجنوبي للأطلس الصغير، وجبل باني، وسهل سوس، والأطلس الكبير الغربي، وبحثنا في القرى والواحات عن الصاغة المسنين من حاملي الذاكرة الصناعية المحلية. لقد توقف أغلب هؤلاء الصاغة عن الممارسة منذ عقود، ولكنهم أفادونا في جمع تقنيات ومعجم الصياغة. كما أن لقاءاتنا مع الرجال والنساء في مختلف القبائل سمحت لنا بالإحاطة بمكانة الحلي في الممارسات الاجتماعية ووظائفها المختلفة.

ورجعنا إلى بطاقات وجذاذات كنا انجزناها سنة 1998، وتضم معطيات ميدانية عن المراكز التي زرناها في إطار اشتغالنا على مشروع متحف الحلي بمدينة أكادير، وقد التقينا في تلك المرحلة ببعض أشهر الحرفيين في الجنوب آنذاك، والذين كان أغلبهم يتجاوز الثمانين سنة، والذين انتقل أغلبهم الآن الى رحمة الله، ومنهم المعلم أحمد في (إيغرم)، المعلم عمر البشارة في مدينة تارودانت، والمعلم أنشاد في (تيزي ن تاست)، والمعلم الحسين في (تاليوين)، والعمل الدوايج في (أولوز)، المعلم بلعدّا في (أيت باها)، المعلم الداودي في (بيوكرا)...

وقادتنا الأبحاث الميدانية كذلك إلى مناطق خارج مجال دراستنا، في كل من دكالة وعبدة والشاوية وتادلة ووردیغة، والجنوب الشرقي، والأطلس المتوسط، وجبال الريف الشرقي، وجمعنا خلالها معطيات استفدنا منها في تتبع امتداد بعض خصائص حلي سوس على مستوى الأشكال والوظائف المعجم.

2- الأرشيفات" العائلية المحلية المخطوطة (ءارّاتن)

تمتلك أغلب الأسر في الجنوب أرشيفا عائليا يسمى (ءارّاتن)، ويتوارثه أفرادها جيلا بعد جيلا. ويضم هذا الأرشيف عقودا عدلية ووثائق عرفية متنوعة من بينها ما يوثق للمعاملات

التجارية المرتبطة بالأراضي والعقارات والمنقولات، ومنها ما يتعلق بالأحوال الشخصية من عقود زواج وجهاز طلاق. وفي هذا الإطار، استطعنا الوصول إلى عدد هام من الوثائق التي يعود أقدمها الى سنة 979 هجرية (1571م). وتوزعت الوثائق التي اطلعنا عليها بين مجالات جغرافية مختلفة، وخاصة الأطلس الصغير الغربي والأطلس الكبير الغربي وسهل سوس. فاعتمدنا على الرصيد الذي جمعه الأستاذ أحمد بوزيد الكنساني من قبائل (ءاڭنسان) و(تاجڭالت) و(ءيمنتاڭن) و(ءيداوكايس) و(تالڭجونت) بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير، بالإضافة الى عقود أخرى جمعها من مدينة تارودانت، (أولاد عيسى) بالمنابهة، و(ءايت ءيڭاس)، (إيرحالن).

وتعود وثائق الأطلس الصغير التي اطلعنا عليها إلى قبائل مختلفة، من بينها قبيلة (ءامطدي) التي درسناها في إطار أبحاث أثرية وإثنوغرافية من إنجاز فريق بحث أثري مغربي إسباني انطلاقا من سنة 1995، ومنها أيضا وثائق قبيلة (ءايت حامد) التي توصلنا بها من السيد محمد كونبارك، ووثائق قبيلة (ءيمجّاط) التي أمدنا بها السيد (جامع حربوش). واعتمدنا كذلك على صور عقود نشرتها خديجة بجي في أطروحتها، والتي حُررت في كل من (أكادير) وقبائل (ءيكسمين) و(أكلو) بسهل سوس، وقبائل (ءيرسموكن) و(ءيسندالن) و(تافراوت) بالأطلس الصغير.

لقد اطلعنا على عدد كبير من الأرشيفات العائلية، وعملنا على انتقاء الوثائق التي تتضمن إشارات إلى الحلي، وخاصة عقود المعاملات التجارية من بيع ورهن، ووثائق الجهاز التي تضم إحصاء دقيقا للحلي التي تقدمها الأسر لبناتها المتزوجات ، ووثائق الكد السعاية التي تقدم جردا لممتلكات أسرة العريس عند قدوم العروس، ومراسلات بين القبائل، ووثائق مختلفة مرتبطة بتدبير الخلافات والنزاعات حول الحلي. وتمكنا من تصوير أو نقل بعض هذه النصوص كتابة، بينما اضطررنا في بعض الحالات إلى الاكتفاء بنقل المعلومات الهامة من الوثيقة، وخاصة التاريخ واسم المحرر، والتعابير المرتبطة بالحلي. وتجدر الإشارة إلى أننا خصصنا لكل وثيقة تعريفا يتكون من اسم القبيلة ورقما ترتيبيا حتى نتمكن من ضبط الإحالات على الوثائق، وتنظيم استثمار هذا الارشيف المتنوع..

3- الوثائق الأثرية

عرف مجال الدراسة إجراء حفريات أثرية في بعض المآثر الجنائزية من نوع (الطومولوس)، وأسفرت عن اكتشاف قطع حلي متنوعة بالأطلس الصغير الغربي وتعود

لفترة ما قبل الإسلام[1]. كما تنتشر النقوش صخرية في كل من الأطلسين الكبير والصغير وجبل باني، والتخوم الصحراوية[2]، وتضم بعض المواقع نقوشا لمشابك يصعب تحديد إطارها التاريخي بدقة.

وأنجزت أبحاث أُثرية ببعض أهم المواقع التاريخية التي تعود للفترة الاسلامية بالجنوب كـ(تامدولت) بإقليم طاطا[3]، و(نول لمطة) بإقليم كلميم[4]، و(ءيڭيليز) مهد الدولة الموحدية بإقليم تارودانت[5]، و(أغمات) بإقليم الحوز[6]...غير أن نتائج الأبحاث المنشورة لحد الآن، لا تتضمن معطيات عن الحلي التي قد تكون وجدت في هذه المواقع. وهذا ما يمنعنا من رصد نوعية العلاقة بين الحلي "الإثنوغرافية" التي وصلتنا في بداية القرن العشرين، والحلي التاريخية الأثرية، على مستوى الأشكال والزخارف وتقنيات الانجاز.

وارتبطا بالوثائق المادية، تتبعنا حضور الحلي في المعمار، حيث كانت المشابك الفضية تُصبغ على جدران المنازل وعلى الأبواب[7]، وتوصلنا إلى رسوم نادرة لهذا النوع من الحلي على الجدار الداخلي لأحد القباب، ويحمل تاريخ الانجاز.

---

[1] EL Graoui M., Bokbot Y., Junger H. et Searight-Martinet S., 201O, « Datation radiocarbone des ossements mis au jour dans un tumulus à l'Adrar n'Zerzem, oued Eç-çayad, région de Taghjijt (Sud marocain) », Sahara, n° 21, pp.77-80.

[2] أنظر:

- Nami M., l'Art rupestre, in arts et architecture amazighes du Maroc , Imprimé en italie, IRCAM///pp. 19 – 57, , 2011 .p.41.

- مبارك ايت عدي والمحفوظ اسمهري، " واحات طاطا : سحر المجال وغنى التراث"، سلسلة تاريخ ومجتمعات المغرب الصحراوي ، دار النشر DTG Société nouvelle، الرباط، ص.89-107.

[3] Cressier P., « Du Sud au Nord du Sahara : la question de Tâmdult (Maroc) », in Du Nord au Sud du Sahara. Cinquante ans d'archéologie française en Afrique de l'Ouest et au Maghreb.Bilan et perspectives, A. Bazzana, H. Bocoum (éd.), Paris, 2004, p. 151-158.

[4] Bokbot Y., Cressier P., Delaigue M.-C., R. Izquierdo Benito, S. Mabrouk, J. Onrubia, Pintado, « Enceintes refuges, greniers fortifiés et qasaba-s : fonctions, périodisation et interprétation de la fortification en milieu rural pré-saharien », in Mil anos de Fortificacoes ne Peninsula Iberica e no Magreb (500-1500) (Actes du colloque de Lisbonne, 2000), Palmela, 2001, p. 213-227.

[5] Van Staëvel Jean-Pierre, Ettahiri Ahmed et Fili Abdallah, 2019, « La montagne d'Igīlīz et le pays des Arghen : quinze ans d'archéologie rurale dans le sud du Maroc », BAM24, INSAP, Rabat, p. 123-148.

[6] - Fili Abdallah, Messier Ronald, Chloé Capel, 2018, « Aghmat, la découverte de la première capitale almoravide », Le patrimoine culturel marocain, Ministère de la Culture et de la communication, éd. la Croisée des chemins, pp. 256-277.

[7] انظر :

-Mariani T., Quelques considérations sur l'art populaire traditionnel au Maroc Maghreb art 2, pp. 15-19. Sans date, p. 16.= Mariani T., « Quelques considérations ».

- Adam A., «La maison et le village dans quelques tribus de l'Anti Atlas », collection Hespéris, n° XIII, Larose Editeur, Paris, 1951, p.295. = Adam A., «La maison »

بالموازاة مع أبحاثنا الميدانية، والبحث في الأرشيفات العائلية، كنا نطالع أهم المصادر التاريخية وكتب الرحلات التي تضم معطيات عن الحلي والصياغة بالجنوب. كما عدنا إلى الدراسات ولأبحاث التي همت مجال هذه الدراسة في ميادين التاريخ ولأدب واللسانيات والانتربولوجيا، كي نتمكن من ربط الصياغة والحلي بأهم القضايا التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي ساهمت في تحديد خصائص الحلي بالجنوب.

وككل المشاريع العلمية، واجهتنا صعوبات جمة عملنا على التغلب عليها بالتدريج؛ ومن هذه الصعوبات ضرورة التنقل في مجال شاسع يمتد من السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي الى جبل باني في الجنوب، وكم من مرة قطعنا مسافات طويلة، عبر مسالك وعرة، للوصول إلى مركز مشهور بالصياغة، لنتفاجأ بأن أغلب الخبرات والأخبار قد اختفت للأبد مع وفاة آخر الحرفيين. وواجهتنا صعوبات علمية أثناء التنقيب في الأرشيفات العائلية التي تستعمل معجما خاصا يصعب تفكيك "طلاسمه"أحيانا. صحيح أن هذه الوثائق تقدم مادة علمية نفيسة، وفتحت أمامنا الباب لمقاربة التاريخ الاجتماعي لسكان المنطقة، ولكننا عانينا من انعدام دراسات منهجية متخصصة في طريقة الاستفادة مما تضمه هذه الوثائق من معطيات. ونشير كذلك إلى أن أغلب الدراسات المتخصصة في حلي المغرب مكتوبة باللغة الفرنسية، وبما أننا اخترنا تحرير الأطروحة باللغة العربية، فقد اصطدمنا بمشكل الترجمة، وانعدام المصطلحات العربية المقنعة لبعض التعابير التقنية، فكنا نقترح أحيانا بعض المصطلحات التي نراها أقرب الى الخصوصية التقنية المغربية من تلك الترجمات الواردة في المعاجم. ونذكر أخيرا صعوبة التحكم في الموضوع، الذي وإن كان يركز على الصياغة والحلي، فإنه يتشعب إلى قضايا عديدة تهم تاريخ المجتمع بشكل عام.

استلهمنا في مقاربتنا المنهجية عمليةَ النسيج التي تعتمد على تكامل اللحمة والسدى؛ فكان التاريخ، بمناهجه ومفاهمه وقضاياه، السدى الذي حدد هيكل الأطروحة، بينما شكلت ميادين أخرى اللحمة التي أغنت هذا البحث بمقاربات متكاملة: فاستفدنا من تقنيات الاثنوغرافية في العمل الميداني، أثناء جمع التراث الشفوي وإنجاز البحث مع الحرفيين، واستعنا بعلم الآثار في وصف قطع الحلي وتصنيفها وتتبع علاقتها بالمعمار والمآثر الجنائزية والنقوش

الصخرية، واستأنسنا بالانثربولوجيا عند التطرق لمؤسسات المجتمع التقليدي وممارساته الثقافية، وانفتحنا على اللسانيات من أجل تحليل معجم الصياغة والحلي، ورصد دلالاته المتعددة... وكانت التطريزات والزخارف التي زينت هذا النسيج عبارة عن حكايات شعبية وحكم وأمثال وأشعار ومرددات طقوسية جادت بها حقول الأدب.

قمنا بتصنيف المادة التي توفرت لنا من مختلف المصادر، فتبين أنها تتوزع بين الملفات التالية:

- الحرفيون الممارسون للصياغة
- أدوات وتقنيات الصياغة
- مواد إنجاز الحلي
- أنواع الحلي
- علاقة الحلي بالأنشطة الاقتصادية.
- علاقة الحلي بالمرأة من خلال الجهاز والكد والسعاية
- آليات تدبير الحلي داخل القبيلة.

علاقة الحلي بالسلطة المخزنية.

انطلاقا من هذه الملفات، عملنا على صياغة تصميم متوازن مكون من ثلاثة أبواب:

- الباب الأول: وخصصناه للصياغة في الجنوب بشكل عام، وقسمناه الى أربعة فصول للتعريف بالحرفيين، وأدوات الصياغة، وتقنيات الصياغة، والمواد التي تدخل في إنجاز الحلي.

- الباب الثاني: واستعرضنا فيه أنواع الحلي المنتشرة في مجال الدراسة، وقسمناه إلى خمس فصول، تبعا لأجزاء الجسد التي تشكل حوامل لهذه الحلي، وهي: الرأس، وجمعنا فيه الحلي الجبينية وأُقراط الاذن، ثم العنق للقلائد، والصدر للمشابك، والمعصم للأساور، وأخيرا الاصابع للخواتم.

- الباب الثالث: جمعنا فيه كل العناصر المرتبطة بوظائف الحلي، وقسمناه إلى ثلاثة فصول: فتطرقنا في الأول للوظيفة الاقتصادية، وعلاقة الحلي بالثروة والادخار، وتوسعنا في الفصل الثاني في الوظيفة الاجتماعية مع التركيز على علاقة الحلي بالمرأة، وختمنا بالفصل الثالث الذي تناولنا فيه الوظيفة السياسية، من خلال آليات تدبير الحلي داخل القبيلة، ومن خلال علاقة هذه الحلي بالسلطة والنفوذ داخل الأوساط المخزنية.

الباب الأول:
الصاغة والصياغة

الفصل الأول : الصـــــــاغة

مقدمة

روّج بعض الدارسين لأفكار مغلوطة حول صناعة الحلي، وادّعوا أنها لم تكن في متناول جميع مكونات المجتمع في سوس وفي باقي مناطق المغرب، وأنها كانت حكرا على معتنقي الديانة اليهودية، ويمكن ان نستشهد في هذا الإطار بدافيد راووش الذي يقول:

"في المناطق القروية، المعادن لا يشتغل بها إلا الأشخاص المهمشون نسبيا من طرف الجماعة، وحسب التقاليد الإسلامية، فإن حرف الحدادة والتعدين لها علاقة بالنار تحت أرضية، أي مع جهنم، لأن تحت الأرض تسكنه الجن، ومعالجة [المعادن] تعتبر أمرا خطيرا. لذا، يفترض أن تمارس الجماعة اليهودية وحدها هذا العمل الذي يرفض المسلمون القيام به تماما"[1].

تنهل التفسيرات التي يقدمها الكاتب من الأساطير والخرافات، وتبتعد عن الوقائع التاريخية والاجتماعية المحلية، وتنم عن جهل بالدين وبالمجتمع. ومن المؤكد أن ممارسة المسلمين المكثفة لكافة فروع الصناعات التعدينية من حديد ونحاس وحلي وصناعة الأسلحة تفند التحليلات الخرافية التي اقترحها راووش، وأغلب الباحثين الذين كانوا يجترون أفكارا جاهزة ويقدمون صورة نمطية عن الصائغ بالجنوب المغربي، الذي ينتمي في نظرهم الى الفئة المهمشة داخل المجتمع.

للمساهمة في تصحيح هذه الصورة، سنعمل على رصد المراكز القديمة التي اشتغل فيها الصاغة المسلمون واليهود والعرب في مختلف مناطق الجنوب بهدف إبراز تنوع التركيبة الدينية واللغوية للحرفيين. ثم سنركز أكثر على الصاغة المسلمين قصد تتبع مظاهر انخراط كل الفئات الاجتماعية في الصياغة من علماء وفقهاء و(ءيـكّرّامن)/مرابطين وشرفاء...

وفي الأخير سنقارب زاوية هامة ترتبط بالقنوات التي يتم عبرها ولوج عالم الصياغة، إما عبر التلقين، أو عبر الانتقال إليها من حرف معدنية أخرى.

أولا : الخصائص الدينية واللغوية للحرفيين

1) الصاغة المسلمون الأمازيغ

ينتشر الصاغة المسلمون الأمازيغ في أقصى الطرف الغربي للأطلس الصغير، في قرى متفرقة عبر قبائل (**ءيمجّاض**) و(**ءايت باعمران**) و(**ءءايت حربيل**)، و(**لاخصاص**) التي ارتقت إحدى قراها لتصبح مركزا هاما، يتوارث حرفيوها صناعة الحلي منذ أجيال، إنها قرية (ءيغيلان) التي ساهمت في صيانة (النيال الرصاصي)[2]، وتشكل آخر قلعة من قلاع المحافظة على هذه التقنية في كل الجنوب.

---

[1] **Raouch D., Bijoux Berbères du Maroc dans la tradition judéo-arabe, ACR Edition, Courboie (Paris) 1989, p.83.**

[2] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. p. 62**

تمتد مراكز الصاغة المسلمين الأمازيغ بعد ذلك، على طول السفح الشمال للأطلس الصغير الغربي في قبائل **(عيداكوارسموك)** و**(عيداوسملال)** و**(عيداوبعاقيل)** وصولا إلى **(عايت باها)** و**(عِيدَاوگْنِيضِيفْ)** و**(عيلاّلْنْ) ...**

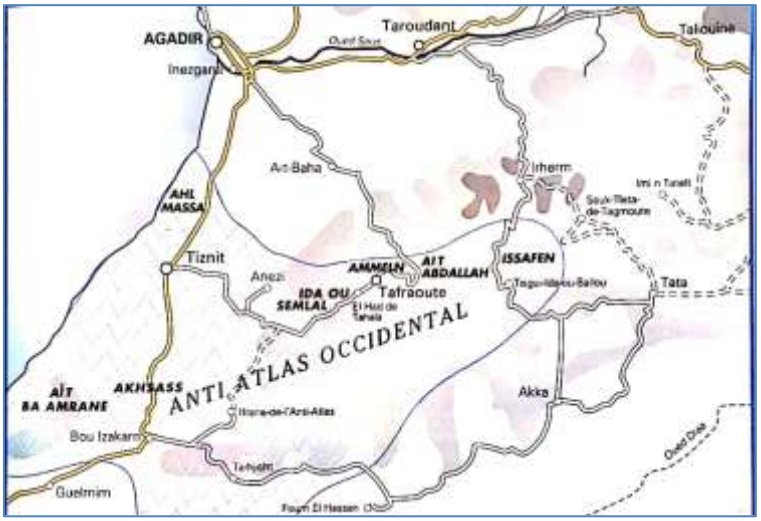

كانت (عيداوكارسموك) تأوي كثيرا من الحرفيين البارعين في صناعة الخناجر والحلي من الفضة[1]، وخاصة في مركز (عيمي عوگْني)، شمال شرق (أنزي). بينما يشتغل في عايداوباعقيل) صاغة من فئة (عيگرّامن)، أي المرابطين، الذين ينتسبون إلى سيدي (أحمد أباعقيل) أحد أشهر صلحاء المنطقة[2]، وتتميز حليهم بغلبة تقنية النقش بالحفر الذي ينجز في مجموعة من القرى من أهمها (عاگْني عوترون)[3]. أما قبيلة (عيداوسملال) فقد عرفت تاريخيا بالصياغة وبصناعة البنادق التي كانت تُحَلَّى بالفضة[4]. وكانت قرية (تيزي عيماشّيون) بـ(عايت عروس) من أهم مراكز هذه القبيلة، وكان سكانها مختصين في صناعة البنادق التقليدية[5]، ويصنعون الحلي على أنواعها "**وصنعتهم مشهورة**"[6].

وقف الباحث بوزونسونو كثيرا عند هذا المركز وخصص له وصفا غنيا بمعطيات تقنية واجتماعية، نورده لأهميته ولدقة المعلومات التي جاء بها:

" (تيزي عيماشّيون) عبارة عن مركز نشيط، وقرية كبيرة يقطنها فلاحون/ حرفيون، يزرعون حقولهم بالشعير والذرة، ويعتنون بأشجار اللوز؛ ويشغلون الأوقات الطويلة الفاصلة بين الأعمال الفلاحية الموسمية بصياغة الحلي، لذا ففي كل منزل هناك ورشة صغيرة.

في (تيزي عيماشّيون)، يتوارث السكانُ الحرفة أبا عن جد، ويتقنون إنجاز الزخارف القديمة، ويحتفظون بـقوالبها، كما يتوارثون من جيل لآخر، تقنيات [النيال الرصاصي] وتذويب [النيال الزجاجي] داخل [فواصل السلك]. حتى وإن لم يعد الحرفيون يمتلكون براعة ودقة إنجاز "المعلمين" المشهورين

---

[1] **Delhomme C., Les armes dans le Sous occidental, les Archives Berbères, publication du Comité d'Etudes Berbères de Rabat, Volume : II, Editions Frontispice Casablanca , 2005, (Première édition 1917), pp.123-129,**

[2] **الحضيكي محمد بن أحمد، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق بومزگو أحمد، (جزئين)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006.**

[3] **معلومات عبر الهاتف من المعلم صالح بيقرناس، من قرية (عاگْني عوترون) جماعة ايت ايسافن عمالة تيزنيت**

[4] **السوسي ، خلال جزولة، الجزء2، مصدر سبق ذكره ، ص.32**

[5] **ADAM A., «Costume ». op.cit. p. 446.**

[6] **السوسي ، المعسول ، الجزء2، مصدر سبق ذكره ،.ص, 425**

الذين ما زال الناس يذكرون أسماءهم... ومما يزيد من أهمية مركز (تيزي ءيماشّيون)، هو وجود قرى للصاغة اليهود في نفس المنطقة، ويشتغلون بالموازاة مع الصاغة المسلمين. وخاصة قرية (تاهالا) قرب (وادي ءامّلن). نجد عندهم نفس التقنيات ونفس نماذج الزخارف. مما يمكننا من الاستنتاج بكل تأكيد بأن صياغة الحلي لم تكن حكرا على الأمازيغ ولا على اليهود"[1].

يستمر انتشار قرى الصياغة على طول الأطلس الصغير وصولا الى (ءيداوكّنيضيف)[2] التي كانت تأوي في بداية القرن الماضي ثلاث مجموعات عائلية كبرى تمارس الصياغة، وهي: عائلة (ايت عمر) وعائلة (اصفّار) في قرية (ءاكْرض ن تزكّا)، وعائلة (ايت المعلم علي) من قرية (ءادارنو)، بالإضافة إلى صائغ يهودي في إحدى القرى المجاورة وهي (تاوريرت)[3].

وفي قبيلة (ءايت وادريم) التي تطل على سهل (ءاشتوكن)، كانت الصياغة ممارسة في قرية (تيمزكّيدا ءيزناكن)،[4] أما في قبيلة (ءايت والْيّاض)، التي تشكل الامتداد الجبلي لـ(ءاشتوكن)، فاشتهرت بها قرية (ءاماسين) في صناعة الحلي[5]...

ويعتبر الأطلس الصغير الأوسط من أكثر المناطق انسجاما من حيث التركيبة الاجتماعية للحرفيين والتقنيات المستعملة في الصياغة. وتقترح راباتي تقسم هذه المنطقة إلى مجالين؛ يقع الأول الى الغرب بنواحي (ءيغرم)، في مجال قبيلتي (ءيداونيضيف) و(ءيداوكنسوس)، و[(ءيداو زدوّت)] وجيرانهم الذين كانوا يمتلكون منذ القديم صاغتهم، وأشكال الحلي الخاصة بهم. ويمتد المجال الثاني في اتجاه السفح الجنوب الشرقي، انطلاقا من (تاكْموت) و(ءيمي ن تاتلت)، نحو واحات (الفايجة) في اتجاه الشرق[6].

كان الحرفيون الذين يتعاطون الصياغة في الأطلس الصغير الأوسط كلهم من المسلمين الناطقين بالأمازيغية؛ وينسجم هذا الأمر مع وضعية باقي فروع الحرف المعدنية كصناعة الأواني النحاسية والخناجر والبنادق وقرون البارود التي كانت ممارستها مقتصرة على المسلمين، في غياب تجمعات سكنية لليهود بهذه المنطقة[7]. وبالعودة إلى الخريطة التي أنجزها P. Flamand سنة 1950 للملاحات القائمة والمندثرة في تلك الفترة، فإنها تُظهر منطقة خالية من أماكن استقرار اليهود، والتي تغطي الحيز الجغرافي للأطلس الصغير الأوسط، انطلاقا من نواحي (تافراوت) صولا إلى (تازناخت) شرقا. ولا تظهر الملاحات في اتجاه الجنوب الغربي إلا في واحات جبل باني[8].

---

[1] Besancenot, Bijoux . op. cit .pl. XIV

[2] من المفيد التذكير بأن (ءيداوكّنيضيف) و(ءيداونيضيف) قبيلتان مختلفتان: تقع الأولى في الأطلس الصغير الغربي، بينما تقع الثانية في الأطلس الصغير الأوسط، ولكل منهما تقاليد خاصة في مجال تقنيات الصياغة وأشكال الحلي.

[3] المعلم أصفار الحسن، التقيته سنة 1998 بمدينة اينزكان، ثم عاودت الإتصال به عدة مرات هاتفيا سنة 2020.

[4] من آخر الصاغة : به بورجا الذي كان يصنع ايضا الخناجر الفضية (الكُمامي)،

[5] كان المعلم الحاج محمد من آخر الصاغة في ذلك المركز (معلومات شفوية من المعلم الداودي في مدينة بيوكرا، سنة 1998.)

[6] Rabaté M.-R., Bijoux. op. cit. p. 29.

[7] De Foucauld (Ch.),op. cit. p. 311.

[8] Rabaté M.-R., Bijoux. op. cit . p. 65.

تعتمد تقنيات مراكز الأطلس الصغير الأوسط على طرق وتقطيع صفائح الفضة الرفيعة والخفيفة الوزن، وتستعين من حيث الزخرفة بالنيال الرصاصي الذي يزين أغلب الحلي، وقد يضاف إليها النيال الزجاجي أحيانا كزخرفة ثانوية...

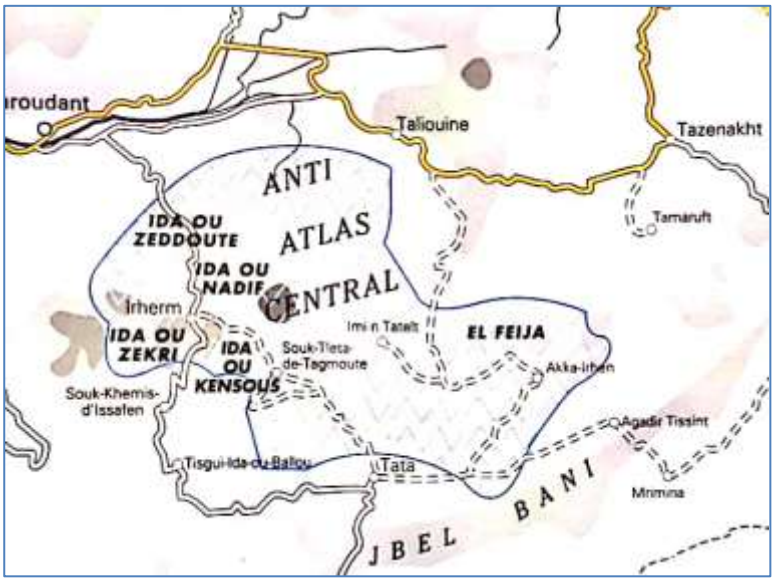

تعتبر (تاكموت) من أهم مراكز في السفح الجنوبي للأطلس الصغير الأوسط[1]، وتعود شهرتها في الصياغة إلى بعض القرى مثل (تاكنزا) التي كانت متخصصة في صناعة الحلي وأغلفة الخناجر من الفضة. وتجاوزت شهرة صاغة (تاكموت) سوس لتصل إلى الأطلس الكبير والحوز ومدينة مراكش التي كان فيها لفظ "التاكموتي" مرادفا للصائغ[2]. وذكر التاسافتي من القرن الثامن عشر أن التاكموتيين كانوا في فترة مولاي إسماعيل يتقنون "بزائم" النحاس الأصفر التي تشد بها الأحزمة الجلدية الحمراء[3]

يتقن صاغة (تاكموت) النيال الرصاصي، ككل صاغة الاطلس الصغير الأوسط؛ ولكنهم يتميزون باعتمادهم على سائل الرمان الحامض (أماغوس) لتبييض الفضة، عكس أغلب المراكز الأخرى بالجنوب المغربي التي كانت تعتمد على الشب لتحقيق نفس الغاية.

تستحق (تاكموت) إجراء دراسات مركزة على القبيلة في محاولة لتفكيك العوامل التي صنعت مجدها في الصياغة وفي باقي الأنشطة المعدنية. ويبدو أن هذه العوامل متعددة ومتداخلة، وتجمع بين خصائص الموقع الاستراتيجي، والخبرات المتراكمة للسكان، والرصيد التاريخي للمنطقة، بالإضافة إلى وجود معدن للفضة في الجبال المجاورة للقبيلة[4].

كان الأطلس الصغير الأوسط من أول المناطق التي تراجعت فيها ممارسة الصياغة، وتراجع نشاط المراكز التقليدية الواحد تلو الآخر إلى أن توقفت كلها تقريبا. كما اختفى النيال الرصاصي منذ أواخر الخمسينات من القرن الماضي[5]. لتطوى صفحة أحد أشهر وأعرق مجالات الصياغة الرفيعة في تاريخ المغرب.

---

[1] تقع على الطريق الرابطة بين تارودانت شمالا وواحات طاطا جنوبا

[2] Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 62

[3] رحلة الوافد للتاسافتي، مصدر سبق ذكره ، ص. 56.

[4] De Foucauld (Ch.),op.cit. p. 312.

[5] Jacques-Meunier J., Bijoux et bijoutiers p. 66

وبعيدا عن (تاكموت)، نحو الجنوب، في الواحات المنتشرة على طول جبل باني، تنتشر قرى الصاغة المسلمين الأمازيغ، إلى جانب قرى اليهود، بالإضافة إلى حرفيين من العرب الرحل الذين يتنقلون في المنطقة. ومن أهم قرى الأمازيغ في هذه المنطقة هناك: (ءيمي ءوكادير)/[فم الحصن]، و(تاوريرت) قرب (اكادير لهنا) ...

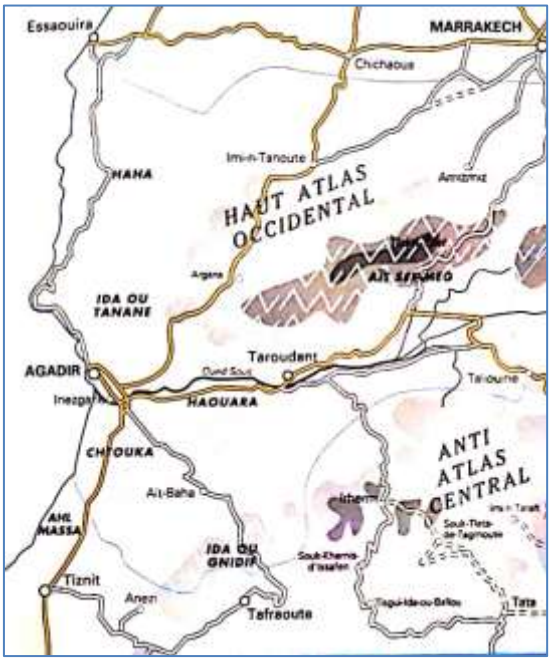

عند الانتقال إلى سهل سوس، سنجد أن الصاغة كانوا يشتغلون في قرى متفرقة بسهل تيزنيت، وفي ماسة، وبعض القبائل شمال (واد والغاس)، والتي برزت من بينها قبيلة (ءاشتوكن) التي كانت تنشط فيها عدة أسر، وخاصة في قرية (تافات) بـ(ءايت ميلك) ...

لقد اهتمت الدراسات بمراكز الأطلس الصغير وسهل سوس، وكذا المناطق الشرقية الواقعة في اتجاه وارزازات، أما الأطلس الكبير الغربي فمعلوماتنا عنه قليلة، ولا نعرف شيئا عن الصاغة الذين اشتغلوا فيه[1]، ورغم ذلك، فقد كان في اغلب القبائل صاغةٌ يصنعون الحلي للسكان، واشتهرت بعض المراكز التي فاقت سمعتها المجال المحلي، في كل من (ءيحاحان) بالقرب من المحيط الأطلسي، و(ايمي ن تانوت) في الطرف الشمالي للمحور الطرقي الذي يخترق الأطلس الكبير من سهل سوس، ثم بعيدا في اتجاه الشرق، مركز (ءايت سم) على طريق (تيزي ن تاست) التي كانت تصل تاريخيا تارودانت بمراكش[2]. وتحتفظ الذاكرة المحلية بأسماء العديد من الصاغة الذين اشتغلوا في قبائل (ءيداوتانان) و(ءيمنتاكن) و(ءيسكساوان) و(ءيداومحمود) و (ءيكلوّا)... في قرى موزعة في شعاب الأودية وقمم الجبال، والتي اختفى أغلبها دون ان توثقها الدراسات الإثنوغرافية. ولكن الحوالة الحبسية لتارودانت تؤكد أن صاغة أمازيغ مسلمين من قبائل الأطلس الكبير الغربي كانوا يذهبون من قراهم للاشتغال في حاضرة سوس.[3]

[1] **Rabaté M. R.,. Bijoux. op. cit . p. 129**

[2] ***ibid***

[3] **بزيد الكنساني أحمد، تاريخ تارودانت في العصر الحديث : عهد الدولة السعدية، منشورات منتدى الادب، 2006، ص. 102.**

برزت مراكز (ايت سمك) كأحد اشهر مناطق صياغة الحلي في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي، وتقع على طريق (تيزي ن تاست) نزولا في اتجاه سهل سوس، واشتهرت ببراعة حرفييها الذين كانوا يصنعون الخناجر، والمشابك (تيزرزاي) وعلّاقات مختلفة متميزة بنقوش محفورة بديعة[1]. وبرزت أسرتا(الخابوس) و(أنشّاد) في مجال الصياغة بهذه المنطقة منذ عدة أجيال[2].

الصاغة المسلمون الامازيغ في المدن

كانت مراكش تمثل مركز أساسيا لاقتناء الحلي بالنسبة لسكان الحوز والأطلس الكبير الغربي. لذا، استقطبت المدينة حرفيين أمازيغ انتقلوا اليها من قراهم بالجنوب، حاملين معهم تقاليدهم التقنية، وصنعوا حليا يحمل بصمتهم الخاصة[3]، وقد سبقت الإشارة إلى حضور حرفيي (تاكْموت) المتخصصين في صناعة "بزائم النحاس الاصفر" في مراكش خلال فترة حكم المولى إسماعيل. ويبدو أنهم كانوا يتعاطون كذلك صياغة الحلي منذ ذلك التاريخ، لذا فإن لفظ "التاكْموتي" كان اسما للصائغ الأمازيغي المسلم المشتغل في مراكش[4]، بغض النظر عن القبيلة التي جاء منها.

كانت تارودانت "عاصمة سوس" والمركز الأساسي للحضور المخزني في المنطقة، لذا كانت على الدوام مركز إشعاع حضاري وثقافي، وتفاعلت باستمرار مع محيطها، واستقطبت إليها الخبرات الحرفية من القبائل للمساهمة في النشاط الصناعي الذي اشتهرت به المدينة في مختلف المجالات. وكانت الصياغة في مقدمة الحرف التي أثارت اهتمام الكفاءات في كل من الأطلس الصغير والأطلس الكبير الغربي، الذين انتقلوا من قراهم الجبلية إلى تارودانت على الأقل منذ أواسط القرن العاشر الهجري، وكانوا يشتغلون الى جانب الحرفيين اليهود في (فندق الصاغة)، وقد وردت أسماؤهم في وثائق الأحباس موصوفة بـ(المعلم الصياغ) مع تحديد انتمائهم إلى قبائل المنطقة مثل: (ءيمنتاكْن) و(ءيرڭيتن)، و(ءيداوزدّوت) و(ءيسكتان)، و(ءينداوزال)، و(ءيلالن)[5] و(ءيداوكنوس)[6]...، وتؤكد هذه الوثائق أهمية حضور المسلمين في صياغة الحلي بتارودانت، وأن هذا الميدان لم يكن حكرا على الحرفيين اليهود، لأن أبواب المدينة كانت مفتوحة لكل الكفاءات.

استقبلت الصويرة بعد نشأتها الصاغة من مختلف مناطق الجنوب، وكان من ضمنهم عدد هام من اليهود، وبعض المسلمين[7]، ونرجح إمكانية انتقال الحرفيين من قبيلة (ءيحاحان) المجاورة للمدينة، أو من

---

[1] **Rabaté M.-R., Bijoux. op. cit . p. 167**

[2] **معلومات شفوية من المعلم (أنشّاد) التقيته بأولا برحيل سنة 1998,**

[3] **Besancenot, Bijoux. op. cit . p. 167**

[4] **Colin G.S., Noms d'artisans, p.231.**

[5] **وردت في الوثيقة 119، في الجزء الأول من الحوالة الحبسية لتارودانت : "شهادة يحي بن علي الصواغ الايلالي ضمن الشهود الذين شهدوا بتاريخ أواسط شعبان عام 1062 هـ بشأن عدد من أجنة معاصير الزيت والحوانيت, بالمدينة...**

[6] **بزيد الكنساني أحمد، تاريخ تارودانت ، مرجع سبق ذكره، ص. 102.**

[7] **شروتر دانييل، تعريب خالد بن الصغير، تجار الصويرة المجتمع الحضري والامبريالية في جنوب غرب المغرب 1844- 1886، سلسلة نصوص واعمال مترجمة، منشورات كلية الآداب ولعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة بالدارالبيضاء،1997، ص. 137.**

قبائل قريبة كـ(ءينتوگًا)، أو حتى من قبائل بعيدة من الأطلس الصغير الذين سبق لهم أن فرضوا حضورهم في الحواضر العريقة كتارودانت ومراكش.

يبدو أن تيزنيت في بداية نشأتها كانت تستفيد من خدمات مجموعة من الصاغة المحليين أو بعض الحرفين اليهود والمسلمين الذين كانوا يشتغلون في المراكز التاريخية المعروفة بالأطلس الصغير المجاور، وينتقلون لعرض خدماتهم على سكان سهل (ءازاغار). وبعد إحاطة التجمعات السكانية المكونة لتيزنيت بالأسوار الدفاعية على عهد المولى الحسن الأول، استقطبت المدينة الناشئة ممثلي المخزن والتجار والعلماء والمتصوفة والفنانين. وتطلبت إقامةُ الصروح العمرانية، من قصور ورياضات وبنيات دفاعية، استقدامَ عدد كبير من الحرفين في مجال البناء والأنشطة الصناعية المرتبطة به. ولا شك أن ممارسي الصياغة كانوا بدورهم ضمن الحرفيين الذي استقطبتهم المدينة للمشاركة في تطوير الفنون والصنائع، والاستجابة للطلب المتزايد على الحلي من طرف ساكنة المدينة. ومن البديهي أن يكون صاغة المراكز القريبة والمنتشرة على السفح الشمالي للأطلس الصغير الغربي في مقدمة الوافدين، وقد أحضروا معهم تقنية النيال الزجاجي داخل الفجوات. كما شهدت المدينة قدوم حرفيين من مجالات أبعد، وخاصة الصاغة العرب القادمين من شمال سوس، من شيشاوة والشياضمة، وكان منهم من ينحدر من أصول صحراوية. وقد أحضر هؤلاء الحرفيون بدورهم تقنياتهم الخاصة مثل النقش والحفر على الفضة.

مع التوسع المضطرد للمدينة، وتضاعف سكانها، وتنامي أهميتها الإدارية والتجارية، زاد عدد الصاغة الذين التحقوا بها، فتكاثرت الورشات و"القيساريات" المعدة لصناعة الحلي وتسويقها. إلى أن أصبحت تيزنيت "عاصمة الفضة" التي يصل اشعاعها مختلف مناطق المغرب.

يبين هذا العرض أن الصاغة المسلمين الامازيغ كانوا على الدوام من المساهمين الأساسيين في تنشيط الساحة الحرفية، وصناعة الحلي في قبائلهم المنتشرة في أغلب المجالات الجغرافية لسوس والاطلس الكبير الغربي، وفي أهم المدن والحواضر بالجنوب، في تارودانت ومراكش والصويرة وتيزنيت. ويبدو أن اشعاعهم بلغ قبائل ومدن أخرى في مختلف مناطق المغرب، بما في ذلك طنجة التي ذكر اوديل (Eudel) بأنها كانت تحتضن ثلاثة صاغة مهرة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ أحدهم مغربي يهودي، والأخر فرنسي يهودي، والثالث مسلم يسمى الحاج أحمد السوسي[1] الذي يبدو أنه ينحدر من سوس

2) الصاغة اليهود.

تتوفر معطيات تاريخية هامة عن الصاغة اليهود في كل من تارودانت ومراكش، ففي تارودانت كان لهم فضاء خاص لصنع وبيع الحلي؛ ووردت في وثيقة من وثائق الحوالة الحبسية عبارة: "**معصرة**

[1] **Eudel P. 1902, L'Orfèvrerie. op. cit. p. 499**

الشمع بقرب الصواغين من اليهود" وذلك بتاريخ المحرم عام 971[1]/(1563م). وذكر كاتيل سنة1871، أن الصياغة في تارودانت كانت في يد اليهود الذين ليسوا بارعين في هذه الحرفة[2].

أشار مارمول في القرن السادس عشر الى أن معظم الصاغة في مدينة مراكش كانوا من اليهود[3]، الذين كانوا يتقنون صناعة الحلي، ويفيدون بخبراتهم الزبناء الراغبين في الاستشارة؛ فقد ذكر دييكو دي طوريس أن مسلما باع ماشيته يوم السوق بمراكش **"وأخذ ثمنها أساور وحليا من فضة، أراد أن يعرف إذا كان لم يخدع فقصد المكان الذي يتخذ فيه اليهود دكاكينهم ويبيعون بضائعهم، وهناك طلب من يهودي أن يزن ماله ويخبره هل هو صاف"**[4]. وعندما مر علي باي عباسي بالمدينة سنة 1804، ذكر أن اليهود يحتكرون مجموعة من الحرف، ومنها صناعة الحلي، والخياطة[5].

كانت الصويرة حين زارها طومسون نهاية القرن التاسع عشر من أشهر مركز صناعة الحلي من الفضة والصينيات من الصفر على الصعيد المغربي[6]. وكانت المدينة تضم صاغة من المسلمين واليهود الذين وفدوا إليها من المراكز التقليدية العريقة. وكان منهم إثنان وعشرون صائغا يهوديا سنة 1894، إلى جانبهم خمسة عشر متعلما[7]، ومن بين صاغة الصويرة الذين وصلتنا أسمائهم في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، هناك: سالومون سيبوي، مامّاو صباغ، مخلوف، نسيم ربوش[8].

وخارج مدن تارودانت ومراكش والصويرة، كان اليهود يمارسون الصياغة في أغلب مراكز السلطة التي تكونت سواء في إليغ مهد الإمارة السملالية، او بالقرب من قصبات قياد المخزن في الجنوب. ولم تكن تخلو أغلب قرى اليهود في المجال القبلي من صائغ أو أكثر، غير أن بعض المراكز اشتهرت أكثر من غيرها، واكتسبت سمعة كبيرة في صناعة الحلي؛ من بينها (ءيفران) و(بيزاكارن) و(قصبة كلميم) في السفح الصحراوي للأطلس الصغير الغربي[9]، وقرية (تاهالا) في بلاد (ءامّلن) غير بعيد عن تافراوت[10] في السفح الشمالي لنفس الجبل.

نشر شوميل سنة 1953 دراسة هامة في مجلة هسبيريس عن يهود(تاهالا)، وأوضح فيها أن هذا المركز كان أبعد تجمع لليهود في أعماق السفح الشمالي للأطلس الصغير الغربي، حيث تقع بالقرب من سوق قبيلة (تاهالا) المنتمية إلى قبيلة (ءامّلن)، على الطريق الرابطة بين تافراوت شرقا، وتيزنيت غربا،

---

[1] الحوالة الحبسية لتارودانت، المجلد: الأول، الجزء: الأول، ص. 88.

[2] Gatell J., Description du Sous, Bulletin de la Société de Géographie (Paris). 1871/01-1871/06 pp.81-106., 1871, p.100.

[3]مامول كربخال مصدر سبق ذكره ، الجزء الثاني، ص. 55

[4]دييكو دي طوريس، مرجع سابق ، ص. 186

[5] Bey Ali, 1814, Voyages d'Ali-Bey el Abbassi (Domingo Badia y Leyblich) … p. 277

[6] كانت تطوان تشتهر بالقرمود المزجج، وفاس بالخزف وبأحزمة بديعة خاصة بالنساء، والرباط بالزربية والطرز، والصويرة بالصينيات من الصفر وبحلي من الفضة، ومراكش بمصنوعات جلدية مختلفة . أنظر : Thomson, op. cit. p. 376.

[7] شروتر دانييل، تجار الصويرة. مرجع سبق ذكره، ص. 136-137.

[8]Eudel P., L'Orfèvrerie. op. cit. p. 511.

[9] Adam A., « Village ». op . cit. 294.

[10] Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 62

عند تقاطعها مع الطريق الرابطة بين (ءايت صواب) في الشمال ومنطقة (ءيغشّان) و(ءيمجّاط) في الجنوب. أي أنها تطورت في ملتقى المحاور التجارية بالأطلس الصغير. وكان عدد السكان اليهود عند وصول قوات الحماية الفرنسية إلى المنطقة في الثلاثينات من القرن الماضي يبلغ 181 نسمة، وكانت منازلهم مندمجة في قرية (تيزي وّاوسيفت) ومتداخلة مع مساكن المسلمين، وكان من الصعب على الزائر أن يعرف بالضبط اين ينتهي "الملّاح" وأين تبدأ منازل المسلمين.

أوضح الكاتب أن اليهود لم يكونوا يتعاطون زراعة الأرض ولا يربون الماشية، ويمارسون نشاطين أساسيين وهما، التجارة والصياغة، وكان نصف الرجال تقريبا، يصنعون الحلي الفضية تبعا للتقاليد المعروفة في سوس، ولكنهم كانوا يواجهون منافسة شديدة من طرف الصاغة المسلمين في(ءيداوسملال). وكانوا يتجولون في الأسواق الأسبوعية محملين بسلعهم وبحليهم، كما كانوا يرتادون (المواسم) المنتشرة بالمنطقة، وخاصة (وايِّيغْد) و(تيمـكْيلشت)، ويتوجهون كذلك إلى موسم (تازروالت)[1].

ستختفي مراكز اليهود على طول الأطلس الصغير الأوسط، قبل أن تعاود ظهورها في واحات جبل باني[2]، في قرى مثل : (تازارت)، و(ءيمي ءوكّادير)/[فم الحصن]، و(اكّادير لهنا)، و(أقا). وكان الصاغة اليهود ينتقلون من هذه الواحات، ومن قرى (ءيزناكّن)، نحو واحة (تسينت) لممارسة التجارة وصناعة الحلي، ويقيمون مؤقتا لدى بعض الأسر المسلمة المحلية، بعيدا عن عائلاتهم[3].

تنتشر الملاحات التي اشتهرت بالصياغة في سهل سوس، وخاصة في قرية (تامالِيحت) بتراب قبيلة (ءاشتوكن)، وتتواصل شرقا وصولا إلى قرية (ءيغيل ن ءوغو) في وادي (زاكّموزن) بالقرب من (تاليوين)، ثم (تازناخت) والملاحات المجاورة [4]. وكذلك في قبيلة (ءايت زينب)التي كان اليهود يتعاطون فيها الصياغة[5]. وتقع (زاكّموزن) على المحور الطرقي الرابط بين سوس والجنوب الشرقي، وعنما مر شارل وفوكو بالمنطقة ، سنة 1883، تحدث عن سوقها الأسبوعي الذي كان يعقد يوم الخميس، ونقل الأخبار المتداولة عن وجود معدن الفضة في تلك البلاد، وأحصى بها إثنا عشر تجمعا سكنيا يقيم فيها عدد كبير من اليهود[6]، ومن ضمن كل هذه التجمعات، وحدها قرية (ءيغيل ن ءوغو)، اشتهرت ببراعة حرفيها في مجال الصياغة.

---

[1] Chaumeil J. « Le mellah de Tahala aux pays des Ammeln », in Hespéris, 1953,p.232-234.

[2] Rabaté M.-R., Bijoux. op. cit . p. 129

[3] De Foucauld (Ch.),op.cit. p. 312

[4] كانت مراكز اشتغال الصاغة اليهود تستمر بعد ذلك شرقا وصولا إلى (دادس) و(تينغير)

[5] إبراهيم ياسين، جنوب طلس مراكش تحت حكم الفرنسيين والقادة الكلاويين: اثار الاحتلال الفرنسي لبلاد ايت واوزكيت، دار إبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2003، ص.297.

[6] De Foucauld (Ch.),op. cit. p. 328

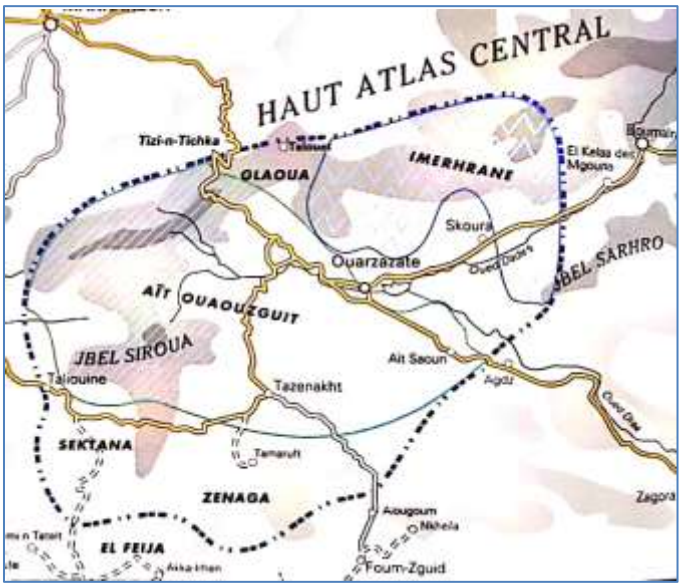

تذكر جاك مونيي أن بعض الحرفيين اليهود انتقلوا من (تاهالا) قرب تافراوت [بالأطلس الصغير الغربي] نحو قرى (اولوز) و (تاليوين) في سوس العليا[1]. وخاصة (ايغيل ن اوغو) التي كانت تشكل، حسب عبارة راباتي، "جزيرة **"للنيال الزجاجي الملاصقة لمجال تقنية (السلك بالحب) المنتشرة في الجزء الغربي من كتلة جبل سيروا"**[2].

كانت قرية (ءيغيل ن ءوغو) تحتضن عددا كبيرا من الصاغة، الذين يشتغلون في ورشات عائلية، وتضم كل ورشة -(ءانوض)- ثلاثة أو أربعة حرفيين، ولكل منهم موقد، وميزان ومنفخ وباقي أدوات الصياغة. وكانوا يسَوِّقون حليهم في القبائل المجاورة[3].

تقع قبيلة (ءيزناكن) نحو الجنوب الشرقي، وكانت تشتهر بمركز (تامعروفت) الذي كان يشتغل فيه صاغة يهود، يمارسون تقنية السلك بالحب ككل مراكز المجال الشرقي[4]. أما (تازناخت) فتقع في منطقة شبه صحراوية في اتجاه الشرق، عند ملتقي مجموعة من الطرق، وخاصة منها تلك الرابطة بين سهل سوس في الغرب، من جهة، و(وارزازات) ومنطقة الجنوب الشرقي، من جهة ثانية[5]. وقد أهلها هذا الموقع لتلعب دورا هاما في المبادلات التجارية المحلية والجهوية، فعندما زارها شارل دوفوكو شهر أكتوبر سنة 1883، أبرز مكانتها كمركز تجاري كبير. وكانت تنطلق منها القوافل المتجهة نحو مراكش بحمولتها من الجلود والجوز والتمر، وتعود إليها محملة بالسلع الأوروبية من المنسوجات القطنية والسكر والشاي وأعواد الثقاب. وكانت مختلف السلع توضع في مخازن انتظارا لإرسالها الى مراكش أو لعرضها خلال السوق الأسبوعي الذي كان يستقطب سكان القبائل المجاورة[6]. وظهرت بنواحي (تازناخت) بعض التجمعات للساكنة اليهودية التي ضمت عددا من الصاغة، وكانوا يعتمدون على بتقنية (السلك بالحب) لصنع الحلي لنساء قبيلة (ءءايت واوزكّيت) المقيمة بجبل سيروا، ولنساء القبائل المجاورة المنتشرة نحو الجنوب في كل من (ءيسكتان) و(ييزناكن).... وبعد هجرة اليهود انطلاقا من الستينيات من القرن

---

[1] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 62**

[2] **Rabaté M.-R., 1996, Bijoux. op. cit . p. 98**

[3] **إفادة من المعلم الحوسين في قرية تيرست بالقرب من تاليوين سنة 1998.**

[4] **Rabaté M.-R., 1996, Bijoux. op. cit . p101**

[5] **Humbert A. et Herbert P., L'Anti Atlas une montagne méconnue, éditeur IRCAM, imprimerie El Maarif Al Jadida, Rabat, 2016, p.87.**

[6] **De Foucauld (Ch.),op. cit. p. 360**

الماضي، توقفت أغلب هذه المراكز، واختفت الصياغة التقليدية بشكل شبه كلي،[1] لأنه لم يكن في هذه المناطق صاغة مسلمون يشتغلون بشكل مواز مع اليهود كما هو الحال في الأطلسين الصغير والكبير وسهل سوس[2].

تتوزع الملاحات على سفحي الأطلس الكبير الغربي، كما تنتشر على طول المحاور الطرقية التي تخترق هذه الكتلة الجبلية، لتربط بين سهل سوس في الجنوب وحوز مراكش في الشمال. وكانت أغلب هذه التجمعات تضم صاغة من اليهود، ففي (أمزميز) في السفح الشمال الأطلس الكبير مثلا، كان هناك على الأقل صائغ واحد يصنع الخناجر[3] والحلي.

كان الحرفيون اليهود وككل الصاغة في الجنوب، يشتغلون في ورشاتهم، كما كانوا يتنقلون رفقة أدواتهم نحو الزبائن في الأسواق والتجمعات السكانية، وقد وقفنا على عقد مكتوب من قبيلة (ءيمنتاڭن) بالأطلس الكبير الغربي يوثق لمعاملة حول إنجاز قلادة بتاريخ أول محرم 1021هـ (مارس 1612م):

" الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وءاله
اشهد الدمي وهو عد اسلمن شهد على نفسه بانه سرف
الخيطت الدر[4] من الفضة الصافية لا غس [= غش] فيها فيها تلاتة
تشمشنين وتلاتة وعشرين وخرة من الدز ونهاية تمنها
تلاتة عشر اواقية سكة تاريخه وشرط بعد اذا خرج
فيه النحاس يرجع له متاعه والسلم شهد بذلك بحال
صحة وطواع وجواز والرضى في اول المحرم عام احدى وعشرين
والف عبد ربه محمد بن احمد الوجاسي [من] املس وفقه الله [وثيقة 3]

يوثق هذا العقد النادر لعملية الاتفاق على إنجاز حلية للعنق، حيث يلتزم الصائغ اليهودي "الدمي"، واسمه: عدّي ءو سليمان، بصناعة قلادة مكونة من ثلاث (تشمشنين)[5] وثلاثة وعشرين حبة من حبوب الفضة (ءودّيز)[6]، ويلتزم بأن تكون الحلية من الفضة، ويلتزم أيضا بتعويض صاحبها إذا تبين غشها لاحقا "وخرج فيه النحاس"

تتجلى أهمية هذا النص في أنه يحدد اسم الصائغ اليهودي، ووصف الحلية بتدقيق، وقيمتها المادية، وشروط الإنجاز، بالإضافة الى تاريخ المعاملة واسم محرر العقد. وتبين الوثيقة كذلك أن الصائغ كان يجري معاملات مع زبناء مسلمين في مناطق لا توجد فيها تجمعات للساكنة اليهودية، مما

---

[1] اختفت الصياغة التقليدية بشكل تام من القرى المجاورة لـ(تازناخت) التي كانت من أهم المراكز صناعة الحلي بالجنوب؛ وعندما زرنا مركز (تازناخت) في شهر يونيو 2019، وجدنا تجارها يعرضون في دكاكينهم حليا مستقدما من أقصى الغرب : من مدينتي (تيزنيت) و(انزكان).

[2] Rabaté J. et M.-R., 1996, Bijoux. op. cit . p. 98

[3] Thomson , op.cit. p. 18.

[4] ربما يقصد الدز

[5] لم نتمكن من معرفة المقصود بهذا اللفظ فقد يكون صفيحة فضية كبيرة أو كُرَيّة لبان أو أي مكون آخر من مكونات نظم القلادة

[6] انظر تعريف ءوديز في فصل القلائد

يظهر الحرية التي يتمتع بها الصائغ، في مجال تنقل السلع والخبرات. كما تبرز الوثيقة بشكل عام أن عملية إنجاز الحلي كانت تتم في إطار تنظيمي دقيق يضمن حقوق كل الأطراف.

3) المسلمون العرب

يمكن أن نتتبع تنقلات القبائل العربية في سوس والأطلس الكبير الغربي وحوز مراكش خلال العصر الحديث، ولكن لا تتوفر المعطيات الدقيقة عن ممارسة هذه القبائل للصياغة إلا انطلاقا من نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وسيتبين أن العرب المتعاطين للصياغة في الجنوب المغربي، ينحدر أغلبهم من قبائل صحراوية ويمارسون الرعي والترحال، وتخصصت منهم بعض الأسر في صناعة الحلي.

قدمت بعض المجموعات من جنوب جبال باني، خاصة أثناء الصراع بين (ايد اوبلال) و(أولاد جلال)، أواسط القرن التاسع عشر، وتقدم (أولاد جلال) مع قطعانهم في عمق الأطلس الصغير في اتجاه الشمال نحو (تاليوين)، وتعاطوا التجارة والأشغال اليومية [العادية] من أجل الحصول على موارد للعيش[1]، كما مارسوا بعض الحرف وفي مقدمتها الصياغة، حيث نزل عدد هام منهم في نواحي (تاليوين) و(اولوز)[2] وفي ضواحي مدينة تارودانت[3].

قدمت مجموعات أخرى من الصاغة العرب من أبعد المناطق الصحراوية بأقصى الجنوب، وهم (أولاد بوسبع) الذين اشتهروا بصناعة الحلي في سهل سوس، وفي والمناطق الواقعة شمال الأطلس الكبير. وكان حرفيو هذه القبيلة مشهورين بمهارتهم في إنجاز الحلي المنقوشة بإتقان من أساور وخواتم وابزيمات الاحزمة وغيرها من الحلي المصنوعة من الذهب او الفضة أو النحاس، ويسوقونها في قرى جنوب عبدة[4]، وفي القبائل الأمازيغية الواقعة في منطقة الحوز وعلى طول السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي. وكان للصاغة العرب من أصول صحراوية حضور في مدينة تارودانت، وفي مجموعة من القرى المنتشرة بضواحيها، وكذلك في مدينة مراكش، حيث كان (أولاد شنّان) يمارسون إلى جانب الحرفيين اليهود والأمازيغ[5].

لقد ساهم الحرفيون العرب بدور هام في صياغة الحلي بالجنوب، وتنقلوا بين قبائل المنطقة، وسجلوا حضورهم إلى جانب الصاغة اليهود والامازيغ بالمراكز التقليدية التاريخية في تارودانت

---

[1] Meunier Jaques, Greniers citadelles au Maroc, 1951,p. 99. = Meunier Jaques, Greniers

[2] المعلم الدوايج التقيته في اولوز سنة 1998

[3] الحاج عمر البشارة من البورة التقيته بتارودانت سنة 1998

[4] Safi et sa région / exposition franco-marocaine(1915 Casablanca, p.34-35) , Editeur impr. G. Ercié et Cie, Casablanca, date Edition 1915.

[5] Colin G.S., Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech, Hesperis, tome: XII pp.229-242, 1931, p.232.

ومراكش ثم في الصويرة وتيزنيت. ولكن الدارسين لم يتنبهوا الى هذا الدور الهام، ربما لأن بعضهم اعتقد أن العرب يعتبرون الصياغة عملا يدويا غير مشرف[1].

واطلعنا على عقد شراء زوج مشابك فضية من قبيلة (ءاڭنسان) بالأطلس الكبير الغربي يشير إلى وصول منتجات الصاغة العرب إلى قمم الأطلس الكبير، فقد أوضح محرر الوثيقة التي تعود إلى سنة 1266هـ/(1849-1850 م) أن هذه الحلية **"صنعتها صنعة العرب"**.[2] ويُفهم من هذه العبارة أن الصاغة العرب الذي كانوا يشتغلون في بعض المراكز بسهل سوس كان لهم أسلوبهم الخاص في صناعة المشابك الفضية وباقي الحلي.

ثانيا : قنوات الولوج إلى عالم الصياغة

1) التلقين

إذا كانت أسرة الطفل تتعاطى الصياغة، فإن الصغير يتلقن مبادئها بشكل عفوي، ويستأنس بتقنياتها ومهاراتها ومعجمها من خلال ملاحظة أفراد العائلة الأكبر سنا وهم يصنعون الحلي. أما الأسرة التي لا تمارس هذه الحرفة، والتي يرغب أبناؤها في تعلمها، فإنها تلجأ إلى حرفي خبير، قد يكون ممن تربطهم به علاقات القرابة أو الجوار، أو إلي أي صائغ آخر في قبيلة بعيدة، تبعا لممارسة متجذرة في المجتمع بالجنوب المغربي، كانت توفر الظروف المناسبة لكل الأطفال لتعلم الصناعات اليدوية من نجارة وحدادة وصياغة وغيرها من الأنشطة.

يرافق الأب ابنه إلى بيت الصائغ الذي سيشرف على تلقينه، ومعه هدية رمزية بسيطة من فواكه جافة كالتمر أو اللوز أو الجوز، أو بعض الدهون كزيت الزيتون، وزيت أركـان أو العسل[3]. ويصبح الطفل الوافد فردا من أفراد العائلة التي استقبلته، ويحظى بنفس المعاملة التي يحظى بها باقي الأبناء، ويساعد "أسرته" الجديدة في كل اهتماماتها اليومية وخاصة في الأشغال الفلاحية.

ككل الحرف التقليدية، يبدأ المتدرب أو(المُتعلّمْ) التكوينَ بملاحظة حركات الكبار، والتعرف على أسماء أدوات الاشتغال، وأساليب استعمالها، وطرق حفظها والعناية بها، ويشرع في القيام ببعض المهام البسيطة التي لا تتطلب مجهودا عضليا كبيرا، ولا تشكل خطورة على الشخص الذي يقوم بها، ولا تتسبب في الإضرار بالمواد المستعملة في صناعة الحلي. ويبدأ المتدرب غالبا بتقنيات اللمسات الأخيرة[4] كصقل الحلي بواسطة المبرد وتنظيفها بالرمل.

---

[1] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 61**

[2] **وثيقة في ملك الأستاذ أحمد بوزيد**

[3] **بعد انتشار السكر في الجنوب انطلاقا من القن التاسع عشر، أصبح من الهايا التي يقدمها الأب بين يديه حين يرافق ابنه عند صياغ ليتعلم عليه.**

[4] **شاهدت راباتي في قرية (ءامزرو) قرب زاكورة، عائلة من الصياغة يتعاون جل أفرادها في صناعة أساور بتقنية (الفريغ)، وكان البالغون يهيئون القالب، ويفرغون فيه الفضة بعد تذويبها في البوتقة؛ وغير بعيد عنهم، كان المراهقون [المتدربون] يقوم بأشغال اللمسات الأخيرة . أنظر : Rabaté M.-R., Bijoux. op. cit . p. 98**

تعتبر عملية البرد من أهم العمليات في سلسلة الإنجاز، وعليها يعتمد جمال الشكل النهائي للحلية. ورغم هذه الأهمية، فإن الصائغ لا يتردد في تكليف المتدربين -(المْتْعْلْمين)- للقيام بها، وذلك لأنها لا تتطلب الكثير من الخبرة والممارسة. فهذه العملية الروتينيةُ المملةُ، بسيطةٌ من حيث إنجازها، ولكنها مفيدةٌ من الناحية "البيداغوجية"، حيث تسمح للمتدرب بملاحظة عيوب عمليات الإنجاز السابقة كالأكسدة والتلحيم وأخطاء التفريغ والتقطيع والطرق. كما أن البرد يمنح للمتدرب هامشا كبيرا "للخطأ" دون أن يؤدي ذلك إلى اتلاف أو افساد الحلية.

كلما ترسخ اندماج المتدرب في عملية التلقين، وازداد في اكتساب المهارات، ينتقل إلى إنجاز بعض العمليات المعقدة والخطيرة تحت إشراف مباشر للصائغ، كتذويب الفضة أو النيال في النار الحارقة، وتقطيع الصفائح بالمقص المعدني الحاد، أو طرق الحلي بضربات قد تصيبه عند أي خلل في التركيز...

لا يتفرغ المتدرب للتكوين في مجال الصياغة طوال لوقت، فبالموازاة مع اشتغاله في الورشة (ءأنوض)، يذهب إلى مسجد القرية -(تيمزگيدا)- لتعلم القراءة والكتابة وحفظ سور من القرآن، ويشارك في الأنشطة الفلاحية للأسرة، وفي كل الأعمال التي تناسب سنه وقدراته الجسدية. وعند وصوله سن البلوغ، يكون الشاب قد اكتسب حرفة الصياغة، ومجموعة من المهارات المختلفة التي سيحتاجها في أداء دوره كفرد فاعل في المجتمع.

يتوج المتدرب مراحل التلقين بالانضمام إلى صاغة الأسرة، ويأخذ مكانه في الورشة العائلية؛ أما من أخذ الحرفة عن صائغ أجنبي عن عائلته، فعندما يُنهي كل مراحل التلقين، جرت العادة أن يحضر معلمُه ولو كان مقيما في قبيلة بعيدة، للإشراف على تهيئة و"افتتاح" ورشة الصائغ الجديد، ويحضر الحفل الذي يقام بهذه المناسبة؛ ويكون حضوره بمثابة "إعطاء الإذن" للمتعلم لممارسة الحرفة، والتوقيع على شهادة الإجادة في إتقان أسرارها.

2) الحدادة

يمكن التمييز في الجنوب المغربي بين نشاطين مختلفين في مجال الحدادة؛ يختص الأول باستخراج الحديد من مكامنه وتذويبه وتحويله إلى كتل وقطع حديدية قابلة للتسويق، ويختص الثاني بمعالجة هذه القطع الجاهزة عن طريق التسخين والطرق لتصنع منها أدوات جديدة. ويقتصر النشاط الأول على المناطق الجغرافية التي تتوفر فيها مناجم الحديد، ويتطلب موارد بشرية و"لوجيستيكية" هامة، وبنيات وتجهيزات خاصة، من أفران كبيرة، ومنفخ ضخم يسمى (لكير)، وكميات متراكمة من الفحم الخشبي. ويُحَوَّل الحديد الخام إلى كتل قابلة للتشكيل بالطرق والتسخين. وتنقل القطع المصنوعة لتباع في

مختلف القبائل التي لا تتوفر فيها هذه المادة[1]. ويكتسي هذا النوع من الحدادة طابعا "صناعيا" وتجاريا، ويعيش ممارسوه من مداخيل بيع الحديد المستخرج في الأسواق.

ويعتمد النوع الثاني من الحدادة، على طرق القطع الحديدية الجاهزة لتحويلها إلى الآلات الخفيفة المستعملة محليا في أعمال الفلاحة والبناء، كالفؤوس والمعاول والمجارف والمناجل، وسِكّك المحاريث[2]. وينتشر هذا النوع من الحدادة في أغلب القبائل، وذلك لحاجة السكان المنتظمة إلى خدماتها سواء لصناعة أدوات جديدة أو لإصلاح أدوات مستعملة أو لتركيب الصفائح الحديدية للدواب. ولا يتلقى الحداد الذي يؤدي هذه الخدمات، تعويضا نقديا عن عمله، وكان يحصل على أجرته على رأس السنة من البيدر حين يجمع الناس محاصيلهم[3].

اختلفت مكانة الحداد في المجتمع التقليدي من منطقة إلى أخرى؛ فإذا كانت بعض القبائل تترك هذه الحرفة لفئات اجتماعية متواضعة[4]، فإن قبائل أخرى تجعل منها "**حرفة شريفة مباركة**"[5]؛ وكان ممارسها بحظي بـ"توقير واحترام في القبيلة إلى درجة اعتبارهم في ذلك مثل الشرفاء الذين لهم وضع اعتباري في المجتمع"[6]. وكان لقب (ءامزيل)، أي: الحداد، مصدر اعتزاز وافتخار في العديد من القبائل بالأطلس الصغير والأطلس الكبير الغربي.

يتقن الحداد استعمال أدوات التعدين، وله إلمام بخبرات معالجة الحديد، وسبل تذويبه، وطرقه وتقطيعه وتحويله إلى أدوات. وكل هذه المعارف، تهيئه، من الناحية التقنية، لتعويض الحديد بالفضة، والانتقال إلى ميدان صياغة الحلي. هذا ما حدث مع عائلة الصائغ أحمد الفضي التي تتعاطى صناعة الحلي في قرية (ءيمي ءوكّادير) [فم الحصن]، إحدى واحات جبل باني بإقليم طاطا، وهي الآن بصدد تكوين الجيل السادس من الصاغة في تاريخ الأسرة[7]. وكانت العائلة تتعاطى قبل ذلك حرفة الحدادة، ثم تحولت عنها إلى الصياغة اعتمادا على معرفتها بتقنيات معالجة معدن الحديد. ومنذ ذلك الوقت، اكتسبت العائلة لقبها الجديد، وهو: "بونّقرت"، ومعناه صانع الفضة. ويشرح أحمد الفضي[8] أن أجداده توجهوا إلى الصياغة، بعد توالي سنوات الجفاف، وتراجع دور الفلاحة في حياة السكان، مما أدى إلى قلة الإقبال على خدمات الحدادة الخاصة بإعداد أدوات الأنشطة الزراعية. وفي الأطلس الصغير الغربي[9]، كان بعض

---

[1] لمزيد من التفاصيل عن استخراج وتذويب الحديد أنظر:

Paris A. et Ferriol F, « L'industrie du fer chez les Berbères du Maroc. Hauts fourneaux berbères des Aït Chitachen », Hespéris, t. II, 1922, p. 339-345.

[2] أيت بومهاوت الوسخيني السملالي امحمد، اطلالة تمنح الاجيال تاريخ قبيلة إداوسملال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2015، ص.52.

[3] السوسي، المعسول، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص. 36

[4] Segonzac Mis de R., Au cœur de l'Atlas, op. cit., p.81.

[5] أيت بومهاوت، إطلالة، مرجع سبق ذكره، ص.52.

[6] عمر امرير، العصاميون السوسيون في الدار البيضاء- السلسلة الذهبية الأولى-، الطبعة الثانية ، مطبعة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط.، 2017، ص. 176.

[7] ايت عدي اسماهري ، مرجع سبق ذكره ، ص. 208

[8] احمد الفضي، من مواليد 1968 بفم الحصن، التقيته في طاطا بتاريخ يناير 2019.

[9] هناك العديد من الأمثلة على تحول أسر من الحدادة الى الصياغة، في الجنوب بشكل عام وفي الأطلس الصغير بشكل خاص، كأيت كرمون في قبيلة ءيمجّاط ، وقرى في ءايت باعمران

سكان قُرى (تيدلي ن ءايت عروس) بقبيلة ءيداوسملال (إقليم تيزنيت) يتعاطون الحدادة في الأزمنة الماضية قبل أن يطورها بصناعات وحرف أخرى كصياغة الذهب والفضة والمجوهرات[1].

ولتوضيح إمكانية الإنتقال من الحدادة إلى الصياغة، نورد مثالا قريبا إلينا زمنيا، ويعود الي ستينيات القرن الماضي، حيث كان اليهود إلى غاية تلك الفترة، يستقرون في قرية (ءيغيل ن ءوغو) على الضفة اليمنى لنهر (زاكموزن) بمنطقة (تاليوين)، ويزاولون أنشطة تجارية ومجموعة من الحرف، وفي مقدمتها الصياغة. وتوجد على الضفة الأخرى لنفس الواد، قرية (تيرست) التي يقطنها أمازيغ مسلمون، وكانت بعض الأسر في هذه القرية تتعاطى حرفة الحدادة. وانطلاقا من الستينيات، شرع اليهود في مغادرة المنطقة؛ وقام بعض الصاغة، قبل رحيلهم، بتلقين خبراتهم ومعارفهم التقنية لحداد من قرية (تيرست)[2]، وسلموه أدوات اشتغالهم. وبالفعل لم يجد هذا الحرفي صعوبة كبيرة في التحول إلى صناعة الحلي من الفضة، مستفيدا من تكوينه السابق في مجال الحديد.

3) صناعة النحاس

شجعت وفرة النحاس سكان الجنوب على ابتداع طرق مناسبة لاستخراجه من مكامنه، وتذويبه، وتصنيعه. فيستغلون العروق المعدنية في الهواء الطلق،[3] أو يحفرون عميقا تحت الأرض لما يتراوح ما بين 200 إلى 300 ذراع، لاستخراج هذا المعدن[4]. ويصنع الحرفيون، في القبائل بالأطلس الصغير وفي مدن مراكش تارودانت والصويرة، أدوات وأواني مختلفة تبعا للون النحاس المستخدم.

يعتبر النحاس الأحمر من اختصاص الحرفي المسمى (بووّاناس)، اي "صاحب النحاس"[5] الذي يصنع القدور والسطول والمراجل والمجامر[6]، وأوني صغيرة مما يُتّخَذ للشرب[7]، والقُلة ذات العنق الطويل(ءابوقّال) التي تستخدمها النساء لإحضار الماء من العين او البئر، وأنواع من السطول الصغيرة المزودة بمقبض لنقل السوائل، وبعضها يُزَوَّد أيضا بغطاء لحفظ العسل والزيت والسمن عند تقديم هدية في المناسبات، بالإضافة الى أواني لكيل الشعير وكلها من النحاس الاحمر[8]

---

[1] أيت بومهاوت، اطلالة، مرجع سبق ذكره، ص.52.

[2] زرت المعلم الحسين في ورشته بقرية (تيرست) سنة1998، وكان يشتغل رفقة ابنه في الصياغة.

[3] De Castries H., op.cit. p. VIII.

[4] De Foucauld (Ch.),op. cit. p. 336.

[5] يُسمَّون في الدارجة المغربية: (النحايسية)ن انظر:

Ricard, Pr., Les métiers manuels à Fès, Hespéris, 1924, T. IV, 2 trimestre, pp. 205-224, p.221

[6] *ibid*

[7] السوسي، المعسول الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص.147.

[8] أنظر:

-Adam A., La maison et le village, p.320.

- السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره، ص. الجزء الثالث ص. 308

كان النحاس الأصفر من اختصاص (ءاصْفّار)، الذي يصنع الأواني الفاخرة مثل المقارج والمجامر وحسكات الشمع والهاوون والمباخر وأباريق الشاي والقهوة، بالإضافة إلى الصواني،[1] كما كان يصنع بعض القطع الرفيعة مثل قرون البارد[2]، وبزائم النحاس الأصفر للمضمات الجلدية الرجالية[3] والنسوية، وأغلفة بعض أنواع الخناجر...وكان تخصيص النحاس الأصفر للأواني الرفيعة ناتج عن كون هذا المعدن لا يصدأ بسهولة كالنحاس الأحمر، كما يستعيد لونه وبريقه بمجرد حكه ....

يمكن للصانع المشتغل بالنحاس بنوعيه -الأحمر والأصفر-أن يتحول لممارسة الصياغة، مادام خبيرا بتقنيات تذويب وطرق المعادن. غير أن الصفار هو الأقرب من الناحية التقنية، وذلك لأنه يصنع أدوات ذات بعد جمالي وخاصة قرون البارود والخناجر، كما يصنع بعض الحلي من الصفر بشكل كامل، أو يصنع هيكلها التي يغطيها الصائغ بعد ذلك بصفائح رقيقة من الفضة.....

تقدم لنا اسرة "أصفار" من قرية (ءاكْرض ن تزكا) بقبيلة (ءيداوكْنيضيف) بالأطلس الصغير الغربي (إقليم شتوكة ايت باها)، نموذجا لتحول صانع الصفر نحو الصياغة. فتبعا للحكاية التي استقيناها من السيد الحسن اصفار[4]، المولود سنة 1942، فإن جده من أبيه كان يعيش في قرية (سُّبْتْ ءوزور) بقبيلة (ءيندوزال) بالأطلس الصغير الأوسط، حيث كان يتعاطى صناعة النحاس كباقي سكان بعض قرى القبيلة. وكان ينتقل مرة في السنة نحو القبائل البعيدة، وينزل في التجمعات السكانية المختلفة، ليصلح الأواني النحاسية للسكان ويقبض أجرته، وكان يقطع مسافات طويلة من مسقط رأسه بالأطلس الصغير الأوسط حتى منطقة (تافراوات) بالأطلس الصغير الغربي. وخلال إحدى جولاته المعتادة، اقترح عليه سكان قرية (ءاكْرض ن تـزْكا) بقبيلة (ءيداوكْنيضيف) الاستقرار بينهم، ومنحوه منزلا واتفقوا معه على أن يصنع لهم أواني جديدة، ويصلح أوانيهم القديمة، ويسلموه مقابل خدماته نسبة محددة من المحاصيل الفلاحية. شجعت هذه المحفزات الجد على البقاء، فتزوج وشرع في إنجاز العمل المطلوب منه. ثم تعرف بعد ذلك على صائغ أمازيغي يهودي مقيم في قرية مجاورة، فكان يقصده ويجلس بجانبه للترويح عن النفس وتبادل أطراف الحديث، وكان، في نفس الوقت، يتابع باهتمام طريقة اشتغال الصائغ على الفضة، وحين يعود إلى منزله، كان يحاول تكرار العمليات التي شاهدها باستعمال معدن الصفر، إلى أن اتقن كل مراحل التذويب والطرق وإنجاز تصاميم الحلي، إذ ذاك فقط جرب استعمال الفضة، ولما تأكد من نجاحه في إنجاز الحلي بالخصائص التقنية والجمالية المطلوبة تخصص في الصياغة، وترك حرفة النحاس جانبا.

---

[1] **انظر:**

- Ricard, Pr., Les métiers manuels à Fès, p.221.

- Colin G.S., Noms d'artisans, p.236.

[2] **De Foucauld (Ch.),op. cit. p. 81**

[3] **التاسافتي، رحلة الوافد. مصدر سبق ذكره ، ص 56**

[4] **العلم الحسن أصفار، يشتغل حاليا بمركب الصناعة التقليدية بتالبورجت بمدينة أكادير.**

تبين قصة أسرة "أصفّار" إمكانية انتقال الحرفي من معالجة معدن النحاس إلى معدن الفضة بسهولة ويسر. ويبدو أن هذه القصة لم تكن استثناء، وأنها تكررت في أماكن أخرى، وخاصة في مدن كتارودانت ومراكش والصويرة التي استقطبت أعدادا هامة من الصاغة والصفارين الذين كانت تجمعهم علاقات مهنية، فيتعاونون في إنجاز بعض الحلي التي تجمع بين الفضة والصفر. وقد تُتَوج هذه العلاقات بانتقال بعض الصفارين إلى مجال الصياغة.

ثالثا : الصياغة والبركة والعلم

1) الفقهاء والعلماء

احتفظ لنا التاريخ باسم محمد بن سليمان الروداني باعتباره من أكبر علماء المغرب الذين تعاطوا الصياغة في القرن السابع عشر،[1] وقد اشتهر إلى جانب علمه وورعه، بممارسة العديد من الحرف **"كالطرز العجيب، والصياغة المتقنة، وتسفير الكتب والخرازة، وجبر قوارير الزجاج المتصدع"**[2]. لم يكن ابن سليمان الروداني متطفلا على الصياغة، ولم يكن يكتفي من هذه الحرفة بحظ قليل من التقنيات البسيطة، بل كان متمكنا من أساليبها الفنية، وخبيرا بأسرارها التقنية، وهذا ما نفهمه من حرص العياشي على وصف صياغة ابن سليمان بـ"المتقنة". إن ممارسة شخصية من طينة الروداني للصياغة دليل على أن فئة العلماء في عصره لم تكن تجد حرجا في تعاطي هذه الحرفة، والإبداع فيها، والتفنن في تقنياتها.

لا تسعفنا الوثائق، في جرد أسماء كل الفقهاء والعلماء الذين تعاطوا الصياغة في الجنوب المغربي في العصر الحديث، ونرجح رغم ذلك أن عددا من "الطلبا" والعلماء مارسوا هذه الحرفة في مختلف قبائل سوس، وهذا ما تؤكده كتابات المختار السوسي بالنسبة لفترات متأخرة نسبيا، حيث كان المؤلف يذكر الأنشطة اليدوية التي تمارسها الشخصيات العلمية والفقهية التي كتب عنها في مؤلفاته، ومنهم الاديب محمد بن الطيب التيزي الذي تعلم على والده في قرية (تيزي ءيماشّيون)، التي كانت تعد من أهم مراكز الصياغة بالأطلس الصغير[3].

كان بعض العلماء يتعاطون الصياغة إلى جانب أعمال يدوية مختلفة من بناء، ونجارة، وخرازة وغيرها من المهارات، كما هو حال أحمد بن أحمد الأوبولخيري المتوفى حوالي 1327 هـ[4]. وتندرج ممارسة الفقهاء والعلماء للصياغة في إطار انفتاحهم على أغلب الحرف اليدوية التي كانت شائعة في المجتمع التقليدي بالجنوب، فكان منهم من تعاطى النجارة[5]، والحدادة[6]، وصنع الجوالق "ءيشوارين" من

---

[1] ازداد محمد بن سليمان الروداني سنة 1037 هـ موافق 1627م بمدينة تارودانت أو بالقبائل المحيطة بها، وتوفي في بلاد المشرق سنة 1094 هـ الموافق سنة 1683. انظر: بزيد الكنساني أحمد، محمد بن سليمان الروداني من اعلام المغرب في القرن الحادي عشر الهجري، منشورات عكاظ، الرباط، 1990، ص. 5 و48.

[2] ـ العياشي عبد الله ، الرحلة العياشية 1661 - 1663م، الجزء الثاني، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، منشورات دار السويدي، أبوظبي، 2006، ص. 52.

[3] السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره، ص. الجزء 18 ص, 425.

[4] المصدر السابق ، الجزء 3، ص. 220

[5] المصدر السابق ، الجزء 11، ص. 53

[6] نفسه

الخوص[1]، والصناعات الجلدية كالدباغة[2]، وتحويل الجلود المدبوغة الى أجربة وأحزمة ونعال وبلاغ[3]، كما تعاطوا أشغال البناء[4] لتشييد المنازل، والمساجد والمدارس أو لإقامة منشآت فنية كالجسور.وإلى جانب هذه الحرف التي كانت مفتوحة لعموم الرجال في المجتمع، كانت هناك أنشطة أخرى يتعاطاها العلماء والفقهاء بكثرة، ومنها الخياطة[5]، ومهارات متعددة لها امتدادات فنية كتجليد وتسفير وتنميق الكتب[6]، وإتقان تزويق القباب[7].

كان الفقهاء و"الطلبا" يعتمدون في معيشتهم على الإشتغال بالتعليم والمشارطة في المساجد، والإفتاء وتحرير عقود المعاملات... ويتعاطون في نفس الوقت الصياغة وغيرها من الحرف اليدوية لتنويع مواردهم المالية، وتحسين وضعيتهم المادية. ويشكل هذا السلوك تجسيدا لمظهر من مظاهر الورع والزهد، من خلال التعفف عما في أيدي الناس، والرغبة في العيش مما تكسبه اليد[8]. وفي كل الحالات، فحملة الثقافة الدينية مارسوا صناعة الحلي وأغلب الحرف المعروفة في محيطهم الاجتماعي، دون أن يؤثر ذلك على مكانتهم ووضعهم الاعتباري، بل أكسبهم ذلك المزيد من احترام السكان في بيئة قائمة على العمل والإنتاج[9].

2) (ءيـكّرّامن)/المرابطون والصلحاء

في بحثنا عن عائلات (ءايـكّرّامن) التي تعاطت الصياغة، توجهنا إلى قرية (تاكّنزا) بقبيلة (تاكّموت) على السفح الجنوبي للأطلس الصغير الأوسط (إقليم طاطا). وجالسنا آخر صائغ بالقرية، وهو الحاج على بن ويساعدن المولود في بداية الثلاثينات من القرن الماضي، والذي توقف عن مزاولة حرفة أجداده منذ عدة سنوات. ينتمي الحاج على إلى اسرة (ءايت على ءويحي) التي ينحدر أفرادها من قرية (ءَاوِيرْسْ) بـقبيلة (ءيسكتان) في اتجاه الشرق، وهناك يقع ضريح جدهم الأعلى سيدي (محند كّـويساعدن) أحد صلحاء سوس في الفترة السعدية. وهو المعروف في كتب المناقب باسم مَحمد بن ويساعدن السوسي السكتاني المتوفى سنة 987 للهجرة.[10] وتبعا للرواية الشفوية التي سمعناها في عين المكان، فإن الجد

---

[1] المصدر السابق ، الجزء 12، ص. 292

[2] المصدر السابق ، الجزء 8، ص, 57

[3] السوسي المعسول، المصدر السابق ، الجزء 3، ص. 220

[4] نفسه

[5] المختار السوسي، المعسول، الجزء 11، ص. 53

[6] المصدر السابق ، الجزء 5، ص. 43

[7] نفسه

[8] كان محمد بن سلمان الروداني، يخصص يوم الخميس لأعمال الخرازة من أجل صناعة " ثلاثة أزواج من السباط أو اكثر، فيبيعها ويتقوت بها إلى الخميس الآخر"، وذلك حرصا منه على التقوت "من كسب يده"، أنظر: الرحلة العياشية مصدر سبق ذكره ، الجزء الثاني، ص. 52-53.

[9] بعض العلماء يمارسون أنشطة تعدينية في إطار ما يعرف بـ"علم النار"، الذي يهدف إلى تحويل النحاس إلى ذهب أو فضة. وتداول بعض المهتمين بهذا المجال منظومات شعرية بالأمازيغية ومكتوبة بالحرف العربي كالتي نظمها الشاعر سيدي حمو الطالب وسماها "علم النار"، جاعلا موضوعها عبارة عن قواعد لـ"كيمياء" التعدين، يتحدث فيها عن طرق استخراج المعادن وقواعد معالجتها.أنظر:
امرير عمر، سيدي حمو الطالب شاعر امازيغي عالمي من مواليد 1706، الدار البيضاء، دار النشر سوماكرام.2017، ص.99.

[10] التمنارتي عبد الرحمان، الفوائد الجمة في اسناد علوم الأمة، إعداد محمد بن عبد الله الروداني، تحقيق اليزيد الراضي، وطبع ونشر: مطبوعات السنتيسي – الدار البيضاء1999، ص. 79-80.
السوسي، المعسول، مصدر سبق ذكره ، الجزء 19، ص. 231-232.

انتقل للاستقرار في (تاڭموت) قبل فترة طويلة؛ وعند وصوله إلى المنطقة، وجد سكانها يمارسون الصياغة، فتعلمها منهم، ولقنها لأولاده الذين توارثوها جيلا بعد جيل. ويذكر مخبرنا أنه في زمن طفولته في الثلاثينات من القرن الماضي، كان بالقرية أربعة صاغة من الحرفيين المهرة وهم: والده وعمه، وهما من (ايـڭّرّامن)، بالإضافة الى شخصين آخرين وهما: (احمد نايت واعبد الله) و(عبدالرحمان بوكس).

عندما وصل (ايـڭّرّامن) إلى (تاڭموت)، وجدوا السكان المحليين يتعاطون الصياغة، فتعلموها منهم، واشتغلوا بها لتحسين وضعيتهم المادية، ولقنوها لأبنائهم. ولم تؤثرممارستهم للصياغة على وضعهم الإعتباري داخل بيئة الاستقبال، لأن السكان استمروا في احترامهم وتوقيرهم. كما لم تتغير مكانتهم عند باقي فروع (ايـڭرامن) الذين تربطهم بهم علاقات عائلية، فقد واظبوا على زيارة ضريح جدهم الأعلى في قبيلة (يسكتان) البعيدة قصد للزيارة والتبرك، ويُستقبلون هناك، كالعادة، بحفاوة وتقدير.

ينظر سكان تاڭموت إلى (ايت على اويحي) على أنهم ينتمون إلى إسرة عريقة تتوارث البركة كما تتوارث فن الصياغة منذ اجيال. وتؤكد هذه الحالة أنه لا تعارض بين الانتساب إلى أحد رجالات الصلاح والتصوف، وبين إتقان صناعة الحلي. بل يؤدي الجمع بينهما إلى اكتساب المزيد من التقدير والاحترام من طرف السكان. وتوجد عائلات أخرى من (ايـڭّرّامن) تعاطت الصياغة بمطقة الجنوب[1]، نذكر من بينها أحفاد سيدي (احمد أباعقيل) الذين يشتغلون بمجموعة من القرى بـ(ءاڭني أءوترون) بمجال قبيلة (ءيداوباعقيل). وبرعوا في صناعة الحلي، كجيرانهم في قرى مثل (تيزكي) و(ءافا ءوزور)....

إذا كان (الشّرفاء) و(ءيـڭّرّامن) يتوارثون بركة الأجداد، فإن أسرا أخرى تكتسب خصوصيتها وتميزها من توارثها لدعاء مستجاب من سلف صالح؛ ويمكن أن نستشهد في هذا الإطار بحالة عائلة (ايت بوكرين) المستقرة في قرية (تاوريرت) بالقرب من قرية (اكادير الهنا)، غير بعيد عن مدينة طاطا. وحسب الرواية الشفوية التي سمعناها من عميد الأسرة السيد إبراهيم بوڭـرين، المزداد سنة 1954، فإن أسلافه كانوا من الرحل اذين ينتقلون بأغنامهم بحثا عن الماء والكلاء في المجال الممتد بين الأطلس الصغير ومنطقة الساقية الحمراء في الصحراء. وتعلم أحد أجدادهم حرفة الصياغة على يد صائغ مسلم من من (ءيداوزدّوت) بالقرب من إيغرم بالأطلس الصغير الأوسط. وكان هذا الجد، كما تقدمه الحكاية الشفوية، رجلا صالحا مستجاب الدعاء؛ وقد تضرع إلى الله ان ييسر لكل أحفاده تعلم الصياغة. يضيف محدثنا، أنه ومنذ تلك الفترة، أصبح كل رجال (بوڭـرين) قادرين على ممارسة الحرفة دونما حاجة إلى تعلم أسرار تذويب وطرق الفضة، فيكفيهم الانتماء إلى الأسرة، وبركة الجد لإتقان (الصنعة). ويحكون أن من بينهم أفرادا لم يسبق لهم أن لمسوا أدوات الصياغة، ولكنهم نبغوا فيها بعد ذلك دون أن يكونوا تلقنوها في صغرهم. وإذا وضعنا الإطار التاريخي جانبا، فإن أهمية هذه الحكاية مرتبطة بتقديمها لقناة جديدة من

[1] ذكر لنا الحسن اصفار أن عائلة من (ايكرامن) كانت تمارس الصياغة في مجال قبيلة ايت باها، ولكنه لا يتذكر اسمها.

قنوات ولوج عالم الصياغة، عبر بركة الأجداد، وليس عبر القناة المعهودة المتمثلة في اكتساب المهارات بالتدرج ومراكمة الخبرات قبل تتويج مراحل التكوين الطويلة باستحقاق الانتساب إلى ممارسي الحرفة.

يحمي الصاغة عادة حرفتهم بحجاب من الأسرار وستار من الغموض، لضمان انتقالها داخل الإطار العائلي الضيق، ولكن في حالة أسرة "بوكرين" يبدو أن حجاب البركة وستار "الكرامة" هما اللذان يوفران الحماية اللازمة لصياغتهم ويضفيان عليها جاذبية خاصة؛ فبفضل بركة الجد المؤسس ودعاءه الصالح، كانت حلي أسرتهم تنال إعجاب كل الزبناء وذلك لأنها، وكما يؤكدون، لها جمالية خاصة[1] لا تتوفر لحلي غيرهم من الصاغة. لقد كان الدعاء المستجاب من جد صالح لأحفاده، وسيلة لتثمين ممارستهم للصياغة وإضفاء قيمة خاصة على الحلي التي يصنعونها، في وسط كان يشهد منافسة حادة بين مختلف فئات الممارسين.

3) الشرفاء

تنتسب أسر (ءايت طّالب ابراهيم) إلى الشرفاء الأدارسة، الذين يقيمون في قرية (ءيغيلان) بقبيلة (لاخصاص) بالأطلس الصغير الغربي[2]. ويخبرنا المعلم مولاي مبارك بن سعيد[3]، أن جدهم الطالب إبراهيم[4] جاء إلى (لاخصاص) قادما اليها من قبيلة (ءيداوسملال) التي كانت تضم أشهر مراكز الصياغة في المنطقة. وكان هذا الجد فقيها متمكنا، وصائغا بارعا في نفس الوقت؛ وبعد مغادرته قريته في اتجاه الغرب، نزل أول الأمر بقرية (ميرغت)، وشارط في مسجدها لبعض الوقت، ثم واصل رحلته نحو (لاخصاص)، التي استقر فيها بشكل نهائي، وتكاثر فيها أحفاده من بعده. لا تحدد الحكاية تاريخ قدوم (الشرفاء) الأدارسة إلى المنطقة، ولكن القرية الأولى التي أقاموا فيها في البداية، تظهر الآن على شكل أطلال مهجورة، وتسمى (يخربان ن ايت داود)، ومعناه: أطلال ايت داود. وقد تركها سكانها بعد إحدى الأوبئة التي تسببت في خراب العمران وهلاك السكان، وانتقل الناجون منهم إلى قرية (ءيغيلان) الحالية.

يمارس "الشرفاء" الوافدون الصياغة إلى جانب العائلات المحلية، ويتقاسم الجميع نفس المعارف والخبرات، ويتقنون سرار إنجاز النيال الرصاصي؛ ويُنادَون كلهم بلقب: (بو نّقرت)، ومعناه: صانع الفضة، ويتنافسون جميعا في إقناع الزبون بجودة المنتوج ودقة الإتقان. والميزة الوحيدة التي اختص بها الشرفاء عن غيرهم من الحرفيين، هو تحليتهم بلقب: (مولاي).

---

[1] قال محدثنا ان صياغة عائلتهم : «تلّا فلّاس تيسنت"، ومعناه الحرفي : "عليها الملح"، والمقصود أن لها جمالية خاصة.

[2] (عمالة إقليم سيدي افني)

[3] يشتغل في قريته، وله في نفس الوقت ورشة في سوق ثلاثاء لاخصاص الأسبوعي، التقيته مرات عديدة في طاطا ويزنيت ومراكش ولاخصاص، وكان آخرها بتيزنيت بتاريخ شتنر 2020

[4] انتقل مع أخويه الذين كانا بدورهما من (الطلبا)، وهما الطالب يحي الذي استقر في (أيت جرار) وكان يتقن أيضا صناعة البلاغي لجلدية، والطالب ايعزّا الذي استقر في (تاجّاجت) بقبيلة (ءيمجّاط)

خاتمة

لم تكن ممارسة الصياغة في سوس ومجمل الجنوب محصورة في فئة اجتماعية خاصة أو في مجال جغرافي محدد. فقد استقطبت هذه الحرفة المسلمين واليهود، والأمازيغ والعرب. وتعاطاها الفقهاء والعلماء، و"الشرفاء" و(ءيكّرّامن) من أحفاد اقطاب التصوف والصلاح. وكان الصاغة بمختلف دياناتهم ولغاتهم ولون بشرتهم وانتماءاتهم الإثنية، يتنقلون في قبائل الجنوب ومدنه لصناعة الحلي، وكانوا يلتقون بانتظام في نفس الأسواق الأسبوعية، وفي نفس المواسم السنوية لعرض منتوجاتهم. ويحاولون إقناع الزبون بجودة المنتوج والعمل المتقن، بعيدا عن كل اعتبارات دينية أو لغوية أو قبلية. وكانت الصياغة، وككل الحرف والمهن اليدوية، تمنح لممارسيها إمكانية تنويع مواردهم المالية بمداخيل قارة تنضاف إلى ما يحصلون عليه من ممارسة الأنشطة الفلاحية. كما تدعم مكانتهم الاعتبارية داخل مجتمع حريص على تشجيع العمل وممارسة الأنشطة الحرفية بمختلف أنواعها.

لقد كان الصاغة يحظون بمكانة متميزة في المجتمع التقليدي، وهذا ما شجع الأسر على توارث صناعة الحلي، وشجع الحرفيين الممارسين لأنشطة معدنية أخرى على التحول إلى الصياغة. ولتوسيع دائرة الممارسين، وضع المجتمع آليات مضبوطة لضمان الحق في تعلم الصياغة حتى للأطفال الذين لا تتعاطى عائلاتهم هذه الصناعة.

الفصل الثاني: المواد

مقدمة

أصدر الباحث الفرنسي جان بوزونسونو (J. Besancenot) كتابه الأول حول التراث المغربي سنة 1940. ورغم أن هذا المؤلَّف كان مخصصا للأزياء، فإنه ضم معطيات إثنوغرافية ميدانية هامة عن الحلي في العديد من قبائل وحواضر المغرب. ثم سيُصدر نفس الباحث كتابا آخر سنة 1953 وخصصه لموضوع الحلي، واختار له العنوان التالي: "الحلي العربية والأمازيغية في المغرب[1]".

يتضح من هذا العنوان أن بوزونسونو يميز بين صنفين من الحلي، بناء على المعدن الذي صنعت منه، وهذان الصنفان هما:

- الحلي العربية، ويَقصد بها منتجات الصياغة المعتمدة على الذهب، والتي كانت تنتشر في المدن والحواضر الناطقة بالعربية.

- الحلي الأمازيغية، ويقصد بها منتجات الصياغة التي تعتمد على الفضة وتنتشر في المجالات القبلية الناطقة بالأمازيغية.

ستوضح الدراسات لاحقا، أن حلي المغرب يمكن تقسيمها، اعتمادا على كل مواد انجازها، إلى صنفين:

- الحلي القروية: وتنتشر في كل المجالات القروية بالمغرب، سواء كانت ناطقة بالعربية أو الأمازيغية، وكانت تعتمد على معدن الفضة إلى جانب حبات المرجان واللوبان الأصفر والعقيق الزجاجي والأصداف البحرية وعيدان القرنفل.

- الحلي الحضرية، وتنتشر غالبا في الحواضر العريقة، بسكانها العرب والأمازيغ، وكانت تعتمد على معدن الذهب إلى جانب الجوهر والأحجار الكريمة.

كانت سوس تمثل مجال انتشار "الحلي القروية" في أغلب مكوناتها الجغرافية، بينما كانت الحلي "الحضرية" تنتشر في مدينة "تارودانت"، وفي مراكز الحكم، وفي قصبات أعيان المخزن.

سنحاول في هذا الفصل التوسع في رصد أغلب المواد التي كانت تدخل في صناعة وتركيب الحلي بالجنوب، وسنتتبع حضورها عبر تاريخ المنطقة، انطلاقا من المصادر التاريخية ومن الأرشيفات العائلية المحلية.

[1] **Besancenot J., Bijoux Arabes et berbères du Maroc, Casablanca, Editions de la Cigogne, 1953, , Réédition : Casablanca, Edit. Frontispice, 2001= Besancenot J. , Bijoux**

أولا ـ المواد المعدنية

1) الفضة:

تشكل الفضة المادة الأساسية لاشتغال الحرفيين في مختلف مراكز الصياغة بسوس، وهذا ما يفسر إطلاق اسم "**بُونْقرْتْ**"، أي: صاحب الفضة- على ممارس صناعة الحلي، لأنه لا يستعمل غيرها من المواد إلاَّ عَرَضاً. لذا، من النادر أن نجد حلية مصنوعة من النحاس أو الحديد؛ أما القطع الذهبية التي قد نصادفها جنوب الأطلس الكبير فتكون غالبا مستوردة من المراكز الحضرية.

من المثير للانتباه أن لا نجد اسما أمازيغيا محليا للفضة رغم أهمية هذا المعدن في الصياغة بسوس، إذ يستعمل السكان في التداول الشفوي نفس اللفظ المستعمل في العربية الدارجة :"**النقرة**"، بعد إخضاعه لقواعد النطق المحلي، فيقال: "**نّقّرْت**". وسنجد هذا اللفظ في التداول الكتابي، حيث يستعمله محررو الوثائق في محرراتهم إلى جانب لفظ "**الفضة**" ذاته.

يعود أقدم ذكر لكلمة "**الفضة**"، في ما اطلعنا عليه من أرشيف، إلى شهر ذي حجة عام 1016هـ،(أبريل 1608م) ضمن وثيقة لقسمة الإرث من قبيلة (ءيمنتاكّن) بالأطلس الكبير الغربي، والتي تجرد من بين الممتلكات موضوع القسمة: " **زوجة النبلات من الفضة**" [وثيقة 6]. ثم سيظهر لفظ "النقرة" في الوثائق انطلاقا من ثمانينيات القرن الحادي عشر الهجري ، كما يوضح هذا الجدول:

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة	المقصود
[تاجـكّالت، وثيقة 12]	رجب 1082 (1671م)	زوزة المقياس النقرة	زوجة أساور من الفضة
[ءيمنتاكّن، وثيقة 23]	ربيع الثاني 1086 (1675م)	خائطة النقرة	قلادة من الفضة
[ءاكّنسان، وثيقة 5]	شعبان1087 (1676م)	الخيطة النقرة	قلادة من الفضة
[ءيداوكايس، وثيقة 8]	شعبان 1088 (1677م)	نقرة مخدومة	فضة مصاغة الى حلي

لم نعثر على مصطلح أمازيغي محلي للدلالة على الفضة، سواء في الموروث الشفوي أو في الوثائق المكتوبة. وقد نفهم انعدام المقابل الأمازيغي السوسي لبعض المواد المستوردة من خارج المغرب كـ(**اللبان الأصفر**) و(**المرجان**) و(**القرنفل**). أما (**الفضة**)، فمناجمها منتشرة في الجنوب المغربي، واعتمد عليها السكان بشكل كبير لصياغة حليهم، وربطوها بقيم ثقافية وحضارية متعددة، ومنحوها أبعاداً رمزية عميقة، وأولوها أهمية لم يحظ بها أي معدن آخر.

بعد تعذر العثور على المقابل الأمازيغي في التداول الشفوي وفي الأرشيفات العائلية، انتقلنا للبحث في مؤلفات قديمة سبق لها أن وثقت بعض المعطيات اللسانية، ومن بينها مؤلَّف السفير الدانماركي جورج هوست الصادر في كوبنهاكن بتاريخ 1779، والمخصص للتعريف بالمغرب خلال سنوات حكم السلطان سيدي محمد بن عبد الله. يضم هذا الكتاب معجما مختصرا لبعض الكلمات بالأمازيغية السوسية،

مرفقة بترجمتها إلى العربية الدارجة والدانماركية، وورد فيه أن الفضة تسمى (**ءيدْرِيمْنْ**) بالأمازيغية، و"**النقرة**" بالدارجة[1]. غير أن كلمة (**ءيدْرِيمْن**) لا تعني الفضة، بل تعني "**الدراهم**"، وهي جمع (ءادْرِيمْ)، منطوق الدرهم بالأمازيغية[2] وتطلق عموما على النقود الفضية. ويبدو أن سبب الخلط الذي وقع فيه هوست هو أن النقود تُسكُّ من الفضة.

حافظت فروع لسنية أمازيغية في الشمال والوسط على اسم قديم للفضة وهو (ءاژرف) الذي بقي متداولا في الريف الشرقي[3]، وفي الاطلس المتوسط[4]. ونجد في سوس كلمات لها علاقة اشتقاقية ودلالية بهذا اللفظ، ونذكر منها على الخصوص: (ءاژاريف) و (ءاژّورف)

- (ءاژاريف)، وهو "الشب" باللغة العربية، وهو حجر ذو استعمالات مختلفة مرتبطة بممارسات استشفائية وغيرها.

- (ءاژّورف): ورد اللفظ عند ايميل لاووست بزاي مخففة في المعجم الذي خصصه للحياة البحرية بسوس سنة 1923، وأشار إلى أنه يستعمل في عبارة: (**البحر ءيلاّ ڭيس ءوزّورف**)، ومعناها: البحر مُومِض[5].

ومن خلال تحرياتنا الميدانية على طول السواحل بمنطقة سوس، تبين لنا أن هذا اللفظ ينطق بزاي مفَخَّمة ومشددة - أي ءاژّورف – و ما يزال شائعا بين الصيادين الذين يطلقونه على وميض الضوء الخافت الذي يلمع أحيانا في البحر ليلا، ويساعد الأسماك على الرؤية بوضوح فتتفادى أدَواتِ الصيد من سنَّارة وشباك. وبعيدا عن المعجم البحري، يدل (ءاژّورف) على اللون الرمادي الباهت وخاصة عند الحديث عن الأثواب[6].

تلتقي الفاظ (ءاژرف) - بمعني الفضة-، و(ءاژاريف) -بمعنى الشب-، و(ءاژّورف) -بمعنى الوميض المتلألئ- في اشتقاقها كلها من جدر واحد وهو (ژرف)، كما تلتقي من حيث دلالتها في معان متشابهة مرتبطة باللون الرمادي، وباللمعان والوميض. وبالإضافة إلى العلاقة الاشتقاقية والدلالية بين الفضة وحجر الشب، فإن بين المادتين علاقة تقنية مرتبطة بعمليات الصياغة، إذ عندما ينهي الصائغ إنجاز حلية ما، يعمد إلى غطسها في خليط من الماء وحجر الشب(ءاژاريف) لتكتسب لمعانها ولونها الفضي المميز –(ازّورف - . انطلاقا من هذه المعطيات، يمكننا افتراض أن اسم الفضة مأخوذ من لون

---

[1] Host G., Relations sur les Royaumes de Marrakech et Fès recueillis dans ces pays de 1760 à 1768, Traduction F. Damgaard et P. Gailhanou, Edit. La Porte, Rabat, 2002, p.213

[2] عمر أفا، 1988، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-1906)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، الطبعة الأولى. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص, 391= أفا ، النقود .

[3] Laoust E., « Le dialecte berbère du Rif », in Hesperis, 1927, p.207= Laoust , « Dialecte »

[4] Goudard Lieutenant J., « Les bijoux d'argent de la tâche de Taza », in *Hespéris*, 1928, t. VIII, p . 291.

[5] Laoust E., « Pécheurs Berbères du Sous : notes sur un vocabulaire maritime du Sous », in Hespéris, 1923,p.311= Laoust E., « Pécheurs »

[6] استقينا هذه المعلومات عن الاستاذ إبراهيم اودادا من قبيلة (السيحل) بإقليم تيزنيت

المعدن، كما هو حال الذهب (**ءُورْغ**) الذي صيغ اسمه من لونه الأصفر الذي يسمى (**ءاوْرَاغْ**) بالأمازيغية.[1]

<u>مناجم الفضة بالجنوب</u>

ينحصر استغلال الفضة في سوس في عدد محدود من المناجم، وكان هذا المعدن عموما مصاحبا لخامات الرصاص[2]، ومن أشهر مناجم المنطقة :

- منجم (**تامدولت**): الواقعة أطلالها بين وَاحَتَـيْ (**أَقَّا**) و(**تُوزُونِين**) بإقليم (**طاطا**)، وقد أشار البكري إلى أن معدنها "**غزير كثير المادة**"[3]. وما يزال سكان قرية (**توزونين**) يستغلون هذا الموقع بالطرق التقليدية[4].

- (**منجم ءاكوتام**): الذي حدد عمر آفا موقعه شرقي تيزنيت بقبائل (ءيرسموكن)؛ وإليه تنسب العُمْلة "**الكُتامية**" أو (**تاكوتامت**) التي كانت تصنع من الفضة المستخرجة من هذا المنجم في فترة بودميعة مؤسس الإمارة السملالية بإيليغ. وكان هذا المنجم نشيطا في الفترة الممتدة بين القرن السادس والسابع عشر[5].

- (**منجم زكْندر**) الذي يعتبر من أقدم وأكبر مناجم الفضة بالمغرب ويقع على ارتفاع 2000 م بجبل (**سِيرْوَا**) على بعد 7 كلم شمال غرب (ءاسكاون). وكان لسكان القبيلة دور كبير في استغلال هذا المنجم، لأنهم طوروا وسائل الاستفادة منه، وحافظوا على أَمْنِـه ودافعوا عنه إلى أن توقف استغلاله في بداية القرن الثامن عشر[6].

إلى جانب هذه المناجم الكبرى التي طبعت تاريخ التعدين بالمنطقة، نجد إشاراتٍ متفرقةً لمناجم متواضعة واقعة بالقرب من بعض مراكز الصياغة، وخاصة بكل من (**تاڭموت**) التي ذكر معدن الفضة في الجبال المجاورة لها[7]، ومنطقة (**تاليوين**) بقبيلة (ايسكتان)، التي برز[8] فيها مركز (**زاڭمُوزْنْ**) لصناعة الحلي الذي كان ينشط فيه صاغة يهود.

---

[1] انظر الذهب اسفله

[2] أفا ، النقود ، ص, 296-302

[3] المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري. أنظر : ابي عبيد البكري (المتوفي سنة 487ه)، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، كتاب المسالك و الممالك، الناشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط. أولى، ص. 161.

[4] مبارك ايت عدي والمحفوظ اسمهري، " واحات طاطا : سحر المجال وغنى التراث"، سلسلة تاريخ ومجتمعات المغرب الصحراوي ، دار النشر DTG Société nouvelle، الرباط، ص. 138.

[5] افا عمر ا« كوتام » ، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا ، 1989 ، ج 1، ص 635-636

[6] أفا، النقود ، ص. 296-302

[7] De Foucauld (Ch.), Reconnaissance au Maroc (1883-1884), éd. L'Harmattan, coll. « Les Introuvables », Paris, 2000, p. 312

[8] *ibid*

من الصعب تتبع تاريخ المناجم بسوس، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى انقطاع الأشغال في مثل هذه الاستغلاليات[1]، ولكن يمكننا أن نطمئن إلى أن وجود ممارسات وتقاليد منجمية بالمنطقة كانت من أهم العوامل التي تفسر ارتباط سكان سوس التاريخي والثقافي بالفضة.

الفضة في الحلي:

يعتبر الحسن الوزان من أوائل الكتاب الذين رصدوا توزيع استعمال الفضة في الحلي بالجنوب المغربي، ولاحظ ارتباطها بشكل عام بالمجال القروي[2]، فذكر مثلا أن نساء **(تِييوْتْ)** بسهل سوس كن يتزين بالفضة، مع أن التِّبْرُ كان يشكل السكة الوحيدة التي يتعامل بها السكان[3].

أما منطقة **"إِدَاوْعَاقْل"** بإقليم (حاحا) بالأطلس الكبير الغربي، فقد كان من عادة نساءها أن يحملن في آذانهن أقراطا ضخمة من الفضة، فتضع بعضهن أربعة أقراط منها في كل أذن، ويستعملن أيضا أنواعا من مشابك الثياب الغليظة التي تزن الواحدة منها أوقية يمسكن بها ثيابهن على أكتافهن، ويعملن من الفضة كذلك خواتم في أصابعهن وخلاخل في سيقانهن، ولا يفعل ذلك منهن إلا النبيلات والموسرات، أما نساء العامة والفقراء فيتخذن تلك الحلي من الحديد أو النحاس[4].

إذا تفضيل المجتمع النساء لاستعمال الحلي المصنوعة من الفضة له ما يبررها تاريخيا وثقافيا؛ فإن الصائغ له مبررات أخرى تجعله ينجذب لهذا المعدن بسبب خصائصه الفيزيائية والميكانيكية[5] الملائمة لمختلف العمليات التقنية التي ترافق إنجاز الحلية. ومن أهم هذه الخصائص:

- الفضة من أكثر المعادن بياضا؛ وبعد صقلها تصبح لها قدرة انعكاسية كبيرة[6].

- تلائم الفضة إنجاز كل تقنيات التفريغ والطرق والتقطيع، ويمكن أن تقام فوقها الزخارف بسهولة بواسطة النقر أو النقش والحفر، كما يناسب سطحها تركيب فجوات السلك الرفيع لاستقبال النيال الزجاجي وحُفَرِ وضع النيال الرصاصي.

- الفضة من بين أكثر المعادن ليونة أثناء الطرق[7]؛ لذا يمكن تحويلها إلى صفائح رقيقة جدا، ويمكن جرها لتعطي سلكا رفيعا. ويعبر الصاغة عن خاصية الليونة بلفظين أمازيغيين وهما (**تَالُوغِي**) و(**تِيمْلِي**.

---

[1] أفا، النقود ، ص. 302

[2] لاحظ الوزان الارتباط الوثيق بين المجالات القروية والحلي الفضية في أغلب مناطق المغرب؛ فجبل البْرَانْس الواقع شمال تازا تسكنه قبيلة غنية قوية، وكانت نساء هذا الجبل يتزين بكثير من حلي الفضة. وتتزين نساء (ءايت عتاب) و(ءايت عياض) بمنطقة تادلة بحلي الفضة، وتتحلى نساء "المدينة" حاضرة دكالة بكثير من حلي الفضة والعقيق الأحمر . أنظر : الوزان الحسن، وصف افريقيا، الجزء الاول، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1983، ص357 و ص. 184 -185 و ص. 153

[3] نفس المصدر السابق ، ص. 115.

[4] نفس المصدر السابق ، ص. 110.

[5] للمزيد من المعلومات ، انظر :

Camps-Fabrer H. 1970, Les Bijoux de grande Kabylie, Paris, Arts et Métiers Graphiques, p.12= Camps-Fabrer H., Kabylie.
Benfoughal T., op. cit .p. 181

[6] Pouvoir réfléchissant

[7] Ductilité et malléabilité

ويقال إن (**نَّقُرْت تْلْكَّاغْ**) أو (**نّقرْتْ تمْلاَ**) ومعنى العبارتين : الفضة رطبة، ولينة. ونشير إلى أن مصطلح "**تَالُوغِي**" حاضر أيضا في معجم صانع الخزف والفخار، حيث يقال (**ءاكَالْ ءيلْكَّاغْ**) ومعناه: "الطين لين رطب"[1] ويحيل على طواعية الطين وقابليته للتشكُّل.

رغم كل المزايا التي تتمتع بها الفضة فإن متانتها تبقى ضعيفة نسبيا، لذا، ولزيادة مقاومتها يعمد الصائغ إلى خلطها بنسب محددة مع النحاس،[2]وتتوقف متانة الحلية وجماليتها على نوعية الفضة المستعملة ونسبة النحاس الذي تحتوي عليه، فالفضة ذات عيار منخفض،- أي التي تتوفر على نسبة هامة من النحاس- يكون لونها باهتا ومائلا إلى الرمادي.، ويصلح هذا النوع أساسا لتقنية "**الفْرِيغْ**"، وتكون القطع المنجزة به غير متقنة من حيث التفاصيل الفنية، أما الفضة ذات العيارالمرتفع، فتعطي حلية بيضاء صافية ومتقنة الصنع في أدق التفاصيل[3]، وهذا الصنف هو المناسب لصناعة الحلي التي تعتمد على تقنيات الطرق والتقطيع والجر، لأن ليونته الكبيرة، تسمح بالحصول على أوراق خفيفة، وعلى سلك رفيع، دون أن تنكسر الفضة. ويعرف الجميع استحالة إنجاز الحلية من الفضة الخالصة، وضرورة مزجها بكمية محددة من النحاس لتكتسب المتانة الضرورية، وقد استلهم الشاعر الأمازيغي هذه الحقيقة التقنية ليصوغ منها حكمة بليغة في قوله:

ءيواليون ءا يتّوزان يان ءيمَّا نّقرت

ءور جُّون تْللِّي تاد ءيفّغ ءيميك ن واناس[4]

ومعناه : "على المرء ان يزن كلامه، أما الفضة فلا تخلو أبدا من قليل من النحاس"، والمقصود بهذه الحكمة أن المرء مطالب "بوزن" كلامه كي لا ينطق إلا الصواب".

كانت الأُسر تسلم الصائغ قطعا نقدية فضية أو حلية قديمة أو حلية مكسرة ليُذَوِّبَها ويصنع منها حلية جديدة[5]. فإذا تعلق الأمر بالقطع النقدية، فإن الحرفي يضعها مباشرة في بوتقة التذويب، أما الحلية المستعملة أو المكسورة، فتنزع منها فصوص الزجاج[6] وتُطرق لتنفصل عنها طبقة النيال الرصاصي الأسود أو النيال الزجاجي داخل فجوات السلك.

لقد ساهمت عوامل تاريخية واجتماعية وتقنية متداخلة في تفضيل نساء سوس، كما نساء أغلب مناطق المغرب، للفضة كمادة أساسية لصناعة الحلي، إلى درجة يمكن اعتبار المواد الأخرى كلها من (**لوبان**) و(**مرجان**) و(**عقيق**) زجاجي مجرد عناصر ثانوية في تركيب الحلية، وتقتصر وظيفتها على إبراز جمالية المكون الأساسي لزينة المرأة الذي تشكله الفضة.

---

[1] **لا يمكن صناعة الاواني الخزفية من الطين اللين فقط (اَكَالْ إِيلْكَّاغْنْ)، لذا تضاف إليه تربة أخرى تسمى "الحرش" لإعداد الأواني الخزفية.**

[2] **Camps-Fabrer H., Kabylie.. op.cit.12.**

[3] **Benfoughal T., op. cit. p. 181**

[4] **معلومة شفوية عن أحمد الفضي من (ايمي اوكادير)/فم الحصن.**

[5] **Jacques-Meunié, D., « Bijoux et bijoutiers du Sud marocain » in Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord, N. 6, Toulouse, Editions Privat, 1960-1961, p .60 = Jacques-Meunié, D., « Bijoux »**

[6] **Benfoughal T., op. cit. p. 209 .**

2) النحاس:

يعرف النحاس في الامازيغية باسم عام هو :(ءانَاسْ). ويتم التمييز بين صنفين مختلفين من هذا المعدن تبعا للون كل واحد منهما، فهناك (**أءانَاسْ ءازْوكّـاغْ**) وهو: النحاس الأحمر الذي يستعمل عادة في صناعة الأواني المنزلية العادية، وهناك (**ءاناس ءاوراغ**)، وهو: النحاس الأصفر، والذي يسمى أيضا (**طَّاسْ**)،[1] وتصنع منه الأواني الفاخرة والحلي. أما السفير الدانماركي هوست، قيميز بين صنفين من النحاس، أحدهما خام، يسمى (**تانْقُولْت**) ويستخرج من أكادير، والآخر قديم ويسمى "نحاس"، وكان المغرب يُصَدِّرُ الصنفين معا، خاصة نحو مارسيليا ويحقق من كليهما أرباحا هامة[2]. يقصد الكاتب بأكادير إقليمَ سوس الذي كان مشهورا بكثرة استغلاليات النحاس، أما لفظ (**تانقولت**)، فينطق في الواقع بصيغة (**تانـڤـولْت**) ومعناه المعجمي " قرص الخبز"، ويطلق في مجال التعدين على قطع نحاسية مسبوكة على شكل أقراص دائرية معدة للتصدير نحو وأُروبا وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء[3].

استعمل محررو الوثائق العائلية في العقود المكتوبة ثلاثة ألفاظ للدلالة على أنواع هذا المعدن، وهي : (النحاس)، و(الكتم)، و(الصفر).

- يرد لفظ "**النحاس**" في الوثائق ويقصد به غالبا النحاس الأحمر المستعمل في صناعة الأواني ذات الاستعمالات المنزلية[4]. وعندما يتعلق الأمر بالمعدن الأصفر المستعمل في إنجاز الحلي، فمحرر الوثيقة مطالب بتوضيح اللون تجنبا للبس[5].

- لفظ "**الكتم**"[6] الذي يكتب أيضا بصيغة "**الكتومة**"[7]؛ وهذه الصيغ هي تعريب للفظ الأمازيغي (**ءاكوتام**)، اسم أحد أهم مناجم بالجنوب المغربي ويقع بإقليم تيزنيت.

- **الصفر)** [8] **أو الصفرة**[9]، والمقصود بهاذين اللفظين: النحاس الأصفر، ويرد غالبا باعتباره مادة إنجاز الحلي.

---

[1] **أنظر :**

Destaing E., Etude sur la Tachelhit du Sous Vocabulaire français-berbère, Librairie Ernest Leroux, Paris, 1938,p.85.

و أشار محمد شفيق الى لفظ (اضاروغ) كاسم أمازيغي للنحاس الأصفر، وكلمة (امضراغ) كاسم للحرفي الصفار الذي يشتغل بهذا المعدن، انظر:

شفيق محمد، المعجم العربي الامازيغي، ثلاثة اجزاء، منشورات اكاديمية المملكة المغربية، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة. 1987-2000، الجزء الأول ص. 199.= شفيق، المعجم.

[2]**Host G., op. cit .213.**

[3]**De Castries Le Lt-Colonel H., Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, Archives et Bibliothèques des Pays-Bas, Tome : 5, Paris ,1920,Editions Ern, pp.129-133**

أنظر أيضا : شفيق محمد، الدارجة المغربية مجال تَوارد بين الامازيغية والعربية، منشورات اكاديمية المملكة المغربية، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1999، ص.83 = شفيق، الدارجة .

[4] **يحرص بعض المحررين على تحديد اللون كما في عقد جهاز من ءايت حامد بتاريخ صفر 1239 (1823م)ورد فيه "النحاس الاحمر" [وثيقة 4]**

[5] **- مثال : "الخرا[ص] النحاس الأصفر" وثيقة 16، غير مؤرخ جهاز ءاڭنسان**

[6] **وثيقة 17 بتاريخ صفر 1145 (1732م) من (تالـڭـجونت)**

[7] **وثيقة 23 بتاريخ أول شعبان 1086 (أكتوبر 1675م) من (ءيمنتاكن).**

[8] **- زوجة الخلالة المصوغة بالصفر [وثيقة 7، بتاريخ ذي حجة 1284 (1868م) من (ءءايت حامد)**

[9] **- زوجة الخلالة الصَفرة [وثيقة 20، بتاريخ صفر 1175 (شتنبر 1761م)، من (تالـڭـجونت)**

تشتهر منطقة سوس بعدد هام من مناجم النحاس المنتشرة على طول الأطلس الصغير وجبال باني، بالإضافة إلى بعض المناجم بالأطلس الكبير الغربي كما هو حال (ايكي) و(أُونَايْنْ) و(وِيشْدَّانْ)[1]. وتفسر وفرةُ مناجم النحاس أهميةَ المنتجات المصنوعة من هذه المعدن ضمن السلع التي كانت تجد طرقها إلى إفريقيا جنوب الصحراء، فقد ذكر البكرى أن مدينة (ايكلي)، قاعدة بلاد السوس، يعمل بها النحاس المسبوك ويتجهز بها إلى بلاد السودان[2]، كما كانت القوافل المتوجهة من مدينة أغمات نحو تلك البلاد تحمل النحاس الأحمر والملون[3].

وبعد احتلالهم للشواطئ الأطلسية، شرع البرتغاليون في شراء كميات مهمة من نحاس سوس والأطلس، ونقلوها إلى آسفي حيث كانت تصنع منه أساور تباع لسكان إفريقيا جنوب الصحراء[4].

تعتبر (**تَازَالاَغْتْ**) من أهم مناجم استخراج النحاس بالأطلس الصغير الأوسط، وقد تطور هذا الموقع إلى مدينة مهمة في القرن السادس عشر[5]. وعندما مر به شارل دوفوكو سنة 1885 ذكر بأن بلاد (**تازالاغت**) تشتمل على مناجم كبيرة للنحاس، ويرتدي العمال ملابس من الجلد وينزلون لاستخراج المعدن من عمق 200 أو 300 ذراع تحت الأرض[6]. وكانت (**إِينْدُوزَال**) بهذه المنطقة من الأطلس الصغير الأوسط، من آخر القبائل بالجنوب المغربي التي حافظت على تقاليد صناعة النحاس إلى عهد قريب[7].

واشتهرت منطقة إيفران بالأطلس الصغير الغربي بوجود عدد من مناجم النحاس التي يستغلها السكان لصناعة الأواني النحاسية التي كانت تروج كثيرا في بلاد السودان[8]، ونظرا لأهمية المنطقة، ولجودة نحاسها، اتخذ فيها "ملك سوس" قصرا يقيم فيها الوالي الذي يتسلم النحاس المستخرج، ويسمى الصيني[9]، ثم يوزعه "بالقسط " على الصناع[10]. وكان معدن (**الصُّفْر**) الجيد المسمى "صوفي" يستخرج من إقليم سوس[11].

برزت تارودانت ومراكش من بين المراكز الكبرى لصناعة النحاس، فكان ينقل اليهما المعدن من أماكنه في الجبال المجاورة، ويصنع منه سلاح المدفعية[12]، وكانت تارودانت تضم سوقا خاصا

---

[1] افا، النقود ، ص. 296

[2] البكري ، مصدر سبق ذكره ، ص. 162.

[3] الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، اعتنى بتصحيحه ونشره هنري بيرس (Henri Peres) الجزائر، 1957، دار الكتب ،ص.42.

[4] احمد بوشرب ، دكالة والاستعمار البرتغالي الى سنة اخلاء آسفي وأزمور (قبل 28 غشت 1481 – أكتوبر 1541) ، الشركة الجديدة دار الثقافة الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 1984. ص.315.

[5] افا، النقود ، ص. 294

[6] De Foucauld (Ch.), op. cit .p.340

[7] A. Adam « La maison et le village dans quelques tribus de l'Anti-Atlas », in Hespéris, t. XXXVII, 3-4, Rabat : 1950, p.376= Adam, « la Maison ».

[8] الوزان الحسن ، مصدر بق ذكره ، الجزء 2، ص. 128

[9] كان هذا النحاس اذ ذاك مشهورا بالصيني، ومنه جاء اسم صينيات الشاي النحاسية. انظر : نفس المصدر السابق

[10] ـ مارمول كاربخال، 1984، افريقيا، الجزء الثالث، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984، ص. 143.

[11] نفس المصدر السابق ، ص. 148

[12] نفس المصدر السابق ، الجزء 2، ص. 69

بالصفارين[1]، وكانت منتجاتها تباع في كل قبائل الجنوب[2]، وبعد إنشاء مدينة الصويرة التحقت بدورها بتارودانت ومراكش، إلى أن أصبحت في القرن التاسع عشر أهم مركز على الصعيد الوطني لصناعة الصينيات من الصفر، إلى جانب حلي الفضة[3].

استعمال النحاس في الحلي:

ذكر الوزان أن نساء العامة والفقراء بالأطلس الكبير الغربي كن يتخذن حليهن من الحديد أو النحاس[4]، وأوضح مارمول بعد ذلك أن النحاس المستعمل في تلك المناطق لإنجاز الحلي هو الصفر[5]. ويتفق الوزان ومارمول على أن التزيُّنَ بحلي النحاس ، كان معيارا للتراتبية الاجتماعية، ويرتبط خاصة بفئة الفقراء.

وبعودتنا إلى الأرشيفات العائلية المحلية، لم نسجل إلا حالاتٍ نادرةً لاستعمال الصفر بشكل مباشر في الحلي، ومنها:

- **"زوجة الخلالة المصوغة بـ(الصفر)"** ضمن عقد جهاز من (ءايت حامد) بالأطلس الصغير الغربي بتاريخ ذي حجة 1284/(1868م) ، ويقصد بها: زوج مشابك مصنوعة بالنحاس الأصفر، وتضم الوثيقة أيضا: زوج أَخراص، دون تحديد المعدن، وحلية جبينية فضية من نوع (**المشبوح**)، وقلادة -أو قلائد- من اللوبان والمرجان.[وثيقة 7]

- **زوجة الخلالة الصّفرة"** ضمن عقد جهاز من (تالـكّـجونت) بالأطلس الكبير بتاريخ صفر 1175 (شتنبر 1761م)، وتضم الوثيقة أيضا: زوجين من الأخراص وزوج أساور من نوع **"تانبالت"**، وأربع قلائد من القطع النقدية وحبوب الفضة و**"الخواتم"** و(**المرجان**)، وأخيرا، قلادة من القرنفل. [وثيقة 20]

- **"أخراص النحاس الأصفر"** ضمن عقد جهاز غير مؤرخ[6] من (ءاكّنسان) بالأطلس الكبير، وفيه أيضا (**قلادة اللوبان**) مع فصولها من الفضة، وقلادة القطع النقدية، وحلية جبينية (**السفيفة / المشبوح**) وقلادة (**الفناء**)، وقلادة من عيدان القرنفل [وثيقة 16]

رغم اختلاف النماذج الثلاثة التي عرضناها من حيث المجال القبلي والإطار التاريخي، فإنها تشترك في إعطاء مكانة ثانوية للصفر ضمن مواد إنجاز الحلي. فوجود هذا المعدن لا يتجاوز قطعة أو قطعتين، ضمن مكونات حلي الجهاز، إذ يكون حضوره مكملا لدور الفضة، ولا يعوضها.

---

[1] **انظر الحوالة الحبسية لتارودانت المجلد الاول 1/3، ص. 2**

[2] **ADAM A., «Le costume dan quelques tribus de l'Anti Atlas », in Hespéris 1952 , pp. 317= ADAM, « Costume »**

[3] **Thomson J. , Travels in the Atlas and Southern Morocco : a narrative of exploration, London, 1889, p. 376.**

[4] **الوزان الحسن ، مصدر سبق ذكره ، ج 1- ص. 110**

[5] **مارمول كاربخال، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثاني ص, 7.**

[6] **الوثيقة غير مؤرخة ولكنها قد تعود إلى القرن 12 الهجري / 18 الميلادي**

لم يكن النحاس يشكل المادة الأساسية لصناعة الحلي إلا في حالات قليلة، ولكنه، ورغم ذلك، لا يغيب عن ورشة الصائغ الذي يضيف منهت نسبا مضبوطة إلى الفضة لزيادة مقاومتها، ويدمجه ضمن مكونات اللحام الذي يجمع أجزاء الحلية الفضية. كما كان الصاغة في بعض المراكز يصنعون هيكلا من النحاس ويغطونه بصفائح رفيعة من الفضة، وقد اشتهرت في هذا الإطار مشابك الأطلس الصغير الأوسط، باعتماد تصميمها على عنصرين متداخلين: أحدهما فضي والآخر نحاسي. فالنحاس الأصفر يصنع منه الدبوس الذي يغرز في الحائك، والحلقة التي تثبت فيها السلسلة، وهيكل يربط بينهما، أما الفضة فتصنع منها صفيحة مزينة بـ(**النيال**) الرصاصي الأسود ويغلف بها جسم المشبك. وينتج عن التقابل بين بياض الفضة، وسواد (**النيال**)، وصفرة النحاس، الظاهر في الدبوس والحلقة، تناسق لوني بديع[1].

تتنافس الأسر في امتلاك الأواني النحاسية التي كانت تعتبر من مظاهر الترف في المجتمع التقليدي. ولكن حضور هذا المعدن كان متواضعا في مجال صناعة الحلي؛ وقد يفسر ذلك بعوامل ثقافية كانت تربط النحاس بالغش والزيف والتدليس، وصفات الغدر والخيانة، مقابل الفضة التي ترمز إلى الصفاء والأمان والوفاء بالعهود. هذا ما عبر عنه شعر منسوب للشاعر الأمازيغي المشهور سيدي حمو الطالب الذي يقول :

نُوتْكْ ءَا وِينُو فْ نقُّـــــورْتْ ءِيفْغِ يّيِدْ وَانَاسْ

ءَا زِيغْدْ ءَا يَانَاسْ ءُورْ تْـكِّـيمْ ءَامْرْ ءي تَاصّْضُولِينْ

ومعناه:

اعتقدناك يا حبيبي أنك فضة خالصة

فإذا أنت نحاس... والنحاس لا يصلح إلا لصنع السطيلات[2].

3) الذهب:

يعرف الذهب في الجنوب المغربي باسم (**عورْغْ**)، وهذا اللفظ مرتبط من الناحية الاشتقاقية باللون الأصفر الذي هو (ءا**وْرَاغْ**)[3]. أما الوثائق العائلية المكتوبة التي اطلعنا عليها فقد ورد فيها اللفظ العربي، وذلك في الحالات النادرة التي رصدنا فيها حليا مصنوعة من هذا المعدن.

اهتم أغلب الرحالة الأوروبيين الذين تنقلوا في الجنوب المغربي في ظروف مختلفة ولأسباب متعددة، بتقصي أخبار المعادن بالمنطقة، وأكد أغلبهم انعدام مناجم الذهب في سوس، وأن كل الذهب

---

[1] **أنظر مشبك الأطلس الصغير الأوسط أسفله في فصل المشابك**

[2] **امرير عمر، سيدي حمو الطالب شاعر امازيغي عالمي من مواليد 1706، الدار البيضاء، دار النشر سوماكرام. 2017، ص.75. = أمرير، سيدي حمو.**

[3] **Sabir A., Structure étymologique berbère (examen d'un modèle), in La Culture populaire : spécifités locales et dimension nationale, actes de la troisième rencontre, (du 1 au 16 Août 1988) Rabat, Editions Okad, pp.17- 22., 1990, p.20.**

المتوفر مستقدم من بلاد السودان[1]. فأشار شوني إلى وجود النحاس والحديد في الجنوب ولكنه لم يجد ما يؤكد أن جبل الأطلس استخرج منه الذهب[2]، وسار الدكتور **لينز** على نفس النهج، وتحدث عن الكثير من الحديد والنحاس والرصاص، واحتمال وجود الفضة، لكنه لم يسمع عن وجود الذهب[3]. وأكد شارل دوفوكو خلاصات سابقيه حين أشار إلى مناجم الفضة والنحاس بالمنطقة دون أن يتطرق للذهب.

بخلاف هؤلاء جميعا، سيذكر خورخي دي هنين، الذي استقر بالمغرب بين سنتي 1604 و1612، أن "**السلاسل الجبلية الأطلسية تحتوي على كميات كبيرة من الذهب، الذي سيتم اكتشافه في عهد مولاي زيدان [السعدي] عن طريق المصادفة، ذلك أن هذا الملك كان قد أقام محلته بجبال (آيت واردز) بجوار نهر (أسيف نلمال) [بالأطلس الكبير الغربي] وأثناء وضع الخيام قام بعض أفراد المحلة بالتوغل داخل الجبال قصد جلب كميات من الرمال لوضعها داخل خيام الملك من أجل تبريدها وتوطئة أرضها، وكان ضمن هؤلاء أحد العلوج الألمان اسمه جعفر، أخذ كمية من ذلك الرمل وقام بغسله، فوجد به تبرا، وقد أراني ذلك شخصيا فقمت برواية ما حدث للملك... وقد أمر مولاي زيدان أن تتم التجربة بحضوره ... [و] تم استخراج نصف أُوقية واثني عشر قيراطا من التبر. وقد أمر الملك أن يحاط ذلك بكامل السرية**" إلى ان يستتب الأمن في البلاد[4].

يقدم الكاتب نفسه كشاهد على واقعة اكتشاف الذهب بالأطلس الكبير الغربي، ولكي يدعم مصداقية روايته، سرد تفاصيل هذ الاكتشاف الهام، وحدد بدقة مكان العثور على المعدن النفيس وأسماء المكتشفين وطريقة معالجة الذهب وفصله عن الرمل. ونعتقد أن هذه المعطيات "الدقيقة" التي "تفرد" بها خورخي دي هينان، هي في الواقع رسالة موجهة إلى حكام برشلونة ومدريد لتشجيعهم على غزو المغرب؛ لذا، قدم لهم الجبال الأطلسية على أنها تختزن كميات كبيرة من الذهب. وليقنعهم بفعالية مقترحه، قدم لهم هذا البلد على أنه كثير الثروات، وممزق الأوصال، وضعيف سياسيا؛ ويحكمه أمراء ضعاف يتصارعون بينهم، ولن يكون بمقدورهم أن يقفوا في وجه الجيش الإيبيري القوي. والخلاصة إن ادعاء دي هنين وجود الذهب في الأطلس الكبير الغربي في تلك الفترة لم يكن إلا "حملة دعائية" وليس له أي سند في الواقع.

لم يثبت إذن أن عرف الجنوب المغربي استخراج معدن الذهب من مناجم محلية، ولكن وبسبب قربه من بلاد "السودان"، فقد شكل المعبر الذي مرت منه سلع تلك البلدان، وفي مقدمتها الذهب المسحوق، في طريقها إلى مراكش أو إلى أوروبا عبر موانئ سوس.

---

[1] خلال نهاية القرن السادس عشر، أعلن سفير بريطانيا -توماس سوميرفيل- لدولته أنه "لا يوجد ذهب في سوس كما كان الناس يعتقدون ذلك من قديم، فذهب سوس يأتي من السودان بواسطة القوافل" . انظر : افا، النقود .ص.302 نقلا عن لوبيل رولان: "ذهب سوس" قصة تاريخية، ترجمها قاسم الزهيري، المطبعة الاقتصادية- الرباط 1955- ص. 92.

[2] de Chenier M., Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc, volume:3, Paris, 1787., p.91.

[3] Oscar Lenz,Timbouctou, Voyage au Maroc, au Sahara et au soudan, T :I, traduit par Pierre Lehautcourt, Hachette, Paris , 1886, p.440.

[4] خورخي دي هنين، وصف الممالك المغربية، مطبعة النجاح الجديدة،1997، ص.29-30.

تفيدنا وثيقة برتغالية حررت ما بين 1505 و1521 أن البرتغاليين الذين أقاموا حصنا بمنطقة سانتا كروز جنوب رأس غير، كانوا مهتمين بالمؤهلات الاقتصادية للمنطقة الغنية بالقمح والأغنام والعسل والشمع والجلود والكثير من السلع التي كانت تجنى منها أرباح كثيرة. بالإضافة إلى الذهب الذي كان يأتي من "غينيا" عبر القوافل[1]. وفي الفترة السعدية، ستزداد كمية التبر إلى درجة أن أحمد المنصور لقب بالذهبي لأنه " **لما فتح الله عليه ممالك البلاد السودانية، حمل إليه من التبر ما يعيي الحاسبين... حتى كان المنصور لا يعطي في الرواتب إلا النضار الصافي والدينار الوافي، وكان ببابه كل يوم أربع عشرة مائة مطرقة لضرب الدينار الوافي دون ما هو معد لغير ذلك من صوغ الأقراط والحلي وشبه ذلك، ولأجل هذا لقب بالذهبي لفيضان الذهب في أيامه**".[2] وتحت حكم المولى إسماعيل، كان الذهب المستقدم من تومبوكتو يصل إلى مراكش وتارودانت قبل أن يوجه نحو مراسي كل من أكادير وأسفي وسلا[3]. واعتمدت دار ايليغ بدورها على واردات الذهب وريش النعام والعبيد من إفريقيا جنوب الصحراء في دعم نفوذها الاقتصادي والسياسي، سواء في فترة بودميعة في القرن السابع عشر، أو أثناء طموح دار إيليغ لاستعادة بريقها خلال القرن التاسع عشر، فكانت تعمد إلى تصدير تبر السودان عبر ميناء ماسة[4].

ورغم تنوع الظروف السياسية التي عرفها الجنوب المغربي خلال العصر الحديث من تداول للسلطة وتناوب فترات الأمن والاضطراب والحروب، فإن الذهب ظل يتدفق مع القوافل القادمة من السودان، وكان يمر يوجه نحو مراكش في الشمال، أو يصدر مباشرة نحو أوروبا عبر ميناء أكادير وماسة في مرحلة أولى، ثم عبر الصويرة بعد ذلك.

ويقودنا الحضور الدائم للتبر في تاريخ الجنوب المغربي إلى صياغة السؤال التالي: هل وجد الذهب طريقه إلى محترفات الصاغة المحليين وشكل مادة لحلي النساء، أم إن المنطقة كانت مجرد ممر لعبوره نحو آفاق جغرافية أخرى؟

---

[1] **Ricard R., « La côte atlantique du Maroc Au début du XVIe siècle D'Après des instructions nautiques portugaises » in Hespéris, 1927, p. 252**

[2] **أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء 3، دار الكتاب الدار البيضاء ، 1956، 61**

[3] **مويط، رحلة الأسير مويط ، ترجمة حمد الاخضر ، مركز الأبحاث والدراسات العلوية، الريصاني، دار المناهل، الرباط، 1990، ص.144.**

[4] **CELERIER J., « L'ATLAS ET LA CIRCULATION AU MAROC », in Hespéris, 1927, p. 447.**

استعمال الذهب في الحلي:

كان مارمول كاربخال من الكتاب القلائل الذين تحدثوا عن حلي الذهب بالأطلس الكبير، وأفاد أن نساء إقليم حاحا كن يضعن حليا من الفضة من مشابك وأساور كبيرة وخلاخل ضخمة، وكُنَّ يُزَيِّنَّ الأذن بـ **" ثلاثة أقراط أو أربعة من ذهب أو فضة أو حديد، كل واحدة حسب وضعيتها "**[1].

ويحضر الذهب في الوثائق العائلية القديمة كعملة لتحديد قيمة الحظ من الإرث[2]، أو قيمة الصداق[3] وثمن بعض السلع[4]. ولم نقف الا على ثلاث حالات للذهب كم ادة للحلي: اثنتان منهما في آكلو، والثالثة في مدينة تارودانت:

أكلو:

- يُحصي عقد جهاز بتاريخ ربيع النبوي 1077 (شتنبر 1666م)، مجموعة من قطع الحلي، كان من بينها :"زوج أخراص الذهب"، و" خيط العنق من حبوب الفضة مفصول بالمرجان وباشوشة الذهب " [وثيقة 325]

- يضم عقد جهاز آخر، من نفس الفترة التاريخية تقريبا، بعض الحلي المصنوعة من الذهب، وخاصة: "أخراص ذهب بعمارتها" و"خيط العنق من حبوب الفضة مفصول بالمرجان و باشوشة الذهب"، [وثيقة 331]

تعود الوثيقتان إلى قبيلة آكلو، وحُرِّرتا في فترة تاريخية متقاربة[5]، اي ربيع النبوي 1077(شتنبر 1666م). ونجد بهما الحلي المصنوعة من الفضة المعتادة كالأساور والمشابك وأقراط الأذن، بالإضافة إلى قطعتين ذهبيتين في كل عِقْد، وهما : زوج أقراط الأذن، (وباشوشة) الذهب التي تتوسط قلادة مكونة من حبوب الفضة والمرجان.

نلاحظ أن عدد الحلي الذهبية أقل بكثير من الحلي الفضية، فكل عقد يحتوي على أربع أزواج من أقراط الأذن الفضية مقابل زوج واحد من أقراط الذهب، كما أن "باشوشة الذهب" التي تدخل في تكوين القلادة لا تعدو أن تكون عنصرا واحدا ضمن حلية مكونة من حبوب الفضة والمرجان.

في تارودانت:

كانت تارودانت حاضرة سوس من أهم المراكز المخزنية التاريخية جنوب الأطلس الكبير، مما جعلها تنفتح على التقاليد المنتشرة في غيرها من حواضر البلاد الواقعة نحو الشمال من ممارسات فنية

---

[1] مار مول كاربخال ، مصدر سبق ذكره ، ج 2، ص43 .

[2] من بين ما صح لمريم من تركة والدها "مثقال الذهب بستة أواق"، ضمن عقد صداق بتاريخ ذي حجة 1016، (أبريل 1608م) [وثيقة 6 عيمنتاكن].

[3] في عقد النكاح : الصداق مبلغه ثمانية [...] سداسيا الصرف من سكة أبي العباس الشريف مولاي احمد رحمة الله علينا [...] بعة مثاقيل ذهبا والباقي مثقال لكل ستة[؟] مـ؟سوط [-] ـاني 1051 [أي ربيع الثاني أو جمادى الثاني] (1641م)[وثيقة 9 من (عيمنتاكن)

[4] وفي عقد الجهاز : إزار الكتان بثلاثة مثاقيل ذهب ـاني 1051 [أي ربيع الثاني أو جمادى الثاني] (1641م) [وثيقة من 9 (عيمنتاكن)

[5] الوثيقة 331، مكان التاريخ ممزق، لكن مقارنة مكوناته بجهاز الوثيقة رقم 325 يؤكد أنهما متطابقان، لذا نرجح أنهما يعودان لفترة تاريخية متقاربة، وهذا ما تبينه مقارنتهما مع الوثائق اللاحقة التي تختلف عنهما اختلافا بارزا.

واجتماعية، بما في ذلك الملابس والأزياء. وكان حضور الذهب ضمن حلي تارودانت من مظاهر ارتباطها بالقيم الثقافية المميزة للمدن الأخرى، وهذا ما تؤكده وثيقة صدقة بتاريخ خامس عشر ذي قعدة الحرام عام 1249 (مارس 1834م)هـ والتي تصدقت بموجبها صفية بنت احمد ...لابنها الطالب السيد احمد بن الحاج الحسن بـ"**سفيفتين من الجوهر بوسط كل سفيفة طابع من الذهب [...] الصغيرة[؟] منها إحدى عشرة جعبة من الذهب صغيرة و جوهرها مختلط بالصـ[ـغير] والكبير ومعها زوجة خراص من الذهب منبتة بالأحجار والجـ[ـوهر...]**"

نفهم من التفاصيل الواردة في الوثيقة أن الحلية الجبينية من نوع "السفيفة" كانت مكونة من حبات الجوهر، وتتوسطها صفيحة ذهبية تسمى (الطابع)، وكانت هذه العناصر مثبتة فوق شريط من القماش باعتباره حاملا للحلية. وكانت أقراط الأذن تمزج في مكوناتها بين الذهب والجوهر.[1]. تختلف الحلي موضوع هذه الصدقة اختلافا ملحوظا عن باقي حلي المناطق القروية بالجنوب، فبالإضافة إلى استعمال الذهب، نلاحظ حضور الأحجار الكريمة – الجوهر- التي تغيب عادة عن المجالات القروية المرتبطة أكثر بالمرجان واللوبان الأصفر وعقيق الزجاج.

لعب الذهب دورا ثانويا في حلي الجنوب المغربي، ولا يظهر إلا نادرا في المجالات القروية، واقتصر حضوره على فئات مقيمة في حاضرة سوس تارودانت، وفي دور وقصبات الشيوخ والقياد المنتشرة في الأوساط القبلية[2]. وحتى عند استعمال الذهب في المناطق القروية، فإن استعماله لا يشمل قطع الحلي كلها من المشابك والأساور، بل يقتصر على بعض القطع الصغيرة كأقراط الأذن، أو يأخذ شكل صفيحة رقيقة تزين الحلية الجبينية، أو شكل علّاقة تتوسط القلادة المكونة من عناصر أساسية أخرى. والملاحظ أن غياب الذهب ترافق مع غياب الأحجار الكريمة التي ترتبط به عادة في الحلي المدن العريقة. ويمكننا أن نطمئن إلى أن الذهب لم يكن من خصائص الحلي بالجنوب المغربي، وأن حضوره كان استثنائيا أمام الفضة التي احتكرت هذا المجال، إلى جانب اللوبان الأصفر والمرجان الأحمر والعقيق الزجاجي. ولكن يصعب علينا، في ظل انعدام معطيات واضحة، أن نقترح تبريرا مقنعا لهذه الظاهرة، والتي نتجت على ما يبدو عن عوامل تاريخية واقتصادية واجتماعية متداخلة[3].

يغيب الذهب عن الحلي التي تتزين بها المرأة في الجنوب المغربي، كما يغيب عن الممارسات والطقوس الاجتماعية، التي يتم أغلبها بحلي من الفضة، غير أن هذا الغياب في التزيين والممارسات الاجتماعية يتعارض مع الحضور القوي لهذا المعدن النفيس في الميادين الأدبية التي جعلت منه رمزا

---

[1] _كما تشير الوثيقة الى "إحدى عشرة جعبة من الذهب صغيرة" والتي لا تساعد صياغة الوثيقة على تحديد دورها إن كانت من مكونات الحلية الجبنية او القلادة.

[2] انظر: مظاهر السلطة، ضمن فصل: الحلي والسلطة

[3] تقدم كامبس فابر تبريرا مفاده أن النساء في كل من المغرب والجزائر لم يكن يَمِلْنَ الى التزين بالحلي الذهبية لأن لونها قريب جدا من النحاس، لذا يفضلن الفضة التي تلائم ذوقهن وتتوافق مع العادات القروية المتوارثة . أنظر :

Camps-Fabrer H., Kabylie . p.11

للجمال والثروة، وتظهر تجلياته في أشعار ومرددات مختلفة كمرددات حفل الزواج[1] ومرددات الطفولة[2]، وفي حكايات مرتبطة بأطلال تجمعات بشرية مندثرة[3].

لقد تَعَوَّدَ سكان قبائل الجنوب منذ قرون على مشاهدة القوافل المحملة بالتبر القادم من أعماق إفريقيا، في طريقها نحو تارودانت ومراكش أو نحو موانئ أكادير وماسة والصويرة. ولكن ذلك الذهب لم يستطع أن ينافس الفضة التي بقيت تشكل المادة الأساسية لصناعة الحلي، وفرضت حضورها في المجالات الجمالية وفي الممارسات الفنية والثقافية للمجتمع المحلي، وبما أن الفضة احتكرت أغلب الميادين المادية والرمزية في الواقع اليومي للسكان، فإن الذهب انتقل إلى الإبداعات الشعرية، والى العوالم السردية والحكائية ليداعب الخيال بصور الثراء والجمال.

4) الحديد:

يعرف الحديد في الجنوب المغربي بـ(**ءُوزّال**)، وهذا اللفظ له علاقة اشتقاقية ودلالية بمجموعة من الكلمات، من بينها: (**ءامزيل**) أي: الحداد، و(**توزّالت**) أي: السكين أو الخنجر المصنوع من الحديد.

تاريخ استغلال الحديد

اشتهر الأطلس الكبير الغربي باستغلال الحديد بفضل توفره على مكامن كثيرة وجيدة، وكان السكان يصنعون منه كورا تسوق في المناطق المجاورة[4]، وشكل هذا المعدن مصدرا هاما من مصادر الدخل للسكان، مما مكنهم من تنمية مواردهم الإقتصادية الأخرى المتمثلة في المنتجات الزراعية والحيوانية، فهم يستخرجون كمية وافرة من الحديد من أراضيهم، ويبيعونها للحصول على نقود فضية واقتناء ملابس أنيقة[5]. ويمكن للمتجول في قبائل الأطلس الكبير أن يشاهد آثار استغلال مكثف وقديم للحديد من خلال مواقع المكامن وبقايا عمليات التذويب، وخبث الحديد[6] المنتشر بجوار أغلب القرى[7]. وتؤكد

---

[1] بالنسبة لحضور الذهب في المرددات الغنائية التي ترافق لوحات العرس التقليدي، انظر:
- اشوان بلقاسم، ، الشعر الشعبي في قبيلة امانوز، بحث مقدم للحصول على الاجازة، جامعة محمد الخامس كلية الاداب والعلوم الإنسانية الرباط ، تحت اشراف الدكتور عباس الجراري، 1976.
-Rovsing Olsen M., Chants de Mariage de l'Atlas marocain, thèse de Doctorat en Ethnologie, Université de Paris X. p. 191- 192.

[2] أنظر: بالفقير محمد، المعتقدات والعادات بقبيلة ايت وافقا وعلاقتها بالأدب المغربي, جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط/ تحت شراف د. محمد بنشقرون/ السنة الجامعية 1979-1980

[3] اثناء مشاركتنا سنة 2009 في أبحاث أثرية بموقع (ءيڭيليز) بأقليم تارودانت، جمعنا عددا من الحكايات التي تربط هذا الموقع الهام بكنوز الذهب، ومن هذه الحكايات:
- تقع مغارة (إيفري) ضخمة سرية تحت أطلال موقع (ءيڭيليز) ويستند سقفها على دعائم من ذهب، وتؤدي اليها درجات من نفس المعدن. وذات يوم بينما كان أحد الرعاة يرعى أغنامه في المنطقة، انفتحت المغارة أمامه فجأة، وانبهر بكميات الذهب والفضة التي تملأ المكان، فسارع لمناداة راع آخر كان بالجوار ليريه الكنوز المكتشفة، ولكن المغارة انغلقت في الحال.
- كان سكان (ءيڭيليز)في الماضي البعيد فاحشي الثراء إلى درجة أن الصفائح التي يضعون في سنابك خيولهم، والمناجل التي يستعملونها لحصاد المحاصيل الزراعية، كانت مصنوعة من الذهب.
- كانت أنوار مثل البرق تشع من جبل (ءيڭيليز)أثناء الليل، وذلك بسبب كميات الذهب التي يضمها الجبل.

[4] مارمول افريقيا ، مصدر سبق ذكره ، الجزء2 ،ص. 25-26

[5] الوزان الحسن ، مصدر سبق ذكره ، ج 1- ص. 111

[6] يعرف خبث الحديد في الأمازيغية باسم (تانيكت)، وفي الفرنسية باسم (scorie).

[7] Montagne R.," L'Aghbar et les Hautes vallées du Grand Atlas", in Hespéris, 1927, p. 4= Montagne R., « L'Aghbar ».

الكتابات التاريخية والمعطيات الاثرية الميدانية والشهادات الشفوية أن سكان الأطلس الكبير الغربي تحكموا في تقنيات استخراج الحديد من المكامن، وأتقنوا عمليات تذويبه وتخليصه من الشوائب،[1] وحولوه إلى قطع مختلفة الأشكال، تستعمل في صناعة الأدوات الفلاحية والأسلحة وبعض الحلي.

استعمال الحديد في الحلي:

وردت إشارات إلى حلي بعض قبائل الأطلس الكبير الغربي عند كل من الوزان[2]ومارمول كربخال[3]، اللذين أكدا أن النساء النبيلات والموسرات، كُنَّ يَتَزيَّنَّ بأقراط الأذن والمشابك والأساور والخلاخل والخواتم من الفضة، أما الفقيرات فكن يتزينَّ بنفس الحلي ولكنها مصنوعة من النحاس والحديد. ونفهم من شهادة كل من الوزان وكاربخال، أن التزين بحلي الحديد لم يكن محكوما بعوامل جغرافية، ولم يكن مرتبطا بالضرورة بمجالات انتشار مكامن هذا المعدن، ولكنه يعكس نوعا من التراتبية الاجتماعية الناتجة عن درجة الفقر والغنى.

حلي الحديد في الوثائق العائلية

إطلعنا على وثائق من العديد من القبائل بالجنوب، ولم نعثر على إشارة صريحة لاستعمال الحديد في الحلي إلا في وثيقتين من قبيلة (تاجلت) باتحادية (ءيداومحمود)،[4] في السفح الشمال للأطلس الكبير الغربي:

- عقد جهاز بتاريخ ذي قعدة 1229هـ (1814م)، ويحتوي على زوج أقراط الأذن من الفضة من صنف "تِيزْعْضَاضْ"، إلى جانب قلادة فضية، وزوجة مشابك "**مصنوعة من الحديد مُبَيَّضَةٌ بالنقرة** ". [ووثيقة 4]

- وثيقة بتاريخ رجب 1233 (1818م)، وفيها جرد لما تسلمه الزوج في "متاع زوجته" من حلي، وهي: زوج أقراط الأذن من الفضة، وقلادة مكونة من 29 علّاقة فضية من نوع (تامُوحْدِيتْ)، وقلادة أخرى منظومة من اللوبان الأصفر مع علّاقة فضية تسمى (تشعيرت)، و بعض قطع الحلي المصنوعة من الحديد وهي : زوج" **خلالة متاع الحديد مُبيضة بالفضة** " و"زَوْجة إِزْبْكَنْ مع "**ءيسْنْسْرْ الحديد**"، أي : زوج أساور و"ءِيسْنْسْر"[5] من الحديد [وثيقة 1]

نلاحظ انطلاقا من الوثيقتين أن الأسر كانت تملك قطعا فضية إلى جانب الحلي المصنوع من الحديد، أي أن الفضة هي المادة الرسمية الثابتة في الصياغة، أما الحديد فلا يشكل إلاَّ مادة ثانوية في

---

[1] من اجل التوسع في تقنيات استخراج وتذويب الحديد، أنظر : التاسافتي عبد الله بن إبراهيم، رحلة الوافد، لحظات من تاريخ ادرار ن درن (اطلس مراكش) وسوس في القرن 12 الهجري/ 18 الميلادي، تحقيق علي صدقي ازايكو، جامعة ابن طفيل، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، سلسلة نصوص ووثائق، القنيطرة1993،ص. 121

[2] الوزان الحسن ، مصدر سبق ذكره ، ج 1- ص. 110

[3] مارمول كاربخال ، مصدر سبق ذكره ، الجزء2 ، ص, 7

[4] اشتهرت قبيلة (تاجلت) بجودة حديدها الذي كان يستخرج من مكامن عديدة في القبيلة ويذوب في أفران خاصة، ويعرف عند القبائل التي تشتريه باسم (ءُوزَّالْ ءامحمود) ومعناه حديد قبيلة (ايداومحمود). (بحث ميداني)

[5] يدل (ءيسنسر) عادة على حلية جبينية مصنوعة من عدة سلاسل مرتبطة بحلقات معدنية وتزين مقدمة الرأس

صناعة بعض الحلي. كما نلاحظ أن "**زوج الخلالة**" في الوثيقتين معا "مبيَّضٌ" بالفضة، أي أن المشابك كانت مغلفة بقشرة من المعدن النفيس الذي يغطى الحديد. ولا يتعلق الأمر هنا بتدليس، بل بعملية تقنية تهدف إلى تزيين المشابك وإعطاءه البياض الذي يميز الحلي الفضي.

تسمح الوثيقة المؤرخة برجب 1233هـ(1818م)، بمقارنة أثمنة الحلي؛ فمشابك الحديد المبيضة بالفضة قُوِّمَتْ بثمان أواق فقط، في حين أن زوجة الأخراص من الفضة قومت بست عشرة أُوقية، وقلادة اللبان مع علاقة فضة "**تشعيرت**" قومت بخمس وعشرين أُوقية أي ثلاثة أضعاف نفس المشابك.[وثيقة 1].

قد تكون العوامل المالية هي التي تفسر إقدام بعض الأسر على اقتناء حلي فضية ما دامت قيمتها المالية أقل من القطع المصنوعة من الفضة. ولكن نلاحظ مع ذلك، وانطلاقا من النموذجين المتوفرين، أن الأسر كانت تملك في نفس الوقت قطع حلي من الفضة، مما يؤكد أن مواردها المالية لم تكن ضعيفة إلى الحد الذي يفرض عليها أن تكون كل حليها من معدن رخيص. وحتى الحلي المصنوعة من الحديد كان هناك حرص على تبييضها بالفضة من أجل إخفاء لونها الذي سيشكل نشازا في تلك اللوحة البديعة التي ترسمها المرأة بأزيائها وحليها بمختلف مواده وتنوع الوانه.

ثانيا – مواد من أصل عضوي

1) المرجان

تعرف هذه المادة في التداول الشفوي باسم "**المرجان**". وتطلق عليها بعض قبائل الأطلس الصغير، كـ(أيت باها) و(ايلالن)، اسما آخر وهو: (**لْحُورْ**)،[1] ويسمح هذا اللفظ بالتمييز بين المرجان الحقيقي والمرجان المقلّد، أو بين المرجان والعقيق الزجاجي الأحمر نظرا للشبه الموجود بين الاثنين في اللون[2].وإلى جانب هذه الأسماء العامة، هناك اسمان خاصان للتمييز بين صنفين من المرجان تبعا للشكل الخارجي، وهما: (**تَاكْـمَامْتْ**) و(ءا**كرْكُوبْ**).

- (**تاكْـمَامْتْ**)، وهو المرجان المفصل على شكل أُسطوانة صغيرة، ويبلغ طولها حوالي سنتمترا وقطرها حوالي ثلاثة ملمترات.

-(**ءاكَرْكُوبْ**) وجمعه (**ءيكَرْكُوبْنْ**)، وقد ينطق بصيغة (**اَلْكَرْكُوبْ**)، وهو الخرز أو الحبوب الصغيرة الكروية الشكل، ويقل طول قطرها عن السنتمتر الواحد. ويبدو أن (ءاكركوب) مشتق من فعل (ءيكركب) الذي يدل على معاني مختلفة من بينها: كوّر[3]. وبالفعل فإن (**ءاكركوب**) له كما رأينا شكلا كرويا[4]. ويعرف

---

[1] حسب محمد شفيق، فإن الاسم الأمازيغي للمرجان هو : (أحورّي) ، انظر: شفيق، المعجم ج. 3، ص. 102.

[2] تنتشر لدى قبيلتي (ءايت سعروشن) و(ءايت يوسي) بالأطلس المتوسط كلمة "تفاح" كاسم محلي للمرجان . أنظر :
Goudard J., op . cit. p.292.

[3] شفيق، الدارجة، مرجع سبق ذكره، ص. 154,

[4] يدل لفظ (كركوبة) على الحلية في مدينة طنجة . أنظر :
Colin G.S., Le dictionnaire d'Arabe Dialectal Marocain, V.7 , Sous la direction de Zakia Iraqui Sinaceur, Editions Al Manahil, Ministère des Affaires Culturelles, Rabat, 1994,p. 1665= Colin G.S., Dictionnaire

خرز المرجان الكروي كذلك تحت اسم (**عاژلاً**)، وهذا الاسم مشترك مع باقي أنواع الخرز بغض النظر عن مادة صنعها.

خلال العصر الوسيط، كانت الشواطئ المتوسطية المجاورة لمدينة سبتة تسمح بصيد نوع من المرجان "**الذي لا يعدله صنف**"[1]، والذي يُنقل إلى سوق المدينة، وهناك يتم تفصيله وحكه وتحويله إلى خرز، ثم يثقب حتي يسهل نظمه في خيط. ومن سبتة، كان يجهز المرجان إلى سائر البلدان وخاصة إلى "**غانة وجميع بلاد السودان، لأنه في تلك البلاد يستعمل كثيرا**"[2]. وسيستمر المغرب في تسويق المرجان لفائدة شعوب جنوب الصحراء في العصر الحديث، ضمن السلع التي كانت تحملها القوافل إلى تلك البلدان[3].

وانطلاقا من بداية القرن السادس عشر، ستغيب الشواطئ المغربية عن المجالات المعروفة بصيد وصناعة المرجان. وسينتقل المغرب إلى بلد مستورد للمرجان الذي بدأ يصل المراسي المغربية على يد التجار الأوروبيين وخاصة البرتغاليين[4]؛ وكان التجار الإنجليز بدورهم منخرطين في هذه التجارة، وتذكر الوثائق الإنجليزية أن سفينة رست بميناء "سانتا كروز" [أكادير] سنة 1551م، وكانت محملة بالأقمشة ومواد لازمة لتركيب الحلي، ومن ضمنها المرجان الأحمر[5]. ولم تتوقف واردات المنطقة بعد ذلك، ونشير في هذا الإطار إلى وثيقة فرنسية تؤكد أن المرجان كان من بين أهم السلع التي تدخل في المبادلات التجارية بين مرسى سانت كروا - أكادير- وتجار (روان) و(مارسيليا) منذ 1631[6]. وبعد انتقال الثقل التجاري من أكادير إلى الصويرة، سيدخل المرجان من ميناء المدينة الناشئة ضمن الواردات القادمة أساسا من مدينة (ليفورن) الإيطالية[7].

كان الجنوب يستورد المرجان المعد للتركيب في الحلي، لأنه لم يكن في هذه المرحلة في المغرب حرفيون متخصصون في صقله وحَكِّهِ وثقبه. فالبرتغاليون كانوا يُسَوِّقُون في الموانئ المغربية المرجان الأحمر الجاهز على شكل حبيبات كروية[8]، أما المرجان الذي كان يُسْتَورَد عبر الصويرة انطلاقا من

---

[1] **الشريف الادريسي، مصدر سبق ذكره ، ص. 108.**

[2] **نفسه**

[3] **ديكو دي طوريس ، ، تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1988، ص. 244.**

[4] **Jacques-Meunier J. Cités anciennes de Mauritanie Provinces du Tagannt et du Hodh, Librairie C. Klincksieck, Paris, 1961, p.129 = Jacques-Meunier J. , Cités.**

[5] **Lebel R., « Le Maroc dans les relations des voyageurs anglais Aux XVIe , XVIIe et XVII siècles », in Hespéris, 1929,p. 296.**

[6] **ورد في مذكرة لهنري برات مؤرخة في مرسيليا بثامن جوان 1669م وتتعلق بالعلائق التجارية بين فرنسا و المغرب منذ 1631 ... " أن تجارة فرنسا مع مرسى سانت كروا يقوم بها تجار روان ومرسيلية ... وأهل سوس فيهم ظرف ووفاء, والسلع التي تجلب اليها هي الملف والثياب وطرابيش الصوف والكاغيد والافيون والزجاج والمرجان والقطن، ويجلب منه الصفر والنيلة والتبر الخام والمسبوك واحيانا العنبر الاشهب". أنظر : السوسي ، ايليغ ، ص. 221-219**

[7] **James Grey، Jackson, An account of the empire of Marocco second edition London , 1811,p. 329.**

[8] **Jacques-Meunier J. , Cités. op. cit . p 129.**

القرن الثامن عشر، فكان ينقسم إلى صنفين: أحدهما كروي، والأخر طويل[1]، وكلاهما مُعَدٌّ لِيُنْظَمَ في خيط القلادة، وليس في حاجة إلى معالجة أو تعديل.

بعد أن كانت الشواطئ المتوسطية شمال المغرب من أهم مراكز جمع وتصنيع المرجان في العصر الوسيط، سيضطر المغاربة فيما بعد إلى استيراد حاجاتهم من هذه السلعة على يد التجار الأُوروبيين خلال العصر الحديث.

وتفسر إحدى الحكايات الشعبية بمنطقة (**عبدة**)، هذه الحقيقة التاريخية بشكل فني بليغ. وتسرد الحكاية مغامرة البطل "**بن الحاج**"، الذي غادر مسكنه وقام برحلة طويلة ومضنية، ليصل في النهاية إلى "**جزر المرجان**" التي كانت تعج بالثروات، وهناك استطاع أن يحقق المجد الذي كان يسعى إليه وأن يصبح نائبا للملك[2].

وما نريد التركيز عليه من عرض هذه الحكاية هو أن الذاكرة الشعبية أحاطت المرجان بهالة من العجائبية، وربطته بالعوالم الغرائبية البعيدة والغامضة والثرية، مما رسخ صورته كمادة مستوردة.

المرجان في الحلي

يعتبر المرجان الأحمر من خصائص الحلي في المجال القروي سواء بالجنوب، أو في باقي مناطق المغرب كالأطلس المتوسط[3]، ودكالة[4]، والسهول الممتدة بين الرباط والدار البيضاء[5]، وقبائل حمر وعبدة والشاوية والشياضمة. وكان يُرَكَّبُ في نوع من القلائد المسمى (**مدجة المرجان**). كما كان معروفا في منطقة الريف وينظم في قلائد من نوع (**تاقلات**) و(**تيسدّيت**)[6]...

وتتزين النساء المغربيات كباقي نساء شمال إفريقيا بالمرجان الأحمر خاصة، ولا يفضّلن ألوانا أخرى وخاصة الوردي الذي يلقى إقبالا في أوروبا[7] كما لم توثق الدراسات التي ظهرت منذ بداية القرن استعمال لون آخر غير الأحمر[8].

والمرجان المستعمل في تركيب الحلي يكون على شكل خرز دائري (**ءاكركوب**) أو على شكل أسطوانات طويلة وصغيرة (**تاڭمامت**). وهذان الصنفان قديمان ، وقد سبق أن أشار اليهما هوست منذ

---

[1] Host G., op. cit p. 211.

[2] Moqadem Said, Contes de Safi, sud Maroc, coédition : conseil international de langue française et Afrique orient, Paris, 1994, p. 81

[3] Goudard J., op . cit. p.292.

[4] Doutté E., Merrakech, Paris, Comité du Maroc, 1905,p.247 = Doutté E., Merrakech

[5] ذكر الرحالة الأوروبي الدكتور لانز، اثناء تنقله بين الدار البيضاء والرباط، أنه رأى ابنة شيخ القرية والتي تبلغ سبع سنوات كانت مزينة بكمية كبيرة من الحلي المصنوعة من الفضة والعقيق والمرجان وأصداف الودع [cauris]. انظر: Oscar Lenz, op . cit. p.234

[6] أبحاث ميدانية سنة 2014 .

[7] Camps-Fabrer H., Kabylie. op.cit. p. 121

[8] وجدنا إشارات قليلة إلى المرجان الأصفر، ولكن لا نعرف إن كان الأمر يتعلق فعلا بالمرجان الأصفر، أم إن المقصود هو اللوبان، ومن هذه الإشارات ما ذكر من صناعة "حمالة" للسلطان مولاي إسماعيل تطلبت استخدام ثلاثين "مرجانة صفراء". كتاب التواريخ أو تاريخ فاس تأليف أخبار من عائلة أداندان الغرناطية الفاسية، ترجمة عبد العزيز شهبر، نشر جمعية تطاون أسمير, تطوان ;2002 ، ص. 65.

القرن الثامن عشر[1]. كما نجد الإشارة إليهما في الوثائق العائلية. ومنها وثيقة جهاز من (**تاجڭالت**) شمالي (تافينـڭولت) بأعلى (رأس الوادي)، بتاريخ رمضان 1223(1808م) تتحدث عن قلادة اللوبان مع **"الكركوب"** أي خرز المرجان الكروي الشكل ، [وثيقة 13]، وتحتوي وثيقة أخرى من (أكونسان) بتاريخ شوال 1274 (1885م) على قلادتين من "المرجان الطويل" [وثيقة 9] أي أن الحليتين تضمان أسطوانات صغيرة من المرجان.

تؤكد الوثائق ارتباط المرجان بِنَظْم القلائد، فنجد أقدم ذكر لهذه المادة في عقد جهاز محرر من قبيلة (أكلو) الشاطئية غربي تيزنيت، بتاريخ ربيع النبوي 1077(شتنبر 1666م)، وتضم الوثيقة، من بين الحلي: **"خيط العنق من حبوب الفضة مفصول بالمرجان و باشوشة الذهب"** [وثيقة 325].

ونلاحظ هنا إشارة المحرر إلى أن حبوب الفضة مفصولة بالمرجان، وهذا التعبير الدقيق سيساعدنا في فهم إحدى وظائف المرجان في نظم القلائد، وقبل ذلك نقترح استعرا ض نماذج أخرى من الوثائق :

- عقد جهاز من أكادير بتاريخ 23 شوال 1183(فبراير 1770م)، وفيه: **" (فينية) [-] مفصّلة بمرجان باثنتى عشرة أواق"** [وثيقة 94]

- جهاز من ضواحي تيزنيت بتاريخ شعبان 1157 (1744م)، ويضم: **"خيط (ادز) مع مفاصله مرجانا"** [وثيقة359]

- وثيقة من (ءاڭنسان) وتضم احصاء ثروات أسرة في إطار اجراءات الكد والسعاية بتاريخ شوال 1274 (1885م)، وتجرد: **"القلادتين [...]من المرجان الطويل الحُـ[ـر مع] فصولهما من الدَّراهيم"**.[وثيقة 9]

ونلاحظ أن هذه الوثائق تربط المرجان بكلمات متقاربة من الناحية الاشتقاقية وهي: **مفاصل، مفصلة، فصول؛** وكل هذه الكلمات هي ترجمة حرفية للمصطلح الأمازيغي (اژلّا) الذي يعني معجميا: الفاصل، واصطلاحا: الخرز. وبالتالي فوظيفة المرجان في هذا النوع من القلائد هو الفصل بين المكونات الأخرى، سواء كانت قطعا نقدية قديمة أو علّاقات فضية أو حبوبا فضية. وتجدر الإشارة إلى وجود أنواع كثيرة من القلائد التي يكون المرجان مادتها الأساسية وليس مجرد فاصل بين المكونات الأخرى. ويدخل المرجان أيضا في تركيب أنواع كثيرة من الحلي الجبينية[2]، وقد ورد هذا النوع من الأكاليل في عقد جهاز من (ءيمجّاط) بالأطلس الصغير الغربي، بتاريخ ربيع الثاني 1273 (1856م) وفيه: **"المشبوح ومع عمارتها باللوبان والمرجان والفضة وما يتعلق بها بثلاثة مثاقيل"** [وثيقة 4]

[1] **Host G., op. cit p. 211.**

[2] **انظر فصل الحلي الجبينية.**

قد يكون للعوامل الرمزية[1] دورها في تفسير ارتباط المرأة في الجنوب بالمرجان، ولكننا نميل إلى تغليب الجوانب الجمالية. فاحمرار المرجان ينسجم مع شغف المرأة المغربية بهذا اللون وحرصها على أن يكون حاضرا في مختلف أجزاء جسدها[2]. فلتغطية وتزيين الرأس، تستعين المرأة بعدد من الأغطية الحريرية المصبوغة بالأحمر أو التي يغلب عليها الأحمر من (**أعاعْبْرُوقْ**) و(**تَاوْكَايْتْ**) و(**تَاسْبْنِيتْ**). ويتوسط الحزام الحريري أو الصوفي الأحمر جسد المرأة. أما القدم، فمن الشائع، في كل المناطق الغربية، في البوادي والمدن، أن تضع المرأة بلغة حمراء اللون تسمى (**الرِّيحِيتْ**)، وقد تستعيض عنها ببلغة تسمى "**الشَّرْبِيلْ**" أكثر تطريزاً وزخرفةً، ولكن مع طغيان اللون الأحمر عليها.

تشكل أغطية الرأس والحزام والبلغة ثلاثة مستويات لونية حمراء متوازية، تتوزع بشكل أفقي على جسد المرأة الملتف في الحائك الأبيض، فيأتي المرجان، المنظوم في القلائد أو المثبت في الحلي الجبينية، ليساهم في إغناء اللمسة الحمراء المتناسقة مع الحناء في اليد و"العكر" في الوجه.

2) اللوبان الأصفر

يدل لفظ "اللوبان" في مختلف مناطق المغرب على الكريات الصفراء الصلبة المثقوبة التي تُنظم في القلائد. وتختلف هذه الدلالة عن تلك التي تُعطى لنفس اللفظ في المعاجم العربية، وفي بعض الكتابات التاريخية؛ والتي يمكن أن نورد كمثال لها، التعريفَ الذي ساقه ابن بطوطة عند حديثه عن مرسى (حاسك) بين (ظفار) و(عمان)، حين أشار إلى وجود شجر الكندر، ووصفه بأنه " **رقيق الورق، وإذا شرطت الورقة منه قطر منها ما يشبه اللبن، ثم عاد صمغا. وذلك الصمغ هو اللبان**"[3].

ويؤكد التعريف الذي ساقه ابن بطوطة أن اللبان يَنتُجُ عن مادة صمغية تفرزها الأشجار، ولعل هذا ما يفسر استعمال المغاربة لنفس الكلمة - أي اللوبان- للدلالة على المادة الصفراء المستعملة في الحلي، لأنها بدورها كانت في الأصل مادة صمغية أفرزتها الصنوبريات منذ عهود جيولوجية قديمة. مع ضرورة التذكير بوجود اختلاف كبير بين المادتين، فاللوبان، في مجال الحلي المغربية[4]، يحيل إلى مادة صمغية أحفورية صفراء تستخرج من مجال جغرافي محدد بمنطقة البلطيق، وتستعمل في تركيب الحلي. أما

---

[1] قد يرمز المرجان بسبب لونه الأحمر إلى قوة المرأة كإرادة للمبادرة وكقوة بدنية (صحة الجسد والخصوبة) . وقد يرتبط بالحماية، ففي مدينة أسفي مثلا تضع الأم كيسا صغيرا يضم الحرمل والشب والملح والصدف ومرجانة صغيرة تحت وسادة الرضيع لحمايته من الأذى. ويبدو أن هذه الممارسات تشكل إرثا تشتركه مجموعة من الشعوب المتوسطية، فقد ذكر بلين الشيخ أن قطعة مرجان معلقة إلى عنق طفل كانت تشكل حماية أكيدة له. للمزيد من المعلومات ، أنظر :

M'erad Benali," La « Ziadah » ou naissance à Safi (Maroc)", in Revue africaine, 1913,pp.48-62
Gélard M.-L., Les couleurs de la mariée dans le Sud-Est marocain, CNRS. Décors des corps, S, 2010,pp.99-106,.
Camps-Fabrer H., Kabylie. op.cit. p. 19

[2] عند قبيلة (ايت خباش) إحدى فروع قبيلة أيت عطا بنواحي مرزوكة بالجنوب الشرقي، يحضر اللون الأحمر بقوة في خمار العروس وبَلْغَتَها وفي الحناء الذي يزين يديها ورجليها .أنظر : Gélard M.-L, op. cit .p. 4

[3] ابن بطوطة ، تُحفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار احياء العلوم بيروت 1987 ،ج 1، ص. 274

[4] يدل لفظ اللبان وحده على البان الأصفر، وإذا قصد به البخور تضاف له الفاظ لتحديد ذلك فيقال: اللوبان الدكر للبخور (oliban)، ولبان الجن لحبوب القزبر ، واللبان الجاوي لبخور جاوة . أنظر : Colin, Dictionnaire . op. cit. V . 7, p. 1768

اللبان، كما نجده في المعاجم العربية، فهو مادة صمغية تفرزها النباتات إلى الآن وتصلح للبخور وكانت تستورد غالبا من منطقة الخليج.

تكوَّن اللوبان الأصفر خلال فترة "الضحْويّة" (oligocène) في الأماكن التي يغطيها حاليا بحر البلطيق، ويسمى باللغة اليونانية (إيليكترون)، التي اشتق منها اسم الكهرباء باللغات اللاتينية، وذلك لأن هذه المادة تتكهرب بسهولة عند الاحتكاك[1]. وتستعمل العربية الفصحى بدورها أسماء مختلفة بعضها مشتقة من كلمة الكهرباء للدلالة على هذه المادة الصفراء: "السيال الأصفر"، و"كَهْرَب" و"كهرابان"[2]، و"كهروا"[3]...

يختص المغرب باستعمال لفظ "اللوبان" للتعبير عن العقيق الأصفر والكريات الصفراء اللامعة التي تنظم في خيوط القلائد. ولا يقتصر هذا الاستعمال على حَمَلة الثقافة الشعبية بفروعها الأمازيغية والعربية، حيث نجده كذلك عند المؤرخين والأُدباء المغاربة، من حملة الثقافة العالمة، من أمثال محمد بن عبد السلام الضعيف؛ فعند حديث هذا المؤرخ عن معاقبة السلطان لجيش العبيد سنة 1139هـ (1726-1727)، قال بأن "نساءهم كُنَّ "يبعن الدمالج والعقيق واللوبان والثياب إلى أن بقوا حفاة عراة"[4]. وكذلك العلامة المختار السوسي، الخبير بأسرار اللغة العربية، يستعمل "اللوبان" في كل كتاباته بمعنى الخرز الأصفر المستعمل في الحلي.

يمكننا أن نتتبع تاريخ تسويق مجموعة من مواد الحلي، لأن أسماءها لا تطرح صعوبات، ويمكن التعرف عليها بسهولة في ثنايا الوثائق التاريخية. وهذا حال المرجان والقرنفل والعقيق الزجاجي وغيرها من المواد التي تكون أسماؤها محددةً، والإشارةُ إليها واضحةً في المصادر والمراجع الأوروبية التي تناولت المبادلات التجارية عبر موانئ سوس. وعند انتقالنا إلى اللوبان الأصفر، سنصطدم بنوع من اللبس الناتج عن غموض الألفاظ المستعملة. و بينت الباحثة Camps-Fabrer صعوبة التأريخ لهذه المادة بسبب اللفظ المستعمل في الوثائق التاريخية الفرنسية وهو (ambre)الذي يحيل إلى معنيين مختلفين : العنبر واللوبان الأصفر؛ ويتم التمييز بينهما عادة بإضافة اللون، فيقال (ambre jaune) للأول و (ambre gris) للثاني. غير أن الوثائق لا تحرص دائما على ذكر اللون، فيصعب تحديد إن كان الأمر يتعلق باللوبان الأصفر أو بالعنبر[5]. ويمكن للوثائق المحررة باللغة الإنجليزية أن تساعد في تتبع حضور اللوبان في السلع التي كانت تَرِدُ من أوروبا؛ إذ تميز هذه اللغة بين [ambergris] الذي هو العنبر و[amber]

---

1 Camps Fabrer H., 1986, Ambre, Encyclopédie berbère, Volume :4, Aix-en-Provence, Edisud, pp.1-8, p.2.

2 Eudel , Dictionnaire. op. cit. p. 168.

[3] المقدسي، احسن التقاسيم، طبعة 1، أبو ظبي 2003، ص. 280 ، هامش 789.

[4] محمد بن عبد السلام الضعيف، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق وتعليق وتقديم احمد العماري، الطبعة الأولى ، دار المأثورات، الرباط ، 1986 ، ص. 181

5 Camps Fabrer H., , Ambre, p.6.

الذي هو اللوبان الأصفر. وبالفعل فقد ورد أقدم ذكر للوبان في الوثيقة إنجليزية تتحدث عن رُسُوِ إحدى السفن بميناء سانتا كروز سنة 1551، وكانت محملة بأقمشة الكتان والملابس الصوفية والمرجان بالإضافة إلى اللوبان الأصفر[amber][1].

وفي ماي 1552 وصلت ثلاث سفن إلى ميناء أسفي، وأُنْزِلَتْ منها السلعُ الموجهة نحو مراكش، ثم تابعت طريقها نحو ميناء (سانت كروا) - أكادير- لإنزال السلع الباقية، وهي: أقمشة الكتان والملابس الصوفية، والمرجان واللوبان [amber ,] .... التعبير الوارد في النص الإنجليزي الأصلي واضح ويحيل على اللوبان الأصفر، أما الترجمة الفرنسية التي أرفقها ديكاستري بهذا النص[2] فهي عامة حيث استعملت لفظ ambre الذي يقبل المعنيين معا، أي العنبر أو الخرز المستعمل في الحلي، ما دام لم يحدد اللون الأصفر أو الرمادي. ولكننا نميل إلى أن المقصود هو اللوبان المستعمل في نظم القلائد، وذلك للاعتبارات التالية:

- النص الإنجليزي الذي ترجم عنه دي كاستري واضح ويشير صراحة إلى اللوبان الأصفر المستعمل في الحلي.

- جاء ترتيب هذه المادة مباشرة بعد المرجان مما يؤكد أنها مدرجة ضمن مكونات الحلي.

- كانت المنطقة الجنوبية تشتهر بوفرة العنبر الممتاز الذي كان يُجمع من الشواطئ ويباع للتجار الأوروبيين والمغاربة على السواء، وكان يُصَدَّرُ من ميناء أكادير نحو الخارج[3]. وبالتالي من المستبعد أن يَسْتورِدَ مرسى أكادير سلعة كان يصَدِّرُها.

لهذه العوامل مجتمعةً نرى أن اللوبان الأصفر المستعمل في الحلي كان يُستورد عبر المراسي الجنوبية في نفس فترة استيراد المرجان والعقيق الزجاجي والقرنفل، أي منذ القرن السادس عشر على أقل تقدير. وينسجم هذا الطرح مع المعطيات التي تمدنا بها الوثائق المحلية، ومن بينها عقد جهاز من قبيلة **(تاجكّالت)**، مؤرَّخٌ بمنتصف ربيع الثاني عام 1002 هـ (يناير 1594م)، إذ تضم هذه الوثيقة جردا لبعض الأزياء ولوازم التزيين وأواني النحاس بالإضافة إلى زوج مشابك و**" والبن مع القنرفل"**[وثيقة 6]. ويقصد محرر الوثيقة اللوبان الأصفر وعيدان القرنفل، المادتان اللتان كانتا تستعملان في تركيب نوع خاص من القلائد في سوس.[4]

وبعد إغلاق ميناء أكادير في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، انتقل استيراد اللوبان الأصفر وباقي السلع إلى الميناء الجديد بالصويرة، وقد دخل عبر هذا الميناء، سنة 1804 مثلا، خرز اللوبان

---

[1] Lebel R., op.cit.p. 294

[2] De Castries H., op.cit.p. 17-18

[3] كان العنبر الاسود يجمع خلال الفترة السعدية من شواطئ سانتا كروث/ أكادير، ومصب نهر ماسة وموكادور [مذكرة خورخي دي هنين ، وصف الممالك، ص,177]، وظل السكان يجمعون العنبر من الشواطئ الممتدة جنوب أكادير إلى أواخر القرن لتاسع عشر، انظر
Jackson J. G., An account, op. cit p.127

[4] نذكر من بين النماذج : "زوج مشاميم من النوار مفصل باللوبان و ما معه بمثقالين" في عقد جهاز من أكادير، بتاريخ 23 شوال 1183 (فبراير 1770م)، من أكادير]] وثيقة 94]

المستقدم من مدينة ليفورن بإيطاليا ومن أمستردام بهولندا[1]. وكان اللوبان يصل المغرب انطلاقا من البلدان الواقعة على شواطئ البلطيق كبروسيا الشرقية وروسيا. غير أن هذه البلدان لم تكن تُسَوِّقُه بشكل مباشر نحو البلدان الإسلامية الواقعة على البحر المتوسط، وإنما كان يأتي عن طريق بعض المراكز الأوروبية كلندن ومارسيليا، أو عبر مدينة ليفورن الإيطالية التي كانت تحتكر أيضا تجارة المرجان[2]، وكذلك عبر أمستردام بهولندا[3].

اللوبان في الحلي

يستعمل اللوبان لتركيب القلائد في مختلف مناطق المغرب[4]، غير أن منطقة الجنوب الشرقي لها ميزة فريدة في هذا المجال، فعند قبائل (**ءايت مرغاد**) و (**مكونة**) و(**ءايت عطّا**) ... تضم القلائد كريات كبرى مفصولة بدوائر من الثوب أو الجلد، كي لا تتآكل **أثناء** احتكاكها ببعضها، وتوضع القلادة على الكتفين بعيدا عن العنق وتتدلى خلف الظهر[5]. أما بالنسبة لسوس فإن الوثائق العائلية تظهر أن اللوبان كان يستعمل في تركيب القلائد منذ بدايات القرن الحادي عشر الهجري على أقل تقدير، وشمل انتشاره أغلب القبائل التي اطلعنا على وثائقها في عموم الأطلس الصغير والأطلس الكبير وسهل سوس[6].

وثَّقَتْ الدراسات الإثنوغرافية صنفين من حبات اللوبان في الجنوب: صنف صغير الحجم على شكل عقيق، وصنف أكبر على شكل كُريّات. وتنظم المرأة الصنف الأول في قلادتها، أو تخيطه فوق حليتها الجبينية[7]، كما يمكن أن تطلب من الصائغ أن يدمجه في سلك فضي ليتدلى من أقراط أذنها. أما الصنف الثاني، فتأخذ منه المرأة كريات قليلة العدد، وتشكل بها محورا يتوسط مكونات القلادة من مرجان وعقيق وقطع نقدية وأصداف وعيدان قرنفل. وتبين الوثائق أن هذا التصنيف قديم، ففي عقد جهاز من آكلو غربي تيزنيت، بتاريخ ربيع الأول 1205 (1790م)، نجد "**ثلاث لوبانات و حروزها** "[8] باعتبارها حلية تربط بين زوج المشابك الفضية، وهذا الحلية التي تشبه القلادة من حيث تركيبها، تتكون عادة من كريات كبيرة من اللوبان، وصفائح فضية كبيرة تسمى "الحروز".

---

[1] **Jackson, An account , op. cit .p. 239**

[2] **Camps Fabrer H. , Ambre, op. cit. p.6.**

[3] **Jackson, op. cit. p. 239**

[4] **ذكر كودار أن قلادة الأطلس المتوسط كانت تضم اللوبان والعقيق الزجاجي وخرز المرجان (تاسدّيت بو اقاين)، انظر: Goudard J., Bijoux, p.310**

[5] **Rabaté M.-R., Bijoux du Maroc du Haut Atlas à la vallée du Draa, Edisud/Le Fennec, Aix-en Provence, 1996, Réédition : 2015, ACR Edition, Paris-La Défense, p.142 = Rabaté J., Bijoux.**

[6] **نبه بعض المؤلفين الأوروبيين إلى دور اللوبان الأصفر في الحلي بالجنوب، ونذكر منهم جاكسون الذي ذكر أن النساء كن يتزين بقلائد مركبة من خرز اللوبان وخرز المرجان المستوردين عبر ميناء الصويرة، وذلك سنة 1804 . انظر : Jackson, op. cit. p. 239**

[7] **Besancenot J., Costumes. op .cit. p. 171**

[8] **بجي، الحلي، الوثيقة رقم 335.**

أما بالنسبة للخرز الصغير فما يؤكد وجوده هو انتشار قلائد اللوبان المكونة من عدة خيوط، ونذكر منها ما ورد في عقد جهاز من (تاجلت) بالأطلس الكبير الغربي بتاريخ رجب 1233 (1818م): **"قلادة من اللوبان فيها سبعة (رِجَالَةٌ)..."**؛ ويدل لفظ (رِجَالَةٌ)[1] في هذا الإطار على الخيط المنفصل الذي يُنظم فيه الخرز. فاللوبان المكون لهذا النوع من القلائد لا يمكن أن يكون إلا صغير الحجم حتى يمكن جمع سبع خيوط منظومة جنبا إلى جنب لتكَوِّن قلادة واحدة.

ساهم اللوبان منذ قرون في تحديد خصائص الحلي بالجنوب المغربي، وسمح للمرأة بزيادة إمكانيات التوليفات التشكيلية أثناء نظم قلادتها أو تركيب إكليلها. لا تُكثر المرأة عادة من استعمال اللون الأصفر، لكنها تحرص مع ذلك على حضوره بشكل مدروس لتحقيق الانسجام البصري حسب المعايير المحلية للجمال. فهذا اللون الذي يكاد لا يحضر في اللباس، يضفي لمسته على أناقة المرأة من خلال حضوره في اللوبان والنيال الزجاجي بالنسبة للحلي، وفي زخارف الزعفران بالنسبة لزينة الوجه، وفي بعض الأزهار الصفراء التي تزين الرأس.

3) القُرُنْفُل

"القرنفل" هو اللفظ الأكثر انتشارا في الجنوب المغربي لتسمية الأعواد العطرية التي تصلح لأغراض طبية وتجميلية وغذائية مختلفة، بالإضافة إلى استعمالها في تركيب الحلي وخاصة القلائد[2]. وقد يطلق عليها اسم آخر مكون من لفظين وهو "عود النوار"، ويتم اختزاله أحيانا في لفظ واحد: "النوار". وإذا كان لفظ "القرنفل" شائع الاستعمال، فإن لفظ "النوار"، لا يغيب عن التداول الشفوي،[3] وعن الوثائق العائلية المكتوبة، التي نورد منها بعض النماذج:

-**"زوج مشاميم من النوار مفصل باللوبان"**، في عقد جهاز من أكلو بتاريخ 23 شوال 1183 [4] (فبراير 1770).ويقصد المحرر قلادتين من نوع (المشموم) المركبتين من اللوبان الأصفر وأعواد القرنفل -النوار-

-**"الخيط من عود النو[ار] وهو القرنفل"**، في عقد جهاز من (تالـكّجونت) شمال شرقي تارودانت، بتاريخ ربيع الأول 1204،**(1789م)** [وثيقة 21]. ويوضح كاتب العقد أن القلادة -التي سُمِّيَت "الخيط" في الوثيقة- كانت مركبة من عود النوار الذي يسمى أيضا القرنفل.

---

[1] **رجالة ترجمة حرفية للفظ الأمازيغي (تاضارت) التي يدل لغة على الساق الصغيرة، واصطلاحا على خيط منظوم بالخرز.**

[2] **يسمى القرنفل في الأمازيغية: "اسغاب" و"تادّريريِيْت" [شفيق المعجم، الجزء الثاني ص. 304-].**

[3] **أنظر :**

Boulifa Said, Textes Berbères en dialecte de l'Atlas marocain, Publications de l'Ecole des Lettres d'Alger, Paris, Ernest Leroux Editeur, 1909,p. 147.

[4] **بجي، الحلي، وثيقة 94.**

هناك اسم ثالث وهو "الزنجيل"، لم نقف عليه في الوثائق التي اطلعنا عليها إلا في حالة واحدة، وبالضبط في عقد جهاز من (ءيمجّاط) بتاريخ 1214 (1799م)، وردت فيه العبارة التالية " **قلادة الزنجيل وهو قرنفل**" [وثيقة 3].

مصدر القرنفل:

وفر ابن بطوطة، خلال الفترة المرينية، معطياتٍ دقيقةً لمعاصريه عن شجرة القرنفل التي وجدها في أندونيسيا، وقال عنها: "وأما أشجار القرنفل فهي عادية ضخمة ... والمجلوب منها إلى بلادنا منها هو العيدان، والذي يسميه أهل بلادنا: نوّار القرنفل، هو الذي يسقط من زهره، وهو شبيه بزهر النارنج، وثمر القرنفل هو جوز بوا المعروفة في بلادنا بجوزة الطيب، والزهر المتكون فيها هو البسباسة، رأيت ذلك كله وشاهدته". ويوضح الرحالة بدقة أن ما يصل المغرب من القرنفل هي العيدان التي تسقط من زهره.[1] وكانت حاجيات المغرب من القرنفل تأتي غالبا من بلدان شرق أسيا إلى جانب سلع عطرية أخرى كالقرفة[2]. وذكر ابن بطوطة، كذلك، أن المسافر ببلاد السودان لا يحمل زادا ولا إداما ولا دينار ولا درهما، وإنما يحمل قطع الملح، وحلي الزجاج، وبعض السلع العطرية، وأكثر ما يعجبهم منها "**القرنفل والمصطكي و(تاسرغنت)، وهو بخورهم**". وبهذه المواد يحصلون على حاجتهم من لبن ودجاج وأُرز وحبوب.[3] وبما أن مناطق الجنوب شكلت على الدوام بوابة المغرب نحو عمقه الإفريقي، فإنها كانت تستفيد من السلع العطرية كالقرنفل وهي في طريقها نحو بلاد (السودان).

وأثناء احتلال البرتغاليين لبعض الثغور المغربية خلال بداية القرن السادس عشر، كانوا يسوِّقون سلعا تجارية مختلفة من بينها القرنفل الذي دخلت منه كميات هامة مدينة أسفي، وبلغت حسب إيصال أحد المتاجر 7 قناطر و21 رطلا[4]. ومن المفترض أن يكون للمنطقة الجنوبية حظها من هذه المبادلات، وخاصة مع استقرار البرتغاليين في أكادير وبناء حصن فونتي.

وبالفعل فإن القرنفل حاضر في الوثائق العائلية للمنطقة، ونجد أقدم ذكر لاستعمال هذه المادة العطرية في عقد جهاز من قرية (تاجكّالت) والذي يعود إلى ربيع الثاني عام 1002(يناير 1594م)، ، ويحتوي من بين مكوناته على **:"لبن مع القرنفل"**[تاجكّالت وثيقة 6]. ويستفاد من اقتران القرنفل باللوبان الأصفر، أن وظيفته كانت تزيينية، وبأنه كان ضمن مكونات القلائد. ومنذ ذلك التاريخ، لم تتوقف الأرشيفات المحلية عن ذكر القرنفل، أو عود النوار، كأحد أهم عناصر تركيب القلائد. مما يؤكد استمرارية وصول هذه السلعة إلى أغلب قبائل الجنوب. وانطلاقا من فترة سيدي محمد بن عبد الله، ستشكل الصويرة البوابة

---

[1] ابن بطوطة، مصدر سبق ذكره ،ج2 ص.635.

[2] ناصر الدين على القوم الكافرين، مختصر رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب لاحمد بن قاسم الحجري الاندلسي (أفوقاي) ص. 99.

[3] ابن بطوطة، مصدر سبق ذكره ، الجزء2 .ص.635.

[4] احمد بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة اخلاء آسفي وأزمور (قبل 28 غشت 1481 – أكتوبر 1541) ص. 316.

الرئيسية لدخول هذه المادة نحو الجنوب المغربي، عبر مينائها الذي كان يستقبل القرنفل[1] إلى جانب سلع أخرى[2].

استعمالات القرنفل:

يستخدم القرنفل لأغراض متنوعة ترتبط بفنون الطبخ وإعداد الطعام، وتلامس الانشغالات الجمالية والاستشفائية. ومن أهم هذه الأغراض:

- اتخاذه بهارا لتعطير الأغذية والمشروبات، ومنها الحليب[3].
- استخدامه في التجميل والعناية بشعر المرأة وجلدها.
- تناوله لأغراض علاجية[4]
- اعتماده في الممارسات الجنائزية بعد مزجه بالورد المجفف وماء [زهر] برتقال[5].

القرنفل في الحلي:

يتخذ حضور عيدان القرنفل في الحلي مظهرين مختلفين[6]:

- تُدَسُّ العيدان، إلى جانب مواد عطرية أخرى كجوز الطيب، في كريات مجوفة متدلية من القلائد المركبة بالقطع الفضية والمرجان. وكانت هذا الممارسة منتشرة لدى نساء المدن[7]. وكانت منتشرة أيضا لدى قبائل الجنوب، فكل قطع الحلي المجوفة التي تتدلى من المشابك أو من القلائد يمكن أن توفر مكانا مناسبا لوضع بعض العيدان من القرنفل التي تطلق رائحتها الرفيعة وإن كانت لا تظهر للعيان.

- تُنْظَمُ أعواد القرنفل[8] في خيط من الحرير لتركيب قلائد تتزين بها النساء، وكانت هذه الممارسة شائعة في مناطق المغرب[9]. ولتركيب هذه الحلية، توضع عيدان القرنفل اليابسة في الماء[10]، لتكتسب الليونة اللازمة، لأنها قد تتكسر أثناء محاولة ثقبها وهي جافة، بعد ذلك يتم تسخين الإبرة

---

[1] Host , op. cit .p. 211

[2] توجه مركب إلى ميناء الصويرة سنة 1796 حاملا لدار أحد التجار (عشر خناشي سكر غبرة مع صندوقين سكر قالب مع برميل عود النوار) عثمان المنصوري، العلاقات المغربية البرتغالية 1790-1844 (الجزء الاول)، طبعة 2005، مطبعة فضالة المحمدية .ص. 449.

[3] عبد الملك بنعبيد، "القرنفل"، معلمة المغرب الجزء 19، الجمعية المغربية التأليف وللترجمة والنشر نشر مطابع سلا ،2004، ص 6623-6624 .

[4] السوسي ، المعسول، مصدر سبق ذكره، الجزء 15، ، ص. 45.

[5] le Cœur Ch., "Les rites de passage d'Azemmour", in Hespéris, 1933,p. 147

[6] في بعض دول شمال إفريقيا، كان القرنفل يدخل في تكوين عجينة معطرة يتم تشكيلها بأطراف الأصابع لتتحول إلى عناصر يتم نظمها في خيط إلى جانب مكونات أخرى للحصول على قلادة تسمى السخاب[Camps-Fabrer H., Kabylie. op.cit. p 67]، ولم نعثر على ما يفيد بأن المغرب بدوره كان يمارس استعمال هذه النوع من العجينة لإنجاز قلائد معطرة.

[7] Host , op. cit .p. 77

[8] يسمى عود القرنفل الجاف (ءاقّا ن ڤرونفل) ، ومعناه خرز أو "حبة القرنفل"، انظر:
Destaing E., Etude sur la Tachelhit du Sous Vocabulaire français-berbère, Librairie Ernest Leroux, Paris, 1938,p.142

[9] de Chenier M., Recherches, p.107.

[10] بجي، الحلي، مرجع سبق ذكره، ص.270.

(تَاسُّمِي)/(تَاسْكْنِيتْ) بتعريضها للنار لأن الحرارة تساعدها على الانغراس في جسم القرنفل[1]، وفي الأخير تثقب العيدان بالإبرة الحامية لتَنْظمَها المرأة في خيط من الكتان[2] ، أو الحرير[3] أو الصوف وتُزَيِّنَ به جيدها. وتُرَكَّبُ عيدان القرنفل في عدة خيوط منفصلة، وتُجمع لتعطي قلادة واحدة كبيرة تتدلى على الصدر. وتركب هذه العيدان في أجزاء الحلية البعيدة عن محيط العنق، لأن رؤوسه خشنة ويمكن أن تؤذي جلد المرأة.

تُغني عيدان القرنفل بشكلها الخاص وبلونها الداكن المميز باقي ألوان وأشكال العناصر المكونة للقلادة من مرجان أحمر ولوبان أصفر وأصداف بيضاء، وعقيق زجاجي متعدد الألوان. وبالإضافة إلى هذه الوظيفة "التشكيلية"، يتميز القرنفل عن باقي العناصر برائحته الطيبة التي تجعل منه مصدر عطر رفيع. وتجمع المرأة بين عطر القرنفل القادم من أقاصي آسيا، مع أريج النباتات التي تغرسها بعناية في أواني طينية بسطوح المنازل، أو في نوافذ الغرف، وخاصة منها نبتة الحَبَق. وعند الاستعداد لحضور احتفال أو تلبية دعوة، تقطع المرأة بعض تلك النباتات لتزين بها جبهتها بشكل بديع، وتضع قلادة القرنفل حول عنقها، وتستعمل أنواعا مختلفة من البخور الطيبة المختلفة المصادر، فتساهم إلى جانب نساء قريتها في صناعة أجواء بديعة بعطرها وألوانها.

4) الأصداف البحرية:

جعل انفتاح الجنوب على المحيط الأطلسي السكانَ يتعرفون على عدد كبير من الصدفيات البحرية، سواء منها الأصداف الفارغة التي تقذفها الأمواج على الرمال، أو تلك الأصداف التي توفر الحماية للرخويات وتُلتقط من الشواطئ للاستفادة منها في إعداد أطباق خاصة. ويطلق على الأصداف البحرية بمختلف أنواعها اسم عام، وهو: (تَاغْلاَلْتْ)[4]، وجمعه (تِيغْلاَلِينْ)[5].

وتستعين المرأة في الجنوب بنوعين من الأصداف في تركيب حليها، أحدهما محلي، ويسمى: (**ءامْجُّونْ**)، وهو الحلزون البحري، والآخر مستورد ويسمى: (**تازْرُّوفْتْ**) وهو الودع.

- (ء**امجون**) وجمعه (**ايمجّان**)، وينطق اللفظ أيضا بصيغة (**أءامجو**)، وجمعه (**ءيمْجَّا**). ويسمى بالعربية: الحلزون البحري، وبالفرنسية:[l'escargot de mer][6]. ويُفَصِّل الحرفي الصدفةَ الكبيرة

---

[1] معلومة شفوية من احمد الفضي من (ايمي اوكادير) بإقليم طاطا

[2] Boulifa, op.cit.,p. 14.

[3] de Chenier M., Recherches, p.107.

[4] يدل هذا اللفظ أيضا على قواقع الرخويات البرية كالحلزون

[5] Laoust E., "Pécheurs".op. cit. p. 341.

[6] محمد شفيق، المعجم، الجزء: 3، ص. 35

بواسطة المبرد إلى أجزاء على شكل حلقات ومخروطات مقطوعة. وتتنظم المرأة هذه القطع والحلقات في القلائد أو تركبها في الحلي الجبينية أو تزين بها شعرها[1].

- **(تازرّوفت)**، وجمعها **(تيزرّوفين)**[2]، أي الودع[3]، و هي صدفة صغيرة ملساء لامعة لا توجد على شواطئ المغرب، ورغم ذلك فإن النساء كن يكثرن من استعمالها في أناقتهن، فيزين بها الشعر، أو يدمجنها في تركيب العديد من أنواع الحلي[4].

معطيات تاريخية

يقع المركب الأثري لـ(أدرار زّرزم) بمنطقة (تاغجيجت) بالسفح الجنوبي للأطلس الصغير(إقليم كلميم)، ويضم نقوشا صخرية، وبقايا سكن في الهواء الطلق، بالإضافة إلى ثلاث مآثر جنائزية من نوع الطومولوس أو الجثوة. وقامت بعثة أثرية مغربية إسبانية بحفريات في هذه المآثر ما بين سنتي 2004 و2005، وعثرت في الطومولوس رقم 2 على بقايا عظمية بشرية كانت مدفونة على الجانب الأيمن، وكان طرفاها السفليان مثنيان في اتجاه الجدع، كما عثر بجانبها على لقى أثرية مُشَكَّلة أساسا من أقراط الأذن، وخرز من صخر أخضر، وخرز من قشر بيض النعام، وبعض مكونات قلادة من البرونز، ثم بعض الأصداف البحرية التي كانت موضوعة بالقرب من الركبتين. قامت البعثة بتأريخ بعض العظام فتبين أنها تعود الى ما بين 600 و660 سنة بعد الميلاد تقريبا[5]. ويعد هذا الاكتشاف أقدم شهادة عن استعمال الأصداف البحرية في أعماق الأطلس الصغير. كما أن ارتباط الأصداف بأقراط الأذن، وخرز من صخر أخضر، وخرز من قشر بيض النعام، وبعض مكونات قلادة من البرونز، يشجع على افتراض أنها بدورها كانت تؤدي وظيفة تزينية. والمؤكد، أن وضعها في إطار جنائزي كان مرتبطا بما لها من دلالات رمزية بالنسبة لمجتمعات تلك الحقبة الموغلة في القدم.

سنجد بعد ذلك شهادات عن حضور الأصداف البحرية في تاريخ الجنوب المغربي، فخلال القرن الثاني عشر الميلادي كانت القوافل التي تغادر مدينة أغمات في اتجاه بلاد السودان للتجارة، تحمل من بين السلع **"صنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب الأفاويه"**[6]. وفي القرن السادس عشر، أشار الوزان إلى استمرار تدفق الأصداف على بلاد السودان انطلاقا من المغرب، وأكد على دور هذه

---

[1] تزين المرأة في بعض مناطق موريتانيا شعرها بقطع من صدف مفصل ومزخرف بنقوش تسمى (تامجونت)، [التي هي مؤنث (أمجون)]، واسمها العلمي هو (*Conus papillonaceu*)، انظر:

Puigaudeau O., Arts et coutumes des Maures, Editions le Fennec, Casablanca, 2009,p.182.

[2] Destaing , op.cit.p 53

[3] تسمى أيضا تاغلالت ن أيكناون أي صدفة كناوة، انظر: Boulifa, op.cit.,p. 375.

[4] اقتصر استعمال الودع في المغرب على مجالات اللباس والحلي، أما في بلدان افريقيا جنوب الصحراء فقد كان له دوره العملة في المبادلات التجارية انظر : Oscar Lenz,op . cit. p. 162-164

[5] بينت الدراسات أن العظام تعود الى 35± 1430 قبل الحاضر، أي ما بين 600 و660 سنة تقريبا بعد الميلاد. يؤكد هذا التاريخ بأن ظاهرة الدفن في الطومولوسات بقيت مستمرة إلى ما قبيل دخول الإسلام للمنطقة. انظر :

EL Graoui M., Bokbot Y., Junger H. et Searight-Martinet S., « Datation radiocarbone des ossements mis au jour dans un tumulus à l'Adrar n'Zerzem, oued Eç-çayad, région de Taghjijt (Sud marocain) », Sahara n° 21, 201O,pp.77-80.

[6] الشريف الادريسي، مصدر سبق ذكره، ص, 42

السلعة في المبادلات التجارية[1]. وفي بداية القرن العشرين، وبالضبط سنة 1905، سيزور دي سيكونزاك منطقة (تامكّروت)، وسيلاحظ بأن نساءها يدمجن صدف الودع والعقيق الزجاجي الملون في حليهن الجبينية[2]

الأصداف في الحلي:

تعتبر الأصداف من عناصر التزيين المشتركة بين الفتاة والمرأة المتزوجة، فتنثر كل واحدة منهما بعض الأصداف في شعرها، أو تركبها في شريط من الثوب يتدلى خلف الظهر أو على جانب الرأس، أو ينظم في القلائد والأكاليل الجبينية.

ترى بعض الدراسات أن استعمال الأصداف البحرية في الحلي كان من الخصائص الجمالية لنساء الواحات الواقعة أقصى الجنوب[3]. وتوضح جاك مونيي أن استعمال المواد الحيوانية كالشعر والجلد وأصداف الودع هو من مميزات حلي المجموعات البشرية التي كانت تتعاطى الرعي في تخوم الصحراء[4]. صحيح أن الأصداف كانت مستعملة بكثافة في هذه الواحات، ولكنها لم تكن مجهولة في مناطق بعيدة عن الأطلس الصغير في اتجاه الشمال. ففي الأطلس الكبير المركزي، كقبيلة (**ءيغْجْدَامْنْ**)، كانت المرأة تهتم بزخرفة حزامها (**تاسمرت**) الذي تشد به الحائك حول الخاصرة، فتزينه بالأصداف البحرية (**تيغالين**)[5]. كما أشار الرحالة الأوروبي الدكتور لانز إلى استعمال أصداف الودع إلى جانب العقيق الزجاجي والمرجان في حلي المناطق التي تنقل عبرها بين الدار البيضاء والرباط في نهاية القرن التاسع عشر[6]

تستعمل المرأة في الجنوب المغربي نوعين من الأصداف البحرية لتزيين شعرها وتركيب حليها، وهما: (تازرّوفت) -الودع-، و(ءامجون) -الحلزون البحري، ورغم اختلافاتهما على مستوى الشكل والحجم، فإنهما يلتقيان في لونهما الذي يضفي على القلادة أو على الحلية الجبينية اللمسة البيضاء الضرورية لاكتمال التناسق التشكيلي تبعا للمعايير الجمالية المتوارثة. لا يتطلب اقتناء الأصداف البحرية، سواء المحلية منها أو المستوردة، مبلغا ماليا هاما[7]، مقارنة مع باقي المواد التي تدخل في تركيب الحلي كالمرجان واللوبان والقرنفل، مما يبين أن أهميتها في مجال الحلي مرتبطة ببعدها الجمالي وليس بقيمتها المادية.

---

[1] **الوزان الحسن ، مصدر سبق ذكره ، ص. 167**

[2] **Segonzac Mis de R., Au cœur . op. cit. p.104.**

[3] **Rabaté J. et M.-R., Bijoux. op.cit.p.14**

[4] **Jacques-Meunier D., « Bijoux »**

[5] **Cambazard-Amahan C., « Le Bijou », arts et architecture amazighes du Maroc , Imprimé en Italie, IRCAM, 2011, p. 104**

[6] **O. Lenz, op.cit. p. 234.**

[7] **في تومبوكتو كان الودع يستعمل لشراء الأغراض التافهة، رغم أنه كان يستورد من "بلاد فارس". وتساوي أربعمائة صدفة مثقالا واحدا، انظر: الوزان ، مصدر سبق ذكره ، ص. 167**

ثالثا – مواد مصنعة : العقيق الزجاجي

يعرف العقيق الزجاجي في بالجنوب بثلاثة أسماء وهي :(**عيـژّلاين)**، و**(عاقاين)** و**(زوزو)**

-(عيـژّلاين):

لفظ مذكر في صيغة الجمع ، ومفرده (عاژّلا). ويطلق على العقيق الزجاجي[1]، وعلى كل أنواع الخرز الطبيعية والصناعية سواء كانت منجزة بالزجاج أو اللوبان الأصفر أو المرجان، ويبدو أن هذا اللفظ مشتق من فعل (عيـژلي) أي: فصل، وبالتالي، فـ(عاژلاَّيْ) تعني لغة **الفاصل**، وتطلق على كل العناصر التي تفصل بين المكونات الأساسية للقلادة.

- عاقّاين:

(عاقّاين) لفظ مذكر في صيغة الجمع، ومفرده (عاَقّا)، ويصطلح به على العقيق الزجاجي المستعمل في تركيب الحلي. ويدل لفظ (عاقاين) معجميا على حبوب القمح والشعير والذرة، وفواكه بعض الأشجار كالتمر والعنب وحب الملوك -الكرز-، بالإضافة إلى الزيتون[2]؛ مما يدفعنا إلى افتراض أن المصطلح قد انتقل من المجال الزراعي إلى ميدان الحلي، حيث ارتبط في البداية بالخرز بشكل عام، قبل أن يخصص للدلالة على الخرز المصنوع من الزجاج بعد ذلك.

يُتداول لفظ (عا**قّاين**) في التعبير الشفوي، وقد يستعمله المحررون في وثائقهم، فورد في عقد جهاز من قبيلة (تالـكّـجونت) بتاريخ ذي حجة 1299/(1882م): " **السلت فيها ثلاثة خيوط من الدراهيم مع مرجانها[3] وهو أَقايْن الحمراء باربعة وستين مثقالا"** [وثيقة 36]. الحلية الموصوفة في عقد الجهاز هي قلادة من نوع "سّلتا" وتتكون من ثلاثة خيوط نظمت فيها النقود الفضية والعقيق الزجاجي الأحمر(عاقّايْن).

- زوزو:

ينتشر لفظ "زوزو" لدى بعض قبائل كل من الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس. ووظفه محررو الوثائق المحلية في كتاباتهم، كما يبين ذلك هذان النموذجان:

- عقد جهاز من (تاجـكّالت) بتاريخ ذي حجة 1250 هـ (1835م)، ويضم: "المرجان بست أواقي وزُوزُ بأربعة أوجوه"[وثيقة 17]. تبين الوثيقة أن القيمة النقدية لقلادة "زوزو" أقل بكثير من ثمن قلادة المرجان، لأن الأولى قومت بست أواق والثانية بأربعة أوجه فقط.

---

[1] **Adam A., Costume, p.472.**

[2] **يدل لفظ "أقّا" او "اقّاي" كذلك على الخانق في اصطلاح الجغرافيين، اي المكان الضيق في الواد [la gorge]، انظر:شفيق الدارجة ص. 52.**

[3] **المقصود بالمرجان في هذه الحالة هو العقيق الزجاجي الأحمر اللون، وسيذكر المحرر مباشرة بعد هذه القلادة حلية أخرى و"قلادة الدراهيم فيها المرجان الحر بريالتين" مما يؤكد أن لفظ المرجان قد يحيل في بعض الوثائق على العقيق الزجاجي أوعلى المرجان الحقيقي إذا أُضيف إليه صفة "الحر".**

- عقد جهاز من (تالـكّـجونت) بتاريخ محرم 1272 (1855م)، ويضم : "القلادة زوز موزونة ونصف"، وثمنها أقل بكثير من قلادة "**القرنفل مع مفاصلها**" التي قومت بثمان موزونات.[وثيقة 6]

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الأصناف من العقيق الزجاجي لها أسماء خاصة، نذكر منها (تازُّويتْ)، ومعناها المعجمي النحلة، وسميت بذلك لأنها تتميز بخطوط متوازية تذكر بخطوط جسم النحلة.

العقيق: (العـكّـيـكّ):

استعمل محررو الوثائق المحلية كلمة "العقيق" بكثرة في العقود، وكتبت هذه الكلمة بصيغتين متقاربتين :"العقيق" و(العـكّـيـكّ)، كما يبين هذان النموذجان من الووثائق من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي:

- "العـكّـيـكّ بثلاثة موزونة"، في عقد جهاز من (تاجـكّالت) بتاريخ ذي قعدة 1162هـ/(1749م) : [وثيقة 18]. والمقصود حلية عنق مركبة من العقيق الزجاجي.

- "قلادتان من اللوبان وعقيقه" في عقد جهاز من (ءايت ءيـكّـاس) [وثيقة قب 2]، بتاريخ شعبان 1174هـ/(1761م)، ويتضح من هذا التعبير أن العقيق يختلف عن اللوبان. كما نفهم من ذكر قلائد أخرى في نفس الوثيقة، واحدة من "القرنفل"، والثانية من حبوب الفضة (ءودّيز)، أن لفظ "العقيق" يختلف في معناه أيضا عن الخرز الفضي وعن عيدان القرنفل؛ وبأنه كان يدل على خرز الزجاج.

وتأتي كتابات المؤرخ الضعيف الرباطي لتؤكد استعمال المغاربة في كتاباتهم، للفظ "العقيق" للدلالة على الخرز الزجاجي، فقد كتب أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله قام بتفريق العبيد سنة 1193، فكانت نسائهم " يبعن الدمالج والعقيق واللوبان والثياب إلى إن بقوا حفاة عراة، ولا زالوا يبيعون مدائج المرجان والأخراص والمزارع والمشاميم والحرير الذي على رؤوسهم"[1]. لقد ميز الضعيف بين العقيق واللوبان والمرجان، وكذلك بينه وبين الجوهر[2].مما يؤكد أن العقيق يختلف عن كل هذه المواد، فلا تبقي له من دلالة سوى الخرز الزجاجي.

أسفرت الأبحاث في الطبقات الأثرية التي تعود للفترة الإسلامية بمدينة وليلي عن اكتشاف قوالب كانت تستعمل لصناعة الخرز الزجاجي[3]. ويؤكد هذا الاكتشاف أن هذه المادة كان تصنع في المغرب خلال العصر الوسيط. ومنه كان يصدر نحو بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، فقد ذكر الإدريسي أن القوافل التي كانت تنطلق من مدينة أَغمات كانت تحمل إلى بلاد السودان "صنوف النظم من الزجاج والأصداف

---

[1] **الضعيف، مصدر سبق ذكره ،ص.181**

[2] **نفسه، ص. 178**

[3] **Fili A., Fentress E. et Limane H., "Indices sur la production du verre à Volubilis à l'époque islamique", in Jardin des Hespérides, Revue de la Société Marocaine d'Archéologie et du Patrimoine, Mai-2016, pp. 14-16.**

والأحجار وضروب من الأفاويه"[1]. وفي الفترة المرينية ذكر ابن بطوطة أن المسافر في تلك المناطق لم يكن في حاجة إلى أن يحمل معه الزاد، لأن بإمكانه أن يحصل على كل ما يحتاجه من السكان المحليين بمقايضة الطعام والسمن "بالملح وبالعطريات وبحلي الزجاج"[2].

مع بداية القرن السادس عشر، حدث تحولان هامان في صناعة وتسويق العقيق الزجاجي، فقد ازدادت أهمية المدن الإيطالية على مستوى التصنيع[3]، وتطور دور البرتغاليين، كوسيط تجاري، في تسويق هذه المادة عبر الساحل الأطلسي[4]، مما سمح لهم بمنافسة القوافل المغربية التي استمرت، مع ذلك، في إيفاد العقيق الزجاجي إلى بلدان السودان إلى جانب سلع أخرى من ثياب ومرجان وملح[5]. وأثناء وجود البرتغاليين بأسفي، كان العقيق الزجاجي المصنوع في مدينة البندقية، من بين السلع التي تستوردها المدينة، والتي كانت تُوجه بعد ذلك نحو المستعمرات البرتغالية الأخرى على الساحل الافريقي، للحصول على التبر والعبيد مقابل سبحات مكونة من زجاج مختلف الألوان[6]. وكانت مدينة أسفي زمن لاحتلال البرتغالي، تستقبل كميات هامة من هذه المادة بلغت حسب إحدى الإيصالات 170000 حبة، وكان جزء منها موجها للقبائل المجاورة[7].

كان البرتغاليون يحتلون مجموعة من المراكز الشاطئية الجنوبية في نفس الفترة التاريخية، مما يدعو إلى الاعتقاد أنهم كانوا يسوقون فيها العقيق الزجاجي وباقي السلع التي كانوا يروجونها في أسفي. وكان التجار الأوروبيون من جنسيات أخرى يحضرون عقيق "الزجاج الملون" إلى ميناء سانت كروا–أي ميناء أكادير- ومنهم الإنجليز الذين وصلت إحدى سفنهم محملة بالزجاج الملون إلى ميناء أكادير سنة 1552[8].

العقيق الزجاجي في الحلي

يتخذ حضور الزجاج في الحلي[9] ثلاث مظاهر مختلفة؛

- الاستعمال المباشر عن طريق النظم والتثبيت بالخيط وبالسلك الفضي،
- الترصيع
- السحق والتذويب لتحويله إلى نيال.

---

[1] الإدريسي، مصدر سبق ذكره ،ص.42.

[2] ابن بطوطة، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثاني ، ص. 708

[3] مع الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا، وتدفقت منتجاتها الرخيصة الثمن على الشواطئ المغربية، فتراجعت مجموعة من الحرف التي لم تستطع مواجهة المنافسة، ومن بينها صناعة الزجاج، وقد أشار لامبرييغ الذي زار المغرب ما بين 1790 و1791 إلى أن فن إعداد الزجاج كان مجهولا عند المغاربة في تلك لفترة، انظر: Lemprière W., Voyage, op. cit. p.80

[4] Delarozière M.-F., Perles d'Afriques, Edisud, Aix-en-Provence, 1994, p.13.

[5] دي طوريس، مرجع سبق ذكره، ص, 244.

[6] Jacques-Meunier D., "Bijoux". op.cit. p.126.

[7] بوشرب، مرجع سبق ذكره ، ص, 315

[8] السوسي ، إيليغ . مصدر سبق ذكره ، ص, 197.

[9] تعددت استعمالات العقيق الزجاجي في المغرب، فقد اتخذ لزخرفة الملابس، ونظم السبحات، ولإنجاز الحلي، انظر: عثمان المنصوري،تطور التجارة بأسفي خلال القرن السادس عشر الميلادي، تاريخ إقليم اسفي من الحقبة القديمة الى الفترة المعاصرة، اعداد محمد الاسعد، دفاتر دكالة عبدة رقم : 1، منشورات مؤسسه دكالة عبدة ، دار النشر الغربية، الدار البيضاء2000، ص. 147.

1) الاستعمال المباشر عن طريق النظم والتثبيت بالخيط

لا يتطلب تركيب الزجاج خبرات تقنية خاصة، ويكفي المرأة أن تتناول العقيق الجاهز المثقوب، وتنظمه في خيوط من الصوف أو غيره لتشكل بها قلادة، كما يمكنها أن تثبته بواسطة الخياطة على شريط الثوب الذي يشكل حامل الحلية الجبينية. وقد تقوم بنظم حبات من الزجاج في خيط لتزين به أقراط الأذن[1]. وفي كل هذه الحالات فإن العقيق الزجاجي يستعمل بدون أن يدخل عليه تغيير، وبتقنيات بسيطة لا تتطلب إلا الإبرة والخيط غالبا. ولكن بساطة تقنيات الإنجاز، لا تخفي المجهود المبذول على المستوى الجمالي من أجل إبداع لوحة تشكيلية متناسقة.

تتعدد الشهادات التي تؤكد قِدَمَ استعمال عقيق الزجاجي في نظم وتركيب الحلي؛ فقد أفاد مارمول في القرن السادس عشر بأن نساء إقليم حاحا بالأطلس الكبير الغربي كُنَّ ينظمن حبات من زجاج ملون، في أقراط آذانهن[2]. وتحدث شوني عن وضع نساء المغرب، بشكل عام، لقلائد من حبات الزجاج[3]، وذكر جاكسون أن الأمازيغيات يتزين بأقراط أذن مرصعة بأحجار كريمة أو بالزجاج الملون[4]. و استرعى حضور العقيق الزجاجي في قلائد النساء انتباه شارل دوفوكو أثناء زيارته لواحات باني سنة 1885[5]، ثم أشار دي سكونزاك بدوره إلى خرز الزجاج ضمن الأكاليل الجبينية أثناء زيارته لـ(تامكروت) سنة 1905[6]...

تؤكد الوثائق العائلية المحلية شهادات الرحالة الأوروبيين، وتبرز الحضور المتواصل للعقيق الزجاجي في تركيب الحلي. حيث لم تتوقف الإشارة إليه منذ أقدم غقد جهاز اطلعنا عليها من قبيلة تاجـكّالت، والتي تعود إلى أواسط ذي قعدة 1162هـ/ (أكتوبر 1749م) [وثيقة 18].

2) الترصيع:

تسمح هذه التقنية بإضافة لمسة الزجاج إلى أسطح الحلية التي لا يمكن أن تُثبت فيها هذه المادة بواسطة الخيط أو حتى السلك الفضي، كتزيين الخاتم أو أسطح المشابك ومختلف الصفائح الفضية. ويقوم هذا الأسلوب على مبدأ إنجاز بوتقة دائرية أو مربعة يوضع فيها فص الزجاج تم يمسك بزخارف مسننة. ويكون الزجاج المستعمل في هذه العملية على شكل عجينة صلبة، قد يكون سطحها الخارجي مستويا أو منحوتا.

---

[1] يقوم الصانغ أحيانا بنظم عقيق الزجاج في سلك فضي ليتدلى من أقراط الأذن

[2] مارمول كاربخال ، مصدر سبق ذكره، الجزء الثاني ص, 7

[3] de Chenier M., Recherches, op. cit. p.107.

[4] Jackson , op.cit. p.142

[5] De Foucauld (Ch.), op.cit .p.123-124.

[6] Segonzac Mis de R., 1910, Au cœur, p.103.

ويحمل هذا الفص بالأمازيغية أسماء مختلفة منها : اسم خاص وهو "امجّاج" ويطلق حصرا على الفص الزجاجي الذي يزين الحلي، واسمان عامان وهما (**ءاژّا**) و(**ءاقا**) اللذان يدلان على الفص، وعلى الخرز كيفما كانت مادته[1]. يسمى الحرفيون (لاسجان) أو (دّور) تلك البوتقة التي يوضع فيها الفص، ويسمون (توخسين) تلك المخالب الرفيعة التي تثنى على الزجاج لتثبيته داخل البوتقة. ويعني لفظ (توخسين) معجميا: الأسنان الصغيرة.

3) النيال الزجاجي داخل فجوات السلك:

يعتبر النيال داخل فجوات السلك من أكثر تقنيات الصياغة بالجنوب المغربي تعقيدا، ومن أكثرها غموضا من حيث أصولها وتطورها التاريخي. وعند استخدام الزجاج في هذه التقنية يفقد طبيعته الأولى، إذ يسحق العقيق الملون، ويوضع على سطح الحلية، داخل فجوات مهيأة بواسطة قطع السلك الفضي الرفيع. بعد تعريض الحلية للنار، يذوب مسحوق الزجاج ليتحول إلى سائل ثم إلى طبقة صلبة براقة تعطي لحلي الجنوب المغربي إحدى مميزاته الفنية والحضارية الفريدة[2].

ينفرد العقيق الزجاجي بخصائص تقنية جمالية مميزة، هيأته ليساهم في تحديد أهم خصائص فن الصياغة وإنجاز الحلي بالجنوب المغربي: جماليا، يتميز العقيق بتعدد ألوانه، كالأحمر والأخضر والأسود والأبيض... مما يثري المساحة اللونية لعناصر إنجاز الحلي، ويوسع خيارات المرأة التي تطلق العنان لخيالها من أجل إبداع قلائد وأكاليل بألوان وتركيبات متعددة. وتقنيا، يوفر العقيق الزجاجي إمكانياتٍ مختلفةً لإدماجة في إنجاز الحلي، بواسطة عمليات بسيطة لا تتطلب إلا الخيط والإبرة، أو بتقنيات في غاية التعقيد، تتطلب التحكم في أسرار الصياغة، من قبيل تذويب الزجاج وتحويله إلى طبقة زخرفية لامعة في إطار تقنية "النيال الزجاجي داخل فجوات السلك" التي تعتبر خصائصها التاريخية والفنية من بين أهم أسرار الصياغة المغربية.

[1] **مع بعض الاستثناءات مثل خرز الفضة الذي يسمى (ءودّيز)**
[2] انظر فصل التقنيات

خاتمة

تؤكد الوثائق التاريخية المختلفة من جهة، والارشيفات العائلية المحلية المخطوطة من جهة ثانية، أن المواد التي تنجز منها الحلي بالجنوب المغربي لم تتغير تقريبا منذ القرن السادس عشر. فالحلي كانت تعتمد على الفضة كمعدن أساسي، إلى جانب مواد أخرى كانت تستورد عبر الموانئ الاطلسية، وخاصة المرجان الأحمر، واللوبان الأصفر، وعيدان زهرة القرنفل، والعقيق الزجاجي، وبعض أنواع الأصداف البحرية كالودع. وبقيت هذه المواد تصل إلى قمم الأطلس وأبعد الواحات، في اطار حركية تجارية نشيطة متواصلة إلى بداية القرن العشرين، وذلك رغم كل التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي عرفها الجنوب طوال أربعة قرون.

تؤكد تلك الوثائق العائلية أن هذه المواد كانت تستعمل في الحلي بالجنوب منذ ما لا يقل عن القرن السادس عشر الميلادي. ولكن الاشارات الى أغلب هذه المواد تعود الى العصر الوسيط، فالعقيق الزجاجي كان يصنع في المغرب، بينما كان المرجان يصطاد في السواحل الاطلسية بالقرب من سبتة. وكانت القوافل المغربية تحمل هاتين المادتين المحليتين نحو بلدان افريقيا جنوب الصحراء إلى جانب مواد مستوردة كعيدان القرنفل وأصداف الودع.

نفترض أن أهم خصائص الحلي السوسية المرتبطة بمواد الانجاز، قد تشكلت منذ العصر الوسيط، ان لم تكن أقدم من ذلك. ولكنها ترسخت بشكل "رسمي" منذ القرن السادس عشر. ومنذ ذلك التاريخ، ظلت المرأة وفية لنفس المواد جيلا بعد جيلا، وذلك لعوامل متداخلة، كانت من بينها العوامل الجمالية المرتبطة بمفهوم الأناقة بسوس كما في أغلب المناطق القروية بالمغرب. فكانت الأناقة المحلية تهدف الى أمتاع أغلب الحواس وفي مقدمتها النظر والشم. وكانت الحلي تحقق هذا الهدف بفضل تنوع موادها وتعدد عناصر تركيبها. فالفضة بلونها المعدني هيأت أرضية تشكيلية تم اغناؤها بمواد مختلفة الألوان من اللوبان الأصفر، والمرجان أحمر، والصدف الأبيض، والعقيق الزجاجي ... وكانت ألوان الحلي تندمج مع ألوان الأزياء في لوحة فنية متناسقة تمتع النظر وتبهج العين. وكانت الروائح الطيبة حاضرة من خلال الاعتماد على عيدان القرنفل في نظم القلائد أو من خلال دسِّ هذه العيدان ومواد عطرية أخرى في بعض العلب الفضية والعلّاقات التي تتدلى من الحلي. وتتكامل الروائح الطيبة للحلي مع باقي البخور التي تستعملها المرأة بانتظام، ومع أريج النباتات العطرية التي تكمل بها المرأة زينها، كالحبق و(الغنباز).

كانت الفضة وباقي المواد التي ترافقها تربط المرأة في قبائل سوس بنساء باقي قبائل المغرب. أما مدن الجنوب، ومراكزه المخزنية، وقصبات زعمائه السياسيين فكانت تحتفي بالذهب والأحجار الكريمة، وترسخ علاقتها بالمراكز الحضرية شمال الأطلس الكبير.

الفصل الثالث: أدوات الصياغة

مقدمة

حل الفرنسي لويس شوني بالمغرب سنة 1767، وبقي فيه الى أن غادره سنة 1782، وألف كتابا ضمَّنه مشاهداته في العديد من المناطق التي زارها أثناء أداء مهامه كقنصل لبلاده.

أثارت أدوات اشتغال الحرفي في مجال الصياغة اهتمام هذا القنصل فخصص لها وصفا دقيقا جاء فيه:

"عند المغاربة، يستعين الحرفيون بعدد أقل من الأدوات وبتسهيلات أقل مما هو الحال عندنا [في فرنسا]. فالصائغ [مثلا] يأتي للاشتغال في زاوية إحدى الساحات، ويقيم ورشته في لمح البصر. ويضع في كيسٍ سندانَه، ومطرقته، ومنفاخه، ومبارده، وبوتقاته. أما منفاخه، فهو مصنوع من جلد ماعز [...]ويضغط على الكيس [الجلدي] بحركات متسقة، وبهذه الطريقة يشعل النار ويبقيها متقدة. ونلاحظ نفس البساطة في ورشات باقي أصناف الحرفيين"

كان شونيي يريد أن يقرب للقارء الأوروبي صورة واضحة عن طبيعة أدوات الحرف التقليدية في المغرب، فاستعان بأدوات حرفة الصياغة بشكل خاص، لأنها كانت تلخص في نظره الخصائص العامة لمجال الحرف اليدوية المغربية.

بعد هذه الشهادة بقرنين، وثق بول اوديل في كتابه الصادر سنة 1902، وضعية الأدوات التي كان يشتغل بها الصاغة في مدينة الصويرة خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وافتتح الكاتب وصفه بالحديث عن **"المنفاخ الضخم"**، ثم انتقل إلى جرد باقي الأدوات التي تشكل خليطا بين ما هو تراثي عريق وما هو مستجد حديث. ويتضح من هذا الجرد أن بعض الأدوات الأوروبية الحديثة قد وجدت طريقها إلى ورشات الحرفيين المغاربة منذ ذلك التاريخ[1].

أورد بحث مارتينيز المنجز سنة 1939 معلومات هامة وموسعة عن أدوات الصاغة بمنطقة تودغة بالجنوب الشرقي[2]. وضمت هذه الدراسة وصفا موجزا للأدوات واسمائها بالإضافة الى بعض الرسوم التوضيحية. ولم تحظى أدوات الصائغ بعد ذلك بما تستحقه من عناية، فبينما تجاهلها أغلب الدارسين، اكتفي بعضهم بإشارات عابرة لا تفيد في فهم دور هذه الأدوات في الصياغة بشكل خاص وفي تاريخ المجتمع بشكل عام. وهذا ما وجهنا إلى الحرص على جرد ما علق في ذاكرة بعض الحرفيين المسنين من معطيات حول أدوات الصياغة التقليدية بسوس.

---

[1] **من بين الادوات الحديثة هناك: أداة التلحيم (chalumeau)، وقنديل البنزين (lampe à essence) ...انظر :**
Eudel P., L'Orfèvrerie algérienne et tunisienne, Alger, 1902, Adolph Jourdin Imprimeur-Editeur= Eudel P., L'Orfèvrerie.

[2] **M., Martinez, Les Bijoux du Toudgha et des ait Atta, rapport dactylographié, 1939.**

أولا : أدوات النار (ايماسّن ن تاكات):

1) <u>الموقد</u>:

يستعين الصائغ بالموقد في البداية لتذويب الفضة قبل إفراغها في المسبك أو القالب، ثم يحتاجه بعد ذلك في كل مراحل إنجاز الحلية وزخرفتها، كتذويب (اللحام) و(النيال الرصاصي) أو (النيال الزجاجي) داخل فجوات السلك، أو لتسخين الفضة من أجل زيادة قابليتها لعمليات (الطرق) و(التطويع) و(التقطيع) أو (الجر)، للحصول على السلك.

وحصرنا لـ(الموقد) ثلاثة أسماء في مجالات جغرافية متداخلة وهي:

- (**تِيغَنْغَرْتْ**): وينتشر هذا المصطلح في سهل سوس، وبعض قبائل جبال الأطلس الصغير.

-(ءا**غَادْ**) بالدال أو **(أءاغَاضْ) بالضاد:** الذي يدل أيضا على فرن طبخ الأواني الطينية[1]، وعلى النار الموقدة في المسجد أو المدرسة العتيقة، التي يقرأ الطلبة ألواحهم ليلا على الضوء المنبعث منها[2].

- (**تاكات**)، ويستعمل هذا اللفظ أيضا للدلالة على الكانون العادي الذي تشعل فيه النار في المنزل.

ولم يكن للموقد شكل محدد، فكل صائغ يمكنه أن يهيئ بنية مناسبة من الحجارة والطين مع تخصيص ثقب لتمرير أنبوب الكير[3]. ويمكن للحرفي أن يبني فرنه أينما حل وارتحل، سواء في ورشته قرب مسكنه، أو في ساحة قرية في حال تنقله بين المداشر، أو بمدخل منزل أحد الزبناء.

<u>الجمر</u>

يتوقف نجاح عمليات تذويب وتسخين الفضة على نوعية الجمر المستعمل في الموقد، وتتداخل عوامل مختلفة في اختيار هذه المادة، بعضها مرتبط بالغطاء النباتي المحلي، ونوعية الأشجار المتوفرة، والبعض الآخر مرتبطة بالخصائص المميزة لكل نوع من أنواع الجمر. ومن أجل تدبير ناجع للوقت، والاقتصاد في الجهد، يتوجه الحرفي إلى الأحراش القريبة والغابات المحيطة بقريته، لأنه كلما زادت المسافة التي يقطعها بحثا عن مصدر الطاقة، إلا وتضاعف الجهد، وزادت تكلفة الإنتاج، غير أن الأشجار

---

[1] عاينا سنة 2006 طيانا بقرية (تيغانيمين) في قبيلة (السيحل)، بإقليم (تيزنيت)، وأخبرنا أن الفرن الذي ينضج اواني الفخار يسمى (ءاغاد).

[2] المختار السوسي، المعسول، الجزء 1، ص, 40000.

[3] كان الموقد التقليدي للصائغ في (الاوراس) يُقام ببعض الآجورات أو من الطين مباشرة فوق الأرض وسط الورشة، وكان الصائغ يقوم بالتذويب جالسا، ؛ وفي (القبائِل) بالجزائر، كان الموقد عبارة عن إناء يملأ بخليط من الطين والماء الذي يتصلب بعد أن يجف، ووسط الطين هناك ثقب يربط بين الموقد وأنبوب المنفاخ. انظر :

- Benfoughal Tatiana, . op . cit.p.209-208

- Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.23

لا تتساوى كلها من حيث جودة الجمر المستخرج منها، وفي ملاءمتها لحاجيات الصائغ وإكراهات حرفته، لذا يعمل على اختيار بعض النباتات التي تستجيب للمعايير التالية:

أ-القدرة على توليد الحرارة المرتفعة[1]، حتى تتم عملية تذويب الفضة بأقل قدر ممكن من الجمر.

ب- إنتاج أقل قدر ممكن من الرماد[2]، فإذا كان الجمر من النوع الذي يتحول أغلبه إلى طاقة، فإن الصائغ لن يتراكم لديه الرماد بكميات كبيرة، وسَتَقِلُّ لديه وتيرة عمليات تنظيف الموقد.

ت- إمكانية التحكم في توهج أو انطفاء الفحم تبعا لإيقاع العمليات التقنية وتطور مراحل إنجاز الحلية. إذ يخصص الصائغ وقتا طويلا لعمليات القطع والطرق والجر والتطويع، وبين الفينة والأخرى فقط يحتاج إلى تسخين الفضة قبل مواصلة الاشتغال؛ لذا يمسك الحلية بالملقط (**عِيغُمْدَانْ**)، ويضعها في الموقد، بينما يشغل المنفاخ باليد الأخرى لتأجيج النار؛ فإذا كان الفحم من النوع الذي يبقى متوهجا، حتى بعد توقف النفخ، فإنه سيخبو بسرعة ويتحول إلى رماد قبل أن يُنْهِيَ الحرفي عملياته، أما الفحم الذي تنخفض درجة اشتعاله بمجرد توقف النفخ، فإنه يخبو ببطء، ويترك للصائغ الوقت الكافي للاشتغال على الحلية، وعندما يحتاج إلى تسخين الفضة من جديد ما عليه إلا أن ينفخ فيتوهج الجمر مرة أخرى.

يختار الصائغ أنسب أنواع النباتات في الغطاء النباتي المتوفر من أجل تحويلها إلى الفحم، وكانت أهم الأصناف المستعملة هي: الطلح: (**تـادُّوتْ**)، العرعار:(**ءاژوكَا**)، الهرجان:(**أَرْكَانْ**)، (**تِيقِي**)، (**ءاغُوزِّيرْ**)،...

2) المنفاخ

يُستعمل المنفاخ لتأجيج الجمر كي ترتفع حرارته، ويؤدي إلى تذويب المعدن الموضوع في البوتقة أو إلى تسخين قطع وصفائح الفضة قبل الشروع في طرقها. وتتعدد الأسماء التي تطلق على **المنفاخ** في مختلف مراكز (**الحدادة**) و(**الصياغة**) بسوس، نذكر منها:

- (**عِيلْمْ**)، ومعناه الحرفي: الجلد، لأن المنفاخ يصنع غالبا من جلد الماعز.

- (**تَاوُّلْكْتْ**)، وهذا الاسم تصغير للفظ (**ءاوُّلْك**) الذي يطلق على وعاء جلدي مدبوغ يستعمل لنقل الزاد في السفر، وحفظ الملابس ومختلف الأغراض في الظعن. وتتجلى العلاقة بين المنفاخ ووعاء الجلد في اشتراكهما في الشكل وفي المادة الأولية.

- (**لْكِيرْ نْ ءُوفُوسْ**): أي الكير اليدوي، لأن الصائغ يُشغِّل هذا المنفاخ بيده للنفخ على الجمر، وبذلك يختلف عن (**الكِيرْ نْ أُوضَارْ**)، أي كير الرِّجْل، الذي يكون أكبر حجما ويستعمله (**الحَدَّادُون**) أثناء تذويب حجر الحديد، والذي يتم تشغيله بواسطة الرِّجْلين، لأنه يتطلب جهدا عضليا كبيرا.

---

[1] - **Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit. p.23**

[2] ***ibid***

-(**ءارّابُوزْ / الرَّابُوسْ**) في صيغة المذكر، وتأنيثه وتصغيره (**تارّابُوسْتْ**)، ويطلق في الأصل على المنفاخ الذي يستعمل في المطبخ، وهذا اللفظ مشتق من جذر (ءيربز) بمعنى الضغط بكلتا اليدين[1].

ورغم تعدد الأسماء، فالصاغة يستخدمون، في كل مراكز سوس، نفس النوع من المنفاخ البسيط في تصميمه وطريقة اشتغاله[2]؛ ويتكون غالبا من جزيئين أساسيين، وهما: كيس جلدي مدبوغ يُمْلأُ بالهواء، وأنبوب معدني طويل يوجه الهواء نحو النار دون تعريض الكيس الجلدي لخطر الاحتراق. وقد يركب أنبوب أقصر من الطين في طرف الأنبوب المعدني لحمايته، لأن الطين يقاوم حرارة الموقد أكثر من المعادن.

يمسك الحرفي القطعة التي يريد تذويبها أو تسخينها بواسطة الملقط ويضعها في الموقد، ويتحكم فيها بيده اليمنى، بينما يُشَغِّلُ المنفاخ باليد اليسرى، ويوجّه الريح الناتج عن النفخ نحو الجمر مع الحرص على أن لا يصل إلى الفضة بشكل مباشر. وكان هذا النوع من المنافخ بسيطا، ولكنه عملي بالنسبة للصائغ الذي يشغله باليد اليسرى، مما يوفر له حرية استعمال اليد اليمنى من أجل ترتيب الموقد وإعداد ووضع اللحام[3] ... وبما أن هذه الأداة خفيفة ويمكن طيها، فإنها تشغل حيزا ضيقا، مما يسمح للصائغ بأن يحملها معه في تنقلاته، كما أن طريقة تثبيتها قبل استعمالها في النفخ لا تتطلب جهدا كبيرا، ولا استعدادات خاصة، ما دامت توضع مباشرة على الأرض.

وكان المنفاخ التراثي من أول الأدوات التي تخلى عنها الصائغ التقليدي انطلاقا من الأربعينات من القرن الماضي بعد دخول آلة مصنعة تشتغل بالتدوير، ولها مقبض يديره الصائغ بحركة مستمرة للحصول على نفث الهواء بقوة.

ثانيا : أدوات التذويب والتفريغ:

1) البوتقة:

تعرف البوتقة بين الصاغة في الجنوب المغربي بثلاثة أسماء،[4] وهي:(**ءالْبوض**) و(**تَازْوَايْتْ**)، و(**تاكْدُورْتْ**):

---

[1] **شفيق، الدارجة، ص.106.**

[2] **اعطى (فان كينيب) وصفا دقيقا لمنفاخ اليد في الجزائر الذي كان " مكونا من جلد ماعز أو حمل مدبوغ مخيط على شكل كيس مستطيل، و طرفا الفتحتين مزودان بقطعتين من الخشب المرتبطتين بشرائط من الجلد التي تمر عبرها أصابع الإبهام من جهة، والسبابة والأوسط واحيانا البنصر أيضا من جهة ثانية" وتضيف كامبس فابرير التي أوردت هذا الوصف، أن المنفاخ يوضع على الأرض، ويفتح الطرف حتى يدخل الهواء ثم يغلق ويضغط، فينفلت الهواء من الأسفل عبر فتحة فيها جعبة بندقية أو اي أنبوب آخر يكون متصلا بالجمر المشتعل في الموقد. انظر: Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.23**

[3] ***ibid***

[4] **تسمى البوتقة (تاقبوشت) في منطقة (القبايل) بالجزائر . أنظر :Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p . 27**

- (**ءاَلْبُوضْ**)، وجمعه (**ءِيلْبوضن**)، وينطق كذلك بصيغة (**لبُوض**). وهو أكثر أسماء البوتقة انتشارا في المعجم الِحرَفي الأمازيغي والعربي على السواء في أغلب مناطق المغرب[1]. وورد هذا الاسم في مثل أمازيغي شائع،: (**ءيسْوَاكْ ءُولْبوضْ**) أو (**ءيسْواكْ لْبوضْ**) ومعناه: "شربتك البوتقة"، وتقال للشخص الذي تعرض لخسارة أو لمكيدة ما، تشبيها له بالذي أعطى مقدارا محددا من فضة للصائغ قصد تذويبها وتحويلها إلى حلية، غير أن الصائغ المخادع يُحدث ثقبا صغيرا في قاع البوتقة يتسرب منه بعض المعدن المذاب ويبقى تحت الرماد أسفل الفرن، فيتوهم الزبون الحاضر أن نقص كمية الفضة ناتج عن "تبخر" جزء من المعدن بسبب النار.

- (**تَازْوَايْتْ**): يستعمل هذا الاسم في الأطلس الصغير الغربي وخاصة في نواحي جبال (إيلاَلْنْ)، ويدل معجميا على الإناء الصغير الذي تقدم فيها أطعمة سائلة كالحساء أو بعض الدهون التي تغمس فيها قطع الخبز كالسمن والعسل والزيوت. و يدل لفظ (**تازْوَايْتْ**) في مجال الصياغة، على البوتقة المستعملة للتذويب، وتكون مزودة بمقبض صغير للتحكم فيها.[2]

- (**تَاكْدُورْتْ**) وهذا الاسم تأنيث للفظ (**ءاكْدُور**) الذي يعني إناء نقل الماء من العين أو البئر، وينتشر في بعض واحات جبل باني[3].

والبوتقة عبارة عن إناء صغير الحجم له شكل مخروطي، بحيث إن قاعدته أضيق من فتحته؛ ويتطلب إنجازُها نوعا خاصا من التربة التي يضطر الصائغ للبحث عنها في أماكنها التي قد تكون أحيانا بعيدة عن مقر إقامته بعدة كيلومترات. ويتم في أغلب المناطق استعمال طين أحمر اللون يسمى (إيدْقِّي)، أو تربة صلصالية تسمى (**ءيسيمس**). وتصنع البوتقة بنفس الطريقة المتبعة في إنجاز الأواني الطينية في مجال صناعة الفخار؛ إذ يدق الصائغ التربة بواسطة عمود خشبي لتتحول إلى مسحوق، ويغربلها ليُخَلِّصها من الشوائب، ويضيف إليها مواد متنوعة باختلاف القبائل، نذكر من بينها:

- الرماد أو الفحم المسحوق أو غبرة الحديد، كي تكون البوتقة متينة وتتحمل ارتفاع درجة حرارة الموقد أثناء عملية التذويب.

- شَعَرُ الماعِز[4] الذي يلعب دور "الشبكة" لضمان تماسك البوتقة كي لا تتشقق اثناء تجفيفها.

---

[1] **ورد في المعجم العربي الامازيغي لمحمد شفيق أن البوتقة تسمى(تالبوطّ)، وجمعها"تالبوضين" واللفظ تصغير لكلمة "ألبوض" التي معناها البرميل والتي هي دخيلة في الغالب [شفيق، المعجم، الجزء: 1، ص, 183.**

[2] **معلومات من المعلم (بلعدّا) التقيته في (أيت باها) بتاريخ 1998**

[3] **معلومة من السيد احمد الفضي طاطا 2019**

[4] **يستعمل الشعر في صناعة البوتقة في (القبايل) بالجزائر . أنظر: أنظر :Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p . 27**

تُترك البوتقة لتجف في الظل أو تحت أشعة الشمس، وذلك تبعا لأحوال الطقس، وقد يضعها الصائغ بعد ذلك بالقرب من الموقد لتجف بشكل نهائي[1]، وقد يدخلها أحيانا إلى الفرن المعد لطبخ الخبز لتتقوى متانتها بواسطة الحرارة. وينجز الحرفي عددا كافيا من البوتقات ويحتفظ بها في ورشته لتشكل ذخيرة جاهزة؛ وتختلف مدة صلاحية البوتقة تبعا لجودة التربة، ولنوعية المكونات المضافة إليها ولطريقة إنجازها؛ فمنها ما يستعمل مرة واحدة، ومنها ما يستخدم ثلاث أربع مرات إذا تميزت مكوناتها بالمتانة والمقاومة.

2) أدوات التفريغ:

بعد تذويب الفضة، يمكن لصائغ أن يفرغها في ثلاث أدوات مختلفة وهي:

- (**ءاسـڭـضم**) أي: المسبك، ويستخدم للحصول على السبائك الفضية التي ستتحول بواسطة الطرق والتقطيع إلى صفائح يتم تجميعها لإنجاز الحلي.

- (**تَّرْزِيقْ**) وهو قالب معد لإعادة إنجاز نسخ من نماذج من الحلي بتقنية الفريغ.

- (**تَالُوسِي**) وهي صدفة الحبار التي يستعين بها الحرفي لإعادة إنجاز نماذج حلي صغيرة الحجم، وخاصة الخواتم بتقنية الفريغ.

أ – (ءاسـڭـضم) /<u>المسبك</u>:

يعرف المسبك في أغلب مراكز الجنوب باسم (**رّاط**)، وقد ينطق بحرف الضاد في بعض المناطق، ويقال (**رّاض**)[2]. أما الاسم الأمازيغي لهذه الأداة فهو (**أسـڭـضم**) وجمعه (**ءيسـڭـضام**)[3]، وله علاقة اشتقاقية بلفظ (**ءاڭـطّوم**) الذي يدل في أمازيغية سوس على السبيكة المعدنية، وجمعه (**ءيـڭـطمان**)، ويدمج هذا اللفظ في تعبير شفوي شائع وهو: (ءاڭـطُّومْ **وُّورْغْ**)، أي: سبيكة الذهب، ويقال هذا التعبير كناية عن قطيع من الأغنام أو الأبقار[4] الذي يمثل ثروة حقيقية لصاحبه.

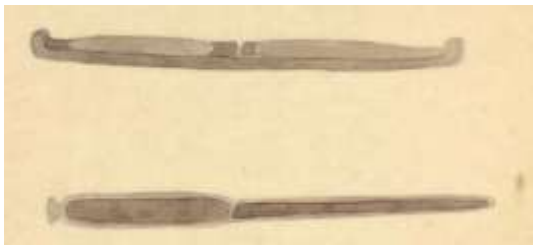

يتكون المسبك من كتلة مصنوعة من الطين في وسطها أُخدود يفرغ فيه المعدن المذاب. يبلغ طوله حوالي 60 سنتمترا، وعرضه 9 سنتمترا وارتفاعه 4 سنتمترا. وحين تكون كمية فضة المستعملة قليلة، يضع الصائغ بعض التراب في الأخدود لتحديد المجال الكافي لكمية المعدن المذاب.

---

[1] **Rabaté J. et M.-R., Bijoux. op.cit. p. 134.**

[2] **, يسمى المسبك (رّاط) لدى حرفيي الاطلس المتوسط [Goudard J., Bijoux, p.291]، وفي القبايل بالجزائر تسمى هذا الأداة (لقالب ن تسبيكت). أنظر : Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit..p.27**

[3] **شفيق، المعجم، الجزء: 1، ص.494.**

[4] **Destaing, op. cit. p. 171**

اختفت الأشكال التقليدية للمسبك، وأصبحت النماذج الحالية مصنوعة من الحديد؛ كما تطورت من حيث الشكل لتلائم إنجاز السلك الفضي من خلال توفرها على أُخدودين ضيقين. وتستخدم هذه الأداة للإنجاز السبائك التي تطرق لتتحول إلى صفيحة رفيعة السمك، تقطع بواسطة المقص إلى صفائح أصغر حجما، ثم تُجمع هذه الصفيحات باللحام أو بالمسامير للحصول على الحلي. وبعض السبائك تطرق وتجر للحصول على السلك الفضي الذي يدخل في صناعة مكونات وزخارف مختلفة.

ب – (تّرزيق):

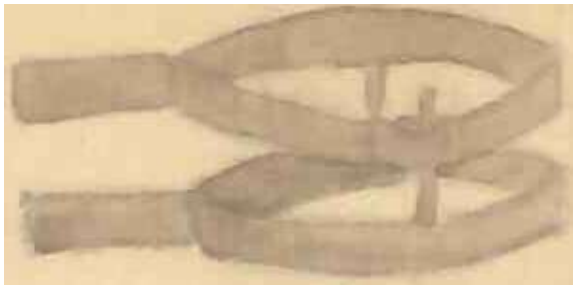

تعرف هذه الأداة في كل مراكز الجنوب المغربي باسم: (**تْرْزِيقْ**)، وينتشر نفس هذا الاسم في باقي المراكز بالمغرب، بما في ذلك الجنوب الشرقي[1].

يتكون (**تّرزيق**) من إطارين حديديين متطابقين يطلق عليهما اسم (**ءيڭـانزيون**)، وهذا اللفظ في صيغة الجمع المذكر، ومفرده (**ءاڭـنزا**)[2]. وفي طرف كل إطار، هناك ثلمة على شكل نصف دائرة صغيرة. وعند وضع الإطارين أحدهما فوق الآخر، يلتقي نصفا الدائرة لتشكيل فتحة جانبية تسمح بإفراغ الفضة وسط التجويف المشكل داخل الأداة.

يستخدم (**تّرزيق**) لإنجاز الحلي بتقنية الفريغ، إذ يملأ بنوع خاص من التربة المعدة لاستقبال النموذج الذي يرغب الصائغ في صناعته. وبعد كل استعمال، يفرغ الحرفي الأداة من التربة القديمة ويضع فيها تربة جديدة لتبدأ عملية الإنجاز بكل مراحلها من جديد[3].

ت – (تالوسي):

تسمى هذه الأداة (**تاَلُوسِي**) بالأمازيغية، ويسميها بعض الحرفيين اليهود والمسلمين الناطقين بالعربية الدارجة بمدينة تارودانت (**زبود البحر**). وهي في الأصل مجرد صدفة الحبار المسمى محليا (**ءامرمض**)[4]. ويجمع الصيادون الحبّار على طول شواطئ سوس لاستخدامه كطعم لصيد الأسماك. أما الصدفة الرخوة الداخلية التي توجد وسط جسم الحيوان، والتي تسمى(تالوسي)، فتباع للصاغة الذين يستعملونها كقالب لإنجاز الخواتم[5]. ويقوم الحرفي بقطع (**تالوسي**) أفقيا من الوسط، ويفتحها ويضع فيها نماذج الخواتم التي يريد صناعة نسخ منها، ثم يغلقها ويضغط عليها برفق لتترك أثرها في الطبقة اللينة

---

[1] **Martinez M., Les Bijoux du Toudgha, op.cit.,p.8**

[2] **يطلق نفس المصطلح في صيغة المؤنث على الإطار الخشبي الدائري للآلة الإيقاعية، ويقال: (تاكنزا ن تالّونت) أي (إطار البندير).**

[3] **انظر تفاصيل عملية التفريغ في فصل التقنيات**

[4] **Destaing, op.cit. p. 258**

[5] **Laoust, « Pêcheurs ». op.cit. p.24**

الداخلية للصدفة. ثم يفتح (تالوسي) لإزالة الحلي الصغيرة التي خلفت مكانها تجاويف ستفرغ فيها الفضة المذابة للحصول على خواتم جديدة.

ثالثا : أدوات الطرق

1) المطرقة:

تنقسم المطارق تبعا لحجمها إلى ثلاث فئات وهي : (**ءِيـكّيلْمْ**)، و(**تَامَالْيُوتْ**)، و(**تاسْمّرْتْ**)[1].

- (**ءيـكّيلم**): وهي مطرقة ضخمة يستعملها الحداد غالبا، كما تصلح لتكسير الصخور. ويتطلب التحكم فيها استخدام اليديين معا، ومجهودا عضليا كبيرا.

-(**تامالـيوت**): مطرقة متوسطة الحجم؛ يشترك في استخدامها الصائغ مع ممارسي أنشطة حرفية مختلفة كالنجارة والحدادة، وتستعمل لطرق قطع صغيرة...

- (**تاسمّرت**): مطرقة صغيرة الحجم تستخدم لطرق المسامير.

وردت أسماء نوعين من المطارق في مثل أمازيغي: (**إكّـيلم، ءِيغْ ءِيبْضَا، ءِيكْ تِيمُولْيا؛ غُورَا سُولْ رْزَّانْ ءَازْرُو**). ومعناه: (المطرقة الضخمة، إذا قُطِّعت، وصنعت منها مطارق أصغر؛ لا تبقى لها قوة لكسر الصخر)، ويضرب هذا المثل في أن القوة في الاتحاد والجماعة، والضعف في التشرذم والتفرق والتمزق[2].

ينتشر اسم (**تَامَالْيُوتْ**) خاصة بالجنوب الغربي، أما في اتجاه الجنوب الشرقي فتسمى المطرقة: (**افّيز**)[3]، وتعرف في الأطلس المتوسط باسم (ءافضيس)[4]، وهو نفس المصطلح الشائع في (القبايل) بالجزائر، ولكنه ينطق في صيغة المؤنث (**تَافْضِيسْتْ**)[5]. ورغم اختلاف أشكالها ووظائفها وأحجامها، فإن التصميم العام للمطرقة لا يتغير، إذ يتكون من كتلة حديدية ومن مقبض خشبي، وتسمح هذه الأداة بإنجاز ضربات عمودية لتسطيح مكونات الحلي[6]، ولتغيير شكلها، أو لإصلاح عيوبها أو لإدماج مختلف مكوناتها. وتختلف أشكال وأحجام المطارق التي يستعملها الصائغ تبعا لوظائفها المحددة، ونذكر منها:

- النوع العادي الذي يستعمل لطرق السبيكة الفضية وتحويلها إلى صفيحة رقيقة.
- نوع صغير لضرب المخلب الذي يحيط بالفص الزجاجي.
- نوع ذو رأس دائري لطرق الصفائح المسطحة وتحويلها إلى أنصاف كريات مقعرة.

---

[1] **Destaing , op.cit. p.181**

[2] **أيت بومهاوت الوسخيني السملالي امحمد، 2015 اطلالة تمنح الاجيال تاريخ قبيلة إداوسملال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص. 118.**

[3] **Martinez M., Les Bijoux du Toudgha, op.cit.p.8**

[4] **Oussikoum, op.cit. p. 182.**

[5] **Eudel, Orfèvrerie. op.cit.p. 390**

[6] **Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.29**

- نوع معد لإعطاء ضربات للأداة التي تنجز بها زخارف النقر.

- نوع مصنوع كليا من الخشب ويستعمل أساسا لتثبيت السلك الفضي الرفيع فوق الصفيحة، ومن مميزات هذه الأداة أنها لا تترك أثر الطرق فوق الفضة.

2) السندان (تاوّونت):

يستعمل الصاغة نوعان من السندان، احدهما محلي قديم ويسمى (تاوّونت)، والآخر حديث نسبيا ويسمى (لبقرنيد)

أ- (تَاوُّونْتْ):

يسمى هذا النوع من السندان (تاوّونْتْ) وجمعه (تِيوُّونَا)، و ينطق كذلك بصيغة : (**تَاكُـونْتِ**)، ويعني معجميا الصخرة. وينتشر نفس المصطلح في باقي مناطق التداول الأمازيغي كالجنوب الشرقي حيث ينطق (**تَاكُّونْتْ**)[1]، وعند (القبايل) بالجزائر، وينطق هناك بالواو (**تَاوُّونْتْ**)[2].

يمثل هذا النوعُ الشكلَ التقليدي المحلي للسندان، ويتكون من كتلة حديدية ذات شكل مكعب أو هرم مربع مقلوب، قاعدته مسطحة موجهة نحو الأعلى، تُطْرق فوقها أغلب مكونات الحلية الفضية. ويكون السندان مغروزا في كتلة خشبية أو مثبتا في الصخرة العلوية للرحى المنزلية، وذلك لضمان ثباته أثناء استعماله لطرق الفضة.

ب- **(لبقرنيد)**:

هذا الصنف من السندان حديث نسبيا، ويسمى في الجنوب (لبقرنيد)، وينطق كذلك بصيغة (**القرنية**) عند بعض الحرفيين المشتغلين في المنطقة. أما خارج سوس، فيسمى (**لمقرنييت**) في الجنوب الشرقي[3]، و(**تابلـڤرينت**) في القبايل بالجزائر. وكل هذه المصطلحات مقتبسة من اللفظ العربي (**أبو القرنين**) و معناه: السندان الذي له قرنان[4].

تحمل الأداة اسم (**لبقرنيد**) لأنها مصممة على شكل قرني رأس الحيوان، فجزئها العلوي مقسم إلى طرفين متقابلين: أحدهما مسطح الأوجه ويستعمل لطرق القطع الفضية المستوية، والآخر دائري يستعمل لطرق الخواتم والأساور وكل القطع المستديرة الشكل.

رابعا : الملقط (ءِيغُمْدَانْ):

(**ءيغمدان**) لفظ في صيغة الجمع المذكر، ويطلق اسما عاما على

[1] **Martinez M., Les Bijoux du Toudgha, op.cit .p.11**
[2] **Eudel, Orfèvrerie, op.cit. p. 390**
[3] **Martinez M, Les Bijoux du Toudgha, op. cit .p.14**
[4] **Eudel, Orfèvrerie, op.cit. p. 390**

الملقط، وهو من الأدوات المشتركة بين الصائغ والحداد،[1] ويسمى في بعض المراكز بالأطلس الصغير الغربي (**ءيغنازن**).

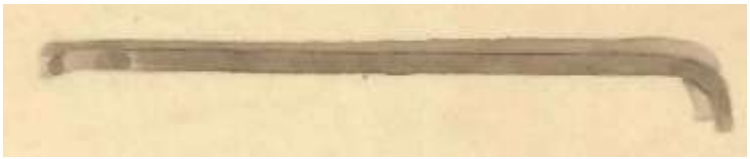

وتقول حكمة أمازيغية صيغت في قالب شعري:

كَـــــــــــارْ ءَامْزِيلْ، ءِيغُمْدَانْ كَا سَا تْنْ تَّافَاغْ

ءَادْ ءُوكَانْ بَرّمْغْ ءُوزَّالْ، سَا يْكَّاتْ ءَاكَالْ[2]

ومعناه:

بالملقط أكتشف الحداد السيء،

فعندما أقلب الحديد، يضرب الأرض.

يستلهم هذا الشعر صورة شخصين يشتغلان في (**ءاَنُوضْ**): ورش الحداد؛ أحدهما يمسك قطعة معدنية ساخنة بالمقلط ويقلبها فوق السندان، ويقوم الثاني بطرقها كي تأخذ الشكل المناسب؛ ويجب على الحداد الماهر الذي يقوم بالطرق أن يساير حركة ماسك الحديدة المتقلبة على جوانبها وهي تتعرض لضربات المطرقة على السندان، في توافق بين حركة تقليب الحديدة وضربات المطرقة؛ أما إذا كان الحداد يفتقد المهارة اللازمة، ولا يستطع التوفيق بين تتابع الطرق وحركة تقليب القطعة فوق السندان، فقد يخطئ ويضرب الأرض عوض طرق قطعة الحديد.

والمعنى المقصود في المثَلِ هو أن في المواقف الصعبة يَكْتَشِفُ الاختبار جدارة المرء، وتتأكد للناس كفاءتُه من عدمها.

ويستعين الصائغ بالملقط لعدة غايات، نذكر منها[3]:

- تجنب خطر الاقتراب من نار الموقد، والبقاء على مسافة آمنة من الجمر المتوهج.
- تجنب استعمال اليد مباشرة لمسك الصفائح الساخنة أو البوتقة أثناء تذويب وإفراغ الفضة.
- التحكم الجيد أثناء القيام بعمليات تتطلب مجهودا بَدَنيا مرهقا، خاصة أثناء جَرِّ السلك الفضي.
- القدرة على انتشال قطع صغيرة جدا، قد لا يمكن للحرفي أن يلتقطها بأصابعه، كحبوب الفضة وقطع السلك الرفيعة .

لتحقيق تلك الغايات، يستعين الصائغ بأنواع من الملاقط المختلفة الأسماء والأشكال، من بينها:

- ملقط ذو ساقين طويلين؛ ينتهي كل ساق منهما بطرف مثني نحو الأسفل. ويصلح لمسك البوتقة، قصد جعلها تتوسط الموقد، ولتحريك الجمر المشتعل حولها. ويسمى هذا النوع: (**ءيغمدان ن ترڭين**)،

---

[1] **يعرف الملقط باسم (ايغومدان) في القبائل بالجزائر . أنظر :**

Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.23

[2] **احمد الفضي من (إيمي أوكادير) بواحات باني.**

[3] **لمزيد من التوسع انظر :Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.23**

ومعناه: ملقط الجمر، أو (**ءيغنازن**) في بعض مراكز الأطلس الصغير الغربي. ويطلق عليه بعض الصاغة في مدينة تارودانت اسم (**الميشق**)، ونفس الاسم منتشر في الجنوب الشرقي حيث ينطق بحرف الكاف: "**الميشك**[1]،

- ملقط كبير الحجم وثقيل الوزن، يستعين به الصائغ للتحكم في السلك أثناء عملية الجر. ويربط الحرفي مقبضي الملقطِ بحبل ملفوف حول جدعه، فيضغط بيديه بقوة على السلك الفضي، بينما يجر السلك بواسطة الحبل المربوط حول جدعه. يسمى هذا النوع (**ءِيغُمْدَانْ نْ ءُوسْغْنْ**) ومعناه، "**ملقط الحبل**" بسبب الحبل المرتبط به[2]، كما يطلق عليه اسم "**المحابس**" في بعض قبائل سوس، وفي الأطلس المتوسط[3]، وباقي المناطق المغربية. ويرى أُوديل أَن هذه الكلمة مشتقة من فعل: حبس،[4]، لان الأداة تتحكم في الأشياء الممسكة كي لا تنفلت[5].

- ملقط صغير لِثَني السلك الفضي وإعداد الحلقات التي تدخل في تركيب السلسلة، ويعرف بـ"**تاسكنونت**"، وهذا الاسم مشتق من فعل "**سّكنو**"، أي: إثني. ومن بين أسمائه بالعربية الدارجة: "**الجرادي**"[6]، وينطق هذا الاسم أحيانا بصيغة: (زرداية) [7]

- ملقط صغير لالتقاط قطع السلك الرفيعة والصفائح الفضية المتناهية الصغر، ومن أهم اسماء هذا النوع: "**تيغمدين**" و"**تيسوكاس**". وتجدر الإشارة إلى أن هذين اللفظين يطلقان أيضا على أداة ينزع بها الشخص الأشواك من جلده.

خامسا : أداة جر السلك

تُعرف أداة جر السلك في الجنوب المغربي بأسماء مختلفة، من بينها:

- (**تَالُّونْتْ**)، وتعني معجميا: (الغربال)[8]، وسميت أداة الجر بهذا الاسم لأنها تتوفر على (**تِيوَالِّينْ**)، أي: العيون الصغيرة، وذلك لأن بها عددا كبيرا من الثقب التي تسمى الواحدة منها "**طيط**"، وجمعها (**تيوالّين**). ولتمييز أداة الجر عن الغربال العادي، يقال "**تَالُّونْتْ ن سّلْك**"، ومعناه: (غربال السلك).

---

[1] **في القبايل بالجزائر يدل لفظ (المشك) أو (المشق) على أداة تستعمل على ما يبدو لتقطيع الفضة وقد تكون عبارة عن ملقط صغير (lemchek) . انظر :**

Martinez M, Les Bijoux du Toudgha.,op.cit.p.8
Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.29

[2] **يسميه بعض الصاغة الناطقين بالعربية "لقاض ديال جبيد السلك"**

[3] **Goudard J. op.cit.p.291**.

[4] Eudel, **Orfèvrerie,** op.cit. p. 390

[5] **يسمى هذا الملقط في القبايل بالجزائر:(لمحبس أُوفوس)/ أما حزام الجلد الذي يربط بالملقط ويحيط حول خاصرة الصائغ فيسمى: (اغوڭاد لجبيد). Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.29**

[6] **Martinez M, Les Bijoux du Toudgha, op.cit.p.14**

[7] **Eudel, Dictionnaire. op.cit. p. 390**

[8] **يطلق اسم (تالّونت) أيضا على الآلة الموسيقية الايقاعية المسماة : البندير**

- (**لحديت**)، هذا الاسم هو نطق محلي للفظ العربي الحديدة، ويشير إلى المعدن الذي صنعت منه الأداة. ويقال في تعبير شائع (**رَاكْ ضِيغْ سغْ طِيطْ ن لْحْدِيتْ**)[1]، ومعناه الحرفي: سأخرجك من عين أداة جر السلك. ويقوله الشخص لمخاطبه لإظهار العزيمة القوية والقدرة على التحدي.

- (**المجرة**)، كان هذا الاسم مستعملا من طرف الصاغة اليهود في مدينة تارودانت. واشتق الاسم من وظيفة الأداة، باعتبارها تسمح بتحويل قضبان فضية إلى سلك بواسطة عملية التمديد بالجر. وينتشر هذا الاسم في باقي مناطق المغرب، وفي الجزائر[2].

يعكس كل اسم من هذه الأسماء جانبا من جوانب الأداة التي تساعد الصائغ على إنجاز السلك الفضي؛ فلفظ (**تالّونت**) يحيل على شكل الأداة التي تشبه الغربال، ولفظ (**لحديت**) يبرز المادة التي صنعت منها الأداة، وهي الحديد، أما لفظ (**المجرة**) فيبين الوظيفة. ونشير في الختام إلى اسم رابع وهو (**طْرَّاشْ**) الذي وقفنا عليه في قرية (**أكادير لهنا**) بضواحي مدينة طاطا[3]، وهو استعمال نادر، يكاد ينحصر انتشاره في بعض مناطق جبل باني.

يصنع الحداد أداة جر السلك على شكل قطعة معدنية مستطيلة، وتتخللها مجموعة من الفتحات المعدة لمرور السلك أثناء جره، ويتناقص قطر هذه الفتحات تدريجيا ليتمكن الصائغ من تمرير السلك عبرها بالتتابع من الفتحة الأكبر إلى الأصغر حتى الوصول إلى السُّمْك المطلوب.

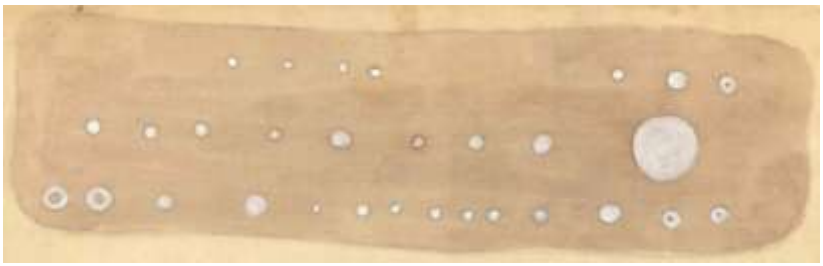

سادسا: المبرد:

يستعين الصائغ بالمبرد لجعل أسطح الحلي مستوية ولامعة، بعد أن يزيل منها كل النتوءات والعيوب الناتجة عن مختلف عمليات الإنجاز؛ وتعرف هذه الأداة في الجنوب المغربي باسم عام هو: (**تَالِيمَا**)[4] وجمعه (**تِيلاَمِوِينْ**)[5]. ينتشر هذا الاسم خارج سوس، في الأطلس المتوسط[6]، أما صاغة الجنوب الشرقي فيسمون هذه الأداة (أَسِيمْسْدْ)[7].

ويَرِدُ الْمِبْرد في بعض التعابير الأمازيغية، من بينها:

---

1 معلومات شفوية من المعلم (بلعدا) الذي التقيته في ايت باها سنة 1998

2 Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.23

3 السيد بوكرين (اكادير لهنا) بالقرب من طاطا بتاريخ يناير 2019

5 Destaing , op.cit.p. 171

6 Oussikoum B., op.cit.811.

7 Ramirezef. et Rolot Ch.,op.cit.p.16

(مَادْ تَّاوِي تْلِيمَا غْ طَايَّاضْ) ؟

ومعناه:**ما الذي سيأخذه مبرد من مبرد آخر؟**

يقال التعبير عند التقاء شخصين معروفين بالدهاء والحيلة، أو بالقوة والبطش، فلا أحد منهما يستطيع أن يتغلب على الآخر في مجاله.

ءَا بَابْ ءُورْجَا سَنْمِيكِّيرْ تَالِيمَا دْ تَايَّاضْ[1]

ومعناه : **يا ربَّ الرجاء!، [اتوسل إليك أن]تواجه مبردا بمبرد آخر.**

هذا التعبير عبارة عن دعاء مصاغ في قالب شعري، يقوله من يخاف من مواجهة ظالم طاغية؛ فيتوسل إلى الله أن يجنبه هذه المواجهة، بأن يبعث إلى هذا الطاغية شخصا من معدنه يكون قادرا على منازعته ورد عاديته.

وإلى جانب الاسم العام-(**تاليما**)-، هناك أسماء خاصة بأنواع مختلفة من المبارد تبعا لأشكالها ووظائفها المحددة، نذكر منها:

- (**ضهر قصبة**)، أو (**أءاكروم ن ءتغانيمت**)، وسميت بذلك لأن لها واجهة محدبة كالقصبة.
- (**تَالِيمَا ن لّحَامْ**) وتصلح لإزالة آثار اللحام.
- (**مُوكْرَاضْ**) ومعناه الحرفي: (**ذات الثلاثة**)، والقصود: المبرد ذو ثلاثة أوجه [**ءُودْمَاوْنْ**]، وذلك لأن مقطعها مثلث الشكل؛ وتسمى أيضا (**تَامْتَالْتِيتْ**)، ومعناه: **(المثلثة).** يستعمل هذا النوع لبرد زوايا وأحرف الحلي للحصول على أخاديد ولثم صغيرة.
- (**أكروم نْ ءُوبْلِينْكا**) وتسمى بالدارجة (**ضهر حنش**)، ومعناها (**ظهر الثعبان**).
- (**تَامْزلْـكْتْ**) أو (**تُوبْرِيمْتْ**)، وتسمى في التداول بالدارجة: (**المبرد المبروم**)، وهي مبرد صغير أُسطواني الشكل، يستعمل لبرد الحواف في الفراغات داخل الزخارف والنقوش.
- (**شكرفينا**)[2]، يتميز هذا المبرد بنتوءات تغطى إحدى واجهتيه، ويستعمله النجار عادة لتسوية سطح القطع الخشبية، كما يستعين به الصائغ عند التعامل مع مكونات مصنوعة من الخشب، كمقبض الخنجر الفضي (الكُمِّيَّة).

تنقسم كل هذه الأنواع إلى صنفين من المبارد:

- الصنف الأول : (**تاليما تامْسقّلْتْ**)، وله وظيفة جمالية بالأساس، إذ يقتصر دوره على صقل الحلي لجعل أسطحها براقة، دون إزالة الفضة أثناء تمرير الأداة فوق سطح الحلية، ويقول الحرفيون أنها : (**ءُورَا تَّاوِي**)، ومعناه الحرفي: (**لا تأخذ**)، والمقصود أنها لا تتسبب في انتزاع الفضة أثناء تمريرها فوق سطح الحلية.

---

[1] **Destaing, op.cit. p. 171**

[2] **هذا الاسم له علاقة باللفظ الاسباني: escofina ، انظر: Colin ,Dictionnaire . op.cit. t. V :4, p. 969**

- الصنف الثاني (**تاليما ڵحَلْفَا**)، ويجمع أنواعا كثيرة المبارد بمختلف أشكالها ووظائفها، والتي تشترك كلها في انتزاع طبقة، ولو كانت دقيقة جدا، من الفضة أثناء البرد. ويقول الصاغة أن هذا النموذج: (**عَارْ عِيتَّاوِي**)، ومعناه الحرفي: (**يأخذ**)، والمقصود، أن المبرد يتسبب في إزالة جزء من المادة من سطح الحلية.

سابعا: حوامل الحلي اثناء انجاز الزخارف.

يحتاج الصائغ الى حامل مناسب ليثبت فوقه القطع الفضية التي يريد زخرفتها، ويستعين لهذا الغرض بثلاث أدوات خشبية مختلفة الشكل والحجم وهي: الهيكل المسمى (ءاحمّار) أو (تاغيولت)، والعمود المسمى (تاسترا) أو (ءازدوز)، وقطعة من جدع الشجرة تسمى (تاكّـجّاط)

1) (تَاغْيُولْتْ)/(ءاحْمّارْ): الهيكل الخشبي

تسمى هذه الأداة باسمين اثنين وهما:

- (**تَاغْيُولْتْ**)، وتعني لغة: (**الأثان**)، ويستعمل هذا اللفظ في المراكز الموزعة بمختلف القبائل بسوس.

- (**ءاحْمَّارْ**)، وينتشر هذا الاسم في سوس كما في باقي المناطق المغربية، ويدل كذلك على معاني بعيدة عن مجال الصياغة. فيحيل على العارضة العلوية لهيكل الخيمة والتي يبلغ طولها حوالي مترين ويتوسطها تجويفان معدان لتثبيت الدعامتين الخشبيتين (**تيرسال**) اللتان تحملان الهيكل[1]. ويدل نفس اللفظ في صيغة المؤنث (**تَاحْمَّارتْ**)، في المجال الموسيقي، على القطعة الخشبية الصغيرة التي يمر فوقها وَتَر آلة (**الرِّباب**) المعروفة في فن الروايس بالجنوب المغربي[2]. ويرى أيميل لاووست أن لفظ (**ءاحمّار**) مشتق من الكلمة العربية: الحِمَار؛ وسميت بذلك لأنها تحمل ثقل الخيمة[3]، وتتوافق هذه الدلالة مع دور (**تاحمّارت**) بالنسبة لآلة الرباب لأنها تحمل ثقل الوتر، ومع وظيفة (ءاحمّار) و(تاغيولت) اللذين يحملان الحلية أثناء إنجاز الزخارف.

[1] **E. Laoust , « L'habitation chez les transhumants du maroc central »,in Hespéris, 1930, pp.164= E. Laoust , « Habitation »**

[2] **Schuyler Ph.-D., The Music of the Rways, Berber Musicians from southwestern Moroco, Doctorat of Philosopy, University of Washington, 1979., p.108.**

[3] **E. Laoust , « Habitation », op.cit.p.164**

الوصف

هذه الأداة عبارة عن هيكل مركب من عدة قطع خشبية، يضع فوقها الصائغ القطع التي يريد زخرفتها بالحفر سواء كانت حليا، أو خناجر فضية. ويكثر استعمالها في المراكز التي اشتهرت بتقنية الحفر والنقش، وخاصة في مدينة الصويرة، التي وصلتنا منها أقدم صورة لصائغ مغربي يشتغل في ورشته. وأخذت هذه الصورة قبل سنة 1902، ونشرها بول ادويل في كتابه عن الصياغة بشمال إفريقيا، ويظهر فيها صائغ يهودي وهو يشتغل على حلية موضوعة فوق "ءاحمّار"[1].

2) (تاسترا)/(ءازدوز) العمود الخشبي:

يطلق حرفيو سوس اسمين على هذه الأداة وهما: (**تَاسْتْرَا**) و (**ءازْدُوزْ**) :

- (**تاسترا**) ، وينتشر هذا اللفظ في الجنوب الغربي، وقد وثق راميريز صيغة مختصرة لهذا الاسم في منطقة (تودغة) في الأربعينيات من القرن الماضي، وهو (**تْرَا**)[2].

- (**ءازدوز**)، وينتشر هذا الاسم في أغلب المناطق سواء بالأطلس الكبير أو بسهل سوس.

وتدل الكلمتان من الناحية المعجمية على العمود الخشبي الذي يستعمل لأغراض متعددة من بينها: خَبْطُ الصوف، ودَكُّ التراب المستعمل في البناء، أو الطين المستعمل في صناعة أواني الخزف.

يستعمل الصائغ عمودا خشبيا دائريا، ومصمم على شكل مخروط مقطوع، لذا يكون محيط جزئه العلوي أكبر من محيط الطرف السفلي، مما يسمح بإدخال الأساور في هذه الأداة مهما اختلفت من حيث أبعاد قطرها، والتحكم فيها من أجل القيام بعمليات البرد أو النقش. ويستخدم الصائغ كذلك قضبانا خشبية أُسطوانية الشكل، أصغر حجما وأرفع سمكا، تستعمل لبرد ونقش الخواتم.

3) (تاكْـجّاط) قطعة جدع الشجرة:

يطلق اسم (تاكْـجّاط) معجميا في الأمازيغية على قطعة من جدع شجرة، ويقصد به في مجال الصياغة، تلك الكتلة الخشبية التي يثبت فوقها الحرفي الصفائح التي يريد زخرفتها. ويكون التثبيت بواسطة المسامير. وتنتشر هذه الطريقة غالبا في المراكز التي تمارس (**النيال الرصاصي**)[3]. أما خارج سوس، فقد أشار كوداغ سنة 1928 إلى أداة خشبية شبيهة بـ(تاكْـجّاط)، تسمى (**زفاتا**) وكانت تستعمل في

---

[1] **Eudel , L'Orfèvrerie . op.cit. p. 511.**
[2] **Martinez M, Les Bijoux du Toudgha.,op.cit.p.16.**
[3] **Rabaté J. et M.-R., Bijoux. op. cit. p. 164.**

الأطلس المتوسط، ويثبت فوقها الصائغ الصفائح الفضة بواسطة القطران، ثم ينجز فوقها النقوش التي ستُملأ بالمذوب الأسود[1].

ثامنا : أدوات الزخرفة

يستعين الصائغ بصنفين من الأدوات من أجل إنجاز الزخارف على سطح الحلي الفضية: أدوات النقر، وأدوات الحفر والنقش.

1) (ايماسّن ن تزبـڭـوت) أدوات النقر:

من بين أسماء هذا الصنف من أدوات النقر:

- (**تازبـڭـوت**)، ويرد هذا اللفظ في صيغة المفرد المؤنث، كما يرد في بعض القبائل في صيغة المذكر: (**ءازبـڭـو**). ويطلق اسم (**تازبـڭـوت**) على الأداة، وعلى نوعية الزخارف التي تنجز بتقنية النقر، والتي تسمى بالفرنسية [la gravure]

- (**تِيمْـڭـدِيتْ**)[2] وينتشر هذا اللفظ لدى حرفيي سهل سوس كقبيلة ءاشتوكن.

يتميز هذا الصنف من الأدوات بحاجته إلى أداة ثانية، وهي المطرقة (**تَامَالْيُوتْ**)، من أجل إنجاز الزخارف؛ حيث يمسك الصائغ أداة النقر بيده اليسرى، ويوجه لها ضربات دقيقة بالمطرقة التي يمسكها بيده اليمني. وبالضغط الناتج عن الطرق، ينغرس الطرف السفلي للأداة في سمك الفضة ويترك أثره دون أن يؤدي ذلك الى إزالة المعدن.

2) أدوات النقش والحفر (ايماسّن ن تكرّاط):

يُستعمل لفظ (تاكْرّاط) في مجال الصياغة للدلالة على عملية النقش والحفر على الفضة وباقي المعادن. ويستعين الصائغ لهذا الغرض بنماذجَ مختلفة من الأدوات التي تتكون كلها من مسمار معدني متين مغروز في قطعة خشبية. يختلف شكل الطرف المدبب للمسمار تبعا لنوعية الزخارف التي تنجز به، أما قطعة الخشب فشكلها وحجمها مناسبان لقبضة يد الصائغ الذي يحفر بها على سطح الحلية دون الحاجة إلى الاستعانة بأداة أخرى كالمطرقة. والاسم العام للزخارف التي تنجز بهذه الصنف من الأدوات هو: (تاكرّاط)، أي الحفر والنقش، ويقابلها بالفرنسية لفظ: [la ciselure]

[1] **Goudard J., 1928, Bijoux, p.291.**
[2] **Boulifa , op. cit. p. 355**

تختلف أسماء أدوات النقش تبعا لاختلاف نوعية الزخارف التي تنجز بها، ونذكر منها:

- (**ءَامْحوّزْ**) وتحفر بها النقوش التي ستُملأ بـ(**النيال**) الرصاصي فوق سطح الحلية. تزيل هذا الأداة الفضة من الأماكن المحفورة، وتسمى الزخارف الناتجة عنها: (**لْوِيوَانْ**)، وهو جمع حرف الواو المعروف في مجال الخط والكتابة.

- (**ءامسّوكف**) و(**ءَامْنقْشْ**)، الاسم الأول أمازيغي مشتق من فعل (ايسّوكف)، ومعناه: اقتلع، وذلك لأن الاداة تقتلع وتزيل بعض الفضة اثناء النقش بها على سطح الحلية،[1] أما الاسم الثاني فهو كلمة عربية الأصل اشتقت من فعل: نقش، ثم أُخضعت لقواعد النطق الأمازيغي. وتسمح هذه الأداة بإنجاز زخرفة على شكل خط صغير وبسيط يسمى: (**ءامزّگ**) أو (**ءَابْـــرَّايْ**)[2].

- (**ءَامَنْيَالْ**) وتستخدم هذه الأداة لإنجاز زخارف مسننة (توقسيسين) في الخط المستقيم المسمى (اسضار)، أو في الخط الحلزوني المميز للصفائح الدائرية لحلي ماسة[3].

- (**ءَامْرُورْدْ**)، ويستخدمها الصائغ عن طريق ضغط طرفها الحاد بالتناوب بين اليمين واليسار، للحصول على زخرفة متعرجة الشكل[4] تحمل اسمين مختلفين: (**ءَامْرُورْد**) و(**ءَاشْتُوتْلْ**).

+ (**ءَامْرُورْدْ**)، أي أن هذا اللفظ يدل على الأداة وعلى الزخرفة التي تُنْجَزُ بها، وتعني معجميا: الزحاف، وذلك لأن الأداة تتحرك على سطح الحلية وهي تتمايل يمينا ويسارا في ما يشبه طريقة تنقل الشخص الذي يعاني من الزحاف.

+ (**ءَاشْتُوتْلْ**)، وتعني معجميا : الحَبْوُ، تشبيها لحركة يد الصائغ وهو يدفع الأداة على سطح الحلية بطريقة حَبْوِ الطفل الصغير.

---

[1] **وردت أسماء اخرى لأدوات خارج منطقة سوس تؤدي نفس دلالة أداة (أمسّوكف) مثل (المقلعة) في الجنوب الشرقي . انظر :**
Martinez M, Les Bijoux du Toudgha.,op.cit.p.16
Rabaté J. et M.-R, Bijoux. op.cit.p. 164
Goudard J., op.cit. p.289.

[2] **تعني كلمة (ابرّاي) لغة : الخدش، و يعرف الصاغة هذه الزخرفة البسيطة على أنها: (غا يلّي ايسّوكف اومنقش) ومعناه، ما اقتلعه الأداة من فضة من سطح الحلية**

[3] **Rabaté J. et M.-R., Bijoux. op. cit. p. 61**

[4] **توجد في الاطلس المتوسط أداة [poinçon] تسمى (باعرّوج)، تستخدم لإنجاز زخارف بسيطة على بعض المشابك ويبدو انطلاقا من اسمها انها تؤدي نفس وظيفة أداة (امرورد) المعروفة في الجنوب. انظر :**
Goudard J., op.cit. p.289.

خاتمة

لاحظت الباحثة الفرنسية جاك مونيي أن الصاغة في كل الجنوب المغربي وفي موريتانيا والسينغال يستخدمون نفس الأدوات التي تحمل غالبا نفس الاسماء[1]. و انطلاقا من المعطيات التي استعرضناها في هذا الفصل، يمكننا أن نؤكد أن هذا الاستنتاج ينطبق كذلك على جنوب المغرب في علاقته بباقي مناطق المملكة، وكذلك مع بلدان شمال إفريقيا وخاصة الجزائر. لقد كانت أدوات الحرفيين تتشابه في مجال جغرافي واسع يمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى السنغال في أقصى الجنوب، ويتجلى هذا التشابه في تصميم الأدوات، وفي مواد انجازها وطرق استعمالها. ويؤكد المعجم التقني بدوره هذه العلاقات من خلال انتشار نفس الأسماء العربية والأمازيغية في مراكز حرفية متباعدة.

درست الباحثة الفرنسية هنرييت كامبس فابرير الحلي بجبال (القبايل) بالجزائر، ولاحظت أن أدوات الصياغة بهذه المنطقة قريبة من حيث خصاصها العامة من الأدوات المستعملة في مجالات جغرافية مختلفة، ولتفسير هذا التقارب استأنست بأطروحة اندري لوروا كوران [André Leroi-Gouran]، الباحث الفرنسي المتخصص في الإثنوغرافيا وعلم آثار ما قبل التاريخ والمتوفي سنة 1986.

يرى أندري لوروا كوروان أن هناك روابط تقنية بين كل الشعوب التي مارست الحدادة لأنها توفرت ومنذ البداية على نفس الأدوات التي كان لها نفس التأثير الميكانيكي على المعدن. وترى هنريت كامبس فابرير أن نفس التفسير يمكنه أن يعلل التشابه بين ادوات الصياغة[2]، ما دامت معادن انجاز الحلي تحتاج بدورها إلى نفس الأصناف من الأدوات لأداء نفس العمليات التقنية.

قد تفسر هذه الاطروحة العلاقات "المادية" الملموسة بين أدوات الصياغة من حيث تصميمها ووظائفها وطريقة اشتغالها؛ ولكنها لا تفسر العلاقات "غير المادية" المتمثلة في انتشار نفس الاسماء والمصطلحات في مجالات جغرافية متباينة. وهذا ما شجعنا على افتراض أن الصاغة بشمال افريقيا ورثوا خبرات تقنية مشتركة عبر تاريخهم لطويل، وساهمت تنقلات الحرفيين بين المراكز المختلفة في المحافظة على هذا الإرث المشترك.

لقد كانت منطقة سوس تتقاسم نفس أدوات الصياغة مع باقي المناطق بشمال افريقيا، وإذا علمنا أن الأدوات ترتبط ارتباطا وثيقا بالتقنيات، فهل كانت سوس تشترك نفس الخبرات والمعارف الحرفية مع المجالات الأخرى ؟

[1] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 60**
[2] **Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.22**

الفصل الرابع: التقنيات

تقديم

نشرت الباحثة الإسبانية فاليري كونزليز كتابا حول النيال الزجاجي سنة 1994، بعنوان **"النيال بالأندلس والمغرب"**،[1] وخصصته لتقنية فريدة من تقنيات زخرفة الحلي التي تعتمد على تذويب الزجاج وإفراغه في فجوات صغيرة مكونة من قطع السلك الرفيع فوق سطح الحلية، فتضفي علي لونها الفضي ألوانا أخرى كالأصفر والاخضر والأحمر والأزرق. وكان هذا الأسلوب معروفا في الأندلس قبيل سقوط غرناطة، كما كان شائعا في مجالات محددة من شمال إفريقيا بكل من جزيرة (جربة) ومدينة (مقنين) بتونس، وجبال (القبايل الكبرى) بالجزائر، وفي المنطقة الممتدة من (تازناخت) شرقا إلى (تيزنيت) عند المحيط الاطلسي جنوب المغرب. ويأتي هذا الكتاب تتويجا لمجهودات أجيال متعاقبة من الباحثين الذين ركزوا اهتمامهم على هذا التقنية بالتحديد، وخصّوها بالعديد من المقالات، بعد أن أغرتهم بالغوص في أصولها، ومحاولة المساهمة في كشف الغموض الذي يلف تاريخها. وبقيت أغلب التقنيات الأخرى المرتبطة بإنجاز وزخرفة الحلي على هامش اهتمام العديد من الدارسين، ولم تحظى بما تستحقه من عناية على مستوى البحث والتحليل.

تنتمي كل المعارف والخبرات المرتبطة بالصياغة إلى إرث متكامل، وتحظي كلها بنفس القيمة في كتابة التاريخ التقني للمجتمع. لذا سنعمل على استعراض أغلب التقنيات التي كانت ممارسة بمنطقة سوس، وذلك في حدود ما تسمح به ذاكرة الصاغة، لأن أغلب الحرفيين تخلوا عن العديد من الخبرات التراثية. وسنتتبع التسلسل المعتاد لمراحل صناعة الحلي بدءا من تذويب الفضة ووصولا إلى إنجاز الزخارف وأشغال "اللمسات الاخيرة".

أولا: التذويب (ءَاسْفْسِي):

تبدأ كل عمليات إنجاز الحلي بمرحلة التذويب، حيث يقدم الزبون المادةَ الأولية للصائغ، والتي تكون غالبا مسكوكات نقدية فضية، أو بعض قطع الحلي المكسرة أو التي تضررت من كثرة الاستعمال. يضع الصائغ هذه المواد في البوتقة (**تازوايت**)/ (**ءالبوض**)، ويضيف إليها مادة مُذَوِّبَةً تسمى (**شناضر**)[2]، ثم يمسك البوتقة بالملقط الطويل الخاص بهذه العملية (**عيغمدان**)، ويضعها في الموقد، وينفخ على الجمر المشتعل بواسطة المنفخ ليزيد توهجه. وترتفع حرارة الموقد تدريجيا لتصل إلى نقطة ذوبان الفضة وهي 962 درجة[3]. وعندما يذوب المعدن، يحركه الصائغ بعود إلى أن تطفو الشوائب المسماة (**تانيكت**) على السطح. وفي الأخير، تفرغ الفضة المذابة في (**الترزيق**) للحصول على الحلية بشكل

---

[1] **Gonzalez V., Emaux d'al Andalus et du Maghreb, Aix-en-Provence, Edisud. 1994,**

[2] **ينطق أيضا (شنادر) ، وهو sel ammoniac، انظر: Colin G., Dictionnaire, op.cit., V.4, p.994**

[3] **Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.22**

مباشر، أو في المسبك (**ءاسڭضم**) للحصول على السبيكة (**تاڭطومت**) التي تتعرض لسلسلة متتابعة من العمليات كالطرق والتقطيع والتلحيم قبل الحصول على الحلية.

ثانيا: تقنيات الطرق والتقطيع والتلحيم

1) الطرق

تدل أربعة ألفاظ أمازيغية على عملية طرق صفائح الفضة وهي: (كّم) و(**ءُوتْ**) و(**بّْكْ**) و(**بّْزْ**). وتدل نفس الألفاظ على صناعة الحلي بشكل عام كيفما كانت التقنيات المستعملة. وتوحي هاته الدلالة بأن كل عمليات الصياغة، في مفهوم السكان، مرتبطة بالطرق. فهل نفهم من هذا أن اللغة توثق لنا أقدم مرحلة من مراحل تطور تقنيات الحلي؟ أي أن الصياغة قد تكون انطلقت في البداية بأسلوب بسيط يتمثل في (ضرب/طرق) المعدن لإعطائه شكل الحلية؛ وأن الأساليب التقنية الأخرى جاءت بعد "**لحظة التأسيس الأولى**" التي ارتبطت بالضرب والطرق؟.

تؤكد العربية الدارجة العلاقة الوطيدة بين الصياغة وعملية الطرق؛ فمصطلح (**الدَّكْ**) الذي يدل على الصياغة بشكل عام، ما هو إلا نطق دارجي للأصل العربي الفصيح: "الدق"، والذي يمكن ترجمته تقنيا "بالطرق"؛ وقد اشتق منه لفظ "**الدّكّـاكْ**"، أحد الأسماء التي تطلق على الصائغ[1]. كما أن كلمة (**الدّكْ**) اتسعت أكثر حتى ابتعدت عن معاني الضرب والدق، وأصبحت تدل على الأسلوب التقني الخاص بمركز حرفي أو بصائغ مشهور، فيقال مثلا (**الدّكْ**) الصويري، والمقصود به الحلي المنجزة بتقنية النقش المميزة لمدينة الصويرة. كما انتقل مصطلح (**الدّكْ**) للتعبير عن طبائع الناس المتمايزة السلوك.

عندما يريد الصائغ طرق الصفيحة الفضية فإنه يضعها في الموقد ثم يضربها بالمطرقة فوق السندان[2]، ويقوم بتسخينها من حين لآخر كي تستجيب لعملية الطرق بسهولة.[3] ويحصل في النهاية على صفيحة ذات سمك محدد ومناسب لطبيعة الحلي التي يرغب في إنجازها. فالصفائح التي ستصنع منها المشابك (**تيزرزاي**) مثلا، يكون سمكها هاما وقد يصل إلى مليمترين أو أكثر، وذلك لأنها ستشكل حاملا لباقي مكونات الحلية من إبرة وحلقة، بالإضافة إلى السلسلة وما يرتبط بها من علاقات، كما يفترض فيها أن تكون متينة بالقدر الذي يسمح لها بمقاومة ظروف الاستعمال اليومي دون أن تتكسر.

ونجح صاغة الأطلس الصغير الأوسط، وخاصة في قبيلتي (**ءندونيضيف**) و(**تاڭموت**) في إنجاز صفائح رفيعة بشكل غريب، ولا يتجاوز سمكها 0,3 ملم[4]. ويسمح هذا الأسلوب بالحصول على أكبر سطح ممكن بأقل كمية من الفضة؛ ويتطلب تحقيق هذا الإنجاز، استعمال فضة جيدة، ذات عيار مرتفع،

---

[1] **Colin G.S., Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech, Hesperis, tome: XII pp.229-242, 1931, p.234.**

[2] **لا يضع الصائغ السبيكة مباشرة فوق السندان بل يفصل بينهما بكسرة من الطين (ءازڭي ن ءيتقّي)، إفادة من المعلم العربي اوبيهي في تيزنيت.**

[3] **Rabaté M.-R., Bijoux. op. cit . p. 21-23.**

[4] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. 62.**

حتى تتحمل الضربات وعمليات الثَّنْي. ولا يعيق هذا السُّمك الرفيعُ عملَ الحرفيين الذين يبدعون في حفر نقوش في الصفائح وملئها بـ(**النيال الرصاصي**). كما ينجحون في تحويلها إلى حوامل تتدلى منها العلّاقات الصغيرة أو تُثبت فوقها فصوص الزجاج. ولزيادة جمالية هذه الصفائح، يطرقها الصائغ بأدوات مختلفة للحصول على زخارف بارزة وأشكال مُقَبَّبَة، تُحدِث ظلالا على سطح الحلية وتزيد من حجمها بالنسبة للعين.

2) <u>التقطيع</u>:

بعد الحصول على الصفائح بواسطة الطرق تأتي مرحلة التقطيع، وتسمى هذه العملية (**تابّايت**)، من فعل(**ءيبّي**) ومعناه:(قطع). والمقصود بالتقطيع تلك العمليات التي تؤدي إلى تحويل الصفيحة المعدنية ونقص مساحتها عن طريق إزالة بعض أجزائها[1]؛ وتتم هذه العمليات باستعمال مقصات حادة ذات أحجام مختلفة، وذلك تبعا لسمك الصفيحة وتبعا لدقة العمل المراد إنجازه. وتُجزَّأُ القطعة إلى صفائح صغيرة من أحجام وأشكال مختلفة تُجمع بحلقات أو سلاسل صغيرة لتكوين حلي الرأس أو القلائد[2].

ولتقطيع الصفائح المستديرة التي تصلح لإنجاز أنصاف الكريات المجوفة يستعمل الصائغ قالبا قاطعا [matrice coupante].أما لتقطع المساحات الواقعة وسط الحلية والحصول على زخارف مخرومة، فإن الصائغ يستعين بمسمار حاد ومطرقة. ويحرص الحرفي على الاستفادة من كل الشظايا والمكونات المتناثرة الناتجة عن التقطيع؛ فهذه البقايا الناتجة عن تقطيع الصفائح الأساسية، تستعمل لإنجاز العلاّقات الصغيرة المتدلية من الحلية، فلا تضيع أية صفيحة كيفما كان حجمها.

3) <u>التلحيم</u>:

يستعمل الصاغة في التداول الأمازيغي بالجنوب المغربي لفظ "اللحام" بصيغته العربية[3]. وقد يكون سبب غياب مصطلح أمازيغي لهذه التقنية في سوس هو أنها ربما لم تكن من الممارسات الراسخة في تقاليد الصياغة بالمنطقة. فقد كان الحرفيون يتجنبون استعمال اللحام، ويفضلون تجميع أجزاء الحلي بتقنية الدسر (**تافلّيست**) التي تعتمد على مسامير فضية ثنائية الرأس[rivet].

ولتجميع أجزاء الحلية الفضية بواسطة تقنية اللحام، يبدأ الصائغ بإعداد خليط مكون من ثلثين من معدن الحلية -الفضة- وثلث واحد من النحاس. والهدف من هذا الإجراء هو تخفيض نقطة ذوبان اللحام الذي سيذوب قبل ذوبان الحلية ويؤدي دوره في تثبيت العناصر دون أن يتسبب في ذوبان باقي أجزاء الحلية عند تعرضها للحرارة. يتحول هذا الخليط بعد تعريضه للحرارة إلى إشَابَة [alliage] على شكل صفيحة رقيقة. ويقتطع الحرفي أجزاء صغيرة من إشابة اللحام، ويضعها في الأماكن والفجوات والفواصل

---

[1] **Benfoughal, op. cit. p. 220-221**

[2] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 60**

[3] **الأسماء الأمازيغية لعملية التلحيم هي: (ءارباض)، (ءاسوشك)، (ءاسكتوتر)، انظر: شفيق، المعجم، الجزء الثاني، ص.26.**

التي يريد لحمها ثم يعرضها للحرارة[1]، كما يمكنه أن يبرد تلك الصفيحة للحصول على مسحوق دقيق[2]. وينـــثر الصائغ كميات قليلة من هذا المسحوق فوق الأجزاء التي يريد تلحيمها، ثم يضع الحلية فوق الجمر لتَسْخَن، فيذوب اللحام وتتماسك العناصر[3]. ويسمى هذا النوع : (**ⵍⵍⴰⵃⴰⵎ ⵏ ⵓⵡⵊⵔⴰⴽ**)، ومعناه: لحام البَرَد.

يساعد اللحام على تجميع عناصر الحلية المتفرقة، ولكنه في نفس الوقت يترك زوائد على سطح الصفائح الفضية. ويعمل الصائغ على حك تلك الزوائد المدَبَّبَة بالمبرد، كي تختفي وتستوي مع سطح الحلية، حتى لا يتأذى جلد المرأة، وكذلك لتدعيم عملية اندماج اللحام مع أجزاء الحلية[4]. وقد يبدع الصائغ في إخفاء أثر التلحيم المزعج للعين من خلال التفنن في إضافة زخارف مفرغة أو تركيب فصوص الزجاج أو نقش رسوم في مكان التلحيم عند التقاء جزئي الحلية،[5] فتتحول العيوب إلى مصدر الهام.

ثالثا : تقينة (ⵓⴰⵣⵣⵓⴳⵣ)/ الفريغ:

تُعرف هذه التقنية باسمين: أحدهما أمازيغي، وهو: (**ⵓⴰⵣⵣⵓⴳⵣ**)، والثاني عربي، وهو: (**الفريغ**)

يطلق لفظ (**ⵓⴰⵣⵣⵓⴳⵣ**) تحديدا على عملية ضغط نموذج الحلية في التربة الموضوعة داخل أداة الفريغ (**الترزيق**) ليطبع في فراغها أثره الذي سيفرغ فيه الصائغ الفضة المذابة للحصول على نسخة للنموذج الأصلي. وسيتوسع معنى لفظ (**ⵓⴰⵣⵣⵓⴳⵣ**)، الذي يدل على هذا العملية بالتحديد، ليشمل عملية (**الفريغ**) بكل مراحلها.

وردت هذه التقنية في الوثائق العائلية التي اطلعنا عليها بصيغ متقاربة، وهي: (**المفرغ**)، و(**المفرغت**)، و(**مفرغة**)، و(**الفرغ**[...]) [6] وكل هذه التعابير مشتقة من جدر : **فرغ**.

<u>وصف التقنية:</u>

تقوم عملية "الفريغ" على الاستعانة بحلية جاهزة كنموذج للحصول على الأثر الذي ستفرغ فيه الفضة المذابة للحصول على حلية أخرى تطابقها وخاصة بالنسبة للمشابك (**ⵜⵉⵣⵔⵔⵣⴰⵢⵢ**)، وبعض أصناف الأساور، وحلقات أقراط الأذن من النوع السميك. وكان الحرفيون يتوفرون على نماذج للحلي التي يكثر الطلب عليها، وتكون مصنوعة من معدن غير ثمين كالرصاص[7]، وتسمح هذه النماذج الرصاصية بإعادة إنتاج عدد لا يحصى من نفس الحلية بمعدن الفضة دون أن تتأثر تفاصيلها الدقيقة بكثرة الاستخدام[8].

ينتشر "الفريغ" في الجنوب في مجالين متباعدين: أحدهما يقع في الشرق، بواحات (**درعة**) و(**دادس**) و(**تودغة**) و(**غريس**)، ويقع المجال الثاني إلى الغرب بجوار المحيط الأطلسي، في سهل سوس

---

[1] **معلومات شفوية من بوكرين إبراهيم من طاطا**

[2] **Benfoughal, op. cit. p. 213-214**

[3] **Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.51**

[4] ***ibid***

[5] **Benfoughal, op. cit. p. 184**

[6] انظر الجدول اسفله ، ص.106.

[7] Jacques-Meunier D, « Bijoux » **.** op.cit. , p. 60

[8] Rabaté M.-R., **Bijoux.** op.cit. p. 130

والأطلس الكبير الغربي[1]. وكما لاحظت جاك مونيي (Jaques-Meunier)، فالمراكز التي تنتشر فيها هذه التقنية، يقل فيها حضور التقنيات الأخرى كـ"السلك بالحب"، و"**النيال الزجاجي**" داخل فجوات السلك و"**النيال الرصاصي**"[2]

تتحكم عوامل متداخلة في نجاح عملية الفريغ، وفي جودة المنتوج، من حيث بروز النقوش ووضوح التفاصيل الزخرفية. ويمكن تلخيص هذه العوامل في درجة إتقان الحرفي لمختلف مراحل هذه العملية، وفي جودة التربة ونوعية النموذج المستعمل[3]. ويجب أن يكون الخليط الترابي متجانسا ورطبا بدرجة مناسبة؛ فالتربة الغير المتجانسة والرطوبة المرتفعة تخفضان من تصريف الهواء مما يؤدي إلى ظهور تجاويف غير مرغوب فيها في الحلية. أما النموذج الذي يرغب الصائغ في استنساخه فيجب أن تكون تفاصيله بارزة، ويترك أثرا واضحا بعد ضغطه في التربة.

يُحْضِرُ الصائغ تربة رملية دقيقة من مجارى الأنهار[4] تسمى: (**ءيـڭـيدي**) أو (**ءابرغوس**)؛ فيغربلها، ويمزجها بالماء وبكمية من الملح، ويملأ منها تجويف أداة الفريغ (**الترزيق**) المفتوحة مع الحرص على تسوية الرمل بعناية في الإطارين المنفصلين. ينثر الصائغ طبقة رقيقة من الفحم المسحوق (**تِرْكِينْ غْدَنِينْ**) فوق التربة الرملية. ويساعد هذا المسحوق على الفصل بين التربة الموضوعة في كل إطار على حِدَة عند فتح (**الترزّيق**) لإزالة النموذج.

يضع الصائغ نموذج الحلية التي يريد صياغتها، في تربة أحد الإطارين ويضغط عليه برفق، ثم يغلق (**الترزيق**) ليترك النموذج أثره في الإطار الآخر. وبعد ذلك يعيد فتح أداة الفريغ، ويزيل النموذج، فيظهر وسط التربة التجويف الذي ستتشكل فيه الحلية الجديدة؛ يُعِدُّ الصائغ قناةً تربط بين الثقب الجانبي والتجويف ليمر منه المعدن المذاب بعد إعادة إغلاق (**الترزيق**)[5].

بعد ذوبان الفضة في الموقد، يمسك الصائغ البوتقة الحمراء بفعل الحرارة، مستعملا الملقط، ويفرغ محتواها في (**الترزيق**) الذي يمسك به بشكل عمودي باليد الأخرى، ثم يضعه جانبا لبضع دقائق كي يبرد المعدن السائل. وأخيرا، يفتح (**الترزيق**)، فتظهر الحلية ومعها "مقبض صغير" يمثل القناة التي مر عبرها المعدن المذاب[6]. سيُقطع المقبض الصغير، وتصبح الحلية جاهزة لعمليات التنظيف والزخرفة.

يضاف الملح إلى خليط الرمل قبل وضعه في (**الترزيق**) لتبقى التربة المبللة متماسكة، وتحتفظ بالفجوة التي تمثل شكل نموذج الحلية. ويقول الصاغة عن التربة التي لا تتماسك مكوناتها، ولا تطاوع

---

[1] Ibid 128

[2] Jacques-Meunier D, « Bijoux » **.** op.cit. , p. 69

[3] Benfoughal, op. cit. p. 181 **.**

[4] وصف الصائغ بوكرين ابراهيم من مركز اكادير لهنا نوعية التربة : حين تجف التربة في جوانب الواد بعد فترة أمطار هامة، تتكون طبقات من التربة الطينية الخالصة الخالية من الشوائب، بعد ان ترسبت كل الأتربة الكبرى نحو القاع ببطئ، وبعد أن تجف هذه الطبقة العلوية من الطين الدقيق تتقشر وتتحول إلى قطع تسمى (ئينـكـال) يجمعها الصاغة ويحتفظون بها لملأ "التزريق"

[5] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. 130**

[6] **نفسه**

عمليات الصائغ، أنها: (**ءورا تّمون**)،أي: أنها لا تتماسك، لأنها تربة "ميتة"، ، ولكي تعود لها "الحياة" فلا بد لها من "الروح" الذي يجسده الملح[1]. واختار الحرفيون في الجنوب المغربي، الملح لأنه يناسب نوعية التربة الرملية المستعملة، ولأنه يكتسي أهمية خاصة في الثقافة الشعبية التي تحرص على حضوره في الممارسات الاجتماعية. ومن باب المقارنة، نشير إلى أن الصاغة في منطقة القبائل بالجزائر يضيفون الزيت والبيض الى التربة الرملية[2]، أما حرفيو آسيا الوسطى فيستعينون بحليب الماعز[3]. لقد واجه الحرفيون في مختلف بقاع العالم تحديات تقنية متشابهة على مستوى ملائمة الرمل لعملية تفريغ المعدن، فالتجأت كل فئة إلى الحلول المناسبة لطبيعة التربة المتوفرة في مجالها الجغرافية والملائمة لتقاليدها الحرفية المتوارثة ولنمط عيش السكان.

تقنية الفريغ في الوثائق العائلية:

انطلاقا من الوثائق التي اطلعنا عليها، رصدنا تقنية (**الفريغ**) في الحالات التالية :

رقم الوثيقة والمنطقة	التاريخ	نوعية العقد	العبارة
19 ءيداوكايس	**صفر 1151 (1738 م)**	**بيع الثنيا**	**زوجة الخلالة الفضة صنعة المفرغ**
2 ءيمنتاڭن	**1151 (1737-1738م)**	**التزام بضمان جودة الحلية**	**زوجين من الخلالة المفرغت**
94 ثغر اكادير	**شوال 1183 (فبراير 1770)**	**جهاز**	**زوجة بزايم الفضة مفرغة**
11 ءيمنتاڭن	**شوال 1271 (1855م)**	**جهاز**	**زوجة الخلالة من الفضة با و صنعتها المفرغ**
4 ءاڭونسان	**غير مؤرخ**	**جهاز**	**زوجة الخلالة صنعة الفرغ[...]**

[1] **انشاد أولاد برحيل**

[2] **Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.50.**

[3] **Benfoughal T., op. cit. p. 213-211 .**

ملاحظات:

- يعود أقدم ذكر لهذه التقنية إلى صفر 1151 **(1738 م)** ويتعلق الأمر بزوج (**خلالة**) من الفضة؛ ولا يعني هذا بأن التقنية لم تكن معروفة قبل هذا التاريخ. ومن شأن الاطلاع على وثائق أخرى أن يسمح بالعثور على تواريخ أقدم.

- كل الحلي المذكورة كانت عبارة عن مشابك (**تيزرزاي**)، وكأن تقنية الفريغ كانت مرتبطة بهذا النوع من الحلي. ولا نستبعد إمكانية وجود أنواع أخرى من الحلي مصنوعة بنفس التقنية وخاصة الأساور، قد يكشف عنها الاطلاع على المزيد من الوثائق.

- الوثائق التي رصدنا فيها ذكرا لهذه التقنية حررت بكل من (**ثغر أكادير**) على المحيط الأطلسي، وفي القبائل الواقعة في سفوح الأطلس الكبير الغربي. ويتفق هذا التوزيع التاريخي مع التوزيع الذي رصدته الدراسات الإثنوغرافية خلال القرن العشرين، والتي بينت أن الحلي كانت تصنع بتقنية "الفريغ" في سهل سوس والأطلس الكبير الغربي، عكس المناطق الأخرى الواقعة، في الأطلس الصغير، التي كانت الحلي تصنع بها اعتمادا على تقنيات الطرق والتقطيع. ويتضح من استمرارية تقنية الفريغ في نفس المجال الجغرافي لعدة قرون أن الصاغة كانوا أوفياء للخبرات الحرفية المحلية التي توارثوها جيلا بعد جيل.

- إشارة الوثائق إلى (الفريغ) كأسلوب من أساليب إنجاز الحلية، دليل على أن التقنية بشكل عام كانت تشكل أحد معايير تحديد "هوية" الحلي. كما تؤكد هذه الإشارة أن استعمال المعجم التقني لم يكن مقتصرا على الحرفيين الذين يزاولون الصياغة، بل كان يشكل نوعا من "**الثقافة العامة**" لدى غالبية السكان.

رابعا : تقنيات السلك

1) إعداد السلك:

يذوِّب الصائغ الفضة في البوتقة ويفرغها في المسبك. وعندما يبرد المعدن يطرقه الى أن يصير على شكل قضيب طويل رقيق[1]، ويستمر في طرقه إلى أن يصبح قطره مساويا لقطر أكبر فتحة من فتحات أداة الجر[2]. حينئذ يتوقف الطرق، ويبرد الصائغ طرف القضيب كي يصبح مدببا، ويعرضه لحرارة الموقد، ثم يدهنه بالزيت، أو بالشمع، وفي الأخير يضع أداة الجر بين قدميه،

[1] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 65**

[2] **يمكن للصائغ في حالات أخرى ان ينجز السلك انطلاقا من الصفيحة الفضية، حيث يقطعها بواسطة المقص إلى اشرطة دقيقة طويلة ثم يمررها عبر "المجرة"، أنظر :**

Benfoughal T., op. cit. p.164

ويضع السلك من الجهة المقابلة لجسده، بعد أن يخرج الطرف المدبب للسلك من فتحة الاداة، فيضغط عليه بقوة بواسطة الملقط الخاص بهذه العملية. لا تقوم اليدان بعملية الجر، وتكتفيان بالتحكم في الملقط كي لا ينفلت السلك؛ وبما أن الملقط مربوط بحبل ملفوف حول جدع الصائغ، فإن هذا الحرفي يدفع جدعه من الأمام نحو الخلف، مما يؤدي إلى جر الملقط والسلك عبر المجرة في نفس الوقت. وتتطلب هذه العملية الكثير من الدقة والقوة العضلية، لذا يعمل الحرفي على توزيع المجهود على مختلف أطراف الجسم، فالرِّجْلان تثبتان المجرة، واليدان تتحكمان في الملقط، والجدع يقوم بعملية الجر نحو الخلف[1].

يعيد الحرفي بَرْدَ طرف السلك وتسخينه ودهنه بالزيت كلما أراد الانتقال من فتحة واسعة الى أضيق منها حتى يصل إلى القطر المطلوب. وبفضل اختلاف قطر الفتحات اتساعا وضيقا، يمكن للصائغ أن ينجز أنواعا مختلفة من السلك؛ فالسلك الغليظ يصلح لإنجاز سلاسل كبيرة[2]، وحلقات بعض أنواع أقراط الأذن والحلقة التي تعلو المشابك الفضية (**تيزرزاي**). أما السلك الدقيق فيدخل في تركيب عدد كبير من السلاسل الرفيعة والأشكال الزخرفية المختلفة الأحجام والأشكال.

بعد بذل مجهود مُضْنٍ من الجر، يحصل الصائغ على سلك فضي طويل أملس يسمى: (**سْلْك غُومْحَادَا**)، ويمكن استخدام هذا السلك مباشرة لإنجاز بعض الزخارف والمكونات المختلفة كالكريات وحلقات السلاسل. وقد يعمد الصائغ إلى تعديل شكل السلك، وزيادة رونقه عن طريق برمه قبل إدماجه في إعداد الحلي. تسمى عملية البرم: (**عَازْلاَكْ**) و(**عَارَّافْ**)[3]، وتسمح بالحصول على سلك واحد يعطى للعين الانطباع بأنه مكون من سلكين متداخلين. ويمكن ترسيخ البعد الجمالي أكثر عن طريق تركيب سلكين مبرومين في اتجاهين مختلفين، وتركيبهما الواحد قرب الآخر، فيعطيان زخرفة تسمى (**تَاضَرْسَا**) أو (**تازْطّايْت**)،تعطي الانطباع للعين أنها مشكلة من ثلاثة أسلاك مضفورة.

تقطيع السلك

يقطع الصائغ السلك، سواء كان أملسا أو مبروما، إلى أشكال حلزونية أو متموجة أو منحنية أو على شكل أقواس وأنصاف دوائر، ويتجنب تجزئته إلى قطع ذات زويا كي لا يتكسر[4]. وتتعدد استعمالات قطع السلك الصغيرة، فتحضر في إعداد فجوات (**النيال الزجاجي**)، وفي تركيب مكونات وزخارف متنوعة لمختلف أشكال الحلي؛ كما تحضر بشكل كبير في إنجاز حلقات السلاسل وفي إعداد الحلي بتقنية السلك بالحَبِّ.

[1] **Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p..29**

[2] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 65**

[3] **يعرف السلك المبروم بأربعة أسماء : "سلك ن-اوزلاك"، "سلّك ايزلكن"، "سلك ن-وارّاف"، "سلك ايتيارافن"**

[4] **Benfoughal T., op. cit. p.185**

2) تقنية (السلك بالحب)/ (تاتُّولْت ن سّلك)

يستعمل لفظ (الفيليكران) [filigrane] في اللغة الفرنسية للدلالة على تقنية تمزج السلك والحبيبات لإنجاز زخارف الحلي في بعض مراكز الصياغة[1]، فيُجزَّئ السلكُ إلى قطع رفيعة تدمج في هياكل أو تركب فوق صفيحة فضية، ثم تلحم حبيبات فضية صغيرة بين قطع السلك بشكل متناسق. لم نجد ترجمة عربية مقنعة للمصطلح الفرنسي(الفيليكران)، لذا نقترح استعمال عبارة (السلك بالحب) التي نرى أنها تعطي فكرة قريبة عن طبيعة التقنية. أما الأسماء المحلية لهذه التقنية، فقد وثقت منها جاك مونيي مصطلحين، أحدهما أمازيغي والآخر بالعربية الدارجة، وكانا منتشرين في الجنوب المغربي، وهما[2]:

- (**تاتّولت ن سّلك**) بالأمازيغية، وتعني حرفيا: (**لَفُّ السِّلْك**)[3]، وذلك لأنها تعتمد على لف السلك الفضي للحصول على التركيبات والزخارف[4].

- (**الطرز دْيَال السلك**) بالعربية الدارجة، تشبيها لدور السلك الفضي في تزيين الحلية المعدنية بوظيفة خيط الحرير في تزيين الثوب بالتطريزات.

تنقسم تشكيلات (**السلك بالحب**) إلى صنفين، وهما: (**المحمول**) و(**الحر**)[5]، ولكل نوع منهما طريقة تركيبه المميزة ومجالات استعماله الخاصة.

- **التشكيل المحمول**: تكون عناصره ملحومة فوق صفيحة فضية تشكل الحامل أو قاعدة الحلية، ولا يتطلب هذا النوع الكثير من الجهد، لأن وجود الحامل يسهل عمل الصائغ.

- **التشكيل الحر**: وهو النوع الذي تسميه جاك مونيي: "فيليكرانا مخرما"[6]، لأن عناصره تُلْحَم ببعضها على شكل هياكل مخرمة، وبه تُصنع الكريات والأشكال الزخرفية المجوفة. يتطلب هذا النوع الدقة والتركيز والخبرة لضمان تماسك قطع السلك التي لا تستند إلى أي حامل.

<u>الانتشار:</u>

كانت تقنية (السلك بالحب) منتشرة في مجالين جغرافيين متباعدين: يتركز الأول في مدينة (**الصويرة**)، غربا، بينما يمتد الثاني على مساحات واسعة شرقا انطلاقا من منطقة (تاليوين) في قبيلة (ءيسكتان) شرقي تارودانت وصولا إلى (واحات دادس) في الجنوب الشرقي.

---

[1] **Rabaté M.-R., Bijoux . op.cit.p. 95**

[2] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 69**

[3] **enroulement du fil**

[4] **اورد محمد شفيق في معجمه فعل "نتّل" او "نسّوتل" بمعنى: لفّ، والاسم : (وْتول) أو (اسوتل) بمعني اللف والضم، انظر: شفيق، المعجم، الجزء الثالث، ص.48.**

[5] **Benfoughal T., op. cit. p.185**

[6] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 65**

- (**المجال الغربي**):

ساهمت مدينة الصويرة[1] في نشر أسلوب (السلك بالحب) نحو مراكز ناشئة في اتجاه الجنوب، وخاصة نحو تيزنيت[2]، التي تطورت فيها الخبرات الوافدة انطلاقا من أواسط القرن العشرين[3]، حتى صارت جزءا من التقاليد الراسخة للصياغة في المدينة.

- (**المجال الشرقي**):

كان انتشار (السلك بالحب) يشمل مراكز موزعة في قبائل (**ءيسكتان**)، و(**ءيزناڭن**)، وكتلة (**سيروا**) و(**ءايْتْ وَاوْزْڭيتْ**)[4]. وكان الصاغة يدمجون هذه التقنية العريقة في إنجاز النيال الزجاجي الذي يعطي لحلي المنطقة ميزة خاصة.

لقد شكل (السلك بالحب) خاصية أساسية من خصائص الصياغة بالجنوب المغربي، وتعايشت قديما مع خبرات ومعارف حرفية متعددة وفي مقدمتها (**النيال الزجاجي**) و(**النقش على الفضة**). وتغيرت وضعية هذه التقنية تدريجيا مع اختفائها من كل المراكز التي كانت منتشرة شرقا بين (**تاليوين**) و(**واحات دادس**)؛ أما في المجال الغربي قرب المحيط الاطلسي، فقد ازدهرت بشكل كبير، وانتقلت من موطنها التقليدي في (**الصويرة**) نحو (**تزنيت**) و(**إنزكان**) لتستمر في إلهام الصاغة وإثارة اهتمام الزبناء.

خامسا: (التشبيب):

يعمد الصائغ في آخر مراحل صناعة الحلية إلى تسقيتها في خليط فائر لتتخلص من اللون الناتج عن تعرضها للنار وتكتسب اللون الأبيض، وتسمى هذه العملية: (**التشبّيب**) لأنها تعتمد على حجر الشَّبُّ، الذي يسمى محليا (**ءاژاريف**). فبعد انتهاء مراحل إعداد الحلية، يضعها الصائغ في إناء من النحاس (**تـاشْبّابْتْ**) المملوء بالماء مع قليل من الشب (ءاژاريف)، ويضع الإناء فوق النار حتى درجة الغليان، حيث يبيضُّ لون الحلية بياضا مميزا، وتكتسب اللمعان الفضي. أما إذا كانت الفضة ذات عيار منخفض، فإن لونها سيميل إلى الاحمرار؛ فتضاف حبة ملح حينئذ إلى الخليط للحصول على البياض المطلوب[5]. وفي الأخير تُصقل الحلية بالرمل لزيادة لمعانها، وتجويد ملاستها.

يستعمل أغلب الصاغة بالجنوب المغربي حجر الشب والملح والماء للقيام بعملية التشبيب. غير أن جاك (مونيي) ذكرت بأن سائل الرمان الحامض يضاف بدوره إلى هذه العناصر[6]، ولكن الكاتبة لم تعطي تفاصيل عن كيفية إعداد هذا السائل، ولا عن المجال الذي تنتشر فيه هذه الممارسة. وأثناء قيامنا بأبحاث

---

[1] كان صاغة مدينة الصويرة يبدعون في تقنيتين مختلفتين، وهما: النقش على الفضة والسلك بالحَبِّ.

[2] Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 69

[3] Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. p. 20

[4] Jacques-Meunier D, « Bijoux ». op.cit. , p. 69

[5] تختلف الروايات التي استقيناها من العديد من الصاغة حول دور الملح في هذه العملية، فمنهم من يذكرها ضمن العناصر الأساسية لخليط التشبيب بالإضافة الى الماء والشب بغض النظر عن نوعية الفضة، بينما يربط البعض الآخر حضورها بنوعية المعدن، فالفضة الجيدة لا تتحمل حضور الملح الذي يجعلها سوداء اللون.

[6] Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 64

ميدانية في قبيلة (**تاڭموت**) الواقعة على الطريق بين (**ءيغرم**) و(**طاطا**)، صادفنا آخر جيل من السكان الذين يحفظون أسرار هذه التقنية الفريدة، ووصفوا طريقة إعداد السائل اللزج الأسود من الرمان الذي يسمى محليا (**أماغوس**)[1] ويدخل في عملية التشبيب.

يستخدم سكان المنطقة نوعا خاصا من الرمان الحامض المسمى (**ءاسْمُّوم**) أو(**الكسْمُوم**)، ويقطفون فاكهته الصغيرة الحجم خلال الفترة الممتدة ما بين شهري أكتوبر ونونبر. وتتولى النساء قطع الرمان ونزع حباته وطحنها برفق بواسطة الرحى اليدوية، ثم يَعْصِرن الخليط للحصول على عصير سائل في إناء من الفخار مع كمية من الماء، ويترك ليطبخ فوق النار مع تحريكه بـجريد النخل (**تاشّمرت**). يبقى الخليط فوق الموقد من الصباح الباكر حتى الغروب. وعندما تتغير رائحته وتصبح مثل رائحة السمن المذاب، يُنزل من فوق النار، ويترك ليبرد، وفي الأخير يحفظ في الأواني في انتظار استعماله[2].

يستخدم (**ءاماغوس**) في أغراض مختلفة، فيضاف إلى الحناء وتضمخ به المرأة شعرها لزيادة لمعانه[3]. كما يدخل في الممارسات العلاجية لتخفيف آلام المعدة أو اللوزتين عن طريق شربه مع القهوة.

أما في ميدان الصياغة، فحرفيو هذه المنطقة من الأطلس الصغير، لا يستعينون بالشب لتبييض الفضة، ويعتمدون على سائل (**ءامَاغُوسْ**) الذي يوضع في إناء من النحاس (تاشبّابت) وتغطس فيه الحلية لتكتسب اللون الأبيض[4].

سادسا: النيال

كان الصواغون في الجنوب ينجزون نوعين من (النيال) المختلفين كليا من حيث مَوَادُّ وطَرِيقَةُ الإنجاز، ومن حيث البُعْدُ الجمالي؛ أحدهما يُعدُّ من الزجاج، ويسمى في المعاجم العربية الحديثة: (الميناء)، ويركب داخل فواصل السلك، والآخر يُهَيَّأُ من مكونات الرصاص داخل حفر النقش. ويعرف النوعان محليا بنفس الاسم وهو: (نّيالْ)[5].

---

[1] **ذكر محمد شفيق أن (أماغوس) بالامازيغية تعنى الخل، ، وصانع الخل يسمى بو ڤماغوس، انظر: شفيق المعجم، ج 1، ص. 334.**

[2] **معلومات من السيدة فاطمة بوشي من قرية (اسا) بقبيلة (تاڭموت) بعمالة اقليم طاطا، كانت تبلغ حوالي سبعين سنة عندما التقيناها سنة 2109، وهي من آخر النساء اللاتي يواظبن على إعداد (ءاماغوس)**

[3] **Rovsing Olsen M., Chants de Mariage de l'Atlas marocain, thèse de Doctorat en Ethnologie, Université de Paris X, 1984, p.182.**

[4] **قد تكون لمصطلح (ءاماغوس) علاقة اشتقاقية بلفظ (ءيغوس) الذي يعني لغة: نظيف وطهور. وإذا صح هذا الافتراض فإن (ءاماغوس) سيعني معجميا: المنظف والمطهر، واصطلاحا: الخل ومادة تبييض الفضة. والعلاقة بين الدلالتين المعجمية والاصطلاحية هو أن هذا السائل ينظف الحلية من كل "عيوب" العمليات التقنية المتتابعة فتكتسب لونها الفضي المميز.**

[5] **ا ينطق هذا اللفظ في (القبايل) بالجزائر بصيغة "نّيل" التي تعني لغة: الأزرق .ويستعمل للدلالة على الميناء الزجاجي فقط، لأن النيال الرصاصي غير معروف خارج المغرب. وذكر محمد شفيق أن "الميناء" يسمى في الامازيغية: (امغرّي) براء مفخمة، و(أمالقي) [شفيق، المعجم، ج.3، ص. 176]، وقد يقصد بأمالقي تقنية (تزجيج الخزف) . انظر :**
المختار السوسي ، خلال جزولة، الجزء الرابع، تطوان، المطبعة المهدية ، 1377 هـ ، ص. 152
Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p .21.

1) النيال الزجاجي (نيال ن جّاج):

تنتشر تقنية النيال الزجاجي في مجال شاسع على شكل شريط ممتد من (تيزنيت) غربا إلى واحات منطقة وارزازات شرقا. وتتوزع مراكز هذه التقنية في السفح الشمالي للأطلس الصغير الغربي بكل من (تاهالا) و(أنزي) التي انتقل عدد من صاغتها للاستقرار في مدينة تيزنيت. أما في الأطلس الصغير المركزي، فكان النيال الزجاجي يتعايش مع النيال الرصاصي في العديد من القرى. وانطلاقا من (تاليوين)، سيظهر النيال الزجاجي من جديد في اتجاه قبائل (ءايت واوزكّيت) شرقا بنواحي وارزازات[1]، حيث ستتداخل هذه التقنية مع أسلوب (السلك بالحَبُّ) لتعطي لحلي هذه المنطقة طابعها الخاص، والتي اشتهر فيها صاغة بعض القرى مثل من (**ءِيغِيلْ نْ ءُوغُو**) ببلاد (**زاڭمون**) [2]، ثم (**تَازْنَاخْتْ**) و(**تِيكِيرْتْ**) . وبعيدا عن هذا الشريط الممتد على طول الأطلس الصغير، توجد بعض المراكز المتناثرة على السفح الجنوبي للأطلس الكبير، وخاصة على طريق (**تيزي ن تاست**).

تنحصر مراكز (النيال الزجاجي) داخل فواصل السلك في الجنوب المغربي فقط. والمثير للاهتمام، هو أنها وإن كانت لا تمارس في باقي مناطق المملكة، فإنها تظهر بقوة في مجالات أخرى بكل من الجزائر وتونس. ففي الجزائر، تشتهر بها بعض القرى بجبال (**القبايل الكبرى**)[3]، وفي تونس كان (النيال الزجاجي) بفواصل السلك منتعشا في كل من مدينة (مقنين) و(جزيرة جربة)[4].

<u>طريقة الإنجاز</u>

- إعداد مسحوق النيال:

يتم الحصول على عجينة الزجاج من خلال تكسير ودَقِّ عقيق الزجاج الصغير المختلف الألوان[5]. يُغربَل المسحوق، ويغسل جيدا لكي يتخلص من كل الشوائب ويكتسب لمعانا متجانسا[6].

- إعداد فواصل السلك:

يقوم الصائغ بإنشاء فراغاتٍ بارزةٍ فوق سطح

---

[1] **Besancenot J, Bijoux . op. cit. p. 12.**

[2] **انتقل حرفيون من (تاهالا) قرب تافراوت بالأطلس الصغير الغربي نحو (ءايغيل ن ءوغو) بالقرب من تاليوين، و من هناك نشروا نوعا من الميناء بين قبائل ايت واوزكيت في سيروا الغربية. انظر :**

Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 64

[3] **Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p..21**

[4] **Gargouri-Sethom S. Le Bijou traditionnel en Tunisie Femmes parées, femmes enchainées, Edisud, Aix-en-Provence, 1986,p. 240**

[5] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 64**

[6] **Gonzalez V, op.cit. p. 18**

الحلية، تحدها فواصل من السلك الرفيع لتشكيل الفجوات التي سيوضع فيها مسحوق الزجاج[1]. ويقوم الحرفي أحيانا ببرم السلك الفضي لتكريس طابعه الزخرفي، ثم يجزئه إلى قطع صغيرة مختلفة الأشكال، ويضعها بعناية فوق صفيحة مسطحة سبق له أن رسم فوقها أشكال الحقول الفارغة. ينثر فوق قطع السلك الرفيعة مسحوقَ اللحام، ويعرضها للحرارة لتلتحم بجسم الحلية[2].

تعرف هذه الحقول بأسماء عامة، وهي: (**ءاحَانُو**)، (**تاحانوت**)، و(**البيت**)، وتعني كلها (**الغُرْفة**).

بالإضافة إلى هذه الأسماء العامة، نجد في بعض المناطق، كقبيلة (**أنزي**) شرقي تيزنيت، أسماء مختلفة باختلاف أحجام وأشكال الحقول المحددة بفواصل السلك، ومن بين هذه الأسماء:

- (**ءالْزْمْ**) : ويعني لغة: **حركة السكون** في الكتابة، ويقصد به في مجال الصياغة الفراغات الدائرية الصغيرة، تمييزا لها عن (**ءاحانو**) و(**تاحانوت**) اللذان يدلان على فجوات دائرية أكبر.

- (**ءُورّفاع**): وجمعه (**ءورّفاعْن**)، ويعني لغة: (حركة الضمة)، ويقصد به الحقول المقوسة أو التي لها شكل نصف دائري. ويميز الحرفيون بين (**ءورّفاع مزّين**)، أي: (**الضمة الصغيرة**)، و(**ءورّفاع مقّورن**)، أي: الضمة الكبيرة، وذلك تبعا لحجم الفجوة[3].

- (**تَالُّوزْتْ**): تعني لغة: (**حبة اللوز**)، وتطلق على الفجوة ذات شكل المعين الهندسي.

يستلهم هذا المعجم ثلاثة حقول دلالية مختلفة، وهي: المعمار، والأشجار المثمرة، والتعليم وبالضبط، عملية الكتابة. وتبين هذه المصطلحات أن الصائغ في المجتمع التقليدي ورغم تخصصه في نشاط حرفي، فقد كان له إلمام بمعجم التعليم، بفضل فترة التكوين التي يقضيها الأطفال عادة في مسجد القرية (**تيمزگيدا**) لتعلم القراءة والكتابة.

- وضع النيال وتذويبه:

يمزج الصائغ مساحيق الزجاج بالماء، وينقل كميات صغيرة منها بواسطة قضيب رقيق من الخشب أو المعدن نحو الفجوات فوق سطح الحلية. ويضع (النيال) المبلل، كلُّ لوْنٍ على حدة، بالترتيب في الفراغات الخاصة بها، وعندما تجف المساحيق، توضع الحلية في الموقد، وتترك إلى أن تبلغ الحرارة حوالي 800 درجة مئوية، حيث يذوب مسحوق الزجاج، ويلتحم بسطح الفضة. عند إخراج الحلية من الموقد، يكون لون (النيال) السائل أحمر بفعل الحرارة، ولكنه بعد برودته، يستعيد ألوانه الأصلية ويصبح لامعا[4]، فيحمي الصفيحة الفضية بطبقة مصقولة من الألوان البراقة التي لا تتأثر بالهواء والرطوبة[5].

---

[1] هناك تقنية أخرى للنيال الزجاجي تعتمد على وضعه مباشرة في نقوش محفورة في جسم الحلية ويسمى [champlevé] كانت هذه التقنية معروفة في مكناس والمناطق المجاورة، أما صاغة الجنوب المغربي فقد مارسوا النيال داخل فواصل السلك الفضي فقط :
Gonzalez V, op.cit. p. 19

[2] Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 64

[3] معطيات شفوية من المعلم العربي أوبيهي في تيزنيت

[4] Gonzalez V, Emaux, op.cit. p.19

[5] C Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p..21

يتطلب تذويب (النيال) تركيزا خاصا، فدرجة ذوبان المسحوق الزجاجي(حوالي 800 درجة)، قريبة من درجة ذوبان السلك والصفيحة الفضيين، التي تبلغ (حوالي 962)، لذا يجب على الصائغ أن يُبقي الحلية في الموقد لمدة كافية لذوبان المساحيق الزجاجية وتحولها إلى طلاء، مع الحرص ألاَّ تصل الحرارة إلى درجةٍ تذوب فيها الأسلاك الدقيقة المكونة للفجوات[1].

أكثر ألوان عقيق الزجاج استعمالا لإعداد (النيال) هي : الأصفر، والأزرق، والأخضر، والأحمر. أما الأبيض، والأسود، فيغيبان تماما عن هذه التقنية؛ وكانت لكل منطقة ألوان تميزها، وتسمح بالتعرف على الحلي التي صنعت فيها؛ فيغلب على اللونان الأصفر، والأزرق على إبداعات الأطلس الصغير الأوسط[2]، بينما كان صاغة (**عيغيل ن عوغو**) يميلون إلى (النيال) الأصفر والأزرق السماوي[3].

الأصل:

أَثار النيال الزجاجي داخل فجوات السلك اهتمام أغلب الباحثين الذين درسوا الحلي بالجنوب المغربي وبشمال إفريقيا بشكل عام، ونظروا إلى هذه الزخرفة باعتبارها تقنية "عالمة" تتطلب الإلمام بخبرات فيزيائية معقدة، لذا حاولوا البحث عن أصولها المحتملة خارج المحيط الذي تمارس فيه حاليا، وذلك انطلاقا من محاولتهم الإجابة على الأسئلة الثلاثة التالية:

- ما هو الموطن الأصلي لتقنية النيال الزجاجي؟
- من قام بنقلها إلى مواطنها الحالية؟
- في أي فترة وفي أية ظروف تاريخية تم هذا الانتقال؟

دشن هنري طيراس [Herni Terrasse] البحث عن أصل تقنية النيال الزجاجي منذ سنة 1930 في مقال صدر له بمجلة هيسبيريس حول أصول الحلي المغربية. انطلق فيه من ملاحظة أساسية بالنسبة له مفادها أن فن الصياغة الأمازيغية بصفة خاصة، والفنون المعدنية بصفة عامة، كانت منفتحة على التأثيرات القادمة من المدن، وذلك عكس الفنون الأخرى كالنسيج وصناعة الطين والخشب التي تبقى ملتصقة ببيئتها القروية المحلية. بعد ذلك، انتقل الكاتب ليعقد مقارنة بين الحلي المنتشرة في الجنوب المغربي، وحلي مدينة غرناطة بالأندلس، ولاحظ ان بينهما تشابها كبيرا على مستوى التقنيات المستعملة في الإنجاز وفي طُرُق تركيب العناصر والزخارف التزينية. وافترض الباحث ـ اعتمادا على هذه المقارنة ـ أن تكون الحلي المزينة بـ(النيال) الزجاجي المنتشرة في سوس مقتبسة من الفنون المعدنية الغرناطية، ورجّح أن يكون الصاغة المطرودون من الأندلس، سواء كانوا مسلمين أو يهودا، هم من أحضر هذا

[1] **Gonzalez V. Emaux, op.cit.p.19**
[2] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. p. 72**
[3] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. p. 72**

الإرث. وقد استبعد أن يكون لمدينة مراكش التي تلقت جزءا من التراث الأندلسي، أي دَوْرٍ في نقل فن (النيال) الزجاجي إلى الإمازيغ[1].

وسع (جورج مارسي) مجال هذا الموضوع ليشمل المغرب والجزائر. واستعرض في بحث نشره سنة 1958 بعض خصائص حلي (**القبايل**) بالجزائر، وخلص إلى أن ما يميز هذا الفن ويجعله غريبا ومتفردا، هو اعتماده على تقنية (النيال الزجاجي)، داخل فواصل السلك، ويرى أن هذه التقنية غريبة عن المراكز القروية للتي تمارس فيها، لأنها في نظره تحتاج إلى دراسات مختبرية وإلى تجارب وخبرات متراكمة، ولا يمكن أن تُبْدَع إلا من طرف ثقافة عالمة. وذكّر الباحث بأن فن (النيال الزجاجي) كان معروفا في الأندلس خلال الفترة الإسلامية، وخاصة في غرناطة ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين؛ وقد اشتهر في هذا الإطار، سيف معروف في الأدبيات التاريخية بـ "سيف أبو عبد الله"، كان المسيحيون غنموه في معركة وقعت مع المسلمين سنة 1483، وكانت قبضته مزينة بـ(نيال الزجاج) داخل فواصل السلك.

وفي الختام افترض جورج مارسي أن دخول النيال الزجاجي كان مرتبطا بطرد الموريسكيين الذين ادخلوا تقنياتهم في مجال الصياغة إلى مدن مثل مراكش وتارودانت بالنسبة للمغرب، وبجاية ومدينة تونس بالنسبة لكل من الجزائر وتونس، قبل أن تنتقل تلك التقنيات، في مرحلة لاحقة، نحو القبائل الأمازيغية[2].

فكرة الأصل الأندلسي لتقنية النيال الزجاجي التي روج لها(طيراس)، وتحمس لها (مارسي) ستجد صدى واسعا في أغلب الدراسات التي تطرقت لهذا الموضوع بعد ذلك، فقد أكدت (جاك مونيي) أن أهم مراكز الحلي بالجنوب المغربي كانت مستقرا لليهود الإسبان الذين تَنْسبُ لهم الفضل في نقل هذه التقنية بعد طردهم من شبة الجزيرة الإيبيرية وانتقالهم إلى شمال إفريقيا حيث استقروا في الموانئ في بداية الأمر[3]. وزكَّتْ كامبس فابرير (Camps-Fabrer) افتراضات الباحثين السابقين، وذكرت أن تقنية النيال مقتبسة من الأندلس انطلاقا من بداية القرن الخامس عشر. والجديد في أفكارها هو اعتقادها بمساهمة الوندال والبزنطيين في إعداد سكان شمال إفريقيا لاستقبال تقنية (**الميناء الزجاجي**)؛ وتستند في اعتقادها على العديد من اللقى الأثرية التي تثبت أن الوندال عملوا على نقل جانب من الخبرات الخاصة بهذا الفن نحو شمال إفريقيا منذ القرن الخامس الميلادي[4]. وأخيرا نشرت فاليري كونزاليز(Valerie Gonzalez) دراسة خاصة حول (**النيال الزجاجي**) بفواصل السلك سنة1994، ونسبت بدورها للصاغة اليهود القادمين من الأندلس فضل إدخال هذه التقنية إلي بلدان شمال إفريقيا. ولكنها تؤكد أنه من الصعب

[1] H. Terrasse, "Note sur l'origine des bijoux marocains" in Hespéris, 1930,p.125-130
[2] Marçais G., Les Bijoux Musulmans de l'Afrique du Nord, Alger, Imprimerie officielle, 1958,p.14-16 = Marçais G., Les Bijoux Musulmans.
[3] Jacques-Meunier D, « Bijoux ». op.cit. , p. 64
[4] Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p.100

تحديد الفترة الزمنية التي تم فيها ذاك، وإن كانت تعتقد بأن الطرد الذي وقع بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر، لم يكن بداية دخول (**النيال الزجاجي**) إلى البلدان المغاربية، وإنما جاء لإغناء تقليد راسخ[1].

واضح أن كل هذه الآراء ليست سوى افتراضاتٍ نظريةٍ، لا تعتمد على أية معطيات تاريخية، أو دلائل أثرية، وإنما تندرج في إطار أحكام مسبقة تعتقد أن المغرب لم يكن قادرا على إبداع الفنون والتقنيات. ونرى أنه من الممكن التشكيك في هذه الافتراضات استنادا على المعطيات التالية:

- الباحثون الذين نسبوا النيال الزجاجي إلى تأثير أندلسي، هم أنفسهم مقتنعون بصعوبة البحث في أصول هذه التقنية؛ فجورج مارسي ختم تحليلاته بالإشارة إلى أن النتائج التي توصل اليها "**ليست سوى مجرد مغامرة في مجال الافتراض التاريخي**"[2]. ونفس الشعور ساور كامبس فابرير، التي أقرت بصعوبة كتابة تاريخ الحلي بسبب انعدام الوثائق الأركيولوجية والمعطيات التاريخية[3].

- يفترض الدارسون أن تقنية النيال الزجاجي بفواصل السلك لم تكن ممارسة في المغرب، وبالتالي كان لزاما انتظار طرد الصاغة الأندلسيين لكي ينقلوها معهم. وهذا الطرح يتناقض مع الواقع التاريخي الذي يؤكد أن الخبرات والفنون والمعارف والعلوم كانت تنتقل باستمرار بين العدْوتين، وكان الحرفيون المغاربة بدورهم ينتقلون إلى الأندلس لتقديم خبراتهم والمساهمة في إقامة صروح الحضارة في الجزيرة الإيبيرية[4]. وفي هذا الإطار، لا شيء كان يمنع هؤلاء الباحثين من افتراض أن النيال الزجاجي كان إرثا مشتركا بين الصاغة في الأندلس وفي شمال إفريقيا في نفس الوقت، وعند طرد الحرفيين اليهود والمسلمين من الأندلس، سيجدون عند وصولهم نفس التقنيات التي خلفوها وراءهم.

- وردت الإشارة إلى النيال في رحلة ابن بطوطة أثناء زيارته للهند حين ذكر مكونات الهدية التي بعثها ملك الهند إلى ملك الصين والتي كان من بينها "**ست حِسَكٍ من فضة منيلة**"[5]. لا نعرف بالضبط الدلالة التقنية لمصطلح "منيلة" الوارد في الكتاب، ولكن من الواضح أن لها علاقة بزخرفة الحلي والمصنوعات الفضية، أي نفس الدلالة التي يحملها النيال في المغرب إلى الآن، ونعتقد أن استعماله من طرف ابن جزئ، محرر رحلة ابن بطوطة، دليل على أن هذا المصطلح كان شائعا في المغرب خلال العصر المريني، وأن المغاربة يعرفون الفضة المزينة "بالنيال" في المدن والحواضر، فلو كانت هذه التقنية غريبة عن المجال الثقافي والتقني لاضطر الكاتب للوقوف عندها وشرحها وتقريب دلالتها للقراء.

- كان النيال الزجاجي، وكما رأينا، منتشرا في مجال شاسع يمتد من تيزنيت قرب المحيط الأطلسي غربا، إلى ضواحي وارزازات شرقا، ومن واحات جبال باني عند تخوم الصحراء جنوبا، إلى

---

[1] Gonzalez V., Emaux, op. cit. p.238.

[2] Marçais G., Les Bijoux Musulmans, op.cit . p. 14-16

[3] Camps-Fabrer H. , Kabylie. op . cit.p. 108.

[4] عندما اجتاز يعقوب المنصر الموحدي إلى الأندلس في رمضان 567 وأمر ببناء الجامع الكبير بإشبيلية الذي انتهت به الأشغال شعبان عام 571 . استدعى للمساهمة في الأشغال "العرفاء البنائين من أهل اشبيلية، وجميع عرفاء أهل الاندلس، ومعهم عرفاء البنائين من أهل حضرة مراكش ومدينة فاس وأهل العدوة" . أنظر : ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، درا الغرب الإسلامي تونس طبعة 4، 2012 ص. 382-384.

[5] ابن بطوطة ،مصدر سبق ذكره ، ج.2، ص.542,

سفوح الأطلس الكبير شمالا. ولم يكن من الممكن أن تبلغ التقنية هذا المدى من الانتشار، إلاَّ عبر مرحلة طويلة من انتقال الخبرات على يد أجيال من الصاغة في إطار ممارسات حرفية متجذرة في تاريخ المنطقة.

- تعتبر فواصل السلك الزجاجي المكون الأساسي لهذه التقنية، وسر تفردها عن باقي أنواع النيال، وكان الحرفيون يستخدمون معجما محليا مضبوطا لتحديد هذه الفواصل؛ ويضم هذا المعجم، كما رأينا، الفاظا مستلهمة من المعمار(**تاحانوت**) ومن الأشجارَ المثمرة (**تالّوزت**)، بالإضافة إلى مصطلحين هامين من حقل التعليم، وهما: (**ءالْزْمْ**) بمعنى حركة السكون، و(**ءورّفاع**) بمعنى حركة الضمة. ونرى أن استخدام مصطلحات محلية لتحديد التفاصيل الدقيقة للنيال الزجاجي دليل على أن هذه التقنية مرتبطة بمجالها الذي تفاعلت معه وأثر في معجمها.

تجعل هذه العواملُ الباحثَ مترددا في التسليم بافتراضات جاهزة تنسب تراثا تقنيا وفينا معقدا إلى تأثيرات خارجية دون الاعتماد على وثائق أثرية مادية ملموسة، أو كتابات تاريخية صريحة. ونرى أن النيال الزجاجي داخل فواصل السلك، كان من التقنيات المشتركة بين شعوب ضفتي غرب البحر الأبيض المتوسط، ومارسه الصاغة في المجالين معا، إلى أن اختفى من الأندلس تدريجيا مع طرد الحرفيين اليهود والمسلمين، بينما واصل حضوره في شمال إفريقيا إلى الآن، حيث تعتبر سوس من بين المناطق التي كان لها دور في الحفاظ عليه كتراث إنساني عريق.

2) النيال الرصاصي:

تتميز الحلي في الجنوب المغربي بغلبة اللون الأبيض الفضي على صفائحها. وسعيا لخلق توازن تشكيلي للحلية، يعمد الصائغ إلى ترصيع الزخارف المنقوشة بمواد سوداء اللون كي تساهم في خلق تقابل مدروس وتكامل بديع بين بياض الفضة وسواد مادة الترصيع. وتختلف جودة ومتانة الترصيع باختلاف المواد المستعملة، والتي يمكن تقسيمها على العموم إلى صنفين، صنف بسيط الإنجاز ولكنه معرض للزوال بسهولة، وصنف ملتحم بالحلية ويتطلب مهارات خاصة وهو (**النيال الرصاصي**).

يُعِدُّ بعض الصاغة خليطا بسيطا أسود اللون مكونا من شمع النحل والسخام المأخوذ من قيعان الأواني الفخارية المستعملة في الطبخ، ويملأ به النقوش المحفورة في الصفيحة[1]. ويمكن إزالة هذ الخليط العادي بمجرد تنظيف الحلية. أما (النيال الرصاصي) فيضيف بريقه الأسود الداكن للمعان الفضة، ويلتحم

[1] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 64**

بالسطح المعدني ويصبح جزءا أساسيا من الحلية، ويدوم تأثيره الجمالي ما لم يرغب الصائغ في إزالته بواسطة التذويب.

مكونات النيال الزجاجي:

إذا كان المعلومات عن إعداد (النيال الزجاجي) متاحةً للجميع، ولا تطرح مشكلا للدارس الراغب في توثيقها، فإن ممارسي (النيال الرصاصي) حريصون على الاحتفاظ بأسرار تقنيتهم، وقد يقبل الواحد منهم جلوس الباحث أو أي شخص آخر أثناء حفر الفجوات في سطح الحلية، أو أثناء تمرير قضيب النيال الأسود فوق الحلية ليذوب ويترسخ في النقوش؛ ولكنه لا يفصح أبدا عن تركيبة المواد التي يصنع منها النيال، ولا طريقة إعداده وتحويله إلى قضبان صغيرة معدة للاستعمال.

ورد في مقال قديم عن تعاونيات الصاغة بالصويرة بتاريخ أبريل سنة 1937، أن النيال يتكون من التركيبة التالية: الفضة الدقيقة، والنحاس الأحمر، والرصاص، وآثار البوراكس [borax]... وعندما أُخِذت قطعة من النيال من صائغ من (إيداونيضيف) وتم تحليلها في مختبر المعادن التابع للمتحف الوطني للتاريخ الطبيعي بباريس تبين أن تركيبتها بسيطة وتتكون من: معدن الإثمد الذي يوجد بكثرة في المغرب، وما على الصائغ إلا أن يسحق هذه المادة ويذوبها ويحولها إلى قضبان صغيرة جاهزة للاستعمال عند الحاجة[1].

لقد سمحَتْ هذه المعطيات المتفرقة بتكوين فكرة عن المواد الأولية التي تدخل في إعداد النيال، ولكن تفاصيل تحويلها إلى عنصر قابل لتزين الفضة تبقى سرا من أسرار الحرفة التي يحرص الصاغة على الاحتفاظ بها بنوع من القدسية، ولا يلقنونها إلا لدائرة ضيقة من الممارسين.

وضع النيال:

لا يسمح الصاغة للباحثين بحضور مرحلة إعداد قضبان النيال الخام، ولكنهم لا يجدون حرجا في السماح لهم بتصوير طريقة وضع هذه المادة على الحلي الفضية. وقد وثقت راباتي هذه العملية في إحدى قرى (لاخصاص) سنة 1989 عندما كان النيال ما يزال محافظا على خصائصه العامة:

[1] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. p. 69**

"يثبت الصائغ صفيحة مستطيلة من الفضة على لوح خشبي بواسطة مسامير. وبعد ذلك يُحدَّد محيط القطعة المراد إنجازها بواسطة أداة حادة، ويحفر نقوشا عميقة في الصفيحة التي ستستقبل النيال لاحقا، ويزيل الصفيحة من اللوح الخشبي، ويقص منها القطعة المعدة للحلية مع الإبقاء على "مقبض" صغير مؤقت للتحكم فيها خلال باقي مراحل الإنجاز، ويمسك القطعة من المقبض بملقط صغير ويضعها فوق مصدر للحرارة، ويمسك بملقط آخر قضيب النيال ويمرره على الصفيحة الساخنة. يَذُوبُ النيال من القضيب ويغطى القطعة كلها بطبقة سوداء لامعة. وعنما تبرد هذه الطبقة، يزيل الصائغ بواسطة المبرد كل النيال الواقع على سطح الصفيحة وخارج الحفر"[1]. فتظهر الفضة البيضاء مزينة بالزخارف السوداء.

يزين النيال الرصاصي كل الصفائح الرفيعة المكونة لحلي الأطلس الصغير الأوسط بما في ذلك المشابك (**تيزرزاي**) المثلثة الشكل المميزة لهذه المنطقة، أما في المجال الغربي فيرصع الصفائح التي تدخل في تركيب القلائد والأكاليل والخواتم، ولكنه لا يزين المشابك.

الانتشار:

كان النيال الرصاصي مزدهرا في مجال جغرافي محدد بالجنوب المغربي، وبالضبط على طول سلسلة الأطلس الصغير وجبل باني. وتتركز معاقله بشكل مكثف في الأطلس الصغير الأوسط[2]، حيث اشتهرت (إيداونيضيف) والقبائل المجاورة في السفح الشمالي، وقرى (تاكْموت) في اتجاه الجنوب وصولا إلى (الفائجة) وباقي الواحات عند قدم السفح الشمالي لجبل باني. وفي الأطلس الصغير الغربي، اشتهرت قرى في (ءيداوسملال)، و(ءيداوكّارسموك) بتحكمها في النيال الرصاصي إلى جانب النيال الزجاجي داخل فواصل السلك[3]. وكانت ماسة تشكل أبعد مركز لهذه التقنية بالقرب من المحيط الأطلسي[4]. توقف إنجاز النيال الرصاصي في كل هذه المراكز منذ عقود، واقتصرت ممارسته في الوقت الحاضر على بعض الأسر في قبيلة (**لاَخصاص**) بإقليم سيدي إفني في الطرف الغربي للأطلس الصغير، والتي تواصل المحافظة على إرْثٍ فريد.

[1] **[1]Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. p. 69**
[2] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 64**
[3] **Besancenot J, Bijoux. op. cit.p. 29.**
[4] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. p. 61-62**

وتجدر الإشارة إلى أن الصاغة اليهود أبدعوا في أغلب تقنيات الصياغة المعروفة في الجنوب، باستثناء النيال الرصاصي الأسود الذي كان انتشاره مرتبطا بمراكز اشتغال الحرفين المسلمين من الأمازيغ.

اشتهر الأطلس المتوسط، والأطلس الكبير الشرقي بتقنية قريبة من النيال الرصاصي من حيث تأثيرها البصري ولكنها تختلف عنها من حيث المواد وطريقة الإنجاز. كانت هذه التقنية في بداية القرن العشرين، من اختصاص الصاغة اليهود بكل من (**صفرو**) و(**المرس**) الذين كانوا ينتقلون بمنتجاتهم الفضية المزينة بالطلاء الأسود آنذاك، نحو قبائل المنطقة مثل (**أيت شغروشن**) و(**ايت يوسي**). ووصف كوداغ سنة 1928 طريقة إنجاز ذلك الطلاء، الذي يهيأ انطلاقا من صمغ شجرة العرعار المسماة محليا (**تِيقِي**):[1] يُثَبِّت الصائغ صفيحة الحلية الفضية فوق حامل خشبي ويحفر فيها نقوشا عميقة بواسطة أداة تسمى "المقلع"، ثم يقوم بتذويب صمغ العرعار، ويصبه وهو ساخن في النقوش، وعندما يبرد يعطي لونا بنيا لامعا يميل إلى السواد.[2] وسيتخلى الحرفيون بعد ذلك عن الصمغ المحلي، ويعوضوه بكريات من اللَّكْ الأسود (laque noire) المستقدم من فاس، والذي يضيفون له قليلا من اللون المسمى نّيل [*niil*][3]

يلتقي نيال الاطلس الصغير في الجنوب مع صمغ الأطلس المتوسط شمالا في اللون الأسود البراق الذي يصبغانه على الحلي. ولكنهما يختلفان في تفاصيل تقنية أساسية نجملها في نقطتين:

- يعتمد الطلاء الأسود في الأطلس المتوسط على مادة عضوية نباتية وهي صمغ شجر العرعار، بينما يعتمد النيال في الجنوب على مواد معدنية في مقدمتها الرصاص.

- يُذَوَّب طلاء الصمغ، في الأطلس التوسط، ثم يفرغ سائلا في حفر النقش، أما في الجنوب، فيكون النيال معدا سلفا على شكل قضبان صغيرة يمررها الصائغ فوق سطح الحلية الموضوعة فوق مصدر للحرارة، فيذوب تدريجيا ويترسخ في النقوش.

تبعا لما وثقته الدراسات الإثنوغرافية منذ بداية القرن العشرين، فإن النيال الرصاصي بخصائصه التقنية والجمالية المعروفة كان منتشرا في مراكز الأطلس الصغير وبعض واحات جبل باني. ولم تثبت ممارسته في باقي بلدان شمال إفريقيا. فالدراسات التي نشرت حول الجزائر وتونس منذ بداية القرن العشرين مع بول أُوديل انطلاقا من سنة 1902 و1904 لا تذكر استعمال النيال الأسود. وهذا ما يجعل من هذه التقنية "علامة مسجلة" للأطلس الصغير، عكس باقي التقنيات التي كانت تنتشر في باقي مناطق المغرب وشمال افريقيا.

---

[1] تسمى بالفرنسية **genévrier oxycèdre**

[2] **Besancenot J, Bijoux. op. cit.p. 7**

[3] **Goudard J., op. cit. p. 291.**

الأصول:

لا نعلم شئيا عن الظروف التاريخية والبشرية التي أوصلت لنا تقنية النيال الرصاصي في الإطار الجغرافي الذي انتهت إليه في بداية القرن العشرين. ولاحظت جاك مونيي أن مجال النيال يشمل منطقة هامة للعبور عبر الأطلس الصغير من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي، أي من تارودانت إلى طاطا عبر (**إيغرم**) أو إلى (**تيسينت**) عبر (**الفايجة**)، لتخلص إلى التساؤل عما إذا كانت تقنية النيال انطلقت في البداية من (**تارودانت**) التي كانت حاضرة سوس وعاصمته قديما[1]. قد يبدو ربط نشأة النيال بتارودانت مقنعا من الناحية النظرية، باعتبار المدينة كانت (**حاضرة الجنوب**)، ومركز إشعاع ثقافي وتجاري وفني في محيطها القبلي، غير أننا لا نتوفر على المعطيات التاريخية التي تسمح بتأكيد أو دحض هذا الافتراض.

كانت جاك مونيي من الكتاب القلائل الذين تطرقوا لأصل تقنية النيال الرصاصي، وحاولت ربط نشأته بمدينة تارودانت. وهو موقف مناقض لسلوك نفس الباحثة وباقي الدارسين الغربيين، الذين تناولوا أصول النيال الزجاجي وتحمسوا جميعا لربطه بتأثير أندلسي. ويمثل النيال الرصاصي نموذجا حيا لحدود مقاربة الباحثين الذين تعودوا على ربط كل إبداعات المغرب وفنونه بآفاق خارجية، فقد اصطدم منطقهم بهذه التقنية الفريدة التي لم يجدوا لها مثيلا في باقي شمال إفريقيا، ولم يجرؤا على ربطها لا بالأندلس ولا بغيرها من الأقطار. وفي انتظار توفر معطيات أثرية وتاريخية واضحة، سنميل إلى الاعتقاد أن النيال بنوعيه الزجاجي والرصاصي شكل تراثا إنسانيا مشتركا بين مجموعة من الشعوب، وكان للجنوب المغربي الفضل في المحافظة عليه بعد أن اختفي من مناطق أخرى.

التدهور:

لتوضيح التراجع الذي عرفه النيال الرصاصي في مراكز الأطلس الصغير الأوسط، سنستعرض حالة قرية (تاڭموت) الواقعة في السفح الجنوبي للأطلس الصغير الأوسط ، والتي كانت من أهم المراكز المشهورة في مجال الصياغة. أشارت جاك مونيي 1961 إلى تدهور فن النيال تدهورا تاما في هذا المركز، أما في السبعينيات من القرن، فإن راباتي قامت بأبحاث في المنطقة ولم تعثر على أي حرفي ينجز النيال في (تاڭموت). وما وقع في هذه القرية، وقع كذلك في باقي المراكز في واحات (الفايجة) و(ءيندونيضيف) وغيرهما من القبائل، التي انتقل من تبقى من صاغتها من قراهم إلى مركز (إيغرم) الناشئ،[2] بحثا عن فرص أفضل لتسويق منتجاتهم. أما المراكز الواقعة في الغرب، سواء في (ماسة) أو في السفح الشمالي لأطلس الصغير، فكلها توقفت عن ممارسة النيال الرصاصي الذي انحصر أعداده حاليا في قبيلة (لاخصاص) بإقليم سيدي افني

[1] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 70.**
[2] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. p. 64**

سابعا : تقنية (تاوكّا)/ (شهد العسل)

تعرف هذه التقنية باسم **(تاوكّا)** الذي يعني معجميا : (**الدود)**، غير أن الحرفيين حين نطلب منهم وصف الحلية المصنوعة بهذه التقنية، يشبهون التشكيل البصري الناتج عنها بـ(**ءاشاوّور**)، ومعناه (**شهد العسل)**، مما يدعو إلى البحث عن سر التناقض الظاهر بين حضور الدود على مستوى الاسم واستحضار شهد العسل على مستوى صورة التشكيل البصري للحلية.

تترجم الدراسات الاوروبية المشابك المصنوعة بهذه التقنية بـ "fibules de verre"، وترى جاك مونيي أن ما يبرر هذا الاسم هو الانطباع لذي تعطيه الحلية بأنها مثقوبة بعدد كبير من ثقب الدود[1]، وحاولت راباتي أن تفسر العبارة أكثر، وتوضح أن المشبك يشبه لوحة خشبٍ مُسَوَّسٍ نخره الدود[2]. ولكن الباحثين بدورهم شعروا بالتناقض بين اسم التقنية وتشكيلها البصري، فنراهم أثناء وصفها يقارنونها بشهد العسل[3]. لقد شعر الباحثون أن الاسم لا يسمح للقارئ بتكوين صورة عن الشكل الحقيقي للحلى المصنوعة بهذه التقنية، فعمدوا إلى الاستعانة بالتشبيه، ولم يجدوا أبلغ من صورة شهد العسل.

اسم تقنية (تاوكّا) في الأرشيفات العائلية

رقم الوثيقة ومكانها	طبيعة الوثيقة	التاريخ	الصيغة
وثيقة 21 تالـڭجونت	جهاز	ربيع الأول 1204 (1789م)	الخلالة النقرة باربعين اواقية و هما صنعتها الدودة
وثيقة 2، ءاڭنسان	جرد ديون	رمضان 1278 (1862م)	زوجة الخلالة من الدودة
وثيقة 9، من ءاڭنسان	جرد أموال أسرة	شوال 1274، (1858م)	4 زوجات من الخلالة الفضة الصافية ، واحدة صنعة الدو[د]ة
(وثيقة 23) من ءيداوكايس	جرد مسروقات	غير مؤرخ	الخلالة من الدودْ

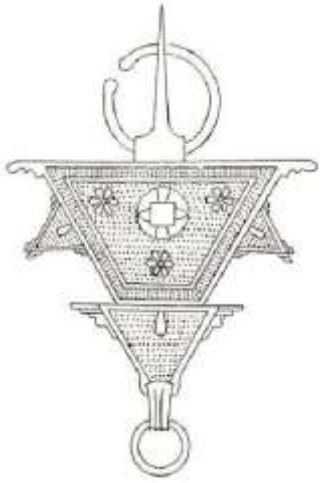

لقد ترجم محررو الوثائق العائلية المحلية (تاوكّا) بلفظ: "الدودة" في صيغة المؤنث، وهو الغالب، وأحيانا، في صيغة المذكر: "الدود"، وهي ترجمة حرفية عربية للفظ الامازيغي:(تاوكّا)، بصيغة المؤنث.

ومن خلال البحث الميداني، وقراءة المعاجم القديمة تبين لنا أن لفظ (تاوكّا)، له على الأقل ثلاثة معاني متكاملة في أمازيغية سوس، وهي:

- الدود بشكل عام.
- السرفة أو الاسروع [Chenille][4]

[1] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 65**
[2] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. p. 28**
[3] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 65**
[4] **Destaing, op. cit . p. 62**

- النحل في إحدى مراحل نموه وبالضبط قبل ظهور أجنحته وقبل قدرته على الطيران[1].

ويتضح من هذه المعاني المختلفة، والمتقاربة في نفس الوقت، أن دلالة النحل هي الأقرب إلى المشبك المسمى (**تازرزيت ن تاوكّا**) التي نرجح ترجمتها معجميا بـ: "مشبك يرقات النحل"، واصطلاحا بـ: "مشبك شهد العسل".

كانت (تاوكّا) تقنية فريدة ومخصصة غالبا لصناعة جسم نوع فاخر من (**تيزرزاي**) / **المشابك**. ويتكون جسم الحلية من أسطوانات مجوفة صغيرة منفصلة، وتلحم ببعضها لتعطي تشكيلا تتكامل فيه المساحات الممتلئة والمساحات الفارغة.

عندما قام بوزونسونو بأبحاثه حول الحلي المغربي انطلاقا من الثلاثينات من القرن الماضي، ذكر بأن الحرفيين توقفوا عن صناعة مشابك (تاوكّا)، وكانوا يبررون ذلك بأن إنجاز هذا النوع من الحلي معقد جدا، ويتطلب وقتا طويلا[2]. وجاءت بعده مونيي في بداية الستينيات، وأكدت أن هذه التقنية لم تعد تمارس، لأن منتجاتها كانت مرتفعة الثمن[3]. وأخيرا أكدت راباتي معاينات الباحثين السابقين الذين لم يتمكن أي أحد منهم من مشاهدة إنجازها لان صنعها توقف منذ أمد طويل[4]

التقينا المعلم احمد بمركز إيغرم سنة 1998، وكان يبلغ من العمر أكثر من ثمانين سنة، ووصف لنا طريقة إنجاز هذه التقنية المتميزة، انطلاقا مما سمعه في طفولته من صاغة قبيلته (ءيداونيضيف)؛ وطبقا لما حكاه لنا، فإن الحرفي يبدأ بلف سلك فضي حول إبرة دقيقة، ثم يستل هذه الإبرة، ويبقى السلك عبارة عن أسطوانة دقيقة مجوفة، وعند الحصول على العدد الكافي من هذه الأسطوانات الصغيرة يضعها الصائغ جنبا إلى جنب وسط هيكل الحلية المشكل من قضبان فضية صغيرة، ثم يرشها باللحام، ويعرضها للحرارة، ويزيلها بمجرد ذوبان اللحام قبل ذوبان الأسطوانات.

كانت تقينة (تاوكّا) ممارسة في بعض مراكز الصياغة الموزعة على قبائل الجنوب وعلى مدنها، كتارودانت والصويرة، وربما في مراكش أيضا. ولم يكن من السهل تحديد أماكن إنجاز المشابك المصنوعة بهذه التقنية إلا في بعض الحالات.[5] ، خاصة وأن النساء كن

---

[1] **معلومة من السيد اوموس أحمد عبر الهاتف بتاريخ شتنبر 2020، والتعبير مستخدم في منطقة (ءاشتوكن) والقبائل المجاورة بسهل سوس.**

[2] **Besancenot J, Bijoux. op. cit.p. 17.**

[3] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 65**

[4] **Rabaté M-R., Bijoux. op.cit. p. 28**

[5] **عندما يكون مشبك (تاوكّا) مزينا بقبيبات من النيال الزجاجي ، سينسب الى منطقة تيزنيت التي تنتشر فيه هذه التقنية. أنظر :**
Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. p. 28

يتزين بهذه المشابك في كل القبائل كمظهر من مظاهر التراتبية الاجتماعية؛ فالقيمة المادية لهذه الحلي كانت مرتفعة جدا لأنها سميكة وثقيلة، ويتطلب إنجازها كمية كبيرة من الفضة، وعملا مضنيا ومكلِّفا من حيث المدة والإتقان[1]. وهذا ما يجعل من الحلي المصاغة بهذه التقنية أغلي قطع الحلي الفضية بالجنوب المغربي على الإطلاق.

لا تشير الأبحاث والدراسات إلى تقنية (تاوكّا) في مناطق أخرى من مناطق المغرب أو في باقي بلدان شمال إفريقيا، مما يجعلها من الخبرات المميزة لمنطقة الجنوب إلى جانب تقنية (النيال الرصاصي).

[1] **Jacques-Meunier D, « Bijoux » . op.cit. , p. 65**

خاتمة

يمكن تقسيم التقنيات التي ازدهرت في الجنوب المغربي إلى ثلاث أصناف:

صنف مشترك مع مختلف مناطق المغرب وشمال افريقيا، ويمثل التقنيات الأساسية لإنجاز الحلي، وخاصة: التذويب، والطرق والتقطيع، والتشبيب، والنقش، وإعداد السلك، وإنجاز نماذج الحلي بتقنية "الفريغ". تعتبر هذه التقنيات من "أبجديات" حرفة الصياغة، التي لا يمكن إنجاز الحلي بدونها، والتي يفترض في جميع الحرفيين إتقانها.

يضم الصنف الثاني خبرات النيال الزجاجي داخل فواصل السلك التي تغني اللون الفضي للحلية بألوان مختلفة من أحمر وأخضر وأصفر وأزرق. وكانت هذه النقنية تمثل إرثا مشتركا بين الأندلس وبعض مناطق شمال افريقيا، وكانت تنتشر في سوس بالمغرب ومنطقة (بني ينّي) بالقبايل بالجزائر، وفي كل من مدينة (مقنين) و(جزيرة جربة) بتونس. وكان النيال الزجاجي شاهدا على التراث التقني المشترك والعلاقات التاريخية المتداخلة بين الجنوب المغربي وبعض مناطق شمال افريقيا من جهة، وبين شمال افريقيا وبلاد الأندلس من جهة ثانية.

بالنسبة للمغرب، اختفت هذه التقنية من المجال الممتد بين (تاليوين) و(تازناخت) شرقا، كما اختفت من السفوح الجنوبية للأطلس الكبير الغربي ومن الأطلس الصغير الأوسط، وبقيت مزدهرة في الأطلس الصغير الغربي، في كل من مدينة تيزينت وفي بعض المراكز القبلية في الجبال المجاورة.

يضم الصنف الثالث خبرات تكاد تنحصر حاليا في سوس، وتشمل بالضبط (النيال الرصاصي الأسود)، وتقنية (تاوكّا). تتميز التقنية الأولى بكونها تضفي على الحلية الفضية اللون الأسود اللامع الذي يساعد على بروز بهاء اللون الفضي، أما التقنية الثانية فتقوم على تشكيل فريد معتمد على مبدأ التقابل بين الفراغات والأجزاء الممتلئة من الحلية، وتتطلب معارف حرفية معقدة. ومن الضرورة إجراء المزيد من البحث لتحديد الظروف التي ساهمت في اقتصار انتشار هاتان التقنيتان الفريدتان على منطقة سوس.

وفي كل الحالات، فإن عمليات إنجاز الحلي بمختلف أصنافها، تساعدنا على قراءة تاريخ الجنوب من زاوية جديدة: زاوية الخبرات والمعارف التقنية والجمالية بكل تشعباتها وأبعادها التاريخية والاجتماعية.

الباب الثاني:
أنواع الحلي

الفصل الأول : حلي الرأس

مقدمة

وصف دييكو دي طوريس الأزياء والحلي النسوية في العديد من المناطق التي زارها خلال إقامته بالمغرب ما بين 1546 1554. وضم كتابه جردا لأهم الحلي التي كانت تتزين بها نساء مدينة مراكش والتي لم تكن تختلف في تصاميمها عن حلي باقي مدن وقبائل الجنوب. فتحدث عن **"حلقات من ذهب وفضة"** كانت تشد كساء الحرير أو الصوف الذي ترتديه المرأة فوق ملابسها. وأضاف أن النساء كن **"يحملن خواتم عديدة من ذهب وفضة، ولالي وجوهر، وأقراطا، وقلائد، وشرائط يعقدن فيها ريالات اسبانية"**[1]. لن نجد صعوبة في تحديد طبيعة أغلب هذه الحلي، فالخواتم تحيط بالأصابع، واللالئ والجوهر تُنْظَم في خيوط لتزيين العنق، والأقراط تتدلى من الأذن. كما نفهم أن **"حلقات الذهب والفضة"** التي تحدث عنها الكاتب تشير بشكل صريح إلى المشابك، لأن وظيفتها واضحة وتساعد على تثبيت كساء المرأة. في حين تبقى **"الشرائط"** التي تعقد فيها النساء **"ريالات إسبانية"** حلية غامضة نسبيا، لأن دي طوريس لا يربطها بجزء محدد من جسد المرأة.

نعرف أن القطع النقدية، من ريالات اسبانية وغيرها من المسكوكات، كانت تُدمج في أغلب الحلي التي تتزين بها المرأة، فتكون عبارة عن قطعة كبيرة تمثل جسم المشبك، أو قطعة صغيرة تتدلى من الأساور أو الخواتم، أو مسكوكات من أحجام مختلفة تنظم في القلائد أو تركب في حلي جبينية. وبما أن دييكو دي طوريس يوضح أن المسكوكات النقدية كانت "تُعْقَدُ" في شرائط، فإننا نرجح أنها كانت تدخل في تركيب حلية جبينية.

وثقت الدراسات الإثنوغرافية أشكال وخصائص أهم أصناف حلي الرأس من أقراط الأذن والأكاليل الجبينية، ووثقت الارشيفات العائلية المحلية أهم أسماء هذه الحلي، وبعض خصائصها الفنية وتوزيعها الجغرافي. وهذا ما وفر مادة هامة لمقاربة حلي الرأس، أغنيناها بأبحاث ميدانية، مما سمح لنا بجرد أهم أنواع أقراط الأذن التي كانت تتميز غالبا بكبر حجمها، مما يجعلها تزين مساحة كبيرة من جانبي الرأس؛ كما أحصينا أهم أكاليل الجبين التي تعكس بعض نماذجها مهارة الصائغ المحترف في تركيب الصفائح والسلاسل والحلقات، بينما تعكس نماذج أخرى إبداع المرأة في تثبيت مكونات مختلفة على شريط من الصوف أو الحرير.

[1] **ديكو دي طوريس ، مصدر سبق ذكره. ص. 68.**

أولا : حلي الجبين

1) (تاسفيفت)

الاسم

يعتبر لفظ (تاسفيفت) من أكثر أسماء الأكاليل انتشارا في أغلب مناطق المغرب، رغم تنوع مكونات الحلية من مجال لآخر، وتعدد طرق تركيب أو تثبيت عناصرها. ولعل هذا الانتشار الواسع هو الذي شجع بوزونسونو على اعتبار مصطلح (تاسفيفت) بمثابة الاسم العام لكل أنواع الحلي الجبينية[1].

يُنطق هذا المصطلح بنفس الصيغة في الأطلس الصغير، وسهل سوس، والأطلس الكبير الغربي، كما في الأطلس المركزي[2]، والجنوب الشرقي[3] وزيان بالأطلس المتوسط[4]...، بينما يُنطق بصيغة (السّفيفة) في أماكن التداول بالعربية الدارجة في المدن كتارودانت ومراكش والصويرة وفي قبائل سهول دكالة وعبدة والشاوية... وبعيدا عن الحلي، نجد نفس اللفظ، سواء في صيغته الأمازيغية (تاسفيفت) أو في صيغة النطق بالدارجة (السفيفة)[5]، يدل على ضفيرة أو جديلة عريضة ومسطحة من القطن أو غيره، ومزخرفة برسوم مختلفة تستعمل لتزيين الملابس[6]. ويبدو أن دلالة الزخرفة التي تزين اللباس تنسجم مع دلالة الإكليل الذي يزين جبين المرأة. ونفترض أن (تاسفيفت) كانت تحيل في البداية على ضفيرة أو جديلة تشد به المرأة الأغطية حول رأسها؛ ثم تحول هذا الشريط إلى حلية جبينية مستقلة بعد أن ركبت فوقه القطع النقدية والصفائح الفضية والعقيق وغيرها من المواد.

[1] **Besancenot J., Types et costumes du Maroc, Paris, Les Horizons de France, Réédition : Costumes du Maroc , Edisud, 1940, Pl. H1 N° 5= Besancenot J., Costumes.**

[2] **E. Laoust, , Noces Berbères, 1993 , p.109= E. Laoust, Noces .**

[3] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit.p.153**

[4] **Besancenot J., Types et costumes, op.cit.p.155**

[5] **يرى جولي (Joly) أن هذا اللفظ مشتق من الجدر العربي "صفف" بالصاد، انظر:**
A. Joly, « Industrie de Tetouan suite, Les industries textiles et celles du vêtement », in Archives Marocaines, Volume XV, 1909,p.96.
ويرى محمد الحلوي أن لفظ (السفيفة) الذي يدل في العربية الفصحى على حزام الرّحل والهودج، له علاقة دلالية بنفس اللفظ الذي يحيل في الدارجة المغربية على نسيج كالشريط يستعمل في خياطة الملابس، وجمعه (سفايف): أنظر :
- الحلوي محمد، معجم الفصحى في العامية المغربية، شركة النشر والتوزيع الدار البيضاء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1988،ص. 109. .

[6] **في مجال العمار المبني بالتراب المدكوك يطلق اسم (تاسفيفت) على زخرفة على شكل شريط يزين (تامصريت) أو غرفة الضيوف. انظر :**
Jacques Meuniers, Architecture et Habitas de Dadès, Paris, Librairie C. flincksieck, 1962, p.175 = Jacques Meuniers, Architecture

المجالات والأشكال

إذا كان اسم حلية (تاسفيفت) يمثل مصطلحا مشتركا بين العديد من المناطق المغربية، فإن أشكالها تختلف باختلاف المدن والقبائل. ويبدو أن القاسم المشترك بين مختلف الأشكال هو تركيب العناصر فوق شريط من الصوف، واعتمادها على القطع النقدية والصفائح الفضية التي تتدلى منها أحيانا قطع فضية أصغر حجما تغطى الجزء السفلي من الجبهة بالإضافة إلى الحاجبين. ويغتني التنوع اللوني لـ(تاسفيفت) بألوان العقيق الزجاجي والمرجان والأصداف البحرية.

يتكون نموذج (تاسفيفت) الخاص ب الأطلس الكبير الغربي من شريط صوفي (تاملولت)، تُخاط فوقه الصفائح الفضية (ءيطرناش)، ويُزيَّن بحبات المرجان. أما نموذج الأطلس الصغير الأوسط، عند قبائل (ءيندونيضيف) و(ءيداوكنسوس)، وغيرهما، فكانت عناصر الحلية تخاط فوق شريط أحمر من الصوف (تاملولت)، ولكن إكليل المرأة المتزوجة يتميز بتوفره على صفائح صغيرة (تيطرناشين) تتدلى من الصفائح الكبرى (ءيطرناش) [1].

توجد خارج منطقة سوس أشكال متنوعة من حلي الجبهة والرأس التي تحمل نفس الاسم، وتختلف من حيث أشكالها وطريقة التزين بها:

- في سكورة تتكون (سفيفا) من قطع فضية وخرز المرجان[2].
- في الأطلس المركزي تعتمد (تاسفيفت) على القطع النقدية الصغيرة[3].
- في منطقة تودغة بالجنوب الشرقي، تدل (تاسفيفت) على حلية فريدة الشكل خاصة بالرأس؛ تتكون من حوالي أربعين حلقة مزينة بزخارف دائرية بارزة مصنوعة بتقنية الفريغ[4]. تسمى هذه الحلقات (تيعشراتين)[5]، وتركب في ضفيرة من خيوط الصوف على شكل شريط، وتتوسطها حبات خرز من الفضة وخرز مختلف الألوان.
- في منطقة زيان بالأطلس المتوسط، يطلق اسم (تاسفيفت) على الإكليل الكبير الذي يتوج الرأس، ويوضع فوق التسريحة على شكل عمامة واسعة (ابوكّس) تُهَيَّأ خصيصا لتوضع عليها الحلية المكونة من القطع النقدية التي عوضت الصفائح الفضية المحلية القديمة[6]
- في مناطق عبدة ودكالة كانت (السفيفة) عبارة عن شريط أسود اللون من الصوف (خرقة) تركب فوقه صفيحة كبرى في الوسط تسمى (المصفح) وعلى جانبيها صفيحات أصغر[7].

---

[1] معلومات من المعلم احمد في ايغرم 1998.

[2] Besancenot J., Types et Costumes. op.cit. p. 165

[3] Laoust E., Noces. op.cit. p.109

[4] Rabaté M-R., Bijoux op.cit. p.153

[5] بجي، الحلي، الجزء:1، مرجع سبق ذكره، ص.163

[6] Besancenot J., Costumes. op.cit. p. 155

[7] عمل ميداني بتاريخ فبراير 2020

(تاسفيفت) في الوثائق العائلية:

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	التاريخ	الصيغة
تارودانت 15	صدقة	15 ذو قعدة 1249 (مارس 1834م)	سفيفتين من الجوهر بوسط كل سفيفة طابع من الذهب [...] الصغيرة[؟] منها احدى عشر جعبة من الذهب صغيرة و جوهرها مختلط بالص[ـغير.]
11 ءيمنتاڭن	جهاز	شوال 1271 (1855م)	السفيفة التي تكون صنعتها الهشتوكة باربعين اوقية
9 ءاڭنسان	وثيقة كد وسعاية	شوال عام 1274 (1858م)	السفيفة من النقرة
24 ءيمنتاڭن	رسالة	غير مؤرخة	السَّفيفة
16، ءاڭنسان	جهاز	غير مؤرخ	السفيفة أي المشبوح بثلاثين وقية
8 ءايت حامد	جهاز	تاريخ مزق	تسففت أيضا بسبعة موزونة
13 اڭنسان	جهاز	رجب 1308 (فبراير 1891م)	الصفيفة من النقرة بخمسة عشر مثاقيلا .....
12 أڭنسان	جهاز	رمضان 1312(1895م)	الصفيفة

ملاحظات

توضح هذه الوثائق أن حلية (تاسفيفت) كانت معروفة في المجالات الثلاثة الكبرى المكوِّنة لمنطقة سوس، وهي : الأطلس الصغير، و الأطلس الكبير الغربي، وسهل سوس. ووردت بثلاث صيغ متقاربة، وهي:

- (تاسفيفت)، وهذه الصيغة هي نقل حرفي للنطق المحلي الشفوي المتداول بالمنطقة.
- (السفيفة) الواردة في خمس وثائق: أربع منها من قبيلتين بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي، والخامسة من مدينة تارودانت.
- (الصفيفة) الواردة في عقدين للجهاز، من تحرير نفس الكاتب وهو عبد الرحمن بن سعيد ثم الحيحي[؟]. كتب المحررُ العقدَ الأول بتاريخ أوائل رجب 1308/(فبراير 1891م)، والثاني بتاريخ أوائل رمضان 1312/(فبراير1895م)، وذلك عندما كان مشارطا بمسجد (تازوضوت) بقبيلة (ءاڭنسان) بالأطلس الكبير الغربي. ويبدو أنه قلد محررين آخرين يفضلون تعويض حرف السين بحرص الصاد، جريا على تقليد عام مألوف كان يهدف إلى إعطاء صيغة عربية لأغلب المصطلحات الأمازيغية عند الانتقال من الشفوي إلى المكتوب.[1]

أما محرر آخر من نفس القبيلة فقد كتب في عقد جهاز غير مؤرخ العبارة التالية :"**السفيفة اي المشبوح**" [وثيقة 16]،مما يبين أن اللفظين يؤديان نفس المعني، ويحيلان على حلية جبينية لها نفس

[1] مثلا غطاء الرأس المسمى (تاوكايت)، هناك من المحررين من يكتبه (الوكاية)، وآخرون يكتبونه بصيغة (الوقاية)

التصميم العام. وسنجد دوتي بعد ذلك يؤكد التداخل بين معنيي (المشبوح) و(السفيفة) لدى القبائل الواقعة شمال مراكش[1].

وردت الإشارة إلى "النقرة" كمكون أساسي لـحلية (تاسفيفت)، ويبدو أن المقصود بـ (النقرة) هو أن شريط الصوف ركبت فوقه صفائح فضية. أما(السفيفة) المنسوبة إلى تارودانت فتتكون من الجوهر و(جِعاب) من الذهب، وتتوسطها صفيحة على شكل (طابع) من الذهب. وينسجم انتشار (تاسفيفت) الفضة في القبائل وتفرد تارودانت بـ(سفيفة) الذهب، مع التوزيع المعتاد بين الذهبين النفيسين حيث يشيع الأول في القرى، بينما ينحصر الثاني في المدن.

تنوعت المعاملات الاجتماعية التي ذكرت فيها (تاسفيفت): فقد شكلت مكونا من مكونات الجهاز في خمس حالات. ووردت في رسالة جوابية بشأن نزاع حول معاملة رهن. وجُردت ضمن إحصاء ثروة إحدى الأسر بعد زواج اثنين من أبنائها. كما كانت موضوع صدقة في حالة واحدة حين تصدقت الأم صفية بنت الحسن من تارودانت على ابنها الطالب أحمد بن الحاج الحسن بحليتين جبينيتين (سفيفتين) من الجوهر والذهب، وزوجة اخراص منبتة بالأحجار والجوهر سبق لها أن ورثتهما من والدتها.

أخيرا، يفيد عقد جهاز من قبيلة ءيمنتاگن بتاريخ شوال 1271**(1855م)**، في تتبع انتقال (تاسفيفت) من سهل سوس إلى الأطلس الكبير الغربي. فقد وصف المحرر هذه الحلية الجبينية بأنها: **"تكون صنعتها الهشتوكة"**، أي انها أنجزت تبعا للأسلوب الخاص بقبيلة (ءاشتوكن) في سهل سوس. مما يبين إمكانية انتقال الحلي بين مجالات جغرافية متباعدة.

لقد كانت (تاسفيفت) من أكثر حلي الجبين انتشارا في المغرب سواء من حيث الاسم أو من حيث التصميم العام. ويبدو أن سهولة الإنجاز كانت من العوامل التي ساهمت في شيوع هذا النوع من الأكاليل؛ فتصميمه بسيط، ولا يتطلب إلا شريطا تخاط فوقه كل القطع الفضية والمواد المتوفرة، والتي يمكن للمرأة ان تركبها دون الحاجة إلى الاستعانة بخدمات صائغ محترف. ورغم شيوع نفس التصميم العام، إلا أن لكل قبيلة نماذجها الخاصة التي تستلهم منها حليتها الجبينية.

2) (ءامشبوح)

الاسم

تعرف هذه الحلية في عدة قبائل بالجنوب المغربي باسم (ءامشبوح). وينطق هذا الاسم بصيغة (المشبوح) في أماكن التداول بالعربية الدارجة، ولم نهتدي إلى الدلالة المعجمية لهذا الفظ[2].

[1] Doutté E., **Merrakech**,. op.cit. p. 315

[2] تعني كلمة "المشبوح" في الدارجة المغربية: الممدود على الأرض بقوة، ويرى شفيق أنها اشتقت من الفعل الأمازيغي (ءيجبح) [محمد شفيق، الدارجة المغربية... ص. 128]، فهل نستنتج من هذا الافتراض أن (أمشبوح) تعني معجميا [الشريط] الممدود، واصطلاحا حلية جبينية مركبة فوق شريط من الصوف؟

يستعمل لفظ (المشبوح) في العربية الدارجة المغربية للدلالة على الحلية الجبينية[1]، وكذا على كوكبة مكونة من ثلاث نجمات كبيرة مرتبة على خط مستقيم، تظهر مع بداية الليل، خلال فترة الحصاد (نهاية مارس وبداية أبريل)، وتظهر مع غروب الشمس، أثناء فترة الحرث (أكتوبر ونونبر)[2]. ويذكرنا شكل هذه الكوكبة النجمية بشكل بعض نماذج (ءامشبوح) في قبائل الجنوب لأنها تتكون بدورها من ثلاث صفائح فضية دائرية الشكل.

المجال

ينتشر اسم (ءامشبوح) على طول السفح الشمالي للأطلس الصغير الغربي من (ايت باعمران) و(لاخصاص) و(ءيمجّاط) وصولا إلى (أمّلن)[3]، و(ءايت ايسّي) قرب (تافراوت)[4]، ثم في كل من (ءيداوكّنيضيف) و(ءايت باها)، وسهل سوس في قبيلة (ءاشتوكن) والقبائل المجاورة. أما في الأطلس الكبير الغربي فكان هذا الاسم متداولا في قبيلة (ءيحاحان) وبعض المناطق المجاورة. وخارج سوس، ذكر ايدموند دوتي حلية (المشبوح) في الرحامنة وقال بأنها عبارة عن إكليل من القطع النقدية[5].

الوصف

يشترك كل من (ءامشبوح) و(تاسفيفت) في التصميم العام للحلية، وطريقة وضعها حول الجبين، وطبيعة المكونات التي تدخل في تركيبها. ويعتمد هذا التصميم المشترك بين الحليتين على شريط من الثوب الذي تخاط فوقه القطع النقدية أو الصفائح الفضية بالإضافة إلى اللبان والمرجان والعقيق الزجاجي والأصداف.

وتتزين النساء بنماذج مختلفة من (ءامشبوح). ففي قبائل (لاخصاص) و(ءيت باعمران)، يركب (ءامشبوح) فوق شريط من الصوف أو الجلد، ويتكون من ثلاث صفائح (ايموحدين/ ءيطرناش) مزينة بالنيال الزجاجي، والتي تتدلى منها قطع فضية صغيرة (تيزرار). وتفصل بين الصفائح الثلاث، كريات صغيرة من اللوبان، والعقيق الزجاجي، والصدف[6]. ويحضر المرجان عادة في أطراف الصفيحين الجانبيتين. ويسمى (ءامشبوح) المكون من ثلاث صفائح كبرى: (بوكراض)، ومعناه : ذو الثلاث؛ وهناك نماذج مكونة من خمس صفائح وتسمى: (بوسمّوس) ومعناه : ذو الخمس. تتميز بعض نماذج هذه الحلية الجبينية في كل من (لاخصاص) و(ايت باعمران) بتوفرها على

---

[1] **Doutté E., Merrakech, op.cit. p. 315**

[2] **Colin G.S., Dictionnaire, op.cit. t. V :4, p.894**

[3] **Besancenot J., Types et Costumes. op.cit. p. 155 - Rabaté M-R., Bijoux op.cit. p.50**

[4] **Adam , Costume. op. cit. p.471**

[5] **Doutté E., Merrakech . op.cit. p. 315.**

[6] **يسمى الصدف (ءامجون)، وكانت النماذج القديمة مزينة بدوائر تسمى (ءاغرْدْ)، وربما كانت هذه الدوائر مصنوعة عاج الفيل [سعيد بن مبارك من (لاخصاص) معلومة شفوية]**

صفيحتين مستطيلتين، ولهما مقابض عريضة. تؤطر هاتان الصفيحتان وجه المرأة من الجانبين، وتزينان الصدغين.

يتكون (ءامشبوح) عند (ايت ايسّي) قرب تافراوت من شريط صوفي يسمى(تادغارت)، مزين بعقيق أحمر(ايـزلّاين)، أو من شريط جلدي مزين بقطع نقدية صغيرة (تاكـريشت) وجمعها (تيـكّريشين)[1]. وعند قبائل (ءاشتوكن) و(ءيدا وكـنيضيف) يضم (ءامشبوح) خرزا ومسكوكات، وعلاّقات، بعضها مصنوع بتقنية "الفريغ"[2].

(ءامشبوح) في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	التاريخ	الصيغة
4، [ءايت حامد]	جهاز	صفر 1239 (1823م)	المشبُوحْ مع قلادة اربعة مثاقيل قل أربعة اوجوه
5، [ءايت حامد]	جهاز	رجب الفرد 1250 (ونبر 1834م)	المشبوح بإحدى وعشرين أقية
ءيمجّاط 4	جهاز	ربيع الثاني عام 1273 (دجنبر 1856م)	المشبوح ومع عمارتها بالبان و المرجان و الفضة و ما يتعلق بها بثلاثة مثاقيل
16، ءاكّنسان	جهاز	غير مؤرخ	السفيفة أي المشبوح بثلاثين وقية
41، [ءيكسيمن]		ربيع1-1310،(1892م)	المشبوح ب 12 ربعا

ملاحظات:

رصدنا حلية (ءامشبوح) في خمس عقود على الأقل من ضمن الأرشيف الذي اطلعنا عليه. وتعود هذه الوثائق إلى الفترة الممتدة ما بين صفر 1239 هـ(1823م) ،وربيع الاول 1310 هـ(1892م) ؛ ثلاث منها من قبيلتي (ءيمجّاط) و(ءايت حامد) بالأطلس الصغير الغربي، وواحدة من قبيلة (ءيكسيمن) بسهل سوس، وواحدة من قبيلة (ءاكّنسان) بالأطلس الكبير الغربي.

ما يزال مصطلح (ءامشبوح) مستعملا في التداول الشفوي في كل من الأطلس الصغير الغربي وفي سهل سوس، التي ورد هذا اللفظ في وثائقها. أماقبيلة (ءاكّنسان) والقبائل المجاورة في الأطلس الكبير الغربي، فلا تعتمد هذا الاسم، وتعوضه بمصطلح :(تاسفيفت). وقد استعمل محرر الوثيقة عند ذكره للحلية الجبينية صيغة جديرة بالاهتمام، حيث كتب: "**السفيفة أي المشبوح** " [وثيقة 16، ءاكّنسان]، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن كاتب العقد، الذي لم يدون اسمه، ربما لا ينتمي إلى قبيلة (ءاكّنسان) التي حرر فيها الوثيقة، وأنه قادم من منطقة تستعمل لهذا النوع من الحلي اسم (ءامشبوح)، فارتأ أن يكتب الاسم المحلي مقترنا بالاسم المعروف في مجالات أخرى كنوع من الضبط في تحديد الحلية. وتؤكد هذه الإشارة أن (ءامشبوح) مرادف لـ(تاسفيفت)، ويدلان على نفس النوع من الحلي، وإن كان أن لكل لفظ منهما مجالات انتشاره الخاصة.

[1] Adam A., **Costume** . op. cit.,p.471.
[2] Rabaté M.-R., **Bijoux.** op.cit.p.171.

ورد وصف دقيق لـ (ءامشبوح) في عقد جهاز بتاريخ ربيع الثاني عام 1273(دجنبر 1856م)، من قبيلة (ءيمجّاط): **"المشبوح ومع عمارتها بالبان والمرجان والفضة وما يتعلق بها"**[وثيقة 4]، ونفهم من هذه الصيغة أن **"عمارة"** المشبوح -أي مكوناته - تضم حبوب اللوبان والمرجان والصفائح الفضية، وصفائح فضية أصغر تتدلى من الحلية. وهذه المكونات ما زالت مستعملة إلى الآن في تركيب (ءامشبوح) بالمنطقة.

3) (تازرا)

الاسم

يعرف هذا الإكليل الجبيني باسم (تازرا)، في استعمال نادر لهذا اللفظ بهذا المعني. فالمعتاد في مناطق أخرى بسوس أن يدل اسم (تازرا) على القلادة التي تزين العنق كما هو الحال لدى القبائل الممتدة من (تاليوين) إلى (ورازازات) [1].

المجال

يكاد ينتشر هذا النوع من الحلي الجبينية في مجال (ءاشتوكن) والمناطق المجاورة بسهل سوس. وكانت هذه القبيلة تنفرد بتقاليدها العريقة في الصياغة؛ ففيها ينتشر نوع من المشابك يسمى (طوبّيجين) يختلف عن كل النماذج المنتشرة في الجنوب. وتزين نساء القبيلة أرجلهن بالخلخال الفضي في حالة استثنائية بالنسبة لمحيطها الجغرافي والقبلي الذي يغيب فيه هذا النوع من الحلي. ويبدو أن المزيد من البحث في الوثائق العائلية بإمكانه أن يفيد في فهم الظروف التي ساهمت في تميز حلي (ءاشتوكن) على الصعيد الجهوي[2].

الشكل

تتكون (تازرا) من شريط من الصوف يسمى (تادكّات). وتخاط فوق هذا الشريط العناصرُ المعتادة في أغلب الحلي الجبينية من مرجان (ءاكركوب) ولبان وعقيق زجاجي ومرجان، بالإضافة إلى العناصر المميزة التالية:

- القطع النقدية، وتنقسم إلى صنفين: صنف من المسكوكات الكبيرة التي تحمل كل واحدة منها أربع ثقب، اثنين في كل جانب، للسماح بمرور الخيط الذي سيثبتها فوق شريط الصوف، وأحيانا تكون القطعة الموضوعة في الأوسط أكبر حجما وقد تُزيَّن بعجينة الزجاج (أمجّاج) بتقينة المخلب. والصنف الثاني مكون من قطع نقدية أصغر مجهزة بمقابض صغيرة وتتدلى من القطع الكبرى، أو تثقب بدورها لتنظم في خيط مع باقي مكونات الحلية.

---

[1] انظر قلادة (تازرا) في فصل القلائد، أسفله.

[2] لم نتمكن من الاطلاع على وثائق عائلية من قبيلة ءاشتوكن، وذكرت بجي بعض الوثائق التي ذُكرت فيها حلية (تازرا) ويعود اقدمها حسب ما اطّلَعتْ عليه إلى 1361هـ (1942م)، انظر: بجي خديجة، الحلي في عقود النكاح. مرجع سبق ذكره، الجزء الثاني ص. 175.

- (تيزومارين): وهي كريات صغيرة مجوفة مصنوعة بالسلك، وتخاط أحيانا في الطرف العلوي للشريط، وهذه الكريات لا نجدها عادة إلا في هذه النوع من الأكاليل. أما لفظ (تيزومارين) فهو في صيغة جمع المؤنث، ومفرده (تازومارت)، وله علاقة اشتقاقية بشجرة شوكية منتشرة في المنطقة تسمى(وازومار)[1].

- (ءودّيز) : حبات مصمتة ذات أوجه مسطحة مصنوعة من الفضة؛ وهذه الحبات تنظم عادة في القلائد، ولا نجدها غالبا في الأكاليل إلا في (تازرا).

- (تيقليلين): علّاقات فضية لها شكل مخروط صغير

- (تاسكارين): زخارف فضية لها شكل شوكة (fourchette) بثلاثة أسنان، وتتدلى سفل الشريط الصوفي. يدل لفظ (تاسكارين) معجميا على الاظافر الصغيرة، وقد سميت به هذه الزخرفة لأنها تشبه في أعين الحرفين كفا صغيرة بها ثلاث أصابع.

4) (ءيسني)

الاسم

يبدو أن اسم الحلية (ءيسني) مشتق من فعل (ءيسْني) الذي يعني : نَظَمَ العناصر في خيط أو في ضفيرة جلد أو في عود أو قضيب معدني، فيقال : (ءيسني ءيـژّلاين غ ءيفيلي)، ومعناه: "نظم العقيق في الخيط،"، ويقال : (ءيسني زّنانات غ ءيرژّي)، ومعناه : "ركّب قطع اللحم في العود [قصد شيها فوق الفحم]". ويستعمل فعل (ءيسْني) بهذا المعنى في كل مناطق الجنوب المغربي، وكذلك في مجالات أخرى كالأطلس المركزي حيث يدل هناك على "نظم مكونات القلادة في الخيط"[2]. ونفترض أن يكون المعنى المعجمي للفظ (ئسني) هو: "المنظوم"، وذلك لأن العناصر المكونة للحلية تكون كلها مثقوبة ويمر عبرها خيط لتثبيتها على شريط الجلد أو الثوب[3]. وبالإضافة إلى دلالة الحلية الجبينية

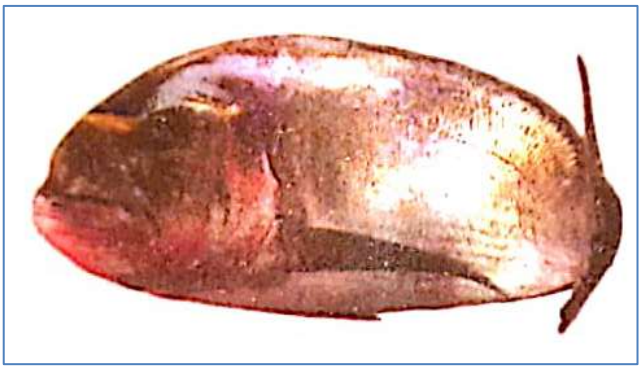

1 المعلم محمد اومبارك من قرية (تافات) بـ(ايت ميلك) زرته في قريته سنة 1998.
وورد عند شفيق أن (تازومارت) هي نبتة le mélilot انظر: شفيق، الدارجة المغربية، ص. 46.

2 Boulifa Said, op.cit.,p. 147.

3 تعطي بجي لكلمة ءيسني الأمازيغية أصلا معجميا عربيا، وكتبت : "يطلق نسني في الأمازيغية على السكين، يقول صاحب كتاب "حول عروبة البربر" نسني السكين، وفي اللغة العربية الفصحى، السنان، نصل الرمح" (بجي، الحلي في عقود النكاح ، الجزء الأول، ص. 159).

النسوية، يطلق لفظ (ءيسني) على التاج[1]. كما دخل هذا اللفظفي تركيب اسم أحد أنواع الأسماك التي تصطاد على طول شواطئ سوس، وهو (بي ءيسني) ، ومعناه، ذو الإكليل أو ذو التاج، وذلك لأن السمكة تحمل خطا فضيا مشوبا بالصفرة على جبهتها شبيه بحلية (ءيسني) النسوية[2].

المجال

ينتشر (ءيسني) في قبائل (لاخصاص) و(ءايت باعمران) و(ءايت حربيل)[3]، وفي (ءايت رخا) و(ءايت وافقا) وغيرهما من قبائل المنطقة. ثم يستمر في اتجاه الشرق وصولا إلى (ايت ءيسي) بنواحي (تافراوت)[4].

الوصف

يمكن تركيب (ئيسني) فوق حامل من الصوف أو من الجلد. وتشمل عناصره نفس المكونات التي توجد عادة في باقي الأكاليل المنتشرة في الجنوب المغربي من لوبان أصفر ومرجان أحمر وعقيق زجاجي؛ ولكنه ينفرد بخمس مخروطات مجوفة من الفضة تعطي للحلية لمسة فريدة عندما تربط خلف الرأس، فتبدو تلك المخروطات وكأنها اشعة شمس منبعثة من جبين الفتاة أو المرأة[5].

تحمل هذه المخروطات أسماء مختلفة، من بينها:

- (ءينيفيف) وتعني معجميا القِمَع، وذلك للشبه في الشكل بين المخروط المجوف للحلية، والقمع المستعمل في سكب السوائل في الأواني ذات الفتحات الضيقة.

- (تيـكّـرّيت)[6] في صيغة المؤنث، أو (ءيـكّـرّي)، في صيغة المذكر. ويدل هذان اللفظان بشكل عام على الأشكال المخروطية الصغيرة البارزة التي تزين مجموعة مختلفة من الحلي كالأساور والمشابك (تيزرزاي).

يكون المخروط الذي يتوسط (ءيسني) أحيانا الأكبر حجما، وتحيط به حلقة فضية كبيرة عريضة ومسطحة، تتدلى منها في بعض

---

[1] **Oussikoum B., op.cit.,p. 566.**

2- بنيدير جامع، سوس والبحر من خلال المعجم الأمازيغي للكائنات البحرية، منشورات مركز أكلو للبحث والتوثيق رقم-7، مطبعة الأمنية، الرباط، 2015، ص. 91

[3] **Rabaté M.-R. Bijoux. op.cit. p. 50.**

[4] **Adam , « Costumes ». op . cit . p.47**

[5] **Rabaté M.-R. Bijoux. op.cit. p. 50.**

[6] **بجي، الحلي في عقود النكاح ، الجزء الأول، ص. 159.**

النماذج علّاقات أصغر.

(ءيسني) في الوثائق العائلية الخطوطة

رقم الوثيقة ومكانها	نوعية الوثيقة	تاريخ	الصيغة
(تافراوت) وثيقة 98	عقد جهاز	20 رمضان 1215 (فبراير 1801م)	اسن بخمسة عشر اوقية
وثيقة 6 ءايت حامد	عقد جهاز	ربيع الثانى 1281 (شتنبر 1864م)	اسْنِ مع فصوله من المرجان و غيره

ملاحظات:

- لم نقف على لفظ (ءيسني) في المئات من الوثائق العائلية التي اطلعنا عليها في الأطلس الكبير الغربي؛ ويفسر ذلك بكون هذا النوع من الحلي لم يكن معروفا في هذا المجال الجغرافي. أما وثائق الأطلس الصغير الغربي، فقد ورد (ءيسني) في عقدين من وثائقها؛ يعود أحدهما إلى القبائل المحيطة (بتافراوات) والآخر إلى قبيلة (ءايت حامد).

- تقدم وثيقة (تافراوت) معطيات عن القيمة النقدية لـ(اسن) التي حددت في خمسة عشر أوقية [وثيقة 98]؛ ونلاحظ أن (ءيسني) له مثل القيمة المادية لمجموعة أخرى من مكونات الجهاز، وخاصة : حلية جبينية أخرى تسمى (ءازرور)، وغطاء الرأس المسمى الزيف، وقلادة الفضة [خيطة النقرة].

-يوثق عقد جهاز (ءايت حامد) طريقة نطق اسم الحلية هكذا: **"اسْنِ"**، بوضع الحركات للحروف: سين ساكن ونون مكسور، كما يشير العقد إلى تنوع مكونات الإكليل: **"مع فصوله من المرجان وغيره"** [وثيقة 6،].

بعد أن كان (ءيسني) حلية مرتبطة بمجال جغرافي محدد في المناطق الجبلية شرق وجنوب مدينة تيزنيت، صار من بين أكثر حلي الجنوب المغربي شهرة وانتشارا، وانتقل إلى مجالات جغرافية جديدة وبعيدة عن تلك التي عرف فيها تقليديا، وأصبح من المعتاد رؤيته في نواحي (وارزازات) بعيدا عن مواطنه الاصلية بأكثر من 400 كلم. كما أصبح من الحلي المفضلة لذا السياح المغاربة والأجانب[1] على السواء، وذلك لشكله الفريد، من جهة، ولقلة كمية الفضة التي تدخل في تركيبه، مما يشجع على اقتنائه بسبب ثمنه المناسب مقارنة مع أنواع أخرى من الحلي الأثقل وزنا.

5) (ءادلّال)/ (ءادلال)

الاسم والمجال

ينطق اسم هذه الحلية بصيغتين متقاربيتين وهما: (ءادلال) و(ءادلّال). وتتكون من خواتم مضفورة في الشعر أو مثبتة فوق شريط من الصوف لتشكيل حلية واحدة تزين الجبين. وتتخذ أسماء متعددة، نذكر من بينها :

[1] **زارت الفنانة العالمية مادونا المغرب نشرت مواقع التواصل الاجتماعي صورا لها وهي تضع (ءيسني) على جبينها.**

- (ءيشيكر) في قبيلة (تاكموت) وقبائل الأطلس الصغير الأوسط؛

- (لفتول) في قبيلة (ءيسافّن) والقبائل المجاورة[1]، وسميت الحلية بهذا الاسم لأنها مكونة من الخواتم التي تسمى محليا (لْفتول) في صيغة الجمع، ومفردها (لْفتل) أي: الخاتم. بل هناك من القبائل في المنطقة من تسمي الحلية "الخواتم"[2]

- (ءادلّال) في الأطلس الكبير الغربي، والمناطق المجاورة في سهل سوس.

- (الدّلّة) عند القبائل العربية المستقرة بضواحي تارودانت كـ(اولاد ايحيا) و(هوارة)

- (العياشي) في بعض قرى (أولوز)

ويبقى مصطلح (ءادلال) هو الأكثر شيوعا، ويدل معجميا على ضفيرة شعر المرأة[3]، وعلى شعر المرأة الطويل والكثيف.[4] أما معانيه الاصطلاحية فتحيل على أهداب وحواشي غطاء الرأس[5]، وعلى الحلية الجيبنية المكونة من الخواتم كما رأينا[6].

الوصف

تتكفل المرأة عادة بتركيب حليتها الجبينية من الخواتم التي تخيطها فوق شريط من الصوف أو تظفرها في خيوط، وتبقى لكل منطقة خصائصها المميزة، ففي (تيزي ن تاست) يتكون (ءادلّال) من 30 إلى 40 من الخواتم المركبة على شريط من الثوب الأسود[7]. وفي هوارة بسهل سوس كانت (الدّلّة) عبارة عن ضفيرة تشبك بها خواتم[8]؛ وفى (ءيسافّن) بالأطلس الصغير الأوسط، كانت الحلية تتكون من دزينتين من الخواتم المركبة في ضفيرة.[9] وفي مدينة تارودانت كانت (الدّلّة) على شكل ضفيرة من خيوط الحرير يتعلق بطرفها حوالي ستين خاتما من الفضة وما يزيد على ذلك العدد، ويتخذ التزين بها طابعا طقوسيا واحتفاليا، حيث تضع اخت الصبي الذي سيختّن (الدلة) على رأسها فتتدلى الظفيرة قبل الختان من الأمام، وبعد الختان تردها إلى الوراء، وقد تتشبه البنات بأخت الصبي فيقمن بنفس الشيء[10].

---

[1] **Besncenot J., Types et Costume op.cit. p . 169.**

[2] **Ibid. . Pl. H2 N° 37-38**

[3] **مؤلف مجهول، 2012، سيرة الأكابر في ذكر بعض لغة البرابر، إعداد وتحقيق أحمد المنادي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، ص. 40.**

[4] **Oussikoum B.,op.cit.p.170.**

[5] **Boulifa , op.cit.p.334.**

[6] **ينتشر بالأطلس المتوسط إكليل يحمل اسما مشابها، وهو: (امدّلال)، ويتكون من قطع فضية أو ذهبية منظومة في خيط، وتزين بها المرأة جبينها من صدغ لآخر، انظر : Oussikoum B.,op.cit.p.242**

[7] **معطيات من المعلم أنشاد في اولاد برحيل سنة 1998.**

[8] **Rabaté M.-R. Bijoux. op.cit. p. 170**

[9] **Besncenot, Costume op.cit. p . 169.**

[10] **أديوان محمد، الثقافة الشعبية المغربية الذاكرة والمجال والمجتمع، مطبعة سلمى، الرباط.2002، ص. 88.**

6) (تاونزا)

أ- المجال وتنوع الأسماء

يعتبر لفظ (تاونزا) من أكثر أسماء الحلي الجبنية شيوعا، ويمتد انتشاره من جنوب المغرب إلى تونس. ويحيل غالبا على نوع من حلي الرأس والجبين التي ترتبط مكوناتها المنفصلة بواسطة روابط معدنية على شكل حلقات وسلاسل أو مفاصل. وتثبت فوق الرأس بواسطة خطافات فضية وشبكة من السلاسل[1].

يعرف هذا النوع في أغلب مناطق الجنوب باسم (تاونزا)، في كل من الأطلس الصغير الغربي[2]، وفي الأطلس الصغير الأوسط[3]، بسفحيه الشمالي والجنوبي وصولا إلى جبل باني، وفي شرق سوس بمنطقة (تاليوين) و(أوولوز)، وعلى طول الأطلس الكبير الغربي الممتد شمال سهل سوس. وتنتشر (تاونزا) كلفظ وكتصميم أيضا في الأطلس المتوسط عند قبائل (ءايت سغروشن) و (ءايت يوسى) و(مرموشة) و (ءايت واراين)، وتدل على حلية جبينية مركبة من عدة عناصر أهمها : خطاف، وعدد من الصفيحات المشدودة إلى شبكة من السلاسل الصغيرة[4].

وخارج المغرب، وبالضبط في تونس، يحضر لفظ (تاونزا) بصيغته الأمازيغية في منطقة (الحمامات)، للدلالة على حلية جبينية[5]، وفي جربة للدلة على مشبك دائري له وظيفة تزيينية ويصلح لتثبيت تسريحة المرأة[6]. وفي كلتا الحالتين، فإن اللفظ له ارتباط بتزيين الرأس والجبين.

إذا كان لفظ (تاونز) هو الأكثر انتشارا في الجنوب المغربي للدلالة على الحلية الجبينية المكونة من عناصر مترابطة بحلقات وسلاسل ومفاصل معدنية وخطاف فضي، فإن أسماء أخرى تنتشر في مجالات جغرافية وقبلية محدودة، وتحيل إلى نفس الفئة من حلي الجبين، ونذكر منها :

---

[1] بعض القبائل، يطلق اسم (تاونزا) على الحلية المكونة من قطع نقدية أو من صفائح فضية مركبة فوق شريط من الصوف، وتعقده المرأة خلف رأسها؛ ويشبه هذا النوع غالب النماذج الأخرى من الحلي الجبنية كـ(تاسفيفت) و(أمشبوح) و(ءيسني)... والتي تشترك كلها في نفس التصميم العام، وفي طريقة تركيب العناصر وطريقة شد الحلية حول الجبين؛ ففي ماسة مثلا، يطلق اسم "تاونزا" على شريط مزين بخمس صفيحات دائرية، وفي منطقة (اوناين) والقبائل المجاورة، بالأطلس الكبير الغربي كانت "تاونزا" عبارة عن شريط تخاط فوقه قطع نقدية ومرجان أحمر، وفي لاخصاص وايت باعمران، والقبائل المجاورة بالأطلس الصغير الغربي، تكون (تاونزا) مركبة من شريط من الصوف تخاط فوقه مجموعات عمودية مركبة من المرجان، وعقيق زجاجي صغير أبيض أو أسود اللون. وتنتهي كل مجموعة نحو الأسفل بقطعة نقدية صغيرة. وتتزين به المرأة في نفس الوقت بـ(ءيسني) أو (المشبوح) :

Rabaté M.-R. Bijoux. op.cit. p. 49-50.

[2] Besncenot, Bijoux op.cit. p . 169

[3] Rabaté M.-R. Bijoux. op.cit.155.

[4] Besncenot, Bijoux. op. cit. p . 169- Goudard J., op. cit. p. 286.

[5] Gargouri-Sethom S., Le Bijou traditionnel en Tunisie Femmes parées, femmes enchainées, Edisud, Aix-en-Provence. 1986, p.154.

[6] Eudel, Dictionnaire . op. cit.p. 211 .

- (تاسيبّا) في تيزنيت[1]، وفي القبائل المجاورة سواء في اتجاه الغرب أو الجنوب. وتنطق أيضا بصيغة (تازيبّا) في (ءايت رخا) و(ءيمجّاط)[2]، ويعني هذا اللفظ معجميا نوعا من المقالع الذي يصنع من الحلفاء وترمى به الأحجار[3].

- (تالـكّـاموت)، ويعني هذا اللفظ لغة: اللجام الصغير، وسميت به الحلية الجبنية لأنها تشبه التركيب الذي يسمح بإدخال اللجام في فم الفرس[4]. وتنتشر الحلية في مجال شاسع يمتد شرق منطقة سوس عند (ايمغران) الذين يعيشون في السفح الجنوبي للأطلس الكبير المركزي، في الشمال الشرقي لوارزازات، وجيرانهم (ءايت واوزكّيت) وعند قبائل جبل سيروا[5]، وعند قبيلة (ءيزناكّن) نحو الجنوب[6]، كما عند قبيلة (ءيكّـلوّا)[7] بشرق الأطلس الكبير الغربي.

و(تالـكّاموت) عبارة عن صفيحة فضية مستطيلة الشكل مزينة بزخارف النيال الزجاجي داخل الفواصل، وتتدلى منها حلقات مرتبطة بقطع نقدية ذات مقابض لتزيين أكبر مساحة من الجبين. وتنطلق من الصفيحة المركزية شبكةٌ من السلاسل الرفيعة التي تتوزع بشكل متوازن على جنبات الرأس، وأحيانا تندمج هذه السلاسل في أقراص مزينة بزخارف على شكل ورود صغيرة. وتنتهي السلاسل بخطاف (تاكْطٌ) لتثبيت الحلية فوق الرأس[8].

- (ءيسرسل) في (ءاشتوكن) وبعض القبائل المجاور كـ(ءايت باها)، ويبدو أن هذا الاسم مصاغ من اللفظ العربي: السلسلة[9]، وذلك لأن الحلية تعتمد على السلاسل بشكل كبير.

- (ءامهوّل) في المجال الممتد من نواحي (اولوز) إلى (تاليوين) وقبيلة (ءاسكاون). ويتكون هذا الإكليل من صفيحتين مقوستين مرتبطتين بالمفصل، وتتدلى منه كريات أو أشكال زخرفية مختلفة من بينها زخرفة تسمى (تابربلّوت) ومعناها: الفراشة.

---

[1] **Besancenot J., Bijoux op. cit. p . 15**

[2] **بجي خديجة، الحلي ، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، ص. 155.**

[3] **السوسي، المعسول، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص. 17.**

[4] **Besancenot., Bijoux op. cit. p . 15**

[5] **Rabaté M.-R., Bijoux .op. cit. p.103, et Besancenot J., Bijoux. op. cit. p . 15.**

[6] **Rabaté M.-R., Bijoux op. cit. p.101**

[7] **Besancenot J., Types et Costumes op. cit. p.165**

[8] **Rabaté M.-R., Bijoux op. cit. p.103 et Besancenot J., Costumes, op. cit. p.15**

[9] **بجي، الحلي، مرجع سبق ذكره، الجزء الأول، ص, 153.**

- (اعكْفاف) ويستعمل في (ءوناين) والقبائل المجاورة بالأطلس الكبير الغربي، ويعني هذا الفظ معجميا: اللبنة المسطحة وقطعة الخشب المسطحة، وما برز من السقف[1]، ويبدو أن الحلية سميت بذلك لآنها تتوج رأس الفتاة كما يتوج (ءاكفاف) سطح المنزل.

ب- نماذج (تاونزا)

تطلق (تاونزا) كما رأينا على نماذج كثيرة من الحلي الجبينية التي تتكون غالبا من صفائح وسلاسل، وتثبتها المرأة فوق تسريحة رأسها بواسطة خطافات. وتكون الصفائح أحيانا مقوسة ومرتبطة بمفاصل، وتوضع على الرأس مثل التاج فتظهر الصفائح العريضة منتصبة وعمودية فوق الجبهة. ويعطي الصائغ للصفائح المتراصة شكلا مقوسا كي يتلاءم تركيبهما مع شكل مقدمة الرأس.

وينفرد كل مجال من مجالات سوس بنماذجه الخاصة من (تاونزا) ذات السلاسل والخطاف، ومن بين هذه النماذج.

+ في الأطلس الصغير الغربي،

كانت نساء قبائل الأطلس الصغير الغربي يتزين بـ (تاونزا) مكونة من صفائح كبيرة تربط بينها سلاسل صغيرة، وتثبت على جانبي الراس وخلفه بواسطة خطافات. وكانت بالمنطقة نفسها حلية أصغر تسمى بدورها (تاونزا) وتتشكل غالبا من ثلاثة عناصر زخرفية مزينة بالنيال الزجاجي ومن سلاسل رفيعة جدا، ويمتد انتشارها نحو الأطلس الصغير الأوسط[2].

كانت (تاونزا) ذات العناصر المرتبطة بالمفصل تمتد من (تيزنيت) إلى (تافراوت) وتتشكل عادة من صفائح عريضة مقوسة ومستطيلة الشكل ومزينة بالنيال الزجاجي، وترتبط بها شبكة من السلاسل الصغيرة والعلاّقات والخطافات؛ وتُزين المفاصل الرابطة بين الصفائح بغطاء على شكل نصف أسطوانة مزخرفة بالميناء الزجاجي[3].

+ في الأطلس الصغير الأوسط:

تنتشر في الأطلس الصغير الأوسط ثلاثة نماذج من الحلي الجبينية التي تعرف كلها باسم (تاونزا): وينتشر النموذج الأول عند (ءيندونيضيف) و(ءايداوكنسوس) والقبائل المجاورة، يتكون من عدة صفائح

---

[1] **عمر بن عبيد الله بن علي النفيسي ، المجموع اللانق على مشكل الوثائق معجم عربي أمازيغي، تأليف عمر بن عبيد الله بن علي النفيسي القرن 12 هـ / 18 م، تحقيق عمر افا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،2007، ص. 128.**

[2] **Besancenot J., Bijoux .op. cit. p.65**

[3] **Rabaté M.-R., Bijoux .op. cit. p.46**

فضية، ذات أشكال واحجام مختلفة مرتبطة فيما بينها بحلقات صغيرة. يتدلى صفان من العلّاقات الصغيرة من الصفائح الكبرى. وتُزَيَّن العناصرُ المختلفة بالنيال الرصاصي الأسود، والعقيق الزجاجي الأحمر المربع المركب بتقنية المخلب، بالإضافة إلى حضور النيال الزجاجي بالأصفر والأزرق في بعض العناصر.

توضع هذه الحلية على الرأس كقبعة مخرمة. وتثبت في الشعر وفي الأغطية بواسطة خطافات. ورغم الانطباع الذي تعطيه الحلية للعين بكونها تغطي مساحة هامة من رأس وجبين المرأة، فإن وزنها خفيف، بفضل رقة الصفائح الفضية المكونة لها[1].

وينتشر النموذج الثاني من (تاونزا) بنفس المنطقة تقريبا، وهو عبارة عن إكليل بمفاصلَ، ومكونٍ من ثلاث صفائح مستطيلة يتدلى منها صفان من العلاقات المزينة بالنيال أو بالميناء حسب النماذج. يزين الميناء أيضا المفاصل والأطراف. وكل هذه العناصر مثبتة بتقنية الدسر على شريط من الجلد الذي يُربط خلف الرأس[2].

وكان النموذج الثالث من (تاونزا) يصنع في مناطق مثل (تاكموت) في السفح الجنوبي للأطلس الصغير الاوسط، وكان ينجز بطريقة فريدة، ليظهر على شكل شريط مسطح من السلاسل الرفيعة المضفورة الذي تتدلى منه الصفائح والعلاقات[3].

+ في الأطلس الكبير الغربي:

يطلق اسم (تاونزا) في الأطلس الكبير الغربي على حلية مكونة بدورها من السلاسل والقطع النقدية وخطاف واحد كبير، وقد وصفت راباتي نموذجا لهذه الحلية في منطقة (ايمنتانوت)، ولكنه في

[1] **ibid p.68**
[2] **Rabaté M.-R., Bijoux .op. cit. p.72**
[3] **ibid, p.78**.

الواقع منتشر في أغلب قبائل السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي في (ءيلبنسيرين)، و(ءيسكساوان) و(ءيداومحمود)...

تتكون الحلية من القطع النقدية الموزعة إلى صفين، يغطي العلوي منهما الجبين بينما يزين الأسفل الحاجبين. بعض القطع النقدية مزينة بـعجينة الزجاج (أمجّاج). وكل المسكوكات مجهزة بمقابض صغيرة، لربطها بسلاسل وحلقات رفيعة. وتشكل هذه السلاسل بدورها شبكة مشدودة إلى صفيحة كبيرة تلعب دور الخطاف (تاكطّ)، لأنها تنغرز في الشعر فتثبت الحلية فوق الرأس. ولاحظت راباتي أن هذه الصفيحة/الخطاف المتميزة بكبر حجمها وبنقوشها المحفورة **"تثبت فوق قمة الرأس، لذا لا نراها فوق رأس الفتيات المتزينات"**[1]. ونفهم من هذه الملاحظة أن راباتي تستغرب كون الحلية تضم قطعة أساسية وكبيرة ولكنها لا تظهر للعيان. ولكن بعودتنا إلى مناطق الأطلس الكبير الغربي التي تتزين فيها الفتيات بهذا النوع من الإكليل في الاحتفالات والمناسبات المختلفة، وخاصة للمشاركة بها في حفلات (احواش)، وإذا استحضرنا تضاريس القرية وهندسة بناياتها، سنعرف أن الراقصات يقفن في الساحة بينما المتفرجون، رجالا ونساء، يتوزعون على أسطح المنازل المطلة على مكان الحفل، ويتابعون العرض من الأعلى، مما يسمح لهم برؤية الحلية الجبينية التي تضعها الفتاة بشكل كامل سواء منها القطع النقدية المتدلية فوق الجبين، أو الصفيحة الممتدة فوق قمة الرأس.

ت- (تاونزا) في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	طبيعة الوثيقة	التاريخ	الصيغة
اكلو وثيقة 331	جهاز	فترة قريبة من 1077	ناصية الدرهم بعشر اواق
وثيقة 20 ءيداوكايس	إحصاء ثروة أسرة	محرم 1153 (ابريل 1740م)	ازرُرْ و تَوَنْزَ
وثيقة 352، اكلو	جهاز	شعبان 1192، (1778م)	ناصية الدارهم بمثقالين
الوثيقة 336، اكلو	جهاز	ربيع1-1201، (1786م)	الناصية الدراهم بثلاثة مثاقيل
وثيقة 335، اكلو	جهاز	ربيع1-1205،(1790م)	ناصية الدراهم بمثقالين و ستة أوجه
وثيقة 14 ءاكنسان	جهاز	غير مؤرخ	تونز من الفضة بثلاثون

[1] **Rabaté M.-R., Bijoux .op. cit. p.167**

ملاحظات:

- وردت أقدم إشارة إلى الحلية من نوع (تاونزا) في عقد جهاز من (اكلو) قرب تيزنيت، ويعود إلى فترة قريبة من 1077 هـ، وكتب المحرر اسم الحلية مترجما إلى العربية: " **ناصية الدرهم** " [وثيقة 331]، وسنجد لاحقا نفس الصيغة مع اختلافات بسيطة في ثلاث وثائق من نفس المنطقة[1].

- وثّق عقد (ءيداوكايس) طريقة نطق اسم الحلية وهو: "**تَوَنْزَ**". بينما يحدد عقد جهاز (ءاكْنسان) أن الحلية مصنوعة من صفائح فضية.

- في الوثائق التي توفرت فيها إمكانية مقارنة اثمنة (تاونزا)، مثل عقد جهاز من (اكلو) بتاريخ شعبان 1192(1778م)، نلاحظ أن ثمن "**ناصية الدراهم**" يساوي ضعف قيمة أربعة أخراص الأذن [352]. ونلاحظ في عقد جهاز آخر من نفس القبيلة بتاريخ ربيع الاول 1201 (1786م)، بأن ثمن "**ناصية الدراهم**" هو ثلاثة مثاقيل، ويساوي قيمة قلادة حبوب الفضة، في حين كانت قيمته تساوي ثلاث اضعاف قيمة أربعة اخراص من فضة[وثيقة 336].

خلاصات

تعتبر (تاونزا) من أوسع الحلي انتشارا في الجنوب المغربي سواء كمصطلح أو كتركيب مكون من صفائح وسلاسل وخطاف فضي. كما تنتشر خارج سوس بنفس اللفظ وبنفس التصميم العام، حيث نجدها في الأطلس المتوسط عند قبائل (ايت سغروشن) و (ايت يوسى) و(مرموشة) و (ايت واراين)، وتدل على حلية مركبة من عدة عناصر أهمها : الخطاف (ايسغناس)، الذي يُثَبَّتُ خلف غطاء الراس، وعدد من الصفيحات(تيلّاروزين) المشدودة إلى شبكة من السلاسل الصغيرة (ءااشراب). وتتدلى من الصفيحات الثلاث التي تستند على الجبين علّاقاتٌ صغيرة تنزل إلى مستوى العينين وتسمى "أحفايدن". وكانت هذه الحلية توضع فوق غطاء الرأس المسمى: (تاوكايت)[2].

[1] **يتكون هذا الإكليل من نوع (تاونز) من القطع النقدية (دراهم)، ونرى ضرورة البحث في المزيد من الأرشيف المنطقة لتحديد خصائص هذه الحلية، إن كانت عناصرها تخاط فوق شريط من الصوف أم كانت تربط بينها بالسلاسل والحلقات.**

[2] **Besancenot J., Bijoux .op. cit. p.7**

أما خارج المغرب، فنجد لفظ (تاونزا) بصيغته الأمازيغية في تونس في كل من منطقة (الحمامات)، حيث يدل على حلية جبينية[1]، وفي جربة حيث يدل على مشبك دائري له وظيفة تزيينية ويصلح لتثبيت تسريحة المرأة[2]. وفي كلتا الحالتين نلاحظ حضور الاسم بصيغته الأمازيغية، وارتباطه بتزيين الرأس والجبين.

الانتشار الواسع للفظ (تاونزا)، داخل المغرب وخارجه، واستعماله للدلالة على مختلف أنواع الحلي الجبنية بمختلف موادها وبتعدد طرق تركيبها، كلها عناصر تؤكد أننا أمام مصطلح عريق، راسخ في تاريخ وحضارة المغرب وشمال افريقيا[3].

ثانيا: حلي جانب الرأس والأذنين

1) (تيويناس)

- الاسم والمجال

يكتسي لفظ (تيويناس) أهمية خاصة، وذلك لدلالاته المختلفة في مجال الحلي، ولانتشاره الواسع داخل المغرب وخارجه في باقي بلدان شمال افريقيا. ومن الناحية الاصطلاحية، يدل اسم (تيويناس) على السلسة الفضية الرفيعة[4] وعلى زوج الأقراط التي تزين الأذن، وسنرى أن هاته الدلالات منسجمة في العمق رغم ما قد يظهر بينها من اختلاف في الظاهر.

يدل لفظ (تيويناس) على السلسلة الفضية الرفيعة في المناطق الواقعة جنوب سهل سوس، وخاصة في الأطلس الصغير الغربي؛ ويدل على أقراط الأذن في أغلب مناطق الأطلس الكبير الغربي، كما هو حال (تاركّانت)[5] وفي قبائل (ءيحاحان) و(ءينتوگّا) و(ئيلبنسيرن) و(ءيداومحمود)... وأكد أوديل قبل سنة 1902 أن أقراط الأذن كانت تعرف بـ(تيويناس) في مدينة الصويرة[6]. وتستعمل (تيويناس) بنفس الصيغة الأمازيغية وبنفس دلالة أقراط الأذن، خارج منطقة سوس، في كل من الأطلس المتوسط[7]، والريف الشرقي[8]، وفي (غرداية)[9]، و(القبايل) بالجزائر[10]. كما ينتشر اللفظ بنفس الدلالة ولكن بصيغة

---

[1] Gargouri-Sethom S. Le Bijou traditionnel en Tunisie Femmes parées, femmes enchainées, Edisud, Aix-en-Provence., 1986,p. 154

[2]. Eudel P, Dictionnaire . op. cit .p.221.

[3] أما خارج المغرب فقد ذكر هذا النوع من الأكاليل في الجزائر وتونس، ويسمى في (القبايل) : تاعصّابت ويتكون من خمس صفائح فضية مرتبطة بحلقات وتتدلى منها علاقات [Camps-Fabrer H., Kabylie. op. cit p.70.]، وفي الاوراس يسمى (انادج) ويضم ما بين ثلاث وست صفائح تجمع بينها سلاسل صغيرة وتثبت في التسريحة بواسطة خطافات، ويشبه النماذج المنتشرة في المغرب وتونس Benfoughal., op. cit . p.98

[4] معلومة شفوية من العربي اوبيهي ومبارك بن سعيد بتيزنيت يونيو 2019.

[5] Laoust E., Noces op. cit .p .155-157.

[6] Eudel P., Orfèvrerie. op. cit .p. 505

[7] Goudard J., op. cit .p. 292..

[8] بحث ميداني في قبيلة بني بويحيا بإقليم الدريوش، أبريل 2015.

[9] Eudel P., Orfèvrerie op. cit .p .382.

[10] Eudel P., Dictionnaire . op. cit .p. 221.

معربة في كل من (تلمسان) بالجزائر و(مقنين) بتونس، حيث يقال: (ونسية)، جمع (ونايس) للدلالة عل نوع من أقراط الأذن[1].

بعد استعراضنا مجال انتشار (تيوناس) داخل سوس وخارجه على مستوى المغرب وشمال افريقيا، يتضح أن هذ الاسم ارتبط في أغلب الأماكن بدلالته على أقراط الأذن، ولكن هذا اللفظ له معاني أخرى خاصة بمجالات جغرافية محدودة. فـ(تيويناس) كلمة في صيغة الجمع المؤنث، ولها كما رأينا معنيان مختلفان وهما: السلسلة الفضية وأقراط الأذن. أما(تاوونست)[2] في صيغة المفرد المؤنث فتتدل على الخاتم، وعلى فتحة الشبكة المستعملة في صيد الأسماك[3]. قد تبدو المعاني الاصطلاحية لهذا اللفظ مختلفة ومتباعدة، ولكن معانيها المعجمية متقاربة ومتسقة، وتلتقي كلها في دلالتها على الحلقة الدائرية التي نجدها توحد السلسلة المعدنية، وأقراط اذن، والخاتم، وشبكة الصيد. يدل لفظ (تاوونست) في صيغة المفرد على الحلْقة، ومنها انتقل ليدل اصطلاحا على الخاتم المكون من حلقة واحدة تحيط بالأصبع، أما في صيغة الجمع (تيوناس)، التي تعني "الحلقات"، فقد انتقلت لتدل اصطلاحا على السلسلة المكونة من عدة حلقات مترابطة، وعلى أقراط الأذن المكونة من حلقتين، واحدة في كل أذن[4].

نخلص إذن إلى أن لفظ (تيويناس)، الذي يمكن اعتباره الاسم العام لأقراط الأذن، مرتبط من الناحية المعجمية بلفظ (تاوونست) الذي يدل في الأمازيغية على "الحلقة"، والعلاقة بين الدلالة المعجمية والاصطلاحية واضحة ومنطقية باعتبار أقراط الأذن تتكون من حلقتين تتدلى كل واحدة منهما على إحدى جانبي الرأس[5].

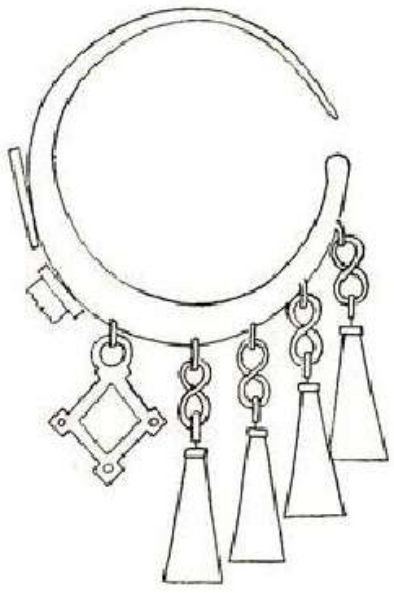

Fig. 68. — Boucle d'oreilles *tiuwinas*.

الوصف

يتنتشر لفظ (تيويناس) بدلالة أقراط الأذن في أغلب القبائل بالأطلس الكبير الغربي، ويحيل على حلية كبيرة الحجم تزين الأذن وجانب الرأس. ووثق بول أوديل بالوصف شكل (تيوناس)التي كانت معروفة في مدينة الصويرة والقبائل المجاورة قبل 1902، وقال: **"تتزين نساء الصويرة بأقراط اذن كبيرة تسمى (تيويناس)**

---

[1] **Ibid .p.173.**

[2] **في الأطلس المتوسط تنطق بصيغة (تيوينست) : Goudard J., op. cit .p. 292..**

[3] **Laoust, « Pêcheurs » . op. cit .p.339.**

[4] **العربية الدارجة تستعمل بدورها لفظ (الحلقات) للدلالة على حلي الأذن لأنها مكونة من حلقات "مستديرة من الفضة او الذهب تعلقها المرأة في اذنيها ". انظر : الحلوي، مرجع سابق ، ص. 57**

[5] **ترى بجي أن لفظ تيويناس، مشتق من أصل عربي، فهذه الحلية بالنسبة لها قد تكون سميت بهذا اللفظ لأنها تتحرك متدلية من الأذن، انطلاقا من كون" كل شيء يتحرك متدليا فقد نَاسَ، ينُوسُ نَوْسا "، انظر: بجي، الحلي، مرجع سبق ذكره، الجزء الاول، ص. 195.**

بالأمازيغية[1]، وهي عبارة عن حلقة مزينة بفص من زجاج أخضر اللون غالبا، والذي يوضع وسط الحلقة كفص الخاتم، ويُرفق بعلّاقات تتدلى قريبا من الكتف. وتعتبر خفة الوزن من ا لشروط الأولى الواجب توفرها في هذه الحل ية كي لا تتسبب في تمزيق شحمة الأذن. ويكون الثقب المحدث في الأذن كبيرا، وكي لا يتناقص، فإن المرأة تولج فيه عظم التمر حينما لا تضع تلك الأقراط "[2]. قد لا ينطبق الوصف الذي أعطاه اوديل على كل نماذج (تيونياس) التي كانت منتشرة في لأطلس الكبير الغربي، ولكنه يسمح لنا بتركيب صورة واضحة عن شكل هذه الحلية في مدينة الصويرة والقبائل المجاورة.

(تيويناس) في الوثائق العائلية:

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	تاريخ	الصيغة
قب 18 الأطلس الكبير الغربي	**جرد أموال**	**غير مؤرخ**	**وز[وجة...] من تِونَسْ وزوجة الخراص الثناثي الصغرة "،**
29 تالـكّـجونت	**جهاز**	**ذي حجة 1215**(1801م)	**- زوجة الخراص الادن بمتقال** **- زوجة يونس [تيويناس ؟]**
23 ءيداوكايس	**جرد مسروقات**	**غير مؤرخ**	**و تنوسْ بتسعة عشر اواقية**

ملاحظات:

- ذُكرت حلية (تيويناس) بشكل صريح ضمن وثيقة غير مؤرخة تضم إحصاء بعض الممتلكات من الأطلس الكبير الغربي، [قبائل 18]، وقام محرر الوثيقة بتشكيل اسم الحلية لضبط نطقها الصحيح.

- رصدنا الفاظا قريبة من "تيوناس" في عقد جهاز من (تالـكّـجونت) بتاريخ ذي حجة 1215،(1801م) [وثيقة 29] و في جرد للمسروقات من قبيلة (ءيداوكايس) غير مؤرخ. [وثيقة 23]. وردت في الوثيقة الأولى عبارة "**زوجة يونس**" والمقصود بها على ما يبدو هو زوجة (تيويناس)، لأن حرف الياء في بداية الكلمة قد يكون في الأصل حرف التاء وتحته كسرة، أما في الوثيقة الثانية، فقد ورد فيها لفظ "تنوسْ"، والذي يحتمل أن يكون نتيجة سهو المحرر، أو نطقا محليا لهذا المصطلح، عن طريق قلب ترتيب حرفي النون والواو، حيث تحولت تِونَسْ إلى تِنوَسْ، كما هو معهود في أسماء بعض الحلي[3]. وفي كل الحالات فإن وجود لفظ (تيويناس) ضمن حلي هاتين القبيلتين يتوافق مع مجال الانتشار الجغرافي لهذا الاسم والذي يشمل عموم قبائل السفحين الشمالي والجنوبي للأطلس الكبير الغربي.

في وثيقة قبيلة (ءيداوكايس) التي تضم جردا للمسروقات، أمكن إجراء مقارنات بين ثمن (تيويناس) وبعض الأغراض الأخرى؛ فقد قومت أقراط الأذن من نوع (تيويناس) بثمن أقل من قيمة الأساور من نوع (تانبالت)، ومن المشابك، وحتى من الحزام الحريري، ومن غطاء الرأس الحريري من نوع (ءاعبروق). ويمكن تفسير ذلك بكونٌ راط الأذن لا تزن عادة كمية كبيرة من الفضة.

---

[1] استعمل اوديل في كتابه لفظ "الريفية" قاصدا بها الفرع اللسني الأمازيغي المنتشر في منطقة الصويرة.

[2] **Eudel P., Orfèvrerie .op. cit .p .505.**

[3] ، مثلا: الاسورة التي تسمى : (ءازبـڴ) أو (ءابزڴ). بقلب ترتيب حرفي الباء والزاي، انظر الأساور أسفله

2) (ءادوّاح)

إذا كانت أغلب أقراط الأذن الكبيرة الحجم بالجنوب المغربي لها طابع محلي وتنتمي إلى مجالات جغرافية وقبلية محددة، فإن حلية (ءادوّاح) تنتمي إلى فئة واسعة الانتشار ومنفتحة على أشكال من الأقراط المعروفة في باقي مناطق البلاد، بحواضره وبواديه.

الاسم

تعرف الحلية في الأمازيغية بـ(ءادوّاح) وجمعها (ءيدوّاحن)، وينطق اسمها في مناطق التداول بالعربية الدارجة بصيغة (الدواح) وجمعه (الدْواوْحْ) و(الْدواويحْ)، ويبدو أن هذه الكلمة مشتقة من فعل (ءيدْوّح) بمعنى هدهد الصبي، ومن هذا الفعل اشتُق أيضا لفظ (ءادوح) الذي يدل في الأمازيغية على المهد[1]، وتوجد هذه الإلفاظ في العربية الدارجة بنفس المعاني مع اختلافات في النطق. وإذا صح افتراضنا أن اسم (ءادوّاح)، كحلية للاذن، مشتق من فعل (ءيدْوّح) بمعنى هدهد الصبي، ستكون العلاقة الدلالة بينهما مرتبطة باشتراكهما في نفس الحركة باعتبار أن أقراط الأذن (ءادوّاح) تتمايل على جانبي رأس المرأة كما يتمايل مهد الطفل بين يدي الأم وهي تؤرجحه[2]؛ ولعل ما يعزز هذا الافتراض هو أن (الدّوّاح) في العربية الدارجة يدل على أقراط الأذن الكبرى وعلى مهد الصبي[3].

المجال

يؤكد بوزونسونو أن هذا النوع من الأقراط هو الأكثر انتشارا في البلاد الأمازيغية[4]؛ وبالفعل فقد تزينت به النساء في الأطلس الصغير وسهل سوس والأطلس الكبير الغربي ومنطقة جبل سيروا وفي منطقة وارزازات، وفي مدن المنطقة كتارودانت ومراكش والصويرة ثم تيزنيت لاحقا.

الشكل

يبدو أن (ءادوّاح) هو اسم عام لصنف مفتوح من أنواع أقراط الأذن؛ ويمكننا أن نقول، بدون مبالغة، إن لكل منطقة (دوّاحـ)ـها. ورغم تنوع الأشكال، فإن تصميم الحلية لا يتغير كثيرا من نموذج لآخر، وخاصة الحلقة المجوفة السميكة التي تشكل هيكل القرط، والتي يتوسطها أحيانا شكل زخرفي بارز؛ وتتدلى من هذه الحلقة مجموعة من العلاليق التي تختلف موادها وأشكالها وعددها حسب المناطق؛ وقد تكون هذه العلاليق مكونة من كريات صغيرة أو من مخروطات (تيقليلين) أو من قطع نقدية أو حبات المرجان.

---

[1] شفيق الدارجة المغربية، مرجع سبق ذكره، ص, 104

[2] ترى بجي ان هذا الاسم مرتبط باللفظ العربي الدوحة الذي يعني الشجرة العظيمة المتسعة، وذلك نظرا لكبر حجم هذا النوع من الحلي وعلوه ، انظر: بجي، الحلي، مرجع سبق ذكره، ص. 189.

[3] Colin, **Dictionnaire**. T. V.3, op.cit. p. 567

[4] Besancenot J**., Bijoux** . op. cit . p.11

يكون القرطان الكبيران معلقان بواسطة سلسلة صغيرة مرتبطة بخطاف (تاكطّ) مغروز في أعلى تسريحة الشعر ويسمح بتحمل وزن تلك الحلية الثقيلة، وقد يستعاض عن السلسلة بخيط من الحرير أو الصوف[1].

من بين نماذج (ءادوّاح) المنتشرة في سوس، نذكر تلك الأقراط التي كانت تتزين بها كل من اليهوديات بملاح (تاهالا)، والأمازيغيات المسلمات بتيزيت والقبائل المجاورة، والتي كانت حلقتها الكبيرة المجوفة مزينة بفصوص الزجاج والنيال الزجاجي، وتتدلى منها تسع علّاقات،[2] ووثق بوزونسو هذا النوع وطريق التزين به في لوحة معبرة لفنانة (تارّايست) من تيزنيت[3].

يعتبر (ءدوّاح) من الحلي الاحتفالية بامتياز، فقد أشار دوتي إلى أن نساء منقطة (ايڭندافن) بالسفح الشمال للأطلس الكبير، لم يكن يستعملن هذه الأقراط الكبيرة والتي تتدلى منها حبات المرجان إلا في الاحتفالات[4]. وكانت هذه الممارسة عامة في أغلب القبائل، لأن (ءادوّاح) كحلية متميزةلم تكن تظهر عادة إلا في المناسبات المتميزة.

(ءادوّاح) في الوثائق العائلية:

رقم الوثيقة والمكان	نوعية	التاريخ	الصيغة
32 تاجڭالت	جهاز	صفر 1262، (فبراير 1864م)	زوجة الخريص للفضة دواح بمثقاليْن
26 تالڭجونت	جهاز	محرم 1272(1855م)	الخرايص من الادنين النقرة دْوَّاح باربعينَ اواقية
36 تالڭجونت	جهاز	ذي حجة 1299، (1882م)	زوجة الدواح بريالة وربع بوجوههن
ءيسندالن،وثيقة 355	جهاز	شوال 1305، (1888م)	زوجة الدواحة مع الختم بستة مثاقيل
ءيكسيمن، [وثيقة 41]	جهاز	ربيع1-1310، (1892م)	زوجة الدواح بريالتيْن

[1] **Ibid. p.12,15 et 16**

[2] **Besancenot J., Bijoux arabes, op. cit. dessin 9**

ذكر بوزونسونو في موضع آخر بأن الصاغة اليهود في (تاهالا) كانوا يصنعون (ءادوّاح) المزين بالنيال الزجاجي وتتزين به النساء اليهوديات، وأضاف بأن تسع علّاقات تتدلى من النماذج الفاخرة لهذه الحلية :

ADAM A., « Costume » . op.cit. et Besancenot J., Bijoux . op.cit.pl.138.

[3] **Besancenot J., Costumes op.cit.p.172.**

[4] **Doutté E., en tribu, op.cit. p.76.**

ملاحظات :

- ورد اسم (الدواح) في خمس عقود جهاز ضمن الوثائق التي تسنى لنا الاطلاع عليها والتي حررت في كل من (تاجـڭـالت) و(تالـڭـجونت) بالأطلس الكبير الغربي، وفي (ءيسندالن) بالأطلس الصغير الغربي وفي (قبيلة ءيكسيمن) بسهل سوس. وتتطابق هذه المجالات مع أماكن انتشار هذه الحلية كما وثقتها الدراسات الاثنوغرافية إلى بداية القرن العشرين.

- ورد أقدم ذكر صريح لحلية (ءادوّاح) في ما اطلعنا عليه من الوثائق إلى صفر 1262 (فبراير 1864م)من قبيلة (تاجـڭـالت) بالأطلس الكبير الغربي. ومن خلال التدقيق في عقود الجهاز التي وصلتنا من هذه القبيلة، يتبين أن أقراط الأذن بشكل عام، كانت إلى جانب القلادة، من المكونات الأساسية لجهاز العروس. فنجد مثلا في عقد مؤرخ برجب 1082 **(1671م)"خراس ادنيها"** [وثيقة 12]. وتواصل ذكر (أخراص الأذن) في أغلب العقود التي جاءت بعد ذلك، مما يبين أنها كانت تشكل ممارسة متجذرة في تقاليد القبيلة. ولكننا لا نعرف ما الذي دفع محرر عقد صفر 1262 (فبراير 1864م) إلى تجاوز الإسم العام، وتدوين الاسم الخاص **"الدواح"**، فهل كانت الحلية معروفة تحت اسم محلي قبل أن يظهر نوع جديد في القبيلة مما حتم على الكاتب الإشارة إليه، أم أن الحلية "دواح" كانت معروفة اسما وشكلا منذ أقدم العقود، ولم يكن المحررون يرون ضرورة تحديد طبيعتها ما دام المجتمع القبلي المعني يعرف نوعية الحلي المنتشرة في مجاله.

- وردت إشارة إلى حلية تشبه (ءادوّاح) في عقد جهاز آخر من قبيلة تالـڭـجونت بتاريخ 1145: **"خراص الأذنين بثلاثة عشر اواقية مع عمارتهم من اطرنيش والدراهيم** "[وثيقة 17] والمقصود، أقراط اذن تتدلى منها صفائح فضية وقطع نقدية صغيرة. ولكن يصعب معرفة إن كان الأمر يتعلق بالدواح أو بغيره من حلي الأذن الكبيرة الحجم.

3) (ايمجرّان)

الاسم

يطلق اسم (ايمجرّان) على الصفائح الرفيعة السمك والدائرية الشكل التي تتدلى عادة من أقراط الأذن. ويُطلق نفس الاسم على نوع من الأقراط التي تعتبر هذه الصفائح أهم مكوناتها.

المجال

تنتشر الحلية بالأطلس الصغير الغربي في قرى (لاخصاص) والقبائل المجاورة.

الشكل

تتكون الحلية من أقواس كبيرة مصمتة من الفضة، ومشدودة بسيور من الجلد. وتنتظم في هذه الأقواس عناصرٌ متنوعة من خرز اللوبان الأصفر وحبات المرجان والزجاج الأسود المنقط بالأبيض، كما تتدلى منها صفائح (ايمجرّان) الكبيرة والمستديرة والمزينة بالنيال، والمزودة بمقابض واسعة تبعا لتقنية مميزة لعمل حرفيي هذه الجهة[1].

4) تيبوكارين

الاسم

(تيبوكارين) لفظ في صيغة الجمع المؤنث، ومفرده (تابوكارت)، وقد يُنطق اسم الحلية أحيانا بصيغة (البوكاريات).

المجال

كانت أقراط (تيبوكارين) منتشرة في الجنوب الغربي للأطلس الصغير وخاصة لدى نساء قبائل (سموكّن) و(تامانارت)[2]،كما كانت معروفة لدى نساء قبائل السفح الشمالي لنفس السلسة الجبلية[3].

الشكل

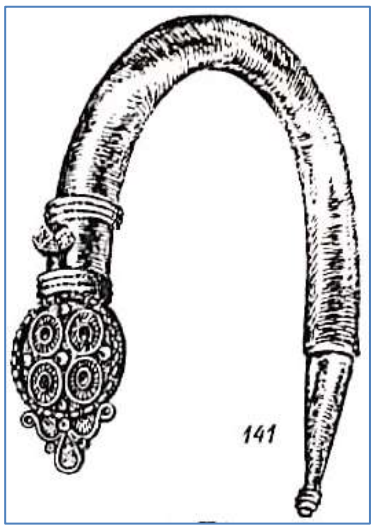

وصف بوزونسونو هذا النوع من الأقراط ووثق شكلها بالرسم، ولكنه لم يذكر اسمها المحلي، وقال عنها: " **قرّط عبارة عن قوس مفتوح مكون من أنبوب فضي مجوف، تتزين به نساء الجنوب الغربي للأطلس الصغير وخاصة (سموكّن) و(تامانارت). هذه الحلقة الضخمة تدخل في ثقب الأذن الذي يكون مهيأ لذلك. والغريب هو أن الجزء المزخرف بالنيال الزجاجي، يكون عادة موجها نحو الخلف ومغلفا بغطاء من الجلد** "[4]. الطرف الأمامي للأنبوب المجوف مدبب، بينما الطرف الخلفي مسطح، ومزين النيال الزجاجي وغيره من الزخارف

[1] Rabaté M.-R., **Bijoux** op.cit.p.55.
[2] ، **Besancenot J., Bijoux op.cit.p.16.**
[3] **Rabaté M.-R., op.cit.p.56**
[4] **Besancenot J., Bijoux op.cit.p.16.**

(تيبوكارين) في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	التاريخ	الصيغة
ءايت ءيـڭـاس، وثيقة 2	**جهاز**	**شعبان1174**،(1761م)	**زوجة الاخراص البوكريات بثمانى ءاواق ونصف الاوقية**
ءيمجّاط وثيقة 3	**جهاز**	**1214**(1799م)	**تبكرن بمثقال وتمانية وجوه**

ملاحظات:

- انطلاقا من الأرشيف الذي اطلعنا عليه، وردت حلية (تيبوكارين) في وثيقتين: الأولى من قبيلة (ءايت ءيـڭـاس) بالأطلس الكبير الغربي، والثانية من قبيلة (ءيمجّاط) بالأطلس الصغير الغربي.

بالنسبة لعقد جهاز من (ءيمجّاط) بتاريخ عام 1214 (1799م)، كانت العروس تنتمي إلى هذه قبيلة، بينما ينحدر العريس من قرية (تانكرت) بقبيلة (ءايت حربيل) المجاورة، التي يمتد مجالها على السفح الجنوبي للأطلس الصغير والتي كانت نسائها يتزين بأقراط الأذن من نوع (تيبوكارين). أما عقد جهاز (ءايت ءيـڭـاس)، والذي حرر بتاريخ شعبان 1174هـ/(1761م)، فإنه يشير إلى وجود اسم (تبوكارين) في الأطلس الكبير الغربي، بعيدا عن المجال الذي اشتهرت به الحلية والذي ينحصر غالبا في سفحي الأطلس الصغير جنوب سهل سوس. لا نتوفر على معطيات تسمح بتحديد طبيعة (البوكاريات) المذكورة في الأطلس الكبير الغربي، ولا نعرف إن كانت تنطبق عليها نفس الخصائص الميزة لهذا النوع من الحلي في "موطنه الأصلي" بالأطلس الصغير الغربي. ولا نستطيع تحديد إن كانت تشكل عنصرا من عناصر الحلي المحلية أم انها حلية وافدة من مجال بعيد. وقد تساعد وثائق جديدة في فهم سر ظهور اسم (تيبوكارين) بعيدا عن مجاله الجغرافي والقبلي المعهود.

5) (تيزعضاض)

الاسم

يُنطق اسم هذا النوع من الأقراط بطريقتين متقاربتين: (تيزاضاض) بحرف الألف، و(تيزعْضاض) بحرف العين. وورد اللفظ في صيغة الجمع لأن الحلية تتكون في الواقع من قرطين مستقلين. يدل لفظ (تيزعضاض) من جهة أخرى على القِرَد، أي جمع مؤنث حيوان القرد؛ ولكن، وإن كان الحيوان والحلية يشتركان نفس الاسم في صيغة الجمع، فإنها يختلفان في صيغة المفرد، بحيث أن مفرد (تيزعضاض) الحلية هو: (تازعضت)، وتنطق تازعطّ، ويعنى الخرصة[1]. أما مفرد حيوان القرد هو :(تازعضوت)[2].

[1] **النفيسي، المجموع اللائق، مصدر سبق ذكره، ص. 133.**

[2] **(ءازعضوض) في صيغة المفرد المذكر هو "المكاك Le macaque " نوع من القردة، ويرى محمد شفيق أن أصل الكلمة بالغين لا بالعين (ءأزغضوض)، انظر: محمد شفيق، الدارجة المغربية... ص, 112**

المجال

تنتشر نموذج أقراط (تيزعضاض) حاليا في المجال الممتد على السفح الشمالي للأطلس الصغير الغربي[1]، وكان يصنع بكثرة في مراكز الصياغة بالمنطقة.[2]

الشكل

تتكون الحلية من عنصرين منفصلين: قوس في الأعلى، وصفيحة دائرية تتدلى نحو الأسفل، وكلاهما مزين بالنبال الرصاصي وبالنيال الزجاجي على شكل وردة :

1) القوس العلوي عبارة عن سلك فضي أملس؛ غير أن طرفه الأمامي يتكون من صفيحتين صغيرتين، يسميهما الحرفيون (تيفكّيكّين)[3]. يربط خيط أو سلك بين طرفي الحلقة وينتظم فيه العقيق الزجاجي والمرجان، ومن ضمنها عقيق زجاجي طويل مزين بخطوط مائلة متوازية يسميها الحرفيون (تازّويت) أي النحلة، لأن العقيق يشبه جسد هذه الحشرة المزين باللونين الأصفر والأسود.

2) تتدلى من كل حلقةٍ صفيحةٌ دائرية الشكل تسمى (ايمجارّان)[4]، وتتدلى منها بدورها أربع علاّقات صغيرة.

(تيزعضاض) في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	نوعية	تاريخ	الصيغة
2 ءايت حامد	جهاز	ربيع2-1121 (1709م)	**زوجتيْن تزعضاض**
8 ءايت حامد	جهاز	تاريخ ممزق	**الخراص بخمسة اواق و زوجة تزعضض بمثقالين و أربعة مثاقيلا**
4 تاجلت	جهاز	دو قعدة 1229 (1814م)	**زوجة تِضَاضَضْ من النقرة**

ملاحظات

- ذكرت حلية (تيزعضاض) مرتين في وثائق قبيلة (ءايت حامد) بالأطلس الصغير الغربي، في مجال اعتادت النساء التزين فيه بهذا النموذج من الأقراط. كما ورد اسم (تِضَاضَضْ)، بدون حرف العين، في عقد جهاز من قبيلة (تاجلت) بالسفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي، التي لا يدخل التزين بـ(تيزاضاض)

[1] Besancenot J., **Bijoux** . op.cit.p.12
[2] Rabaté M.-R., **Bijoux**. op.cit.p.55

[3] المعلم مبارك بن سعيد من لاخصاص.
[4]) يدل لفظ (ءيمجّران) على نوع آخر من أنواع أقراط الأذن تعتبر تلك الصفائح من أهم مكوناته، وربما لهذا السبب، أورد بوزونسونو أقراط الأذن من نوع(تيزعضاض) تحت اسم (ايمجارّان) وذلك لأنه تتدلى منها صفائح (ايمجران). [Besancenot J., **Bijoux** .op.cit.p..12]

ضمن تقاليد نسائها. فهل انتقلت هذه الأقراط بشكل استثنائي بعيدا عن مواطنها الاصلية في الأطلس الصغير؟.

- يُميز عقد الجهاز من (ءايت حامد) بين نوعين من أقراط الأذن، وهما: (الخراص) المُقَوَّمة بخمسة أواق، و(زوجة تزعضض) المقومة بأكثر من مثقالين[1]. ويتضح الفرق الكبير بينهما في القيمة المادية، مما يظهر بأن (الخراص) كانت أصغر حجما وأخف وزنا من (تيزعضاض).

6) (الخرّوب)

الاسم

لم نهتدي إلى دلالة لفظ (الخرّوب)، ولا إلى علاقته بالشجرة التي تحمل نفس الاسم. ونجد نفس الكلمة تدخل في تركيب اسم حلية للأذن في موريتانيا: (خرّوب العزّب) التي تتكون من أربع حلقات ذهبية في كل أذن، وتتزين بها الفتيات الصغيرات[2].

المجال

ينتشر(لْخرّوب) في مجال محدد بالأطلس الصغير الغربي، وتتزين به نساء (ايت باعمران) و(لاخصاص) والقبائل المجاورة مثل (بويزاكارن)[3].

الشكل

تتكون الحلية من أربع حلقات فضية مصمتة ملساء واسعة ومفتوحة. يكون أحد أطراف الحلقة مدببا، بينما ينتهي الطرف الاخر بسلك ملفوف على شكل زخرفة يسميها الحرفيون (ايزيمّر) ومعناه: الكبش، لأنها تذكرهم بقرون الكبش[4].

وكأغلب الحلي المنفتحة على التخوم الصحراوية، يحتوى (الخرّوب) على شريط جلدي مدبوغ أحمر اللون يسمي: (أَسْلّ)، وجمعه (ايسّال)؛ يمر فوق الرأس ويساعد على تثبيت الحلية التي تتدلى حلقاتها أمام الصدغ والأذن.

---

[1] **في النص الأصلي ذكر الثمن : بمثقالين و أربعة مثاقيلا، وربما المقصود بمثقالين و أربعة اواق**

[2] **Jacques-Meunier J., Cités. op.cit.p.150.**

[3] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit.p.50**

[4] **المعلم مبارك بن سعيد من لاخصاص**

7) (توزديين)

الاسم

يعني لفظ (توزديين) معجميا: الملتصقتين، وذلك لأن كل قرط من هذه الحلية يتكون من قوسين فضيين ملتحمين.[1]

المجال

تنتشر أقراط (توزديين) الفريدة عند العديد من قبائل الأطلس الصغير الغربي سواء في السفح الشمال أو الجنوبي، وخاصة في (ايداوسملال)، و(ءايت وافقا)، و(ءايت حربيل) ...

الشكل

يتكون كل قرط من قوسين فضيين مطروقين مركبين الواحد بجانب الثاني، وملتحمين عند مستوى الطرفين. وينتشر نموذجان من هذه الحلية في الأطلس الصغير الغربي[2]: النموذج الأول خفيف الوزن، مقدمته مزينة بزخارف منقوشة ومطبوعة وأطرافه ملولبة؛ أما النموذج الثاني فأثقل وزنا ويكون طرفه العلوي مدببا، ربما لكي يمر من ثقب الأذن، وتُركب علّاقة داخل القوس عبارة عن مسكوكة صغيرة.

يُدعَم قوس الحلية بمقبض لربط السلسلة أو شريط الجلد الذي سيحمل القرطين ولتسهيل تعليق الحلية وتثبيتها فوق الرأس. وقد لاحظت راباتي، أن هذه الأقراط الغليظة في شكلها، تختلف عن أنواع الأقراط الأخرى الرفيعة الأكثر رشاقة والتي تنتشر عند (لاخصاص) والقبائل المجاورة[3].

8) (توبّيكين)

الاسم

يبدو أن (توبّيكين) تعني حرفيا: المطروقتين، لأن هذا اللفظ قريب اشتقاقيا من فعل (ءيبّك) الذي يدل على طرق الفضة.

---

1 المعلم مبارك بن سعيد من لاخصاص

2 Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit.p.55

3 Ibid. p.55

المجال

كانت (توبّيكين) من الحلي الخاصة بالنساء اليهوديات في منطقة الأطلس الصغير الغربي؛ وقد أشار أندري أدام إلى استعمالها من طرف نساء ملاح (تاهالا) [1].

الشكل

تتكون حلية (توبّيكين) من أقراط كبرى ورشيقة على شكل قضيبين مبرومين، وتتحلى بها المرأة في الوقت نفسه مع (الدواويح)[2].

خاتمة

كان رأس المرأة مؤطرا بشكل كامل بالحلي، فالأكاليل الجبينية تُتَوِّجه من الأعلى، وقلائد العنق تسنده من الأسفل، ويكتمل الإطار الفضي بأقراط الأذن الكبيرة الحجم التي تغطي جانبي الرأس. وكانت حلي الجبين تجمع بين نماذج "صناعية" يبدعها الصائغ، ويعتمد تصميمها على السلاسل الرفيعة والصفائح و"المفاصل" الفضية، وبين نماذج نسوية تبدعها المرأة بالخيط والإبرة، ويعتمد تصميمها على تثبيت قطع ومواد مختلفة على شريط من الصوف أو الجلد.

استلهمت مختلف المجالات الجغرافية والإثنية نماذج أكاليلها الخاصة من هذين التصميمن الذين ينتشران في أغلب مناطق سوس وفي باقي المناطق القبلية بالمغرب. وتؤكد أسماء الأكاليل الروابط بين حلي الجبين من مختلف مناطق المغرب، وذلك من خلال معجم مشترك، وخاصة: (ءامشبوح)/(المشبوح)، و(تاسفيفت)/(السفيفة)، و(تاونزا)...

وكان اسم (تاونزا) من أكثر مصطلحات حلي الجبين انتشارا داخل المغرب وخارجه، وشملت دلالته أنواعا مختلفة من الأكاليل، مما يدعو إلى الاعتقاد أننا أمام مصطلح عريق، راسخ في تاريخ وحضارة المغرب وشمال افريقيا. وبالعودة إلى الدلالة المعجمية لكلمة (تاونزا) فإنها تعني: "القُصَّة" أو "الناصية"[3]، أي الشعر الذي تقصه المرأة عند مقدمة الرأس لتزيين الجبين. فهل نفترض انطلاقا من هذه الدلالة بأن المرأة في بداية انتقال الانسان من الطبيعة نحو الثقافة، توجهت إلى تزيين نفسها أول الأمر بما يوفره جسمها من إمكانيات، ومن ذلك تعديل الوضعية "الطبيعية" لشعرها إلى تسريحة معدلة؟

[1] **Adam A., « Costume » . op. cit.p.474**
[2] **Ibid .**
[3] **شفيق محمد، المعجم، الجزء الثاني، ص. 311.**

كانت المرأة تزين جانبي رأسها بنماذج مختلفة من أقراط أذن كبيرة الحجم. وكانت هذه النماذج تنجز تبعا لتصاميم متنوعة، مما جعل نساء كل منطقة يتزين بأقراط متميزة. وإلى جانب النماذج المحلية الفريدة، كان (ءادوّاح) يشكل إرثا مشتركا بين نساء الجنوب ونساء باقي قرى ومدن المغرب. أما اسم (تيوينـاس) فيطلق على أنواع مختلفة من أقراط الأذن، وينتشر في سوس، وفي باقي المناطق الأمازيغية بالمغرب، بالإضافة إلى بعض المجالات بكل من تونس والجزائر. نعرف أن لفظ (تيوينـاس) يدل معجميا على الحلقات، مما يشجع على افتراض أن أغلب نماذج أقراط الأذن بشمال إفريقيا قد تكون تطورت انطلاقا من حلقات بسيطة، ثم قامت مختلف الجماعات لاحقا بتطويرها باستمرار للوصول إلى الأشكال المعقدة الحالية.

الفصل الثاني : حلي العنق

مقدمة

كان الحرفي ينجز أغلب الحلي التي تتزين بها النساء، لأنه مطلع على خبرات الصياغة ومتحكم في أسرار التعامل مع معدن الفضة. لذا، فهو الذي يصنع الأساور والمشابك، والخواتم وأقراط الأذن، وبعض أنواع الأكاليل المخصصة للجبين. أما حلي العنق فكانت غالبا ميدانا نسويا بامتياز، وكانت المرأة خبيرة بطرق دمج المرجان واللوبان والقرنفل والعقيق الزجاجي والأصداف في تشكيلات فنية متناسقة. وكانت هذه الممارسة تتويجا للتربية الفنية التي تتلقاها الفتاة منذ صغرها، حيث تتدرج في تركيب قلائد صغيرة وبسيطة من العقيق الزجاجي في البداية، إلى أن تتقن إنجاز قلائد مختلفة في احترام تام للقيم الفنية والجمالية لقبيلتها. وتستعين المرأة أحيانا بالصائغ ليوفر لها بعض العناصر التي تدمجها في حليها، وخاصة القطع النقدية المزودة بمقابض صغيرة لتسهيل نظمها في الخيط، وأنواع مختلفة من العلّاقات والكريات وأنصاف الكريات.

تنظم النساء نماذج كثير من القلائد، ولكنها تنقسم عموما من حيث تصميمها وتوزيع مكوناتها إلى فئتين أساسيتين:

- تعتمد الفئة الأولى في تصميمها على عنصر كبير الحجم يشكل "واسطة العقد"[1]، ثم تُنظم على جانبيه عناصر مختلفة، مع احترام نفس الترتيب يمينا ويسارا.

- وتعتمد الفئة الثانية على تكرار العناصر بنفس الترتيب بين طرفي القلادة دون وجود عنصر مميز ليشكل مركز الحلية.

سنحاول في هذا الفصل التعريف ببعض أهم نماذج القلائد التي كانت منتشرة في الجنوب، والتي تتبرز دور المرأة في نظم وتركيب الحلي.

أولا: قلائد القطع النقدية

1) الأسماء

تتعدد الأسماء الدالة على القلائد المركبة من القطع النقدية، تبعا للمجال الجغرافي الذي تنتشر فيها نماذجها المختلفة، وتبعا لنوعية المسكوكات المستعملة، وطريقة تركيبها في القلادة؛ فهناك أسماء عامة مركبة غالبا من لفظين : اللفظ الأول هو (تيفيليت)[2] ويعني القلادة، أما اللفظ الثاني فيحدد عادة نوعية المسكوكات المركبة في الحلية، فيقال مثلا: (تيفيلت ن تارّيالين)، ومعناه: قلادة الريال، ويقال: (تيفيلت ن تموزونين)، ومعناه: قلادة القطع النقدية من فئة "الموزونة"، ويقال (تيفيلت ن ايدريمن)، ومعناها قلادة

[1] الاسم العام لواسطة العقد هو (ءول) ويعني لغة القلب، ويبقى لكل نوع اسم خاص، مثل: (تاكْمّوت) بالنسبة للكرة المجوفة التي تتوسط بعض نماذج القلائد.

[2] في بعض القبائل يعوض لفظُ (تازرا) لفظَ (تيفيليت)

الدراهم... وبالإضافة إلى هذه الأسماء العامة المركبة من لفظين، هناك أسماء أخرى خاصة مكونة من لفظ واحد، وتحيل على قلائد مركبة من مسكوكات، ومن أهمها: (ءادراس)، و(تيمزضيت)، و(تاردّاحت).

أ- (ءادراس)

تتعدد معاني لفظ (ءادراس) ، وتتوزع دلالاتها العديدة على حقول كثيرة من بينها: التحالف القبلي، وربط الأغنام من أعناقها، واسم رقصة في منطقة سوس، وضفيرة الدوم...[1]. ورغم الاختلافات الاصطلاحية بين هذه الألفاظ، فإنها تلتقي في معانيها المعجمية التي تتمحور حول فكرة الاصطفاف والتراص والتلاحم. وما نريد التركيز عليه في هذا المقام هو علاقة لفظ (ءادراس) بدلالة ضفر النبات للحصول على شريط أو حبل[2].

ب- (تمزضيت)

ينتشر مصطلح (تيمزضيت) كاسم للقلادة المكونة من القطع النقدية، في سهل سوس، شمال نهر (والغاس)، حيث يتداخل مع مجالات انتشار الاسم الآخر (ءادراس). ويبدو أن هذا اللفظ مشتق من فعل (ئزضا)، الذي له معاني كثيرة[3]، يهمنا منها في هذا المقام: ضفر الحبل أو الضفيرة من خوص ونحوه.[4]

ت- (تاردّاحت)

تعرف قلائد القطع النقدية باسم (تاردّاحت) في صيغة المفرد المؤنث، أو (اردّاح) في صيغة المفرد المذكر. وينتشر هذان الاسمان في كل من واحات جبل باني[5]، وخاصة في واحة (تيسينت)[6]، وفي الأطلس الصغير الغربي في كل من (انزي) و(أيت باها)[7] وغيرهما من القبائل.

يطلق اسم (تاردّاحت) على حلية العنق وعلى نوع من الرقص في الأطلس الصغير الاوسط؛ ويبدو أن اسم الحلية مشتق من فعل (ءيردح) الذي يعني بالأمازيغية: رَقَصَ مترنحا، خابطا برجله[8]. ويدل لفظ(ردّاح) في العربية الدارجة على الراقص القروي، بينما يحيل مصطلح (ردّاحة) على شعلة النار الكبيرة المتراقصة[9]. وقد تكون العلاقة الدلالية بين الرقص والقلادة (تاردّاحت) مرتبطة بكون هذه الحلية تتراقص على صدر المرأة عند أدني حركة.

---

[1] - Hira L. 1983, Parenté et mariage chez les Chleuh (Berbères marocains du Haut-Atlas occidental) « Cas d'Idaw-Mahmud », thèse pour le Doctorat de 3eme Cycle, Option Anthropologie, Université de Toulouse le Mira, p.239-241

[2] انظر خاتمة هذا الفصل

[3] من معاني فعل (ايزضا) : نسج [شفيق، المعجم.. الجزء:3، ص. 220]، و طحن القمح وما اليه [شفيق، المعجم... الجزء: 2 ص, 14]

[4] شفيق، المعجم.. الجزء:1 ص, 517.

[5] مبارك ايت عدي والمحفوظ اسمهري، مرجع سبق ذكره ، ص. 248

[6] Rabaté M. -R., Bijoux. op. cit. p.183.

[7] بجي خديجة، الحلي في عقود النكاح السوسية... الجزء الثاني، ص. 241.

[8] شفيق، الدارجة المغربية..، ص, 107

[9] Colin G.S., Dictionnaire .t. V.3,op .cit. p.615.

2) خصائص قلائد القطع النقدية

تشكل القطع النقدية أحيانا المكون الأساسي للقلائد في السفوح الشمالية والجنوبية للأطلس الكبير الغربي، وتضاف اليها عناصر مختلفة من مرجان أحمر وعقيق زجاجي مختلف الألوان، وبعض العلاّقات المتناثرة أو الخواتم المعدة أصلا لتزيين أصابع اليد.

تنتشر قلادة (ءادراس) جنوب الأطلس الكبير الغربي، في اتجاه ماسة و(ءاشتوكن)، و(ايداوگـاران) والقبائل المجاورة، وهي عبارة عن حلية واسعة تتدلى فوق الصدر، وتتكون من عناصر متعددة، وخاصة أسطوانات المرجان، وحبات الفضة (تودّيزت)، والعقيق الزجاجي؛ ولكن ما يميزها عادة هو غلبة المسكوكات النقدية ذات المقابض الطويلة والتي يبلغ عددها عشرة قطع أو أكثر. وتتزين نساء واحات باني بـ(تاردّاحت)، وهي قلادة مركبة من مسكوكات مثقوبة ومدمجة في ضفائر من الصوف أو الجلد على شكل قلائد طويلة. وتوجد نماذج من قلائد القطع النقدية المزينة بحبات المرجان لدى قبائل (ءايت واوزكّيت)، بجبل سيروا ولدى وجيرانهم (ايمغران)، وتتميز المسكوكات المكونة لها بتوفرها على مقبضين رفيعين ليمر عبرهما الخيط الذي تنتظم فيه عناصر الحلية[1].

لم تكن قلائد القطع النقدية محصورة في مجال هذه الدراسة، حيث نجدها في مختلف مناطق المغرب، كما هو حال قبيلة الرحامنة بأحواز مدينة مراكش، والتي كانت نسائها يضعن في أعناقهن قلادة مكونة المسكوكات النقدية المنظومة في عدة خيوط[2].

3) قلائد القطع النقدية في الوثائق العائلية

من خلال الوثائق التي تسنى لنا الاطلاع عليها، رصدنا حضور القطع النقدية في القلائد من خلال معجم متنوع يحيل على العديد من المسكوكات التي استعانت بها النساء لنظم حليهن، ونذكر منها: (الدنانير)، و(الدراهيم)، و(الريال)، و(الموزونة)، و(أفردي)...

[1] **Rabaté M. -R., Bijoux. op. cit. p.103.**
[2] **Doutté E., Merrakech. op. cit. p. 335**

أ ـ الدنانير

الاسم

الدينار هو قطعة ذهبية مأخوذة من الكلمة اللاتينية (ديناريوس) Denarius[1]، وينطق في الأمازيغية بصيغة : (ءاضينار)، وجمعه (ءيضينارن)[2]. وكان الدينار من المسكوكات الذهبية المغربية التي تضرب وتروج في البلاد. وكانت القطعة النقدية تزن 3,50 غرام في عهد مولاي إسماعيل، ولكن وزنها سيتناقص بعد ذلك تدريجيا إلى أن يصل إلى 2,21 غرام فقط على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان، إلى أن ينقطع صدورها تماما بعد سنة 1868[3].

"الدينار" في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	التاريخ	الصيغة
وثيقة 59 تاجـكّـالت	**جهاز**	**ذي حجة 1151 (1739م)**	**خيوط العنق من الدز والدنانير**
تالـكّـجونت 16	**جهاز**	**ذي حجة 1164 (1751م)**	**قلادة من الدنانير مع مرجانها المنتظم به**
ءايت ءيـكّـاس وثيقة 3 قب	**جهاز**	**رمضان عام 1188 (1774م)**	**قلادة الدنانير بخمسة عشر اواقية**
تالـكّـجونت [وثيقة 3].	**جهاز**	**غير مؤرخ**	**"قلادة الدنانير"**

ملاحظات

- انطلاقا من الوثائق التي درسناها، لم نعثر على لفظ "الدينار" إلا في اربعة عقود تنتمي كلها إلى الأطلس الكبير الغربي، وحررت ثلاثة[4] منها خلال الفترة الممتدة ما بين ذي حجة 1151 **(1739م)** ورمضان 1188 **(1774م)**. قد تُظهر ارشيفات عائلية أخرى تواريخ متقدمة أو متأخرة عن الفترة التي حددناها، ولكن من الواضح أن لفظ "الدنانير" اختفى مبكرا من العقود وحل محله لفظ "الدراهم" الذي سيصبح مرادفا للقطع النقدية.

- يحتوي جهاز (تالـكّـجونت) على " **قلادة من الدنانير مع مرجانها المنتظم به** "[وثيقة 16]. وتبين هذه العبارة أن القطع النقدية من نوع "الدنانير " كانت منظومة بالتناوب مع خرز المرجان.

- لا يوجد في الوثائق الأربع التي اطلعنا عليها ما يفيد بكون "الدنانير" التي ركبت منها القلائد كانت مصنوعة من الذهب، لذا نرجح أن تكون عبارة عن مسكوكات نقدية فضية.

---

[1] افا، النقود ، مرجع سبق ذكره، ص. 402.
[2] شفيق المعجم... الجزء:1، ص. 376
[3] افا، النقود ، مرجع سبق ذكره، ص. 103.
[4] بالنسبة لعقد الجهاز غير المؤرخ من (تالكجونت)، نرجح أنه حرر في زمن قريب من هذه الفترة، أي قبل شيوع استعمال "قلادة الدراهم" في الوثائق لعائلية بعد ذلك,

ب- ريـــال

الاسم

الريال لفظ اسباني (Réal) ومعناه ملكي، وقد استعمل في المغرب الريال الاسباني، والريال الفرنسي بأسماء متعددة. كما أطلق "الريال" على قطعة عشرة دراهم التي ضربها مولاي الحسن بأوروبا بعد سنة 1881[1]. وتسمى هذه المسكوكة النقدية بالأمازيغة (ءارْيال) وجمعه (ءارّيالن)[2]، ويستعمل أيضا في صيغة المؤنث : (تارّيالت) وجمعه (تارّيالين)[3]. وفرض "الريال" هيمنته في مجال النقود بالمغرب انطلاقا من منصف القرن التاسع عشر وما بعدها، ولكنه كان متداولا قبل هذه الفترة[4]، فنجد العياشي صاحب الرحلة الشهيرة إلى الحجاز والمتوفى 1090 هـ يذكر الريال في عدة مواضع من رحلته، فيخبرنا مثلا عن ثمن الزرع في (واركلا) الذي يبلغ: "تسع آصع بريال"[5].

قلادة الريال في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	التاريخ	الصيغة
|وثيقة 6 تاجـّالت	**جهاز**	**ذي القعدة 1165، (1752م)**	**علقة الريال**
ءايت عيـّاس|وثيقة قب 2]	**جهاز**	**شعبان 1174، (1761م)**	**قلادة الريال**

ملاحظات

- وردت إشارتان لمسكوكة الريال في عقدي جهاز من الأطلس الكبير الغربي، ويضم الأول "**علقة الريال**" والثاني "**قلادة الريال**". ويدل اللفظان - "العلقة" و"القلادة"- على نفس المعني، وهو: حلية العنق المنظومة من قطع نقدية.

- لا تحدد الوثيقتان نوعية المسكوكات المقصودة "بالريال" ولا الدول التي ضربت فيها، ولكنهما تؤكدان استعمال هذه القطع النقدية في تركيب القلائد منذ ما لا يقل عن النصف الثاني للقرن الثاني عشر الهجري.

ت- الدراهم

الدرهم كلمة يونانية الأصل، وتطلق في المغرب على قطعة فضية حدِّد وزنها في الفقه بـ 50.4 حبة من الشعير أي 2,911 غرام، غير أن وزنها ظل يتناقص عن الوزن الشرعي[6]، وقد استعمل المغاربة

---

[1] افا، النقود ، مرجع سبق ذكره، ص.404.
[2] شفيق، المعجم، الجزء:1، ص. 463
[3] تكتب كل هذه الكلمات بتشديد حرف الراء لتمييزها عن لفظ قريب نطقا وهو (اريال) ومؤنثه (تاريالت)، والذي يعني القفة
[4] افا، النقود ، مرجع سبق ذكره، ص. 205.
[5] الرحلة العياشية، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره .
[6] افا، النقود ، مرجع سبق ذكره، ص. 401.

الدرهم وحدة أساسية للعملة انطلاقا من عهد الأدارسة؛ وابتدع الموحدون الشكل الهندسي المتميز **"الدرهم المربع"**[1]. ويعرف الدرهم في الأمازيغية باسم (ءادريم) وجمعه (ءيدريمن).[2]

ورد لفظ الدراهم في وثائق أربع قبائل متجاورة وممتدة على طول السفح الجنوبي للأطلس الصغير الغربي وهي (تاجكّالت) و(ءاكّنسان) و(تالكّجونت) و(ءيمنتاكّن)، وقد أحصينا حضور الدراهم سواء ككمون أساسي أو كمكون ثانوي للقلائد في أكثرمن 18 وثيقة، يعود أقدمها إلى 28 ذي حجة 1165هـ/(نونبر1752م)، [28 تالكّجونت] التي وردت فيها ثلاث قلائد، واحدة من "الدراهم" والثانية من حبوب فضية تسمى (ءودّيز) والثالثة من القرنفل. واستمر حضور الدراهم في حلي العنق بدون انقطاع، حيث نجد إحدى الوثائق المتأخرة من (تاجكّالت) تشير اليه بتاريخ شعبان 1318 هـ(1900م)، وتضم ثلاث قلائد تدخل الدراهم في تركيبها كلها - [وثيقة 33].

- تختلف أشكال حضور الدراهم في القلائد بالأطلس الكبير الغربي تبعا لعدد الحلي التي يدخل في تركيبها، ومكانتها بين العناصر الاخرى. فنجد بعض الوثائق تحتوي على قلادة واحدة من القطع النقدية، بينما تزخر أخرى بعدد كبير من حلي العنق، كما تبين النماذج التالية:

- في عقد جهاز من تاجكّالت بتاريخ ربيع الثاني 1241، جُردت خمس قلائد، واقتصر حضور "الدراهم" على حلية واحدة منها:

+ قلادة القطع النقدية (الدراهم) المقومة بستة وعشرين أوقية

+ قلادة خرز المرجان الأحمر (الكركوب) المقومة باثني عشر أوقية

- قلادة اللبان الأصفر المقومة بثلاثين أوقية

- قلادة "تسكّنت" المقومة بثلاثين أوقية

- وقلادة عيدان القرنفل المقومة بمثقال [وثيقة 74]

تضم هذه الوثيقة حليا متنوعة من أقراط الأذن، وزوج الأساور من نوع (تانبالت)، وزوج المشابك ، بالإضافة إلى خمس قلائد. ويتضح أن حلي العنق كانت الأكثر حضورا مقارنة مع حلي باقي أجزاء الجسد. كما كانت كل قلادة مركبة من نوع خاص من المواد. فالأولى منظومة بالقطع النقدية،

---

[1] افا،" الدرهم"، معلمة تاريخ المغرب، ص,4020

[2] ذكر شفيق أن الدرهم يعني بالأمازيغية أيضا (ءاقاريض) جمع (ءيقاريضن) [انظر: شفيق محمد، المعجم، الجزء الأول، ص. 361]، ولكن في سوس يخصص حاليا لفظ (ءيقارضن) للنقود بشكل عام، ولفظ (ءيدريمن) للدراهم بشكل خاص.

والثانية بخرز المرجان والثالثة باللبان الأصفر والرابعة بعيدان القرنفل، بالإضافة إلى قلادة أخرى تسمى (تسـكـنت)[1].

- وردت عشر قلائد في جرد أموال أسرة من (ءاكـنسان) بتاريخ 1274هـ/**(1858م)**. وكانت سبع حلي منها تتضمن قطعا نقديا بين مكوناتها. يمثل هذا الجرد نموذجا لمكانة القلائد ضمن حلي بعض الأسر في قبيلة (ءاكـنسان) خلال هذه الفترة؛ وكانت هذه الأسرة تمتلك حلية جبينية من نوع (تاسفيفت) وأربعة أزواج من المشابك، وثلاث أساور من نوع (تانبالت)، وإسورة عادية. أما حلي العنق فكان عددها مرتفعا وبلغ عشر قلائد، مما يجعل منها أهم حلي العائلة من حيث العدد[2]. وعند التركيز على هذه القلائد، يتبين أن اثنتين منها منظومتان من القرنفل، وواحدة من المرجان واللوبان والصفائح الفضية (أيطرنيشن)، أما السبع الأخريات، فكلها تضم من بين مكوناتها القطع النقدية؛ ما يبرز أن المسكوكات شكلت العنصر الأساسي في تركيب قلائد الأسرة، وأن حضور باقي المواد إنما يهدف إلى تنويع الألوان والأشكال ومحاولة تخفيف الحضور الطاغي للدراهم.

- كانت القيمة المادية لبعض نماذج القلائد مرتبطة بوزن "الدراهم" المكونة لها، ويمكن أن نستدل في هذا الإطار بعقد جهاز من (تالـكـجونت) بتاريخ محرم 1272هـ/(1855م)، والذي وردت فيه خمس قلائد، تضم ثلاث منها القطع النقدية:

+ **"القلادة من الدراهم"**، وقومت بسبعة وخمسين اوقية

+**"السلت من الدراهيم مع مفاصلها"** وقومت بثلاث وستين اوقية.

- **"القنرفل مع مفاصلها المرجان مع شيء من الداهيمْ**، وقومت بأربع اواق

- **"القلادة زُوزُ"** بثلاث اواق[وثيقة 26]

نظمت القلادة الأولى من "الدراهم"، أي القطع النقدية، وقومت بسبعة وخمسين أوقية، أما القلادة الثانية، وهي من نوع (السلت) فكانت تضم "الدراهيم" و"مفاصل"، أي العناصر الفاصلة بين القطع النقدية سواء كانت خرز المرجان أو اللبان الأصفر، و قومت بثلاث وستين أوقية، أما الثالثة فكانت مكونة من القرنفل، كمكون أساسي، مع "مفاصله" من المرجان و" شيء من الداهيمْ "، ويبدو أن المحرر يقصد بهذه العبارة أن عدد القطع المسكوكة كان قليلا، و وقد قومت هذه القلادة بأربعة اواق. أما الحلية الرابعة

[1] . قد تكون هذه الحلية منظومة من اللبان الأصفر، لأنها ذكرت مباشرة بعد قلادة أخرى مركبة من نفس المادة، وقومت بنفس القيمة النقدية، (ثلاثون اوقية)؛ وذكر المحرر هذه الحلية بعبارة "وقلادة أيضا تسـكـنت"، فلفظ "أيضا" لم يذكر الا في حالة هذه الحلية مما يدعو إلى الاعتقاد أن الكاتب يقصد بأنها مثل سابقتها، أي إنها أيضا من اللبان. لم يشكل المحرر اسم الحلية " تسـكـنت" لنعرف طريقة نطقها بدقة، ولكن على العموم، هناك قلادة أخرى منتشرة في الجنوب المغربي وتسمى "تاسـكـانت"، ومعناه الحرفي "السوداء" لأنها تتشكل أساسا من العقيق الزجاجي الأسود. ومن شأن الاطلاع على المزيد من الارشيفات العائلية المساهمة في فهم المعنى الدقيق لـ(تسـكـنت)، إن كانت تشكل الاسم الأمازيغي لقلادة اللبان، أو تدل على قلادة العقيق الزجاجي الأسود، او أي نوع آخر من القلائد.

[2] انظر انص الكامل لهذه الوثيقة ضمن الكد والسعاية، في الفصل الثاني من الباب الثالث [وثيقة رقم 9 من أكنسان]

فكانت منظومة من العقيق الزجاجي فقط (زوزو)، لذا لم تقوم إلا بثلاث اواق. ويتضح من هذا النموذج أن وزن وعدد القطع النقدية كان يساهم في تحديد قيمة القلادة.

ث- (رْبْعْ)

ينطق في سوس (رْباع) بسكون الراء أو (رْبا) بحذف العين، وجمعه (اربيع)، ... ولا يقصد به في المجال النقدي جزء من أربعة إلا نادرا، وإنما يقصد به واحدا من خمسة، فالريال الحسني في سوس كان يتكون من خمسة "أربيع". ويطلق (رْبَاع) على البسيطة في صرف الريال الاسباني، كما يطلق على الفرنك في صرف الريال الفرنسي[1].

(رْبْعْ) في الوثائق العائلية

تبعا للوثائق التي تيسر لنا الاطلاع عليها، فإن لفظ "ربع" ظهر متأخرا مقارنة مع أسماء المسكوكات الأخرى، ورصدناه في ثلاث عقود الزواج:

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	التاريخ	الصيغة
تالـكّـجونت [وثيقة 18]	جهاز	1288 شعبان (1871م)	القلادة من الارباع الفضة المختلط بالدراهم من أربعة اواق
[وثيقة 13] ءاڭنسان	جهاز	رجب 1308(فبراير 1891م)	قلادة من الارباع بثلاثين مثاقيلا ... وقلادة أخرى من الارباع أَلْدُنْ باثنا عشر مثاقيلا
ءيمنتاڭن [وثيقة 21	صداق	شوال 1314، (مارس 1897م)	سبعة عشر ربوعا من الفضة [...]-هم وجعلتهم في قلادتها في عنقها

ملاحظات :

- كانت القلادة الواردة ضمن عقد جهاز تالـكّـجونت بتاريخ شعبان 1288(**1871م**)، مكونة من (الارباع) الفضية و(الدراهم)؛ أي أن نفس الحلية يمكن ان تضم مسكوكات مختلفة.

- يفيد عقد الجهاز من (ءاڭنسان) بتاريخ رجب 1308/(فبراير 1891م)، في التمييز بين نوعين من (الارباع)، أحدهما ربما كان من الفضة، لذا كانت القلادة المركبة منه مقومة بثلاثين مثقالا، أما النوع الثاني منه فكان مصنوعا من (أَلْدون)، أي الرصاص، ولم تُقَوَّم القلادة المركبة منه إلا باثنا عشر مثقالا.

- تظهر وثيقة ءيمنتاڭن بتاريخ شوال 1314 (مارس 1897م)، تلك العلاقة الوطيدة بين المسكوكات والحلي، فالزوجة تسلمت سبعة عشر قطعة نقدية فضية من فئة (ربوع)، ونظمتهم في قلادةٍ زينت بها جيدَها.

[1] **افا، النقود ، مرجع سبق ذكره، ص. 403.**

ج-الموزونة

مسكوكة فضية صغيرة، كانت تطلق على كل قطعة يقل وزها عن الدرهم الشرعي، مثل موزونة مولاي رشيد، وموزونة مولاي اسماعيل، ثم أصبحت تطلق منذ اصلاح سيدي محمد بن عبد الله، وطوال القرن 19، على ربع الدرهم وعلى ربع الأوقية[1]، وتنطق في الجنوب بصيغة (تاموزونت).

الموزونة في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	التاريخ	الصيغة
تاجـكـالت [وثيقة 57]،	**عقد جهاز**	**ذي حجة 1162، (1749م)**	**"قلادة المزونة"**
[ءاكنسان وثيقة 17]	**جرد ثروة الأسرة**	**غير مؤرخ**	**قلادة من المرجان يعني خمسة رجلة من المرجان فيها سبعة لبانة ومن الحر وثلاثة وثلاثة عشر اوقية من النقرة سكة القديم وكذلك ستة عشر موزونات المفردات سكة القديمات**

ملاحظات :

- يتضح من عقد جهاز تاجـكـالت أن "الموزونة" كقطعة نقدية كانت تنظم في القلائد منذ ذي حجة 1162 (1749م) على أقل تقدير.

- بالنسبة لجرد الأموال من قبيلة (ءاكنسان) والذي يعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر،[2] فإن القلادة الواردة فيه كانت مكونة من خمس خيوط (**رجلة**) نظمت فيها حبوب المرجان وسبع كريات من اللبان الأصفر، وستة عشر قطعة نقدية من فئة "**موزونات المفردات سكة القديمات**". ونفهم من عبارة "**السكة القديمات**" أن (الموزونة) التي نظمت في القلادة ضُرِبت في تاريخ سابق عن تاريخ تحرير العقد

ح- (افردي)

تسمى في الوثائق المغربية "فرد من النقود" والمقصود بها قطعة نقدية بذاتها، ولها وجود قائم في مجال الرواج وليست مجرد نقد حسابي[3]. ولعل هذا المعنى هو المقصود في عقد جهاز من (تاجـكـالت) بتاريخ شوال 1325 (1907م)، والذي ورد فيه: "القلادة العنق من افرديْ القديم بريالة ونصف أخرى " [وثيقة 53]

---

[1] افا، النقود ، مرجع سبق ذكره، ص. 419.

[2] الوثيقة غير مؤرخة، غير أن ورود " اريالة الكبيرة صنعة ادزير " لتحديد ثمن بعض مكونات الجرد، يؤكد أن هذه الوثيقة حررت بعد سنة 1847 التي ظهرت فيها هذه العملة في سوس. افا، النقود ، مرجع سبق ذكره، ص. 402.

[3] افا، النقود ، مرجع سبق ذكره، ص. 420.

ترد العديد من المصطلحات النقدية في الوثائق المحلية كـ(الدراهم)، و(الريال)، و(الارباع)، و(الدنانير)، و(الموزونة)... ولكنها مجرد نقود حسابية، ولا تعكس القطع النقدية الحقيقة التي لها وجود قائم في مجال الرواج[1]، لذا لا تفيد الباحث في تحديد نوعية القطع المركبة في القلائد، ومعرفة تواريخ وأماكن إصدارها.

يستخدم الموثقون عادة أسماء عامة للدلالة على حلي المسكوكات، والتي تتكون غالبا من لفظيين، الأول هو :(القلادة) أو (الخيطة)، والثاني يحدد نوعية القطع النقدية المنظومة في الحلية من دنانير ودراهيم وريال وموزونة .... ويبدو أن هذه الأسماء العامة تخفي ورائها أسماء خاصة محلية كالتي وثقتها الأبحاث الميدانية مثل:(ءادراس)، و(تيمزضيت)، و(تاردّاحت).... وهناك أسماء خاصة لقلائد مكونة من مسكوكات، أصبحت في حكم المنسي، ولكن لها حضور في بعض الوثائق العائلية، وخاصة: (سلتا).

خ- (سّلتا)

(سّلتا) من الأسماء المندثرة التي لم يعد يفهم أحد دلالتها في الجنوب، وقد أشار اليها دوتي في قبيلة (ايكندافن) بالسفح الشمال للأطلس الكبير الغربي التي زارها بين 1902 و1906، وقال إنها تتكون من قطع نقدية مركبة على شريط، وتزين بها المرأة جبينها[2] وتربطها خلف الرأس.

وذكر بوزونسونو بعد ذلك إكليلا من نوع (سُّلْتا) اثناء حديثه عن حلي العروس المسلمة في مدينة فاس، ووصفه بأنه كان عبارة عن ضفيرة ضيقة سوداء اللون تزين الجبين، وتتوسطها حجرة كريمة خضراء اللون[3]. وشرح كولان في معجمه أن (سُّلْتا) تدل على شريط جبيني من الثوب الذي تركب فوقه قطع نقدية، وأضاف بأن هذه الحلية كانت منتشرة في الأطلس الكبير[4].

لم ترد الإشارة إلى حلية (سُّلْتا) في الدراسات الإثنوغرافية ولا في الأبحاث حول الحلي والأزياء في المجالات الممتدة جنوب الأطلس الكبير الغربي، والتي اختفى منها هذا اللفظ في التداول اليومي بشكل شبه تام. غير أن الوثائق العائلية وثقت لنا استعماله قديما في هذه المنطقة، وارتباطه أساسا بحلي العنق.

---

[1] نادرا ما يحدد الموثقون نوعية النقود المنظومة في القلائد، ومن الأمثلة على ذلك عقد جهاز من تاجكّالت بتاريخ جمادى الثانية 1277، والذي يضم من بين مكوناته قلادة من الفضة مركبة من قطع نقدية من بينها (أربعة اواق بومدفع)، والمقصود بـ"بومدفع" في الجنوب المغربي هو ريال اسباني رسم عليه على عمودي هرقل كشعار للدولة الاسبانية والتي شبهها المغاربة بالمدافع . انظر : افا، النقود ، مرجع سبق ذكره، ص. 332.

[2] Doutté E., En Tribu : Missions au Maroc, Paris, Librairie Paul Geuthner 1914,p.76= Doutté E., Tribu

[3] Besancenot J., Costumes.op.cit.p.165.

[4] Colin, Dictionnaire. t. V.4 . op. cit. p. 835

(سُلْتا) في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	التاريخ	**الصيغة**
ءيمنتاڭن وثيقة 14	**جهاز**	**ذي قعدة 1161 /(1748م)**	**السلت بثلاث اواق ونصف**
تاجڭالت [وثيقة 28]	**جرد حلي**	**رجب الفرد، 1233/**(1818م)	**قلادتين من الدراهيم يقول له سُلْتَ**
35 تاجڭالت	**جهاز**	**ربيع الثاني 1240 /(1824م)**	**السلت من الدراهم بأربعة وأربعين اواقية و نصف**
(تالڭجونت)[وثيقة 26]،	**جهاز**	**محرم 1272 /**(1855م)	**السلت من الدراهيم مع مفاصلها**
تالڭجونت [وثيقة 36]	**جهاز**	**ذي حجة 1299 /**(1882م)	**والسلت فيها ثلاثة خيوط من الدراهيم مع مرجانها وهو اقيْن [أَقَايْن] الحمراء**

ملاحظات

- يعود أقدم ذكر للفظ (سّلتا) إلى ذي قعدة الحرام عام 1161 (1748م)، ولكن العبارة الواردة في الوثيقة لا تسمح بتحديد طبيعة الحلية، فقد أشار محرر العقد إلى " **السلت بثلاث اواق ونصف**" دون الإشارة إلى علاقة الحلية بالجبين أو العنق.

- يشرح محرر وثيقة تاجڭالت بتاريخ 1233 (1818م)بأن (سلت) هي القلادة المنظومة بالدراهم. وسترد عبارة "**السلت من الدراهيم**" في عقد جهاز آخر نفس القبيلة بتاريخ ربيع الثاني 1240 (1824م)؛ ونرجح أن هذه الحلية بدورها تدل على القلادة، لأنه من المستبعد أن يكون لنفس اللفظ معنيان مختلفان في نفس القبيلة وفي فترتين تاريخيتين متقاربتين لا يفصل بينهما إلا أقل من سبع سنوات.

- يضم عقد جهاز من (تالڭجونت) بتاريخ محرم 1272 (1855م)الحلية التالية "**السلت من الدراهيم مع مفاصلها**"[وثيقة 26]، ومن المرجح أن تدل "السلت" في هذه الوثيقة على القلادة، كما يبين ذلك استعمال المحرر لعبارة "مع مفاصلها" والتي تكون عادة من اللوبان والمرجان وتقتصر على القلائد.

- يورد عقد جهاز آخر من (تالڭجونت) بتاريخ ذي حجة 1299(1882م) وصفا دقيق لهذه الحلية: **السلت فيها ثلاثة خيوط من الدراهيم مع مرجانها وهو اقيْن [أَقَايْن] الحمراء** " [وثيقة 36]. تتكون هذه

الحلية من قطع نقدية وخرز المرجان وعقيق زجاجي أحمر اللون، وكانت كل هذه العناصر منظومة في ثلاث خيوط، مما يؤكد أن الأمر يتعلق بقلادة.[1]

يتضح من الوثائق المتوفرة أن قبائل السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي، كانت تخصص لفظ (سْلْتا) للدلالة على القلادة، عكس مناطق أخرى حيث كان نفس اللفظ يدل على الإكليل. ونرى أنه ليس من الغريب أن نجد نفس اللفظ يستعمل للدلالة على حليتين مختلفتين، أي: الإكليل الجبيني وقلادة العنق، ويمكن تفسير هذا الأمر بكون الحليتين تنظمان غالبا من نفس العناصر.[2]

ثانيا: أنواع القلائد

1) (تيفيلت ن- وودّيز)

يتكون اسم القلادة من لفظين وهما: (تيفيليت) وتعني القلادة، و(ءودّيز) الذي يدل على حبات فضية ممتلئة ذات أوجه مسطحة. وقد انتقل الاسم إلى التداول بالعربية الدارجة عند صاغة مدينة تارودانت الذين ينطقونه بصيغة (الودّيز). ويستعمل هذا اللفظ أيضا في صيغة المؤنث، ويقال : (تودّيزت)، وجمعه في المذكر: (ءودّيزن)، وفي المؤنث : (تودّيزين).

يبدو أن لفظ (ءودّيز) مشتق من فعل (ئدز)، الذي يعني طَرَقَ الحديد[3] وباقي المعادن[4]. وإذا صح هذا الافتراض فإن لفظ (ءودّيز) سيعني معجميا: "المطروق" واصطلاحا: حبة الفضة المطروقة .

ينتشر لفظ (ءودّيز) في أغلب المجالات الجغرافية للجنوب المغربي، ونجده أيضا في صيغته الأمازيغية (تودز) في بعض مناطق موريتانيا ؛ حيث يطلق على "حبات من الفضة" تدخل في تركيب أنواع من الحلي[5]. مما يؤكد أن هذا المصطلح متجدر في تراث الصياغة بشمال افريقيا، وبأنه كان واسع الانتشار في حقبة تاريخية قديمة.

---

[1] تخاط عناصر الحلية الجبينية عادة فوق شريط من الثوب ولا تنظم في خيوط

[2] يدل لفظ (تازرا) بدوره على المعنيين، فهو حلية جبينية في الجزء الغربي لسهل سوس، وقلادة في المناطق الواقعة في طرفه الشرقي انطلاقا من تاليون في اتجاه وارزازات.

[3] شفيق محمد، المعجم، الجزء الثاني، ص.22.

[4] يدل نفس اللفظ في الأطلس المتوسط، على قبضة اليد وعلى اللكمة.، انظر: Oussikoum B .,op. cit .p. 865.

[5]Jacques-Meunier J., **Cités**. op. cit. p. 151.

(ءودّيز) في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	نوعية لوثيقة	التاريخ	الصيغة
الأطلس الصغير الغربي، [السوسي، المعسول ج:1، ص. 83]	جهاز	جمادى الأولى سنة 981 هـ (1573م)	"اربع خيوط مفصلين (بادز) –كذا - واربعة (حروز)
ءيمنتاڭن وثيقة 9،	جهاز	جماد 2، 1051 (1641م)	"[تـ]فلت ودز بخمسة اواق
وثيقة 22، ءيمنتاڭن	جهاز	جماد 2، 1066 (1656م)	- "خيط ادز " من ست اواق
اكلو [325]	جهاز	ربيع نبوي 1077 (شتنبر 1666م)	خيط العنق من حبوب الفضة مفصول بالمرجان وباشوشة الذهب
[وثيقة 17، تالـڭـجونت	جهاز	صفر 1145	مخنقة الوديز
تاجـڭـالت [وثيقة 59،	جهاز	دي حجة 1151(1739م)	خيوط العنق من الدز والدنانير
تاجـڭـالت [وثيقة 56]	جهاز	ذو الحجة 1160، (دجنبر 1747م)	- "قلدة ادز"
ءيمنتاڭن وثيقة 14	جهاز	.ذو قعدة 1161، (1748م)	- قلادة ادز بعشرين اوقية
تاجـڭـالت وثيقة 40	رهن	رمضان 1164،(1751م)	"علقة الدز... وفيها بالحساب تسع وستين زوجة من حب الدر [الدز] وثلاثة اقلاب"
ءايت ءيـڭـاس [وثيقة 2]	جهاز	شعبان 1174 (1761م)	"قلادة ادّز
تالـڭـجونت وثيقة 2	جهاز	صفر 1175 (شتنبر 1761م)	قلاة أيضا متاع ادّز مع الخَواتِمْ
تاجـڭـالت [وثيقة 73]	جهاز	رجب 1182	و العلقة الدز
اكلو 352	جهاز	شعبان 1192،(1778م)	"خيط اديز مع فصوله"
[وثيقة 335،، اكلو	جهاز	ربيع1-1205 (1790م)	- "خيط الديز" بستة مثاقيل وثمانية عشر موزونات
[وثيقة 335،، اكلو	جهاز	ربيع1-1205 (1790م)	- "خيط الديز" بستة مثاقيل وثمانية عشر موزونات

ملاحظات

- تختلف الأسماء الواردة في هذه الوثائق: (خيط)، (قلادة)، (مخنقة)، (علقة). ويبدو أن كل هذه الكلمات هي ترجمات للاسم الأمازيغي الوارد في عقد جهاز من (ءيمنتاڭن) بتاريخ جماد 2، 1051هـ/(1641م) وهو : **"[تـ]فلت ودز"** [وثيقة 9] التي تنطق: (تيفيليت [ن] وودّيز).

- تبين الوثائق العائلية أن القلائد التي كانت تضم حبوب (ءودّيز) بين مكوناتها كانت منتشرة في أغلب مناطق الجنوب المغربي؛ حيث رصدناها في الأطلس الكبير الغربي، وفي سهل سوس والأطلس الصغير الغربي. وكانت هذه الحبوب من أقدم مكونات الحلي التي ذكرت في هذا المجال الجغرافي، حيث يعود أقدم ذكر لها، إلى جمادى الأولى سنة 981 (1573م). وقد استمر حضورها بقوة في عقود الجهاز ومعاملات الرهن إلى أن اختفت فجأة بعد 1205 هـ/(1790م) من الوثائق العائلية، كما تضائل حضورها في صناعة الحلي، وأصبحت تشكل عنصرا ثانويا في تركيب في بعض القلائد، كما تخاط فوق نوع من حلي الجبين الخاص بقبيلة (ءاشتوكن)[1]، وهناك من الحرفيين من يلحم حبوب (ءودّيز) فوق سطح الأساور.

- شكلت حبوب (ءودّيز) قديما، وحسب ما تظهره الوثائق العائلية، المكونَ الأساسي لنوع من القلائد المنتشرة في مختلف قبائل الجنوب المغربي، وكانت المرأة تفضل إغناء اللون الفضي لهذه الحبوب بألوان مواد متنوعة، وهذا ما تشير اليه الوثائق بعبارة "الفواصل"، وخاصة "المرجان". وقد تُنظم حبوب (ءودّيز) مع الخواتم والعلّاقات الفضية (الحروز) في نفس الحلية. وضمت بعض القلائد من (اكلو) علّاقة ذهبية كانت على ما يبدو تشكل واسطة عقد منظوم من حبوب (ءودّيز) والمرجان.

-تحدد بعض الوثائق عدد الحبات المنظومة في الحلية، كما هو الشأن بالنسبة لقلادة من (تاجـكّـالت) التي كانت موضوع رهن بتاريخ رمضان 1164 **(1751م)**، وكانت تضم تسع وستين زوجا من **"حب الدز"**. وتتكون قلادة أخرى من (ءيمنتاكّـن) بتاريخ محرم 1021 من 23 حبة من (ءودّيز)، إلى جانب ثلاث عناصر تسمى (**تيشومشنين**). ولكن أغلب المحررين لا يذكرون عدد الحبات، وذلك لأن الحلي الفضية تُوزَن، وبالتالي فذِكر وزنِها يعطي فكرة دقيقة عن قيمتها النقدية.

- تسمح بعض الوثائق بعقد مقارنات بين قيمة هذه القلادة المشتملة على حبوب (ءودّيز) وأنواع اخرى من الحلي، فنجد في عقد جهاز من قبلية (تالـكّـجونت) بتاريخ صفر 1145 أن (مخنقة الوديز) قُوِّمت بخمسة عشر أواقية، بينما لم تتجاوز قيمة قلادة الصفائح الفضية (مخنقة اطرنيش) إحدى عشر أوقية.

- ورد في عقد جهاز من قبيلة (ءيمنتاكّـن) بتاريخ ذي قعدة 1161 **(1748م)**أن القيمة النقدية لقلادة (ءودّيز) تعادل عشرينا اوقية، ويمثل هذا المبلغ ضعف قيمة أقراط الأذن، كما أنه اكبر من ثمن قلادة من نوع (السلتة) التي قومت بثلاث أواق ونصف.

- في وثيقة (ءايت ءيـكّـاس) بتاريخ شعبان 1174هـ/(1761م) قُوِّمت **"قلادة ادّز"** بتسع عشرة أوقية، ما يجعل قيمتها النقدية أكبر من قيمة قلادة القطع النقدية (عشرة أوقية وموزونة)، ومن السوار الفضي (سبع

[1] **انظر (تازرا) ص. 133**

عشر أوقية) ومن أسورة تانبالت (إحدى عشرة أوقية ونصف الاوقية) ومن أقراط الأذن(ثمان أواق)، ومن قلادة القرنفل (ثلاث أواق)، ولكن ثمنها يبقى مع ذلك أقل من القيمة النقدية لزوج المشابك الفضية (ستة وعشرون أوقية).

- تبين هذه النماذج من الوثائق أن القيمة النقدية للقلائد التي تدخل حبوب الفضة في تركيبها هي أكبر من قيمة الأنواع الأخرى من القلائد، بل وحتى من قيمة الأساور وأقراط الأذن. ويمكن تفسير هذا الأمر بكون (ءودّيز) هو عبارة عن كتلة مصمتة ممتلئة متعددة الصفاح (polydrique) ؛ وبما أنها غير مجوفة، فإنها تزن كمية هامة من الفضة، وكلما زاد عدد حبوب (ءودّيزن) زاد وزن الحلية ليصبح أحيانا أثقل من وزن حلي أخرى أكبر حجما ولكنها أخف وزنا، لأنها مكونة من حلقات مجوفة كأقراط الأذن، أو من صفائح رفيعة، كقلائد (ايموحديين) أو (ءيطرناش).

2) (تازلاڭت)

الاسم

(تازلاڭت) لفظ في صيغة المؤنث المفرد، ومذكره: (ءازلاڭ)، وهو مشتق من فعل (ءيزلڭ) الذي يعني: سلك مواد مختلفة في شريط كالتين أو البصل[1] أو الأسماك[2] أو الإسفنج. أما في مجال الحلي، فيحيل هذا الفعل على نظم اللؤلؤ وما إليه في خيط[3]. ونستنتج من هذه الدلالات، أن المعني المعجمي للفظ (ءازلاڭ) يتفق مع معناه الاصطلاحي، لأنه في الحالتين معا يدل على عملية نظم العناصر سواء كانت خرزا في خيط بالنسبة للقلادة، أو مواد مختلفة في خيط أو شريط مفتول من النبات.

قد يكون معنى (ءازلاڭ) مرتبطا بنظم المكونات في القلادة كما تنظم الأسماك والخضر والفواكه والإسفنج في الشريط. غير أن هذه الخاصية لا تميز هذه القلادة وحدها، بل تشترك فيها أغلب حلي العنق. لذا نقترح الاستعانة بدلالة أخرى لـ(ءازلاڭ) وهي: فتلُ الحبلِ[4]، وتنسجم هذه الدلالة مع ارتباط المعاني المعجمية لأغلب حلي العنق بضفر وفتل المواد النباتية لصناعة الحبال والأشرطة[5].

كان اسم (تازلاڭت) من أكثر الألفاظ الأمازيغية انتشار في مجال أسماء الحلي بشمال افريقيا، فقد استعمل في القبائل بالجزائر كاسم عام لكل أنواع القلائد، بغض النظر عن مكوناتها وطريقة تركيبها[6] ،.

---

[1] **شفيق محمد، الدارجة، ص.115.**

[2] **Laoust E., « Pécheurs ».op .cit . p. 346.**

[3] **شفيق محمد، المعجم، الجزء الثالث، ص.254.**

[4] **شفيق محمد، الدارجة، ص.115.**

[5] **انظر خاتمة أسماء القلائد**

[6] **Eudel , Dictionnaire. op. cit.p. 223**

يتم التمييز بين مختلف الأنواع بإضافة ضميمة تحدد نوعية المواد التي تتكون منها، فيقال مثلا : (تازلاڭت ن قرنفل) أي قلادة القرنفل، و (تازلاڭت ن-سّخاب)، أي قلادة عجينة السخاب المعطرة :

Camps Faber H., Kabylie . op. cit. p. 256.

ونجد نفس اللفظ في صيغة المذكر (ازلاكْ) يستعمل في موريتانيا للدلالة على قلادة طويلة من الخرز أو من الياف معطرة[1].

المجال

ينتشر لفظ (تازلاكْت) أو (ءازلاكْ) في الطرف الغربي للأطلس الصغير، عند (ءايت باعمران)، و(لاخصاص) و(ءايت حربيل)[2]، وفي الأطلس الكبير الغربي عند (ءيلبنسيرن)/[دمسيرة] و(ءيمي ن تانوت) و(ءيداومحمود)...وعند بعض قبائل سهل سوس كـ(ماسة) و(ءاشتوكن)...

الشكل[3]

تتكون قلادة (تازلاكْت) في منطقة (ءايت باعمران) و(لاخصاص) و(ءايت حربيل)، من ثمان صفائح متشابهة، ولها شكل دائري أو مربع، وتتوسطها صفيحة تاسعة مستطيلة الشكل واكبر حجما، ولها عادة مقبضين، وضلعها السفلي مسنن. تُزَيَّن الصفائحُ بالنيال الرصاصي، وتفصل بينها حبات اللوبان والمرجان.[4] ويطلق سكان قبيلة (لاخصاص) اسم:(ايموحديين) على الصفائح الصغيرة واسم (لـقاضي ايموحديين)على الصفيحة الكبرى في الوسط[5]. أما في قبيلة (ءيمجّاط) المجاورة، فإن الصفائح الصغيرة تسمى (ءيطرناش).

كانت نساء ماسة والقبائل المجاورة يزين الجيد بـ(تازلاكْت) مكونة من ثمان علّاقات فريدة، لها شكل دائري، ومزينة بزخرفة حلزونية، ولها مقابض مُخَدَّدَة [attaches cannelées]، وتفصل بينها أنابيب صغيرة من المرجان. وكانت الزخارف الحلزونية في النماذج القديمة مرصعة بالنيال الرصاصي. وتؤكد راباتي أن هذا النموذج من القلائد خاص بماسة[6].

[1] **Jacques-Meunier J., Cités. op. cit. p. 151.**

2 **Rabaté M.-R, Bijoux. op .cit. p. 40**

3 **أنظر صورة فتاة من أيت باعمران وهي تتقلد عقدا من نوع (تازلاكْت)، ص.136.**

4 **Rabaté M.-R, Bijoux. op .cit. p. 40**

[5] **المعلم مبارك بن سعيد من قبيلة لاخصاص**

[6] **Rabaté M.-R, Bijoux. op .cit. p. 44**

وتنتشر بقبيلة (ءاشتوكن) المجاورة قلادة مشابهة لصنف (تازلاكّت) بنفس المكونات ونفس التصميم، ولكنها تسمى (تانيفرت)[1]

(تازلاكت) في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	التاريخ	**الصيغة**
اكلو الوثيقة 336]	جهاز	1201 ربيع الأول (1786م)	**ازلكَ امحدين**
اكلو [، الوثيقة 335]	جهاز	ربيع1-1205(1790م)	**ازلك وفصوله**
ءيكسيمن [الوثيقة 41]	جهاز	ربيع 1310 (1892م)	**و تزلـكّت ب 18 ربعا ... وتزلـكّت أخرى مع لبانها بثلاث ريالات قل ربع**

ملاحظات

- ورد اسم الحلية في صيغة المذكر (أزلاكّ) في وثائق قبيلة (أكلو)، وفي صيغة المؤنث (تازلاكّت) في وثيقة (ءيكسيمن). وكانت هاتان القبيلتان من بين مجالات انتشار هذا النوع من الحلي في سهل سوس.
- يمكن أن تنظم قلادة (ازلاك) أو (تازلاكت) من رقائق فضية (ءيموحدين) فقط، ولكنها تضم غالبا "**الفصول** " من كريات اللبان وغيرها.

3) (ءاجوجو)/ (جوجّو)

ينتشر نموذجان مختلفان من القلائد في سفحي الأطلس الصغير الغربي، ولكنهما يعرفان تحت اسمين متقاربين، وهما (جوجّو) و(ءاجوجو). ويستعمل لفظ (جوجّو) في السفح الشمالي للدلالة على قلادة متنوعة العناصر وتتوسطها كرية فضية مجوفة[2]، بينما ينتشر لفظ (ءاجوجو) في السفح الجنوبي لدى نساء قبيلة (ءايت حربيل)، ويدل على نموذج من حلي العنق التي يغلب العقيق الزجاجي الملون على مكوناتها. ويبدو أن اللفظين قريبان، من الناحية الاشتقاقية، من لفظ (ءيجوجّوتن)[3]- وهو جمع (أجوجّو)- الذي يدل على أنواع من البخور، تدقها النساء للحصول على خليط ذي رائحة طيبة عطرة لاستعمالها بمناسبة حفل الزفاف[4]. وتتغنى النساء بـ((ءيجوجوتن) أثناء إعداد الحناء الذي ستتزين به العروس :

ءاوي- د، ءاوي- د، ءا ماس ن تسليت ءيجوجّوتن ءاد ءيلين غ لحنّا

---

[1] **بجي، الحلي، مرجع سبق ذكره ، ج2، ص. 249.**

[2] **Adam, « Costume » . op. cit.p. 472-473.**

[3] المشتق من فعل (ايجّا) بترقيق الجيم

[4] محمد بصير، **الحاجة الماسة إلى تعريف ماسة**، مطبعة IRAMSI الدار البيضاء2011،ص. 322.

احضري، احضري، يا أم العروس البخورَ لتُمزج بالحناء[1]

ونفترض أن قلادة (ءاجوجّو) كانت في الأصل مركبة من مواد ذات رائحة طيبة كالقرنفل أو غيره من المواد العطرية. ولعل ما يعزز هذا الافتراض هو ورود **"المشموم من النوار"** باعتباره اسما لقلادة مركبة من عيدان القرنفل في عقد جهاز من أكادير بتاريخ 23 شوال 1183، (فبراير 1770م) [وثيقة 94]. وإذا كان صح هذا الافتراض، وإذا سلمنا بأن (المشموم) الوارد في الوثائق العائلية هو ترجمة حرفية لـ(أجوجّو) المستعمل اليوم، فإننا نميل إلى الاعتقاد بأن مكونات قلادة (ءاجوجو) تغيرت مع الوقت، فبعد أن كانت تُركب قديما من عيدان القرنفل أو المواد العطرة[2]، أصبحت تنظم بعد ذلك من عقيق زجاجي ومرجان ولوبان وقطع نقدية وكريات فضية. لقد تطور المعنى الاصطلاحي لـ(أجوجو) من دلالته على حلية ذات رائحة طيبة إلى دلالته على قلائد من مواد أخرى، ولكن من الناحية المعجمية، بقي الاسم محافظا على دلالته الاصلية المرتبطة بخاصية الأريج العطر الذي كان يميز الحلية.

المجال والشكل

تتزين نساء قبيلة (ءايت حربيل) المستقرةعلى السفح الصحراوي للأطلس الصغير الغربي، بثلاث قلائد مكونة من العقيق الزجاجي؛ وتسمى كل واحدة منها (أجوجو). تتكون كل قلادة من كمية كبيرة من العقيق الزجاجي المنظوم في عدة خيوط، والموزع على جانبي واسطة العقد المكونة من كُرَية من اللبان الأصفر أو كُرَية من الفضة المجوفة. وتتناوب مجموعات العقيق مع أسطوانات وخرز المرجان. وجرت العادة أن تكون القلائد الثلاث مختلفة الألوان تبعا للون العقيق الزجاجي الغالب على مكوناتها، وهي غالبا الأخضر والأسود والأبيض[3].

كانت قلادة (جوجو) عند قبيلة (أمّلن)، بالسفح الشمال للأطلس الصغير الغربي، مركبة من كريات اللوبان، وخرز المرجان، وكريات فضية مجوفة (تاكّموت) وقطع نقدية وعلاقات مختلفة[4]. قد يبدو الاسم الذي يطلق عليها- جوجّو- مميزا، غير أن مكوناتها تبدو مألوفة ولا تختلف كثيرا عن مكونات النموذج الكلاسيكي الشائع لـ(تيفيليت) في مختلف مناطق الجنوب.

---

[1] بالفقير محمد، **المعتقدات والعادات بقبيلة ايت وافقا وعلاقتها بالادب المغربي**، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط، 1980، ص. 34-35

[2] تنتشر في شمال افريقيا أنواع من القلائد المكونة من حبات مصنوعة من عجينة عطرية وتسمى "السخاب". أنظر :
Benfoughal T. ,op .cit.p.90-138

[3] **توجد لدى قبائل السفح الشمالي للأطلس نفس القلائد تقريبا، ولكنها لا تحمل نفس الاسم –أي أجوجو- بل تحمل كل واحدة منها اسما مرتبطا بلون العقيق؛ فتسمى القلادة الخضراء: (تيفيلوت تازكزاوت)، والقلادة السوداء: (تيفيلوت تاسكانت)، والقلادة البيضاء : (تيفيلت توموليت). [أبحاث ميدانية]**

[4] **Adam, « Costume ». op .cit.p.472.**

4) (تازلّومت)

يدل لفظ (تازلّومت) اصطلاحا على قلادة خاصة بالمولود الجديد، ويدل معجميا على حبل يعلق في عنق الدابة لتقتاد به[1]. ويبرم عادة من خوص النخل أو من أوراق الدوم. أما صيغة المذكر لنفس اللفظ –(ازلّوم)- فتحيل على حبل من شعر الماعز يتوتَّر ويَصلُب حينما يُبَلّ[2].

يحضر مصطلح (تازلّومت) في مجال الحلي الجلدية بموريتانيا، بنطقين متقاربين، وهما:

- (تازلّوميت) ، وجمعها (تيزلّوماتن)، ويقصد بها حلية مكونة من كريات جلدية تتدلى فوق الجبين، وتستعمل في منطقة (تاكْانّت)[3].

- (تازالّومت) وهي عبارة عن حامل من جلد توضع فيه عادة نواة تمرة مستقدمة من مكة وتستخدم كتميمة، وذلك في منطقة (الحوض)[4].

تختلف طبيعة وشكل هاتان "الحليتان" عن (تازلّومت) المعروفة بالجنوب المغربي، ولكن استعمال نفس اللفظ في مجال ممتد من سهل سوس إلى موريتانيا، يؤكد أننا أمام مصطلح عريق. كما أن ارتباط "الحلية الجلدية" بوضع التمائم في منطقة (الحوض) بموريتانيا يذكرنا بالوظيفة الطقوسية لـ(تازلّومت) بسوس.

<u>الشكل</u>

كانت لقلادة (تازلّومت) وظيفة طقوسية بالأساس، وتحضر في طقوس العبور التي ترافق المولود الجديد بعد ولادته. ونجدها خاصة لدى القبائل المجاورة لتيزنيت حيث كانت الجدة من جهة الأم تنظم قطعا نقدية صغيرة وبعض حبات المرجان في قلادة صغيرة لتهديها للمولود لتوضع حول عنقه إلى أن تنبت له الأسنان، فتُنزع عنه، ويُحتفظ بها لتُعطى لمن سيولد بعده من أخت وأخ[5]. ويبدو أن قلادة (تازلّومت) هي التي تحدث عنها المختار السوسي اثناء استعراضه لعادات العقيقة في قريته بالأطلس الصغير الغربي، حيث كانت نساء القرية يجتمعن **"النظم قلادة المولود الجديد فتمنح كل حاضرة من قلادتها أما لبانة أو عقيقة أو قرشا ـ خصوصا القروش المربعة التومرتية، وأراها كثيرا في قلائد الصبيان الالغيين – ثم إذا**

---

[1] بصير، مرجع سبق ذكره ، ص. 83
يمكن ترجمة (تازلّومت) بلفظ "الرسن" في اللغة العربية، وقد وصف المختار السوسي الرسن الذي كان مستعملا في سوس قائلا: "وهو حبل تقاد به الدواب كاللجام، لا تكون له حكمة ولا يدخل في فم الدابة، وإنما يدار على أسفل وجهها مما يلي الفم ثم من فوق الأذنين". أنظر ، السوسي محمد المختار ، ايليغ، مصدر سبق ذكره ، ص. 20 و هامش 88.
[2] يسمى داء عرق النَّسَا la sciatique (بووزلّوم) بالأمازيغية لأنه يشبه حبل (ءازلّوم) في توتره وصلابته، انظر: شفيق محمد، الدارجة، 117.

[3] Jacques-Meunier J., Cités. op.cit.p.154.
[4] Ibid. p.156.

[5] مصادر شفوية من قبائل مختلفة

نظمت القلادة يذهب بها إلى مخزن الزرع فتجر عليه تفاؤلا أن يكون المولود ذا رزق حسن"[1]. تصبح القلادة في هذه الحالة وسيلة لاستقبال الطفل في المجتمع من خلال مشاركة كل النساء في نظم قلادته، ومساهمة كل واحدة منهن بحبة من اللبان أو العقيق الزجاجي أو المرجان أو القطع النقدية.

5) (تازرا)

الاسم

يدل لفظ (تازرا) - وجمعه (تيزروين)- على حليتين مختلفتين في الجنوب المغربي، فيطلق على الإكليل الجبيني في المناطق القريبة من المحيط الأطلسي[2]، بينما يدل على قلادة العنق في مجالات شاسعة شرقا انطلاقا من مناطق (ءاولوز) في اتجاه وارزازات، وفي سلسلة بجبل سيروا، وعند (ءيـكّـلّوا) والقبائل المجاورة بأقصى شرق الأطلس الكبير الغربي. وينتشر هذا المصطلح بدلالة حلية العنق في أغلب المناطق الناطقة بالأمازيغية بالمغرب، إلى جانب الأسماء المحلية الكثيرة[3].

كان اسم (تازرا) متداولا أيضا في مجالات تداول العربية الدارجة في الحواضر التاريخية العريقة كفاس[4]، وتطوان ومكناس وأسفي، وغيرها من المدن، ويطلق على قلائد مكونة من علّاقات ذهبية على شكل ورود منظومة مع كريات ذهبية أو أحجار ثمينة صغيرة[5]. وأشار السفير الدانماركي هوست إلى قلادة (تازرا) أثناء حديثه عن حلي المرأة الحضرية بالمغرب خلال فترة سيدي محمد بن عبد الله، والتي كانت مركبة من الخرز مع علّاقات عبارة عن دوكات[6] من الذهب أو صفائح من الفضة عليها نقوش[7].

إذا كان لفظ (تازرا) في صيغته الأمازيغية، يعني القلادة في الجنوب المغربي وفي المدن العريقة الواقعة شمال الأطلس الكبير، فإنه في منطقة الريف الشرقي، يدل على حبل من الحلفاء، مكون من شريطين رفيعين مبرومين[8].

---

[1] **السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، ج1، 1 ص. 34.**
[2] **أنظر فصل القلائد أعلاه، ص.133-134**
[3] **Besancenot J., Costume. Op. cit. pl. H1 N° 6**
[4] **Eudel, Dictionnaire .op.cit.p.224.**
[5] **Besancenot J., Bijoux. op.cit.p.4**
[6] **الدوكة (Ducat) عملة ايطالية ذهبية، انظر: الوزان، وصف افريقيا، الجزء الاول ، ص. 24**
[7] **Host G., op. cit. p.77.**
[8] **أبحاث ميدانية**

الشكل

يدل لفظ (تازرا)، كما رأينا على حلية العنق بشكل عام، فيطلق على نماذج شائعة من القلادة المكونة من القطع النقدية المفصولة بالمرجان الأحمر واللوبان الأصفر والعقيق الزجاجي. واشتهرت قبيلة ايكلوا بـ(تازرا) منظومة من كريات كبرى من السلك بالحب، ومزينة بالنيال الزجاجي داخل الفجوات، وتسمى كل كرية منها: (تاكّمّوت) أو (تاكّموست)، كما تضم تلك القلادة علّاقات مسطحة مقسمة إلى جزئين، العلوي مستطيل والسفلي دائري الشكل[1].

اشتهرت قبيلة (ءايت واوزكّيت) المجاورة بأنواع متعددة من (تازرا)، ومن بينها نموذج مكون من خيطين من الصوف أو ثلاثة خيوط، وتُنظَم فيها زخارفٌ فضية مميزة جدا على شكل حلزونات صغيرة من السلك إلى جانب خرز المرجان والقطع النقدية. وتضم القلائد أحيانا علبة مغلقة دائرية أو مربعة الشكل، ومزينة بالسك بالحب والنيال الزجاجي؛ وتعرف هذه العلب باسم (الحروز)، ويتراوح سمكها بين خمس وثمان ميليمترات.[2] وهناك نموذج آخر من قلائد (ءايت واوزكّيت) يتكون من عدة خيوط منفصلة منظومة بالمرجان. وتلتقي هذه الخيوط لتمر عبر حبوب فضية مكعبة الشكل، أو عبر كريات مخرمة من السلك بالحب يصل قطرها إلى خمس أو ست سنتمترات...

خلاصة

من خلال استعراضنا لمعجم حلي العنق، سنُفاجأ بأن العديد من أسماءها تدل في نفس الوقت على معنى القلادة، وعلى معنى الحبل أو الشريط المبروم أو المضفور أما بالدوم أو الحلفاء، وأحيانا بخوص النخل، وهذا ما تبرزه هذه الأمثلة:

- (تازلّومت) اسم قلادة خاصة بالمولود الجديد، ويدل معجميا على حبل يعلق في عنق الدابة لتُقاد به. ويبرم عادة من خوص النخل أو من أوراق الدوم.

- (تيمزضيت) اسم قلادة مكونة من القطع النقدية، وهذا اللفظ مشتق من فعل (ءيزضا) الذي من بين معانيه ضفر الحبل أو الضفيرة من خوص ونحوه.

- (ءادراس) يدل المصطلح على اسم قلادة منظومة من القطع النقدية وعلى ضفيرة الدوم.

- (تازرا) ويدل الاسم على القلادة في كل من المناطق الممتدة شرق سهل سوس، وفي المدن العريقة كفاس، ويدل نفس اللفظ في الريف الشرقي على حبل من الحلفاء، مكون من شريطين رفيعين مبرومين.

[1] **Besancenot Costume.op.cit. Pl. H1] N° 7**
[2] **Rabaté M.-R, Bijoux. op .cit. p. 121.**

- (ازلاكْ) في صيغة المذكر، أو (تازلاكْت) في صيغة المؤنث، اسم قلادة كبيرة الحجم. ويدل نفس اللفظ على شريط مفتول من الدوم أو الحلفاء وتنظم فيه الأسماك أو الخضر أو التين الجاف أو الإسفنج المقلي...

إن التقاء المعاني المعجمية لأسماء القلائد في دلالتها على الشريط المضفور أو المبروم من النبات، يمكن أن يُفسر بكون المرأة كانت في البداية، ومنذ أزمنة غابرة يصعب تحديدها، كانت تبادر إلى الاستفادة مما توفره الطبيعة من مواد نباتية لتصنع منها حلية تزين بها جيدها. ومع تطور إبداعات الحضارة البشرية، وتوفر المواد الصناعية من معادن وزجاج، أصبح بإمكان المرأة أن تغني مكونات حليتها بالرقائق الفضية والذهبية وبالأحجار الكريمة، والعقيق، بالإضافة إلى اللوبان الاصفر والمرجان وغيرها من المواد، ولكن القلائد حافظت على اسمائها الأصلية التي رافقت نشأتها الاولى في أحضان الطبيعة.

يقدم معجم القلائد في أمازيغية سوس[1] نموذجا للإمكانيات التي توفرها اللغة من أجل إجراء حفريات في أصول الحلي، والعودة إلى مراحل قديمة من تاريخ البشرية حين كان الانسان يصوغ ابداعاته الثقافية المختلفة، وكيف اهتدى إلى الأشكال الأولى للحلي.

[1] تعرف مجالات انتشار الفروع الأمازيغية الأخرى في كل من الوسط والريف الشرقي مصطلح (تيسدّيت)، الذي يدل على قلادة العنق، وعلى حبل مضفور من الحلفاء، يستعمل لإبقاء صغار الاغنام بالقرب من أمهاتها، من خلال ربط أقدامها في عقد دائرية ملحقة بالحبل تضفر بدورها من الحلفاء. [أبحاث ميدانية بقبيلة بني بويحيا بالريف الشرقي سنة 2015]

الفصل الثالث: حلي الصدر: (تيزرزاي)/ المشابك

مقدمة

عرفت سنة 1987 صدور أول كتاب مخصص لنوع واحد من الحلي المغربية، ونقصد المؤلفَ الجماعي: (**تيزرزاي**) الذي خُصص بالكامل لعرض نماذج المشابك من مختلف جهات البلاد. كُتبت كلمة Tizerzaï كعنوان رئيسي بالأحرف اللاتينية وبخط عريض في الجزء العلوي من الغلاف، وكتبت اسفلها العبارة الفرنسية la fibule au Maroc، أي: المشبك في المغرب، بخط أصغر كعنوان فرعي. وكان اختيار المؤلفين للاسم الأمازيغي للحلية كعنوان رئيسي، دليلا على أن هذه الكلمة تستوفي في نظرهم كل الشروط الأدبية والفنية والتسويقية لإيصال مضمون الكتاب للقارئ، وتشويقه للاطلاع على محتواه وتشجيعه على اقتنائه. ثم سيصدر كتاب آخر سنة 2008 تحت عنوان "رحلة إلى بلاد المشابك"[1]، وتناول بدوره مكانة نفس الحلية في المغرب وباقي بلدان شمال افريقيا. وستعود الباحثة الفرنسية ماري رزو راباتي سنة 2013 إلى إصدار كتاب في نفس الموضوع تحت عنوان : "المشبك: ألفَي سنة في شمال افريقيا"[2]

بالإضافة إلى هذه المؤلفات الثلاث التي تناولت موضوع (تيزرزاي) بشكل حصري، كانت أغلب الكتب والدراسات حول التراث المغربي بشكل عام، والحلي بشكل خاص، تخصص مكانة متميزة للمشابك باعتبارها من أجمل ما أبدعته أنامل الصائغ المغربي.

سنحاول بدورنا استعراض أهم نماذج المشابك المنتشرة في الجنوب، ولكننا لن نكرر المعطيات الواردة في الدراسات السابقة، والتي كانت تبالغ أحيانا في تحليل الأبعاد الرمزية لـ(تيزرزاي) وتتعمد القيام بإسقاطات مبنية على مرجعيات ثقافية دخيلة. وسنركز في هذا المقام، على التعريف الدقيق بهذه الحلي انطلاقا من وصف مكوناتها بتفصيل. وسنهتم أيضا بالجانب اللِّسني لـ(تيزرزاي) من خلال "الحفر" في دلالات هذا اللفظ، ورصد الغنى المعجمي لمكونات الحلية. وسنتطرق إلى تاريخ المشابك في سوس انطلاقا من الأرشيفات العائلية المخطوطة المحلية، وبعض الوثائق المختلفة من إشارات تاريخية، ونقوش صخرية، ورسوم وصور قديمة.

أولا: الاسم

يعرف (المشبك) في الجنوب المغربي تحت اسم (تاژرژيت)[3]، وهو لفظ أمازيغي في صيغة المفرد المؤنث، وجمعه (تيژرژاي) ؛ ويقال (ءاژرژي) أو (ءيژرژي) للمفرد المذكر، وكلها ألفاظ مشتقة

---

[1] Prolongeau-Wade S., **Voyage au pays des fibules,** Paris, Editions du Regard, 2008,

[2] Rabaté M-R., Les Fibules : deux mille ans en Afrique du Nord, ACR Edition, Paris,2013= Rabaté M-R., **Fibules** .

[3] **ينطق اسم المشابك في الواقع بحرف الطاء وزاي مفخمة، ويقال (طيژرژاي)، ولكننا في هذه الأطروحة تبنينا صيغة : (تيزرزاي) التي ترسخت في الكتابات.**

من فعل (ءيرزي) بمعنى شبك. ويستعمل الناس عادة، في إطار الحديث عن الحلي، كلمة (تيـژرژاي) في صيغة الجمع، وذلك لأن المرأة تضع مشبكين اثنيتن [1] للتحكم في الحائك وتثبيته حول جسدها.

ينتشر هذا الاسم في مختلف مناطق الجنوب المغربي، انطلاقا من التخوم الصحراوية في الجنوب، وصولا إلى الأطلس المركزي شمالا. ومن المحيط الأطلسي غربا إلى المناطق الواقعة شرق مدينة ورززات. لذا، يبدو مصطلح (تيـژرژاي) خاصا بمجال تداول الفرع اللغوي الأمازيغي السوسي؛ أما خارج هذا المجال، فنجد مصطلح (تيسغناس) في كل من الأطلس الكبير المركزي و الأطلس المتوسط وفي جبال الريف والجنوب الشرقي[2].

يدل لفظ (تاژرژيت)، في صيغة المؤنث المفرد، على المشبك الواحد، كما يدل على معاني مختلفة، نذكر من بينها:

- قطعة خشبية طويلة ومتينة، تُغرز في زاوية الغرفة لتشد الحائطين اللذان يُخشى افتراقُهما وتداعي بنائهما، وتسمى هذه العملية (ءارژّوي ن ءوغراب)، ومعناه: "شد الجدار"[3]

- قضيب خشبي رفيع ذو رأس مدبب يستعمل لإغلاق (التليس)، أي الكيس المنسوج من الصوف أو شعر الحيوانات والذي تنقل فيه الحبوب[4]،

- قضيب خشبي رفيع ذو رأس مدبب أو عود حاد يساعد على تثبيت قطع الخيمة المنسوجة من شعر الماعز، والتي كانت تستعملها القبائل الممارسة للترحال على السفح الصحراوي للأطلس الصغير الغربي، وخاصة لدى بعض مكونات قبيلة (ءايت حربيل)[5].

يحضر لفظ (تاژرژيت) في مجالات متباينة، فيدل على الحلية النسوية المصنوعة من الفضة وعلى القضيب الخشبي الرفيع والمدبب أو على العود الحاد الذي يشبك المنسوجات الغليظة والخشنة من تليس وخيمة. وتتجلى العلاقة بين الحلية وقطعة الخشب الرفيعة المدببة في الوظيفة المشتركة والمتمثلة في شد الثوب بالنسبة لـ(تاژرژيت) الفضية، وتثبيت قطع الخيمة أو أطراف فتحة التليس، بالنسبة لـ(تاژرژيت) النباتية. ويبدو أن العلاقة كانت قبل ذلك تهم حتى الشكل. فقد ذكر بوزونسونو، أن المشبك المعدني كان في الأصل عبارة عن شوكة اقتلعت من نبتة في الطبيعة لتُستعمل في تثبيت أطراف اللباس، وتطورت الشوكة إلى دبوس معدني لاحقا[6]. أي أن أول مشبك استعملته المرأة، أو الرجل، كان مصنوعا

---

[1] **المؤنث والجمع يعبر عنهما في الأمازيغية بصيغة الجمع.**

[2] **تعرف المشابك باسم "تيجرجال" في قبيلة ءيغجدامن، بإقليم ازيلال في نقطة التقاء مجال "تازرزيت" جنوبا، ومجال "تاسغنست" شمالا. انظر:**

Cambazard-Amahan C. 2011, « Le Bijou », arts et architecture amazighes du Maroc , Imprimé en Italie, IRCAM, p.104.

[3] **- معلومة من السيد الفضي احمد من (ايمي اوكادير)/فم الحصن**

[4] **وقد وردت ترجمته العربية "الخلالة " بنفس الدلالة عند روبير مومنتاني في مقالته حول المخزن الجماعي لإيكونكا :**

Montagne R., « Un Magasin collectif de l'Anti Atlas : l'Agadir des Ikounka », in Hespéris, T : IX, 1929, p 129

[5] **عمل ميداني بجماعة (أداي) اقليم كلميم سنة 2010.**

[6] **Besancenot J., Bijoux. op. cit., p.9.**

من عود أو شوكة نباتية[1]، وكان يسمح بثبيت اللباس حول الجسد، سواء كان هذا اللباس منجزا من جلد أو منسوجا من نبات أو من صوف؛ ومع تطور التقنيات وظهور التعدين، صاغ الحرفيون مشابكا من المعادن المختلفة لتكون أكثر متانة من المشابك الخشبية و أكثر ملائمة للأشكال الزخرفية. ورغم انفصال (تاژرژيت) عن حاملها الطبيعي النباتي، وانتقالها إلى حاملها (الصناعي)، المعدني، فإنها حافظت على اللفظ الأول الذي رافق ولادتها.

نرجح أيضا، أن (تاژرژيت) وكما أشار بوزنسونو إلى ذلك، كانت تتشكل أول الأمر من جزء وظيفي فقط، والذي كانت لبنته الأولى دبوسا متخذا من النبات يُغرز مباشرة في أطراف النسيج قصد شبكها، و مع تعرف الانسان على تقنيات التعدين، تطور الجزء الوظيفي الذي صار عبارة عن دبوس معدني غليظ، وأُضيفت لهذا الدبوس حلقةٌ دائرية، بحيث إن الثوبين المراد تثبيتهما يتم وضع أحدهما على الاخر، ثم يخترقهما الدبوس الذي تمر من خلفه الحلقة فيرتبط الثوبان بشكل قوي[2]. وتوجت كل هذه المراحل بإضافة جزء جمالي أسفل الجزء الوظيفي، والذي يتفنن الصائغ في زخرفته وتزيينه، وهذا الجزء الجمالي هو الذي حول (تاژرژيت) من مجرد مشبك وظيفي إلى حلية صدرية جمالية.

(ءاژرژي)

إذا كانت (تاژرژيت) في صيغة المفرد المؤنث تدل على إحدى الحليتين الفاخرتين اللتين تشبك بهما المرأة حائكها عند اسفل الكتفين، فإن (ءاژرژي) أو (ءيژرژي) في صيغة المفرد المذكر-والمشتق بدوره من فعل (ءيرژي) أي: شبك-، يدل على نوع آخر من المشابك المختلفة تماما سواء من ناحية الشكل أو من طريقة الاستعمال؛ فهو مكون من إبرة غليظة وغير مزود بحلقة، وتستعمل المرأة مشبكا واحدا فقط تغرزه في حزامها لشده عند مستوى الخاصرة، ولنفس اللفظ –اي (ءاژرژي)- معاني معجمية أخرى، من بينها:

- السفود الذي يستعمل لشي اللحم فوق الفحم، ويكون من عود طويل رقيق ومدبب أو من الحديد[3].
- الشوك الحاد الملون بالأبيض والأسود الذي يعلو ظهر حيوان الشيهم[4].

---

[1] يستعمل أحيانا لفظ آخر للدلالة على أحد المشبكين الذين تشد بهما المرأة الحائك عند الكتفين، وهو (تاخلّالت)؛ وهذا اللفظ في صيغة المؤنث المفرد، وجمعه (تيخلّال) و(تيخلّالين). والمثير للانتباه أن اسم "تاخلّالت" في صيغة المؤنث قريب اشتقاقيا من لفظ (أخليل) في صيغة المذكر والذي يعني في الأمازيغية: الشوكة النباتية، مما يعيدنا مرة أخرى إلى علاقة الحلية الفضية بالنباتات.

[2] Besancenot J., Bijoux. op. cit., p.9.

3 قد يصاغ اسم السفود أيضا في صيغة المؤنث، ويقال له: "تازرزيت" انظر: شفيق، المعجم، الجزء الاول، ص, 522.

4 يسمى هذا الحيوان بالأمازيغية: (ءاروش)، وبالفرنسية: (Porc-épic)

يدل لفظ (ءاژرژي) على المشبك الفضي والسفود من العود وشوك حيوان الشيهم، مما يشجع على الافتراض بأن هذه الحلية المعدنية بدورها تطورت من أداة مأخوذة من الطبيعة، وغُرزت في قطع الزي. ثم بعد أن تغيرت مادة صناعتها، وتعقدت أشكالها وزخارفها، بقيت محافظة على الاسم الذي ظهرت به في البداية.

يدعم الفرع اللغوي الأمازيغي بالجنوب الشرقي والوسط هذا الاستنتاج، فقد تبين لنا من دراسات ميدانية في كل من منطقة ارفود بإقليم الراشيدية، و(زايان) بإقليم خنيفرة أن مصطلح (تاسغنست) يدل على المشابك الفضية التي تزين بها المرأة صدرها وتشبك به حائكها، ويدل أيضا على الإبرة الغليظة المصنوعة من العود المستخدم لتثبيت ستائر الخيمة وحماية جوانبها المفتوحة في وجه الريح[1]. وفي قبيلة (زايان)، كانت مشابك العود المستخدمة في الخيمة تُتخذ أساسا من شجر (تاقا) [السّاج][2]. وفي الريف الشرقي، قريبا من البحر الأبيض المتوسط، تأكد لنا ميدانيا في مجال قبيلة بني بويحي، حيث قمنا بأبحاث مقارنة حول الحلي الريفية، أن لفظ (تاسغنست) يدل على إحدى الحليتين الفضيتين اللتين تشبك بهما المرأة الحائك، وعلى العود المدبب الذي يجمع أجزاء الخيمة المنفصلة، والتي كانت تُنسج من الحلفاء على شكل شرائط عريضة مستطيلة وطويلة[3].

وغير بعيد عن منطقة الريف الشرقي، وبالضبط في بلاد جبالة بالريف الغربي، كانت المرأة تشبك حائكها عند مستوى الصدر بواسطة مشبكين فضيين في المناسبات والاحتفالات، ويطلق عليهما محليا اسمان، وهما: (بزيم) أو (كتفيات). أما في الأيام العادية فقد يستعملن أحيانا (ءاسوغناس)، وهي مشابك من العود تعوض بهما المرأة الحلية الفضية وتثبت بها، عند مستوى الصدر، قطعة القماش التي تغطي قميصها[4].

يمثل معجم الحلي بمنطقة جبالة، حالة جديرة بالاهتمام، فهذه المنطقة التي ينتشر فيها التداول بالعربية الدارجة، احتفظت بلفظ أمازيغي قديم للدلالة على المشبك الطبيعي المهيأ من العود وهو(اسغناس)، بينما خصصت أسماء عربية للدلالة على المشبك الصناعي المعدني. مما يجعل من اللغات في جبالة، طبقات لسانية متراكمة تعكس مراحل استقرار المجموعات البشرية في المجال.

---

[1] قد يصنع هذا الدبوس أحيانا من الحديد، انظر:

Laoust E., « Habitation »op.cit. p.166-167.

[2] معلومة شفوية من السيد مصطفى فاروقي باحث من مدينة خنيفرة

[3] تسمى الشرائط المنسوجة من الحلفاء "اجارتيل" وتعني معجميا : "الحصير"

[4] Bellaires Michaux E., Quelques tribus de montagne de la région du Habt, Archives marocaines, Publication de la Mission scientifique du Maroc, V : XVII, Kraus Peprint, Nendeln/Liedttenstein (première édition 1911), 1974, p. 125.

اسم المشابك في الوثائق العائلية

استعمل المحررون، في مختلف قبائل الجنوب المغربي، وخلال الفترات التاريخية المتعاقبة، مصطلح (الخلالة) للدلالة على(تازرزيت). ولا تشذ عن هذه الممارسة العامة الا استثناءات نادرة، وخاصة مصطلح: (البزايم).

الخلالة

كان أغلب المحررين، ورغم اختلاف مستوى تمكنهم من اللغة العربية يكتبون اسم الحلية بنفس الصيغة أي (الخلالة)، التي نجدها في أقدم عقد جهاز من قبيلة (تاجـكّـالت) بتاريخ ربيع الثاني 1002 هـ/ (يناير 1594م) [وثيقة 6]، والتي استمرت بعد ذلك إلى أقرب وثيقة الينا والتي حررت في نفس القبيلة سنة 1318 هـ/(1900م) [وثيقة 33]. ولعل الاستعمال الواسع للفظ "الخلالة" في الوثائق، يعود إلى قربه اشتقاقيا من لفظ (تاخلّالت) المستعملة أحيانا في التداول الشفوي إلى جانب اسم (تازرزيت).

(البزايم)

من بين الكم الهام من الوثائق التي تسنى لنا الاطلاع عليها لم نجد اسما آخر، غير "الخلالة"، إلا في ثلاثة عقود ورد فيها لفظ (البزايم) : وثيقتان من (اكلو)، والثالثة من "ثغر اكادير":

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	التاريخ	الصيغة
أكلو [، وثيقة 325]	عقد صداق وجهاز	ربيع نبوي 1077(شتنبر 1666م)	زوج بزايم فضة
اكلو [وثيقة 331]	عقد صدق وجهاز	تاريخ قريب من ربيع النبوي 1077.	زوجتي بزايم فضة
ثغر اكادير، [وثيقة 94]	عقد جهاز	شوال 1183، (فبراير 1770م)	زوجة بزايم الفضة المفرغة

ملاحظات

- حرر عقد الصداق والجهاز رقم 325 في (أكلو) بتاريخ ربيع النبوي 1077هـ(شتنبر 1666م)، ويستعرض ما "انقده" الزوج من الصداق "عند البناء" من حلي ومحل للسكن ومطبخ "عريش الخدمة"، و"أمة من رقيق السودان". وتتميز الحلي الواردة ضمن الصداق والجهاز باحتوائها على قطع ذهبية، وخاصة: أخراص الذهب، وخيط العنق من حبوب الفضة مفصول بالمرجان و باشوشة الذهب. ونجد نفس العناصر تقريبا بالوثيقة 331 من نفس القبيلة، والتي نفترض ان تكون محررة في نفس الفترة التاريخية، والتي تضم "أَمَة" ضمن "مقدم الصداق"، وحلي فريدة من "أخراص ذهب بعمارتها" و"خيط العنق من حبوب الفضة مفصول بالمرجان وباشوشة الذهب ".

لم نعثر على "الأمَة" ولا على الحلي الذهبية في عقود الجهاز الأخرى التي اطلعنا عليها في نفس القبيلة. وهذا ما يدفع إلى الاعتقاد بأن هذه المكونات كانت تمثل مظهرا من مظاهر تميز اجتماعي ظرفي، ترجمته عبارات محرر الوثيقتين باستعمال لفظ "البزايم" الذي لم يكن مِألوفا في الجنوب المغربي.

حرر عقد الجهاز رقم 94 في (ثغر اكادير) بتاريخ شوال 1183،(فبراير 1770م) ووردت فيه عبارة **"زوجة بزايم الفضة المفرغة"** التي يُقصد بها: زوج مشابك فضية مصنوعة بتقنية الفريغ[1].

استخدم محرر هذه الوثيقة معجما متميزا، نكاد لا نجده عند غيره من كتاب العقود، حيث استعمل مثلا "مشاميم" النوار، للدلالة على حلية الجيد المنظومة من عيدان القرنفل، وهذه حالة فريدة لأن كل الوثائق الأخرى التي تسنى لنا الاطلاع عليها، تستعمل لفظ "القلادة" أو "الخيط" متبوعا بلفظ "القرنفل" أو "النوار".[2] و ينسجم استعمال محرر هذا العقد لفظي "بزايم" و"المشاميم" في مجال الحلي، مع معجم الأزياء الذي يضم، إضافة إلى الأسماء المعتادة في المنطقة، الفاظا تعكس حضور التأثير الحضري الوافد، نذكر من بينها: منصورية كتان، قفطان عكري[3] بـ(السقلي)، وحايك فاسي، بالإضافة إلى "قطيفة مديونية"، وهي زربية مستقدمة من ضواحي مدينة الدار البيضاء التي كانت مشهورة بنسج الزرابي الفاخرة. لقد كان استعمال لفظ (البزيمة) للدلالة على المشبك الفضي في هذه الوثيقة دليلا على تميز الأسرة التي أعدت جهاز ابنتها بمناسبة زفافها، والتي لم تكن سوى ابنة " **الفقيه الاجل العلامة الأفضل قاضي ثغر اكادير"**

كان لفظ (البزيمة) نادر الاستعمال في سوس[4] ولكنه كان متداولا في المناطق الواقعة شمال الأطلس الكبير، وكانت يطلق على المشابك المستعملة في المدن لشبك ثوب الحرير الذي يغطي ملابس العروس أو كل الأزياء التي تلبس في المناسبات الكبرى، وكانت نماذجها المصنوعة من الذهب مستعملة بشكل خاص في المدن، أما بعض النماذج التي كانت تصل منه إلى القرى فكانت تصنع من الفضة[5].

ثانيا: مكونات المشبك (تازرزيت)

يتكون المشبك من جزئين: أحدهما وظيفي والآخر جمالي. ويتكون الجزء الوظيفي بدوره من عنصرين مختلفين من حيث الشكل، ولكن أدوارهما متكاملة، وهما: الدبوس والحلقة. أما الجزء الجمالي فيتكون من جسم الحلية والسلسلة التي تربط زوج المشابك وما يتدلى منها من علّاقات.

1) الدبوس

الاسم

تتعدد أسماء دبوس (تازرزيت) باختلاف المناطق، ومن أهمها:

---

[1] انظر فصل التقنيات

[2] لم يكن لفظ "المشموم" متداولا بين محرري العقود في سوس، ولكنه كان متداولا في الحواضر والمدن، ونجده أيضا في كتابات بعض المؤرخين، انظر: محمد بن عبد السلام الضعيف، تاريخ الضعيف، مصدر سبق ذكره ، ،ص. 181

[3] لون أحمر ارجواني، انظر:

Lapanne-Joinville J., « Les métiers à tisser de Fès », in Hespéris, tome :XXVII, 1940, p.83.

[4] يدل لفظ "تابزيمت" على المشبك الفضي في الجزائر، انظر:

Benfoughal T., op. cit. p.143

[5] Besancenot J., Bijoux. op. cit., p.5.

- (ءاقلّال)[1]، و(ءيخف)[2]، ويدل هذان اللفظان معجميا على الرأس، وسمي بهما الدبوس لأنه يحتل الجزء العلوي من المشبك كحال الرأس بالنسبة لجسد الانسان.

- (ءاغنبوب)، في مناطق مختلفة في سوس، ويعني لغويا: منقار الطائر، وذلك لأن شكل الدبوس المدبب يذكر بشكل المنقار.

- (ءاسنّان)[3]، و(ءاخليل)[4]؛ ويدل اللفظان لغة على الشوكة النباتية؛ وسمي بهما دبوس المشبك بسبب التشابه في الشكل، أو كما رأينا، ربما لأن الشوكة كانت من أقدم المشابك التي اتخذتها المرأة لمسك ثيابها.

- (ءاژرژي)، وتدل الكلمة لغة على "المشبك"، وذلك لأن الدبوس هو الذي يؤدي وظيفة شبك حائك المرأة.

- (ءاشكوك)[5]

الشكل

الدبوس عبارة عن قضيب معدني يصل معدل طوله إلى خمس سنتمترات. له طرف مدبب معدٌّ ليمر عبر الثوب، أما طرفه السلفي فيكون عادة غليظا وعريضا، وبه تجويف معد لدخول الحلقة. يُنجز الدبوس بشكل منفصل ثم يُثبَّت في الجزء العلوي لجسم الحلية بواسطة اللحام أو بتقنية الدسر، [rivetage].

2) الحلقة

الاسم

تُعرف الحلقة بعدة أسماء منها: (تاوونست) و(تازعطّ) بالأمازيغية، ويعني اللفظان لغة الحلقة، كما يستعمل الحرفيون لفظين من أصل عربي وهما: (ءاخرص) و(ءاخنخال).

الوصف

حلقة المشبك عبارة عن دائرة مفتوحة، تولَج عبر تجويف في قاعدة الدبوس. ولكيلا تنزلق خارج الفتحة، يجعل الصائغ طرفيها أكثر حجما من قطر التجويف، من خلال إعطائها إحدى الأشكال التالية[6]:

- طرق الطرفين للحصول على مساحة مسطحة أكبر من قطر دائرة السلك المكون للحلقة.

- ثني الطرفين نحو الخلف للحصول على دائرة تكبح انزلاق الحلقة

- تركيب رأس من الفضة في طرفي الحلقة

---

[1] **(ايداونيضيف)**
[2] **(تاليوين) و(تيزي ن تاست)**
[3] (ايت ميلك) بقبيلة (ءاشتوكن)
[4] قبيلة (ايرسموكن)
[5] (ايداوكنيضيف)
[6] **نفس التقنيات مستعملة في منطقة الاوراس بالجزائر : Benfoughal T., op. cit. p.178**

- انجاز بوتقة تأوي فصا من الزجاج في طرفي الحلقة

يعرف كل طرف من طرفي الحلقة باسم (تودّيزت)[1] إذا كان مكونا من رأس من الفضة، ويسمى (تاقورّايت)، وجمعها (تيقورّايين)[2]، ومعناها التين الغير الناضج، في الحالات الأخرى. وقد يسمى (أقا) إن كان عبارة عن فص زجاجي محبوس داخل مخالب بوتقة معدنية.

وتجدر الإشارة إلى أنه وانطلاقا من فتحة الحلقة، يمكن تحديد المشبك الأيمن من الايسر، لأن الفتحة تكون دائما موجهة نحو الخط العمودي العابر من وسط جسم المرأة. ويقول الحرفيون: "**ءار طرزّم يات تزرزيت غ طايّا**"، ومعناه: كل مشبك يجب أن تكون حلقته مفتوحة في اتجاه حلقة المشبك الآخر، ويشبهون زوج المشابك بزوج البلغة -ايدوكان- لأنه يمكن التمييز فيهما بين الأيسر والأيمن.

يشكل الدبوس والحلقة المكون الوظيفي للمشبك، الذي بدونه لا يمكن للمرأة أن تثبت الحائك حول جسدها. وبزوجٍ من المشابك تجمع طرفي الثوب عند مستوى الصدر، وتغرز فيهما شوكة الدبوس، ثم تدير الحلقة لتتخذ وضعا يمنع الثوب من الانزلاق[3].

3) جسم المشبك

يتركز البعد الجمالي لـ(تازرزيت) في جسمها الذي يمثل المكون التزييني للحلية، ويشكل حاملا لمختلف مكوناتها: ففي جزئه العلوي يُركَّب الدبوس والحلقة اللذان يمسكان حائك المرأة حول الجسم، وفي جزئه السفلي يثبت مقبض، أو حلقات صغيرة،[4] تثبت فيها السلسلة الرابطة بين زوج الحلية أو تتدلى منها علاّقات وأشكال زخرفية مختلفة. وتتحدد القيمة الجمالية والنقدية لـ(تازرزيت) بحجم ووزن جسمها، وبتقنية إنجازه وزخرفته.

إذا كان مظهر الجزء الوظيفي لـ(تازرزيت) ثابتا في أغلب قبائل سوس، ولا تختلف أشكال الحلقة والدبوس من منطقة إلى أخرى إلّا في بعض التفاصيل الزخرفية البسيطة، فإن جسم هذه المشابك يتخذ أشكالا متعددة تسمح بتحديد دقيق للمجال الجغرافي التي صنعت فيه الحلية[5].

4) السلسلة

الاسم

تسمى السلسلة بشكل عام في الجنوب المغربي (تيويناس)[6]. وهناك نوع فاخر من السلاسل المصنوعة من السلك الفضي المضفور يسمى (أزضا)، ويتكون من سلسلتين أو ثلاث سلاسل متلاصقة وتكون أطرافها مدمجة في علب فضية[7]. وهذا النوع من السلاسل لا يتكون من حلقات، بل من سلك واحد

---

[1] **المعلم محمد اومبارك من قرية (تافات) بـ(ايت ميلك) زرته في قريته سنة 1998.**

[2] **المعلم الدوايج في (اولوز) زرته سنة 1998.**

[3] **Rabaté M.-R., Bijoux . op . cit. p.33**

[4] **تسمى هذه الحلقة أو هذا المقبض: (تافوست) أي الكف، أو(تاضارت)، ومعناها القدم الصغيرة، أو (طيط) وتعني العين...**

[5] **أنظر تتفاصيل أنواع جسم الحلية عند استعراض نماذج من المشابك أسفله**

[6] **ذكر بوزنسزنو أن السلسلة تسمى في أغلب الأماكن "سنسلا"/ ولكنها تسمى أيضا "أشْراب" Besancenot J., Bijoux .op.cit.p. 9**

[7] **Rabaté M.-R., Bijoux . op . cit. p.33**

طويل يضفره الحرفي بطريقة خاصة، ويلحم معه سلكا آخر كلما دعت الحاجة إلى ذلك حتى الحصول على السلسة بالطول المطلوب.

الوصف

تختلف أنواع السلاسل وأسمائها تبعا لحجمها ولطريقة صنع وتركيب حلقاتها، ولكنها تلتقي في وظائفها المشتركة والتي تتجلي في البعد الجمالي المتمثل في تزيين جذع المرأة بالإضافة إلى وظيفة جمع المشبكين كي يبقيا مترابطين. فالمرأة تستعمل بالضرورة مشبكين لتثبيت الحائك الذي ترتديه عند مستوى الصدر، ولتفادي افتراقهما وإمكانية ضياع أحدهما، كان لزأما ايجاد وسيلة تبقيهما مجتمعين، لذا تلجأ المرأة إلى ربطهما بخيط من الحرير أو من الصوف، أو إلى السلاسل الفضية في أغلب الحالات. وبهذه الطريقة تضمن المرأة بقاء الحليتين متصلتين على الدوام، ولن تضطر أحيانا إلى البحث عن أحد المشبكين.

يصنع المشبكان بشكل منفصل ويثبت أحدهما في الجهة اليمنى لحائك المرأة بينما يثبت الآخر في الجهة اليسرى، فتأتي السلسلة الفضية كرابط بصري يجمع بين (تيزرزاي).

تشكل هذه السلسلة حاملا للعديد من الكريات الفضية والعناصر الزخرفية المختلفة التي تزيد من جمالية الحلية.

5) العلاّقات

لزيادة القيمة المالية لـ(تيزرزاي)، من خلال زيادة وزنها من الفضة، ولترسيخ بعدها الجمالي، يعمد الصائغ إلى تزيينها بعلّاقات مختلفة تتدلى من حلقة مركبة اسفل جسم الحلية أو تُركَّبُ ضمن السلسلة الرابطة بين المشبكين. وتعرف هذه العلّاقات غالبا باسم (تافردوت)، وتعني لغة: الهاوون الخشبي الصغير، وقد تسمى أيضا: (تاقليلت)، وجمعها (تيقليلن)

ثالثا: معطيات تاريخية

ذُكر المشبك في الوثائق العائلية التي اطلعنا عليها في عقد جهاز تاجـكّـالت بالأطلس الكبير الغربي منذ سنة 1002 (يناير 1594م)، ووردت بعد ذلك إشارات متواصلة للمشابك الفضية في مختلف قبائل الجنوب. وكانت الفضة هي المعدن الأساسي لصنع هذه الحلية، بالإضافة إلى النحاس الأصفر أو الحديد في حالات استثنائية.

تحرص بعض الوثائق على إبراز التقنيات المستعملة في صناعة المشابك، وخاصة تقنية (الفريغ) و(تاوكّا). صحيح أن كل المعطيات التي تمدنا بها الوثائق العائلية مهمة لتتبع حضور هذه الحلية في مختلف الممارسات الاجتماعية والمعاملات التجارية، ولكنها لا تقدم لنا فكرة واضحة عن تطور أشكال المشابك وطريقة استعمالها وأماكن وضعها على الجسد. مما وجهنا نحو البحث عن الأوصاف والصور التي وردت عند بعض الرحالة الغربيين، ثم في المعمار، والنقوش الصخرية والمخطوطات.

1) المشابك في النقوش الصخرية

تنتشر النقوش الصخرية في مجالات واسعة بالأطلسين الكبير والصغير وبجبل باني والمناطق الصحراوية، وتضم رسوما وصباغات لمجموعات بشرية استوطنت هذه المجالات منذ العصر الحجري، وتنوعت مواضع هذا "الفن" تبعا للفترات الزمنية التي تعود إليها، فكانت (مرحلة القنص) هي الأقدم، وتقدم رسوما لمشاهد قنص الحيوانات الاستوائية مثل الفيل والزرافة والظباء ووحيد القرن، وتلتها (مرحلة التدجين والرعي) التي تميزت بلوحات البقريات، أما المجموعة الثالثة فتعرف عادة بالمرحلة (الليبية الأمازيغية) وتغطي الفترة الزمنية الفاصلة الممتدة بين نهاية العصر الحجري الحديث ودخول الإسلام الى المنطقة، وتظهر بلوحات هذه المرحلة مواضيعٌ جديدةٌ لم تكن مألوفة من قبل، كالأسلحة المعدنية، والعربات، وأخيرا الكتابات الامازيغية القديمة.[1]

إضافة إلى هذه المراحل الثلاث، عرفت المنطقة في فترة حيثة نسبية، مجوعة من النقوش التي تركز على ألأشكال هندسية، وعلى قَدَم الإنسان، والخناجر المعقوفة من نوع (الكمية)[2]. وتضم هذه المجموعة أيضا العديد من المشابك المنقوشة فوق الصخور والتي يصعب تحديد إطارها التاريخي بدقة، ومنها هذه النماذج من جبل ياكور بالأطلس الكبير الغربي[3]:

---

[1] **مبارك ايت عدي والمحفوظ اسمهري، " واحات طاطا : سحر المجال وغنى التراث"، سلسلة تاريخ ومجتمعات المغرب الصحراوي ، دار النشر DTG Société nouvelle، الرباط، ص.89-107.**

[2] **Nami M., l'Art rupestre, in arts et architecture amazighes du Maroc , Imprimé en italie, IRCAM///pp. 19 – 57, , 2011 .p.41.**

[3] **صور عبد الهادي قكّ، أستاذ باحث بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالجديدة.**

أ- نقيشة من موقع (ءاسيف بودروك)/(Assif Bou Oudrouc) من منطقة (ياڭـور) بالأطلس الكبير الغربي.

تعرضت هذه النقيشة لتأثير عوامل التعرية التي أخفت الكثير من التفاصيل الفنية؛ ورغم ذلك، يتضح من الرسم أن المشبك المنقوش بتقنية النقر، كان على شكل مثلث يعلوه خط يمثل الدبوس، ونصف دائرة تمثل حلقة المشبك. ويبدو أن أضلاع المثلث كانت مزدوجة، ربما لتحديد مجالات الزخرفة التي تحيط بالحلية

ب- نقيشة من موقع (ءاسيف بودروك)/(Assif Bou Oudrouc) من منطقة (ياڭـور) بالأطلس الكبير الغربي.

يتكون المشبك من مثلث يعلوه رسم على شكل نصف دائرة، يخترقها خط عمودي يمثل دبوس الحلية، أما نصف الدائرة فيحيل على الحلقة. ويبرز الجانب الجمالي من خلال النقطة التي تتوسط رسم الحلية، ومن خلال الإمتدادين الجانبيين للزاويتين العلويتين للمثلث. ويبدو أن النقطة تجسد القبة البارزة التي تتوسط الحلية، أما الإمتدادين الجانبيين فيمثلان الملحقات الزخرفية للمشبك

ت- نقيشة من موقع (ءاسيف ءولغوز)/(Assif Alroz) من منطقة (ياڭـور) بالأطلس الكبير الغربي.

نقشت الحليتان بشكل تبسيطي (schématique) مع التركيز على الخصائص العامة من حيث هيئة المشبك الذي يتخذ شكل مثلث متساوي الساقين، والعناية بالخطوط التي تمثل الجزء الوظيفي من دبوس وحلقة، ويرتبط المثلثان بخط مقوس باعتباره يمثل السلسلة او الخيط الذي يجمع المشبكين.

ث- نقيشة من موقع (ءيفارد)/(Ifard) من منطقة (ياڭـور) بالأطلس الكبير الغربي.

حرص منجز هذه النقيشة على إبراز تفاصيل وجزئيات تقنية دقيقة تجعل من رسمه نسخة قريبة من المشابك الحقيقية، وذلك من خلال تركيزه على المعطيات التالية:

- الحلقة بارزة بشكل جلي ومفصولة عن جسم المشبك، وتتخذ شكلا دائريا، وقد فصلت بواسطة الدبوس الى قسمين.

- الدبوس طويل وطرفه العلوي مدبب، أما طرفه السفلي فيظهر أسفل الحلقة.

- الجانب الجمالي واضح المعالم من خلال زخرفة تتوسط المثلث على شكل نقطة، وزخارف مسننة على الضلعين الجانبيين بالإضافة الى الزاويتين العلويتين.

- المشبكين مرتبطين بخيط يمثل سلسلة او خيطا

ج- نقيشة من موقع (ءاسيف بودروك)/(Assif Bou Oudrouc) من منطقة (ياڭور) بالأطلس الكبير الغربي.

تمثل هذه النقيشة حالة فريدة لثلاث مشابك مربعة الشكل، لأن المشابك المربعة او المستطيلة نادرة، ومما يزيد من تفرد هذه النقيشة هو وجودها في نفس المجال الذي وجدت فيها مشابك أخرى ذات الشكل المثلث المعتاد[1]. وتجدر الإشارة الى أن زوج مشابك مفصول عن المشبك الثالث برسم لقدم بشرية.

لا تتوفر معطيات دقيقة عن الوظائف المادية أو الرمزية لنقوش المشابك على الصخور؛ ولا نعرف بالتحديد الفترة التاريخية التي أُنجزت فيها، ولا المجموعات البشرية التي "أبدعتها". ولكن، يبدو من المؤكد أن وجود (تازرزيت) في "الفن" الصخري دليل على أن هذه الحلية كانت تكتسي أهمية خاصة في تلك الفترة؛ فإذا كانت المجموعات البشرية السابقة ترسم الحيونات ومشاهد القنص، أو الأسلحة ومشاهد الحرب والعربات، أو الكتابة الامازيغية القديمة، فإن مجموعات أخرى جاءت بعدها، كانت ترى في المشابك وسيلة لتجسيد علاقة ما بالمجال؛ فكأن (تازرزيت) المنقوشة "تشبك" الإنسان بالأرض.

2) المصادر التاريخية

يقدم الوزان معطيات دقيقة عن مشابك الأطلس الكبير الغربي التي زارها سنة 1514، فأثناء حديثه عن حلي منطقة (ايداوعاقل)، ذكر أن نسائها كن يستعملن **"أنواعا من مشابك الثياب الغليظة التي تزن الواحدة منها أوقية يمسكن بها ثيابهن على أكتافهن"**[2]. نفهم من عبارات الوزان أن المشابك كانت تسمح للمرأة بمسك ثيابها عند مستوى الكتفين، أي أن وظيفتها ومكان وضعها على مستوى الجسد لم يتغيرا منذ تلك الفترة، كما نرى تأكيده على أن تلك المشابك كانت غليظة وثقيلة، دليل على أن هذه المشابك لم تكن مجرد أداة وظيفية بل كان لها بعد جمالي، وكانت تشكل حلية صدرية. كما نفهم من هذه الإشارة أيضا أن المشابك كانت على ما يبدو مصنوعة بتقنية الفريغ، لأنها لو كانت منجزة بأسلوب الطرق والتقطيع لكانت أرفع سمكا وأخف وزنا.

بعد ذلك سيقدم مارمول كابخال- الذي أُسِر في المغرب ما بين 1552 و1559 توضيحات إضافية عن مشابك نفس المنطقة، وقال : **"وتتدثر النساء النبيلات داخل المنازل بقماش مخطط بالحرير مربوط في صدورهن بمشبك من الفضة أو الصفر، على غرار الإبزيمات التي تُجعل على صدر الحصان "**[3].

يدعم مارمول المعطيات الواردة عند لوزان، من خلال التأكيد على استعمال المشابك عند مستوى الصدر

---

[1] من الصعب المجازفة بمحاولة تقديم تفسيرات لهذه النقيشة النادرة، وسبب تفردها بالشكل المربع لجزئها الجمالي، لأن هذه الخطوة تتطلب التوفر على معطيات إحصائية دقيقة، وجرد شامل لأغلب أنواع المشابك المنقوشة، مع تحديد مجالات انتشارها، والإطار الزمني لإنجازها... فالإحتمالات كثيرة، ويمكن أن تكون مرتبطة بخصائص فنية مميزة لجماعة اثنية خاصة، أو بدلالات رمزية معينة، او بإكراهات تقنية تجعل من الصعب نقر خطوط مائلة كما هو الحال في المثلث، وقد تكون هناك أسباب أخرى مختلفة.

[2] الوزان الحسن ، مصدر سبق ذكره ، ج 1- ص. 110

[3] مارمول كاربخال، مصدر سبق ذكره ، ص. 7

ودورها في تثبيت القماش الذي تتدثر به المرأة، كما يضيف عنصرا هاما، وهو مقارنته لهذه المشابك بالإبزيمات التي تجعل على صدر الحصان، والإبزيم المستعمل إلى الآن في تثبيت السرج على الحصان عبارة عن حلقة وإبرة معدنيتين، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن الجزء الوظيفي للمشبك كان مكونا بدوره من هاذين العنصرين.

وبالانتقال إلى مراكش، نجد دييكو دي طوريس الذي زار المدينة أثناء مقامه بالمغرب انطلاقا من 1546، يصف أزياء نسائها قائلا بأنهن " **يلبسن قمصانا واسعة جدا، تسدل إلى ما تحت الركب، وحتى تحت السراويل، وهذه عريضة في الأعلى ضيقة في الأسفل تنحدر إلى أسفل الساق ...وينتعلن أيضا أحدية خفيفة واخفافا؛ ويضعن على فساتينهن كساء طويلا من حرير أو صوف مطرزا ذا أهداب في الأطراف، ويثنى بحيث إذا أُلقي عليهن اثبت على الصدر بنوع من حلقات من ذهب وفضة، أو معدن آخر**[1]. تفيد هذه الإشارة، في تأكيد وظيفة المشبك المتمثلة في تثبيت الكساء الذي يوضع فوق كل الملابس، أي ما يعبر عنه اليوم بالحائك أو (ءافاگو)، وتؤكد أيضا وضع المشبك عند مستوى الصدر في جسد المرأة. ثم يضيف إشارة جديدة، بتحديده، لطبيعة المشبك الذي كان على شكل "حلقات" من ذهب أو فضة أو معدن آخر. ونفترض أن هذه الحلقات كانت مرتبطة بدبوس غليظ حتى تتمكن من مسك الثوب[2].

عمل كل من الوزان ودييكو دي طوريس ومارمول كاربخال، على إعطاء وصف (المشابك) وتحديد وظيفتها وشكلها ومكان وضعها على الجسد، مما يبين أن هذا النوع من الحلي كان خاصا بشمال افريقيا، ولم يكن متداولا في تلك الفترة في الأندلس، ولو كان الأمر عكس ذلك لما توقفوا عند هذه المعطيات. كما توضح هذه الشهادات مجتمعة أن (تازرزيت) كما وصلتنا في شكلها التقليدي كانت قد اكتسبت أهم خصائصها منذ ما لا يقل عن القرن السادس عشر.

3) الصور والرسوم في الكتابات الغربية

وصلتنا إحدى اقدم الرسوم التصويرية للمشبك المغربي بفضل السفير الدانماركي جورج هوست الذي زار المغرب ما بين بين 1760 و1768، خلال فترة حكم سيدي محمد بن عبد الله، وتَوج مقامه بتأليف كتاب غني بتفاصيله ورسومه الدقيقة. وأثناء حديث المؤلف عن أزياء نساء المدن، أشار إلى أنهن

---

[1]، ديكو دي طوريس مصدر سبق ذكره ، ص. 67.

[2] وصف كاربخال، "الحلقات السميكة من الذهب او الفضة" الذي كانت نساء مدينة فاس يمسكن به كسائهن عند مستوى الصدر. أنظر :مارمول كربخال ، مصدر سبق ذكره ، ص. 176.

يرتدين الحايك الذي يثبت فوق الصدر بمشابك فضية تسمى (بسيم)[1] و(ختفية)،[2] وأوضح أن المشبكين يرتبطان بينهما بسلسلة[3]. وأرفق الكاتب وصفه برسم دقيق، يعتبر من أقدم الصور التوثيقة التي اطلعنا عليها للمشبك في المغرب. ويتضح من ذلك الرسم أن الحلية تتكون من جزئين أساسيين؛ أحدهما جمالي يقع نحو الأسفل، والثاني وظيفي مكون من دبوس وحلقة مفتوحة، ويقع نحو الأعلى. ويوضح الرسم في نفس الوقت طريقة استعمال هذه الحلية، فالمرأة تضع زوجا من المشابك تحت الكتفين وأمام الصدر، وتربط بينهما بسلسلة، ويظهر الدبوس مغروسا في الثوب. لم نعثر على رسوم أخرى لفترات سابقة عن كتاب هوست، ولكننا نميل إلى الاعتقاد أن ما وثقه السفير الدانماركي يمثل نموذج المشابك الذي كان معروفا قبل هذا التاريخ، والذي استمر بعد ذلك إلى أن وصلنا بنفس المكونات في المشبك التقليدي.

وقام الباحث الجيوولوجي جوزيف طومسون (Joesph Thomson) برحلة استكشافية عبر الأطلس الكبير وجنوب المغرب، وروى مشاهداته في كاتب صدر بلندن سنة 1889، وأرفقه بعدد من الصور، وكانت من بينها صورة لأجمل منتجات الصناعة التقلدية بالجنوب في تلك الفترة، وتضم خناجر من نوع (الكمية)، وقرن البارود ومشبكين[4]. لا تسمح الصورة بالتحقق من تفاصيل الحلية، ولكن ويبدو من تصميمها العام أنها تنتمي الى فئة (تاوكّا)[5]

4) المشابك في المعمار: نموذج قبة (سيدي بوالفضايل)

تقع قبة (سيدي بوالفضايل) بتراب قبيلة (السّيحل) على الساحل الأطلسي بجانب الطريق الرابطة بين (مير اللفت) جنوبا و(اكلو) في الشمال. وتحدث المختار السوسي عن دفين هذه القبة قائلا: "**سيدي أبو الفضائل عليه مشهد لا نعرف عنه شيئا إلا أنه من (عال اغرابو)**".[6]

كانت البناية تتكون من مرافق عديدة مبنية على الطراز المحلي، والمتميز بأعمدة من الحجارة المنحوتة؛ غير أن أغلب المكونات التراثية هُدّمت وأُعيد بنائها بالإسمنت المسلح، وكانت القبة من المكونات القليلة التي حافظت على طابعها الأصيل. وتبدو القبة من الخارج على شكل بنية محدبة بيضاء اللون كأغلب قباب المنطقة، أما من الداخل فالبينة المقعرة البيضاء تتوسطها وردة مصبوغة، وتبدو بعض أوراقها مصبوغة بالأحمر والأزرق والأصفر. تنطلق من هذه الوردة خطوط بنفس الألوان نحو أطراف الدائرة لتشكل زخارف هندسية متنوعة.

---

[1] يقصد الكاتب (بزيم) بحرف الزاي

[2] يسمى المشبك (كتفية) بالكاف، انظر: [Colin G.S., Le dictionnaire, V.7, p.1649].

[3] Host, op.cit. p. 76.

[4] Thomson J., Travels in the Atlas and Southern Morocco : a narrative of exploration, London, 1889, p.190.

[5] نظر تفاصيل تقنية (تاوكّا) أعلاه: ص.122-124

[6] السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، ج. 11، ص. 126

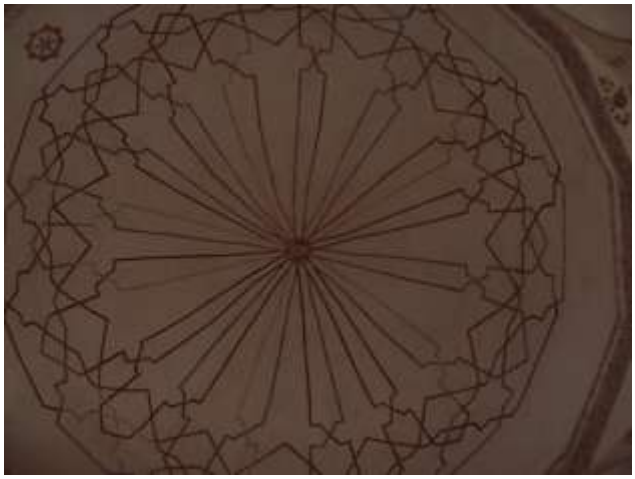

زينت الجدران الحاملة للقبة بدورها بزخارف هندسية عادية بنفس الألوان، ونفس التشكيلات، وما يميزها هو وجود رسم لزوج مشابك، وفوقه وثيقة مكتوبة منجزة بصباغة حمراء[1]. وتحدد هذه الوثيقة أسماء المشرفين على بناء القبة وتاريخ الانتهاء من الأشغال الذي وافق العاشر من شوال عام 1292.**"(نونبر 1875 م)**

نجد أسفل هذا النص رسما لمشبكين مصبوغين باللون المائل للأحمر، وكل مشبك يتكون من جسم مثلث الشكل يعلوه الدبوس والحلقة. ويتصل الدبوس بجسم الحلية بواسطة زخرفة مصبوغة ممتلئة مستطيلة الشكل. وتتركب زخرفة المشبك من نقطة كبيرة تتوسط الحلية ومن خطوط تمتد من محيط المثلث إلى مثلث داخلي أصغر..وتربط سلسلة معدنية ما بين المشبكين، وقد حاول "الرسام" ترجمة حلقاتها بواسطة أنصاف دوائر متداخلة. وتتوسط هذه السلسلة زخرفةٌ مستطيلة الشكل تمثل العلبة المربعة المجوفة والمسطحة التي تزين عادة سلسلة المشابك، وتسمى في بعض الأماكن(ايمشض)[2]

---

[1] **نص الوثيقة الصبوغة على حائط القبة : "الحمد لله على الاكمال وبارك الله على من صنع الروضة المباركة ولي الله سيد بوالفضآيل نفعنا ببركاته ءامين. صنع هذا المعلم المحجوب بن الحاج بن عبد الله والمعلم احمد ابن لحسن[؟] والمعلم الحاج سعيد بن هم وهم أصلا ن -- - - وبتاريخ خرج [؟] 10 يوما شوال عام 1292 عبد ربه إبراهيم بن -- -- -- غفر الله ذنوبه ءامين**

[2] **Rabaté M.-R., Bijoux. op.cit. p.33**

يبين هذا الرسم براعة "الفنان" الذي أنجزه، وحرصه على نقل المكونات المختلفة بشكل دقيق قريب من الواقع. تذكرنا هذه الحلية بالمشابك المنتشرة حاليا في المنطقة والمعروفة بمشبك "تيزنيت"، مع فرق جوهري بينهما، وهو أن المشابك المصبوغة في القبة لا تتضمن الزخارف الجانبية المسننة التي تعد من مميزات المشابك التي تصنع حاليا بتيزنيت.

5) رسوم المشابك في المخطوطات

توصلنا من السيد كونبارك بصورة لنسخة مخطوط "عن رسم القرآن لابن كثير" من قبيلة (أيت حامد) بالأطلس الصغير، والذي تم الانتهاء من نسخه بتاريخ إحدى وعشرين يوما من رجب الفرد عام 1286/(أكتوبر1869). وحرص الناسخ محمد بن أحمد من (واد التملي)على تزيين هذه المخطوط بزخارف مختلفة من بينها بعض الأشكال التي تذكر ببعض أجزاء المشابك الفضية.

تختلف أشكال هذه الزخارف ولكنها تلتقي في اعتماد تركيبها على المثلثات والدوائر، وتُذَكِّر من حيث تصميمها العام بتصميم المشابك الفضية التي تثبت بهما المرأة حائكها، فهل استلهم الناسخ شكل (تازرزيت) في إبداع هذه الرسوم.

رابعا: أنواع المشابك

1) مشبك القطع النقدية

<u>الاسم</u>

يتشكل جسم بعض أنواع المشابك من قطع نقدية، وتسمى في الغالب: (تارزيت ن تارّيالت)، ومعناه الحرفي: مشبك قطعة الريال، والمقصود بالريال في هذا الإطار أغلب المسكوكات النقدية سواء كانت مغربية أو أجنبية،

يختار الصائغ قطعة مناسبة لاتخاذها جسما للحلية، وتكون غالبا كبيرة حتى تغطى أكبر مساحة ممكنة، وتكون متينة و"ثقيلة" حتى تشكل حاملا كافيا لتركيب الدبوس والحلقة في الجزء العلوي، والمقبض أو الحلقة لربط السلسة في الجزء السفلي.

يمكن معرفة المكان الذي تنتمي اليه الحلية انطلاقا من الزخارف ومن التقنيات المستعملة في تزيين القطعة النقدية، ومن خلال خصائص السلسلة التي تربط بين زوج الحلية أو من العلّاقات المتدلية منها. ومن ذلك، مشابك نساء قبيلة هوارة[1]، والسهول المحيطة بمدينة تارودانت والتي تتميز بصفيحتين على شكل هلال تؤطران القطعة النقدية من الأعلى والأسفل، وتساهمان في إنجاز تركيب طريف مميز، يركب في أحداهما الدبوس والحلقة، وفي الأخرى مقبض للسلسة. أما في مناطق انتشار النيال الزجاجي داخل فواصل السلك ما بين تيزنيت غربا إلى وارزازات شرقا، قد يزين الصائغ القطعة النقدية بزخرفة بسيطة من النيال، وفي الأطلس الكبير الغربي يعمد الحرفي إلى تثبيت فص زجاج بواسطة مخالب فضية فوق القطعة النقدية.

يبدو أن سهولة انجاز المشابك من القطعة النقدية هو الذي يفسر الانتشار الواسع لهذا النوع في أغلب مناطق سوس، وفي مناطق مغربية أخرى كالأطلس المتوسط الذي كانت تصنع فيه نماذج من المشابك التي ينجز جسمها من **"ريال حسني أو نصف ريال"**[2].

2) مشبك (ءيداوكّنيضيف)

الوصف والمجال

يصنع هذا النوع من المشابك بتقنية الفريغ، وينتشر في قبائل (ءايت باها) و(ءيداوكّنيضيف) بالأطلس الصغير الغربي. وتتميز الحلية بحجمها الصغير، مقارنة بمشابك قبائل سهل سوس المجاور، كما تتميز بزخرفتها المعتمدة على تجاور الأجزاء الممتلئة والفارغة[claire voie]. وتعتقد راباتي(Rabaté) أن هذا المشبك له **"طابع حضري مبهم"**، وتضيف بأن هذه الحلية تنتشر على طول الطريق التجارية التي كانت تربط قديما بين تافراوت والصويرة عبر أكادير؛ وبالتالي تفترض أن تكون الصويرة هي التي ألهمت مبدعي هذه المشبك[3].

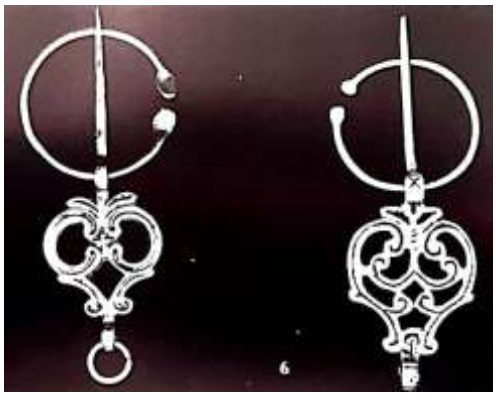

نرى أن هذا الشكل هو إبداع محلي خالص، لأن نماذج المشابك التي كانت تصنع في الصويرة، والتي كانت تتزين بها نساء المنطقة لا علاقة لها لا من حيث التصميم

[1] Rabaté M.- R. **Bijoux** . op. cit.p.165
[2] ة Goudard J., op. cit. p. 288.
[3] **Rabaté M.- R. Bijoux . op. cit.p.165**

ولا من حيث الزخارف بمشابك (ءيداوكّنيضيف). وإذا افترضنا جدلا أن هذه الحلية مستلهمة فعلا من الصويرة، فمن المنطقي أن نجد نماذج مشابهة لها على طول المحور الفاصل بين هذه المدينة وقبائل (ءيداوكّنيضيف) و(ايت باها)؛ فطريق القوافل كان يمر عبر(ءيحاحان) و(ءيداوتنان) و(ءاشتوكن)، ولكل قبيلة من هذه القبائل نماذجها الخاصة حجما وتصميما وزخرفة، والتي تختلف عن نماذج الصويرة شمالا، ونماذج (ءيداوكّنيضيف) جنوبا.

3) (تازرزيت ن تيرشت)

يتميز هذا المشبك بتصميم خاص، وبتفاصيل زخرفية فريدة، مما أغرى العديد من الدارسين بمحاولة فهم أسراره وفك طلاسم أبعاده الرمزية.

الاسم

تعرف هذه الحلية باسم: (تازرزيت ن تيرشت) أو (مّو تيرشت)، وتعني حرفيا: المشبك ذو شكل الكومة. ويفسر هذا الاسم بكون هذه الحلية تتميز بالشكل الهندسي المخروطي البارز الذي يتوسط جسمها. وتدل (تيرشت) في الأمازيغية بسوس على كل ما له شكل مخروطي سواء كان كتلة تضاريسية أو كومة تراب أو زرعا في البيدر[1] ...

المجال

تعرف هذه الحلية في أدبيات البحث الاثنوغرافي بمشبك "تاغجّيجت" نسبة إلى الواحة التي تحمل نفس الاسم على السفح الصحراوي للأطلس الصغير الغربي. ولكن هذه الحلية تنتشر على طول السفح الجنوبي لهذه السلسة الجبلية انطلاقا من (بويزاكارن) غربا إلى (ايمي اوكادير) [فم الحصن]في الشرق[2]. وكانت تصنع قديما في (إفران) بالأطلس الصغير[3]وفي مراكز واحات باني وصولا إلى (ايمي اوكادير).

الوصف

يتكون جسم المشبك من صفيحة تتم تسويتها بالمطرقة لتصبح رقيقة جدا، ثم تقطع على شكل مثلث كبير، تلحق به مثلثات أصغر في الضلعين الجانبيين. تُزين الصفيحة بسامير ذات رؤوس دائرية بارزة

---

[1] **يدل لفظ (تيرشت) في الأطلس المتوسط على الكومة سواء كانت لحبوب الزرع او البصل او غيرها، انظر:**
Oussikoum B., op.cit. p. 836.

[2] **Besancenot J., Bijoux . op. cit.p.17**

[3] **ايفران الأطلس الصغير (إقليم كلميم) Rabaté M.- R. Bijoux . op. cit.p.165**

مثبتة بتقنية الدسر[1]. وتكون قاعدة الدبوس واسعة ومسننة ومزينة بالزخارف المحفورة[2]. أما زخرفة (تيرشت) التي تتوسط جسم الحلية، فهي عبارة عن مخروط كبير بارز ومجوف يمثل المركز الذي تنتظم حوله الزخارف البارزة والمنقوشة في توازن بديع.

يسمى المخروط البارز، كما رأينا، (تيرشت) ومعناه اللغوي "الكومة" أو المخروط، أما المثلثات الصغيرة الملحقة بالمثلث المركزي والتي تعطي لمحيط الحلية شكلا "معقدا"[3] فتسمى (تيمزّاغ)[4] ومعناها اللغوي الاذان الصغيرة.

4) مشبك تيزنيت

تعرف هذه الحلية في الدراسات الاثنوغرافية باسم : مشبك تيزنيت[5]، ولكنها تنتشر في مجال واسع شمال السفح الأطلسي للأطلس الصغير الغربي، في السهل الممتد جنوب (واد والغاس) وفي المناطق الجبلية المجاورة انطلاقا من (أكلو) و(سّيحل) غربا في اتجاه (ءيداوسلال) و(تافراوت) و(أأنزي) شرقا[6].

الوصف

يُصنع جسم المشبك بتقنية الطرق والتقطيع[7]، حيث يقطع الصائغ صفيحة فضية رفيعة الشكل، مع الحرص على تزيين محيط الضلعين الجانبيين بزخارف مسننة يسميها الحرفيون: (تاشّرافين)، ومفردها (تاشّرافت) والمقصود بها (الشرافة) التي تزين المباني في العمارة التقليدية سواء في القصبات أو الأضرحة، وقد تسمى أيضا (البروج). تسمى الزاويتان العلويتان للمثلث (تيغمرين)، ومفردها (تيغمرت)، ومعناها الكوع.

تتوسط قبيبةٌ بارزة ومجوفة ومزينة بالنيال الزجاجي الصفيحةَ الفضية، وتسمى (تافارنوت)، ومعناها: فرن إنضاج الخبز، وقد تسمى: (تاكات)، وجمعها (تاكاتين) ومعناها الموقد، أما في (انزي) فتسمى (تاباكشّوت)، ويطلق هذا اللفظ في صيغة المذكر (ءاباكشّو) على العمامة التي يضعها الرجل فوق

---

[1] **Besancenot J., Bijoux . op. cit.p.17**

[2] **Rabaté M.- R. Bijoux . op. cit.p.30**

[3] **Ibid. p. 30.**

[4] **معطيات شفوية من أحمد الفضي، من (ايمي وكادير) –فم الحصن-، التقيته في طاطا يناير 2019.**

[5] **Rabaté M.- R. Bijoux . op. cit.p.29**

[6] **أورد راووش صورة مشابك تيزنيت [رقم 278] في كتابه ونسبها خطاء إلى قبيلة (ايداوتنان)**
Raouch D. Bijoux Berbères du Maroc dans la tradition judéo-arabe , ACR Edition Courboie, Paris, 1989, pl. 278.

[7] **ذكر بوزونسونو أن هذا النموذج من المشابك يصنع قديما من طرف صاغة ايداوسملال، انظر :**
Besancenot J., Bijoux . op. cit.p.16

رأسه[1]. وتحيط بهذه القبة المركزية الكبيرة ثلاث قبيبات أصغر حجما موزعة في الزوايا، وقد يستعاض عنها بزخارف مسطحة على شكل وردة مزينة بالنيال الزجاجي تسمى(النونة) أو (تاجدّيـڭت)، وتعني: الوردة.

يسمى الدبوس (ءاسنّان) أو (ءاخليل) ومعناهما المعجمي: الشوكة، ويتميز بكون جزئه السفلي عريض ومزخرف بنقوش، ويرتبط بجسم الحلية بواسطة صفيحة مزينة بالنيال الزجاجي، تسمى (سّجون). يثبت فصان من الزجاج بتقنية "المخلب" في طرفي حلقة المشبك (تالخرصت). ويثبت مقبض صغير أسفل جسم الحلية ويسمى (تافوستّ)، ومعناه الكف الصغير، لتمر عبره حلقة صغيرة تتدلى منها السلسلة التي تربط المشبكين. وتنتهي السلسلة في طرفيها بعلّاقات اسطوانية مجوفة خالية من النقوش تسمى (تافردوت)، وتتوسطها كرية فضية مجوفة كبيرة تسمى (تاڭموت) يتم تثبيتها على الإزار بواسطة خطاف فضي[2]. وتزين الصفيحة بزخارف (تيمْـڭـزيتْ) المنقوشة على شكل نقط صغيرة متقاربة[3].

تكون أبعاد المشبك عادة متوسطة ومتناسبة مع جسم المرأة التي يمكنها أن تتزين بزوج من هذه الحلي دون أن يمنعها ذلك من ممارسة أنشطتها اليومية بشكل مريح. ولكن هناك مشابك كبيرة جدا ويصل طول كل ضلع من أضلاعها الثلاث حوالي 20 سنتمترا، فيتعذر ربط زوج الحلية بالسلسلة، ويستعاض عنها بحبل صغير من الحرير. وكانت هذه المشابك الضخمة تستعمل خاصة من طرف فنانات (تاروايسين) في مدينة تيزنيت[4].

5) مشبك (مّي يّوژا)

تسمى الحلية (تازرزيت مّي يّوژا) [5] ، ومعناه المشبك ذو الزوايا،

المجال

تتزين نساء أغلب قبائل الأطلس الصغر الأوسط بهذا النوع من المشابك.

[1] **Adam , « Costume ». op.cit. p. 466.**

[2] **معلومات شفوية من المعلم العربي اوبيهي بتيزنيت**

[3] **بجي ، مرجع سبق ذكره ، ج 2، ص. 204**

[4] **انظر رسم المشابك أعلاه ص, 150**

5 **(ايوژا) جمع مذكر، ومفرده: (ءاوْز') ومعناه: الزاوية. ويقال لزوج المشابك من هذا النوع : (تيزرزاي ايد مّي يّوژا) [معلومات شفوية من المعلم انشّاد من مركز (تيزي ن تاست).**

الوصف

من حيث الشكل، يبدو جسم المشبك مركبا من مثلثات متداخلة على هيئة نجمة ذات خمسة أذرع موضوعة فوق مثلث صغير آخر يمثل قاعدة الحلية[1]. أما من حيث المكونات، فإن جسم المشبك يضم ثلاث عناصر مختلفة الأشكال والمعادن وهي:

أ - هيكل داخلي خفي مصنوع من النحاس الاصفر(طّاس)، يشكل الحامل المتين الذي تركب فوقه باقي العناصر.

ب - صفيحة رفيعة من الفضة المزينة بالنيال الأسود، تشكل الواجهة الأمامية للحلية، وتزخرف غالبا بفص من الزجاج.

ت - مسامير فضية كبيرة ذات رؤوس دائرية. تسمى (تيكبوضين) ومفردها (تاكبوضت)[2]، وتؤدي وظيفة تثبيت الصفيحة وباقي المكونات على الهيكل النحاسي، كما أن توزيعها المتوازن يضيف لجسم المشبك زخارف بارزة موزعة بشكل متناسق فوق السطح المستوي فتزيد من جمالية الحلية.

يستعمل صاغة الأطلس الصغير الأوسط نوعية جيدة من الفضة، ويحولونها بالطرق إلى صفائح رفيعة جدا، ورغم لمستها الجمالية الفريدة وملائمتها لإنجاز أغلب أنواع الحلي، فإنها لا تصلح أن تشكل دعامة مناسبة لتتحمل مكونات المشبك الثقيلة. لذ يلجأ الحرفي إلى الاستعانة بهيكل من النحاس الأصفر، فيثبت في جزئه العلوي دبوسا من الصُّفر يسمى (ءاقلّال)، وفي قاعدة هذا الدبوس هناك تجويف تنزلق فيه حلقة مفتوحة (لْمنصاب). ويثبت في الجزء السفلي للهيكل النحاسي مقبضا لتُربط به السلسة ويسمى(تاضارت) ومعناه القدم الصغيرة.

يتجلى الجانب التجميلي للمشبك في النيال الأسود والفص الزجاجي، وفي البعد التشكيلي للمسامير الفضية البارزة، وفي التناسق البديع بين اللون الفضي لجسم الحلية ولون لنحاس الأصفر في الدبوس والحلقة. كان زوج المشابك في المنطقة يرتبط بنوع خاص من السلاسل المكونة من مربعات صغيرة متصلة يسمى كل واحد منها : (اروز). وقد وثق بوزونسونو هذا النموذج في رسم خصه لأزياء قبيلة (ءيداونيضيف)[3]

[1] **Ileana Marchesani, Tizerzaï, op. cit. p.165.**

[2] **المعلم أحمد من (ايداونيضيف) التقيته في مركز (ايغرم)** 1998

[3] **Besancenot J., Costumes, op. cit. dessin 40.**

6) مشبك (ءايحاحان)

تعرف هذه الحلية في الدراسات الاثنوغرافية بمشابك (ءيحاحان)، وذلك لأنها تستعمل أساسا من طرف نساء هذه القبيلة التي يمتد مجالها جنوب مدينة الصويرة، وتمتد نحو الجنوب الشرقي إلى نواحي (تاركـانت)[1].

يصنع هذا المشبك المثلث الشكل بتقنية "الفريغ". وتتميز زاويتاه العلويتان بامتدادهما الدائري الواسع والمزين بزخارف بسيطة منجزة بتقنية الحفر. لقد أثار هذان الامتدادان الجانبيان المتميزان اهتمام الباحثين الذين حاولوا فهم طبيعته المتميزة والغوص في ابعاده الرمزية.

وثق الكاتب اوديل إحدى أقدم الصور لهذا النوع من المشابك وذلك في صورة التقطت قبل 1902 لصائغ مغربي يهودي بمدينة الصورة والتي يظهر فيها مشبك بشكله المميز خلف الصائغ المنهمك في عمله[2].

وتجدر الإشارة إلى أن بوزوسنو نشر في كتابه رسما لمشبك مثلث الشكل ونسبه إلى " الأطلس الكبير المركزي"[3]، ولا يختلف كثيرا عن نموذج (ءيحاحان)، مما يدعو إلى الاعتقاد بأن انتشار هذا النوع من المشابك كان يشمل مجالات واسعة بالأطلس الكبير قبل أن ينحصر في الطرف الغربي بمحاذاة المحيط الأطلسي.

7) مشبك (موژّلا)

الاسم

يسمى هذا المشبك: (تازرزيت مّو ژّلا) ومعناه المشبك ذو الخرز الزجاجي (اژّلا)، وذلك لأن فصا زجاجيا مركبا بتقنية المخلب يتوسط جسم الحلية.

المجال

ينتشر هذا النوع من المشابك في مناطق مختلفة بالجنوب، ومن بينها بعض نواحي شرق سهل سوس.

---

[1] **Rabaté M.- R. Bijoux . op. cit.p.163.**

[2] **انظر الصورة أعلاه ضمن فصل الأدوات.**

[3] **Besancenot J., Bijoux . op. cit.p.169.**

الوصف

تختلف نماذج هذه المشابك حسب بالقبائل، فبعضها مزين بفص زجاجي مركب داخل بوتقة، وتحيط بها زخارف بالنيال الزجاجي داخل فجوات السلك، ويرتبط زوج المشابك بسلسلة مركبة من عدة سلاسل مضفورة وكريات مجوفة وعلبة فضية في الوسط.

8) (تازرزيت ن ءيـڭـلوّا)/ مشابك قبيلة (ءيـڭـلوّا)

وردت المشبك عند بوزونسو الذي نسبه إلى قبيلة (أيـڭـلوّا) بأقصى شرق الأطلس الكبير الغربي، ولم يذكر اسمه الخاص. وهذه الحلية لها شكل مثلث بسيط، وتتدلى منه علاقات مجوفة[1].

9) مشبك: (تارزيت ن تالقوبّيت)/ (تازرزيت ن تفارنوت)

الاسم

(تارزيت ن تالقوبّيت)، ومعناه: مشبك القبة الصغيرة، وذلك لأن زخرفة بارزة تتوسط جسم الحلية. كما تسمى (تازرزيت ن تفارنوت) ومعناه: مشبك الفرن المنزلي المعد لإنضاج الخبز. للشبه بين زخرفتها البارزة والشكل المقبب للفرن.

المجال

تنتشر في الأطلس الكبير وفي نواحي (تاليوين) و(اولوز) بعالية سوس.

الوصف

يتخد جسم الحلية شكل معين هندسي مزين بالنيال الزجاجي، وتتوزع حبات من الزجاج (أزّلا) في زواياه الأربع، بينما تتوسطه زخرفة بارزة مصنوعة بالسلك، ولها شكل نصف كرية مجوفة تحمل اسم (تالقوبّيت) ومعناه : القبة، أو (تافارنوت)، ومعناه: فرن انضاج الخبز.

10) مشبك (طوبّيجين)

الاسم

يسمى المشبك (طوبّيجت)، بالجيم المفخم، وجمعه : (طوبّيجين). ويبدو هذا اللفظ للوهلة الأولى وكأنه مشتق من فعل (إيبّيج') الذي يمكن ترجمته بفعل "طرق"، ورضخ ، غير أن جسم الحلية مصنوع بتقنية الفريغ، ولا يدخل الطرق في إنجازه إلا بشكل ثانوي.

[1] **Besancenot J., Costume . op. cit.pl. H2, N° 24**

المجال

يتميز هذا المشبك بتوزيعه في إطار جغرافي واثني محدد، فهو ينتشر بشكل خاص في مجال قبيلة (ءاشتوكن)، ولا نكاد نجده على الضفة اليسرى لواد (والغاس) الذي يشكل حدا جغرافيا وثقافيا لانتشاره في اتجاه الجنوب[1]، وأكد بوزونسونو أن نساء (ءاشتوكن) وحدهن كن يتزين بهذا المشبك المتقن الصنع الذي لم يكن مستعملا عند نساء القبائل المجاورة[2].

الوصف

تصنع حلية (طوبّيجت) بتقنية الفريغ، وتتميز بشكل جسمها الفريد الذي يختلف عن كل النماذج المنتشرة في سوس. وتتخلل محيطَ جسمِ المشبكِ زخارفٌ متقطعة من الملحقات والزوائد المسماة (ءابّاشكاضن). أما الزخرفة الداخلية فتنتظم حول مركز بارز تنطلق منه أربعة أضلع تسمى (ءيرڭن)، وتعني حرفيا قشرة ثمرة أركان المكسرة، وتسمى أيضا (ءيفرس) الذي له نفس المعنى.

تنتشر (تيزرزاي) شبيهة لمشابك قبيلة (ءاشتوكن) في مجالات جغرافية بعيدة في كل من الجنوب الشرقي[3]، والأطلس الكبير المركزي، وخاصة في (ايت بوكماز)، وحتى لذا قبائل الأطلس المتوسط المحادية لسهل تادلة[4]. وإنه لمن المثير للإنتباه أن تشكل (ءاشتوكن) جزيرة معزولة في سوس لهذا الصنف من المشابك الذي ينتشر بكثرة في مناطق أخرى بعيدة.

1 يسمى هذا الواد : "اسيف ن والغاس" و "اسيف ن ماسّت" أي واد والغاس وواد ماسة، وكان يشكل على الدوام حاجزا طبيعيا وسياسيا وقبليا ، وشكل أيضا حدا ثقافيا، انظر:

Meunier Jaques, 1951, Greniers. op.cit. p. 56

2 Besancenot J., Bijoux. op. cit. p. 17.

3 Rabaté M.- R. Bijoux . op. cit.p.167.

4 اطلعنا على حلي أسرة السملالي في فشتالة شمال مدينة بني ملال سنة 2015.

خاتمة

تلتقي مشابك سوس في تصميمها العام مع مشابك مناطق أخرى في المغرب وفي بلدان شمال افريقيا من ليبيا في الشرق إلى موريتانيا في أقصى الجنوب الغربي. ويعتمد هذا التصميم على حلقة مفتوحة متحركة، ودبوس ثابتٍ ملتحمٍ بجسمِ المشبك الواقع نحو الاسفل. يقوم الدبوس والحلقة المرتبطة به بوظيفة شد الحائك حول جسد المرأة، بينما يؤدي الجسم وظيفة الحلية ويزين الجزء العلوي من الجذع.

قامت الباحثة الفرنسية هنرييت كامبس فابرير (Camps-Fabrer H.) سنة 1973 بدراسة حول أصول هذا النوع من المشابك ذي الدبوس الثابت والحلقة المتحركة، والذي يميز حلي نساء شمال افريقيا، وخلصت إلى أن التصميم الفريد للمشابك الحالية، يختلف جذريا عن تصاميم كل أنواع المشابك الأخرى التي عُثر عليها في مواقع أثرية مختلفة بكل من المغرب والجزائر وتونس والتي تعود إلى فترات تاريخية متباينة بدء منذ المآثر الجنائزية لحقبة ما قبيل التاريخ، مرورا بمواقع عرفت تأثيرات فينيقية ورومانية ووندالية، ووصولا إلى المشبك الذي عثر عليه في موقع "قلعة بني حماد" الذي يعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي[1] .

تشجع الإشارات الواردة عند كل من الوزان وديبكو دي طوريس ومارمول كاربخال، على افتراض أن المشابك المنتشرة في المغرب كانت في القرن السادس عشر تنجز تبعا لنفس التصميم الذي ما يزال معروفا إلى الآن. كما تفيد الوثائق العائلية المخطوطة في تتبع حضور هذه الحلية بشكل مستمر منذ اقدم إشارة تاريخية تعود إلى ربيع الثاني 1002. (يناير 1594م)

كانت المشابك تمثل ما يشبه "بطاقة هوية" لإظهار انتماء المرأة إلى قبيلة أو مدينة أو مجال جغرافي محدد. ويكاد كل مجال يختص بنوع من النماذج التي لا توجد غالبا في أماكن أخرى، فالسفح الجنوب للأطلس الصغير الغربي يتميز بمشابك (تيرشت) ذات الزخرفة المخروطية البارزة، ومشابك الشمال لنفس الجبل، لها زخارف مسننة في الجوانب، أما مشابك (ءيداوكّنيضيف)، والقبائل المجاورة فصغيرة الحجم وتعتمد زخرفتها على تجاور الأجزاء الممتلئة والفارغة، ومشابك (ءاشتوكن) في سهل سوس كانت تصنع بتقنية الفريغ وفق تصميم فريد، وتمتد الزاويتان العلويتان لمشابك قبيلة (ايحاحان) بمساحة دائرية واسعة، وتتكون مشابك الأطلس الصغير الأوسط من مثلثات متداخلة ....وإلى جانب المشابك المحلية الخاصة بكل مجال على حدة، انفتحت أغلب المناطق على نموذجين من (تيزرزاي) باعتبارهما يشكلان رصيدا مشتركا بين نساء كل قبائل الجنوب، وهما: مشابك (تاوكّا)[2]، التي يشبه جسمها

[1] Camps Fabrer H., « Fibules », op.cit. pp. 213-217.

[2] **انظر التفاصيل حول هذا النموذج أعلاه في فصل التقنيات**

تشكيل شهد العسل، ومشابك (تارّيالت)، الذي يتكون جسمها من قطعة نقدية تلحم وتثبت فيها باقي مكونات الحلية من دبوس، وحلقة، ومقبض لربط السلسلة...

انتشر هذان النموذجان في مناطق شاسعة تمتد من سهل الحوز في الشمال إلى التخوم الصحراوية بواد نون في أقصى الجنوب. وكانا يتعايشان مع النماذج الخاصة بكل مجال على حدة. ويعود اختراقهما للحدود القبيلة والجغرافية إلى عوامل متناقضة، فمشابك (تارّيالت) كانت في متناول الجميع، ولا تتطلب إمكانيات تقنية معقدة، ويسهل إنجاز الحلية بأبسط التقنيات المتوفرة للصائغ الذي يكتفي بأن يثبت على القطعة النقدية الجاهزة دبوسا وحلقة ومقبضا. أما نموذج (تيزرزاي ن تاوكّا) الذي يشبه تشكيل شهد العسل، فإن إنجازه يتطلب كميات كبيرة من الفضة الخالصة، وتقنيات معقدة قد لا يتقنها كل الحرفيين، ويتطلب اقتنائها التوفر على موارد مالية كافية. لذا، كانت الأسر الميسورة في مختلف المناطق تتنافس للحصول على هذه الحلية الفاخرة

الفصل الرابع: حلي المعصم

مقدمة

عندما مر الفقيه الحاج عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، بالقرب من أطلال مركز (تينيمل) الموحدي، صدر القرن [12هـ/18م]، سمع رواية محلية مفادها أن السكان **"وجدوا في دار فوق البلدة [...] عظام امرأة بإزاء رحى وبيدها سوار من النحاس الأصفر باق من ذلك الوقت إلى الآن"**[1].

يساهم حضور السوار في تحديد الإطار العام للعظام القديمة التي عثر عليها السكان. فالتأكيد على أن هذه الحلية مصنوعة من النحاس الأصفر إشارة إلى أن صاحبته تنتمي إلى زمن قديم، وأنها كانت تحمل قيما ثقافيا وجمالية مختلفة عن الممارسات الثقافية السائدة في المجتمع الذي عثر على عظامها، وصاغ هذه الرواية حول واقعة الاكتشاف. لقد كانت للسوار في الحكاية وظيفة تحديد الإطار الثقافي و"التاريخي" لمجتمع "النحاس" الذي تنتمي إليه صاحبته.

بعد ذلك بحوالي قرنين، وخلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 1904 و1905، قام الفرنسي ماركيز دي سيكونزاك بجولة في الجنوب المغربي متخفيا للقيام بمهمة استخبارية، وعندما وصل إلى أعماق الأطلس الصغير، افتضح أمره، وظهرت هويته الحقيقية، فاحتجزه بعض الرؤساء المحليين[2]، وخلال فترة إقامته بالمنطقة، تتبع عن قرب العديد من الممارسات الثقافية للسكان وعمل على إدراجها في كتابه عن رحلته في المغرب. ومن الممارسات الطريفة التي حرص على الإشارة اليها كون " **الإسورة الفضية هي رمز الخطبة في عدة أماكن [بالمغرب] حيث توضع في دراع العروس مباشرة بعد عقد اتفاق [الزواج]"** وأضاف بأن السكان في سوس يضعون أثناء اجراءات كتابة عقد الزواج **"طبقا به كمية من السميد وفوقه إسورة"**[3]

كان سوار النحاس رمزا لثقافة قديمة بقيمها العجائبية البائدة، وكان سوار الفضة عنصرا أساسيا بالنسبة للسكان الذين يستحضرونه في ممارساتهم الاجتماعية. لقد كان السوار في كل الأحوال أكثر من حلية عادية، وتحول إلى أحد محددات الهوية الثقافية السكان، وهذا ما سنحاول إظهاره من خلال تخصيص هذه الفصل لاستعراض أهم أنواع الأساور التي كانت منتشرة في مجال دراستنا.

---

[1] **التاسافتي ، مصدر سبق ذكره ، ص. 159**

[2] **اطلق سراحه لاحقا بعد تدخل قياد (كلاوة) في تلوات.**

[3] **Segonzac Mis de R., Au cœur de l'Atlas, mission au Maroc 1904-1905, Paris, Emile Larose Libraire Editeur. 1910,p. 270**

أولا : الأسماء العامة

(ءازبـگ) هو الاسم الأمازيغي العام لكل أنواع حلي المعصم، ويحيل في التداول الشفوي على مختلف أنواع الأساور بتعدد اسمائها الفرعية وأشكالها وزخارفها وتقنيات إنجازها، ومجالات انتشارها الاثنية والجغرافية. ويُنطق هذا اللفظ في بعض المناطق بصيغة (ءابزگ) عن طريق قلب ترتيب حرفي الباء والزاي. ففي الأطلس الصغير الغربي مثلا، يَنطِق سكان قبيلة (امّلن) اسم الاسورة بصيغة (ءازبـڴ)، بينما ينطقها جيرانهم في قبيلة (ايغشّان) القريبة بصيغة (ءابزگ)[1].

وإلى جانب الاسم العام المشترك بين كل المناطق الأمازيغية في سوس، كانت لكل مجال أسماؤه الخاصة التي تترجم الخصوصية المحلية. فلفظ (ءازبـگ) مثلا في الأطلس الكبير الغربي قد يطلق على إسورة ثقيلة مغلقة مزينة بأضلع فضية تسمى محليا (بيبودا)، أما في الأطلس الصغير الغربي، فنفس اللفظ (ءازبـگ) يدل على حلية خفيفة ومجوفة تسمى محليا (بوتودّيزين)، وفي الأطلس الصغير الأوسط، يدل نفس اللفظ (ءازبـگ) على حلية مفتوحة تسمى محليا (بويمى).

اسماء الأساور في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	تاريخ	الصيغة
(ءيمنتاڴن) [وثيقة 6]	تقسيم الارث	ذي حجة 1016 (أبريل 1608م)	زوجة النبلات من الفضة باثني عشر اواق و نصف
اكلو ، وثيقة: 325]	صداق وجهاز	ربيع نبوي 1077، (شتنبر 1666م)	زوج اساور
تاجـڴالت، وثيقة 12	جهاز	رجب 1082، (1671م)	زوزة المقياس النقرة
اكادير ، وثيقة: 94]	جهاز	شوال 1183 (فبراير 1770م)	دبليجين فضة
وثيقة 1، تاجلت	جرد لما تسلمه الزوج	رجب 1233 (1818م)	زَوْجة إِزْبْـڴنْ

ملاحظات:

- استعمل المحررون أسماء مختلفة للدلالة على حلي المعصم، ومن أهمها: (ءازبـگ)، و(الإسورة)، و(الدبيلج) و(تانبالت)

أ- (ءازبـگ) هو، وكما رأينا، الاسم الأمازيغي للإسورة، وجمعه (ءيزبـڴان)

ب – ورد اللفظ العربي (الإسورة) في عشرات العقود بصيغ متقاربة: (جوجة الاسوار)، (فرد الاساوير)، (سوار)، (الإسورة)، (زوجة الاساوير) ....

[1] **ADAM A., « Costume ». op. cit. p.472.**

ت - لفظ (الدبليج)، الوارد في عقود كثيرة بصيغ متعددة ولكنها متقاربة من حيث النطق والكتابة: لبلج، الدبلج، الدبليج، ادبلج...ونعلم أن هذا الاسم ينطق في اللغة العربية بحرف الميم ويقال :"الدملج"، أما كُتّاب العقود في سوس، فإنهم، حين يحررون الوثائق يكتبونه بحرف الباء، ويبدو أنهم تأثروا في ذلك بالنطق المحلي لهذا اللفظ ، فالسكان يستعملون في التداول الشفوي لفظ (ءادّبليج) إلى جانب الاسم الأمازيغي (ءازبـگ). وتجدر الإشارة إلى أن باقي مناطق المغرب تنطق هذا الاسم بحرف الباء سواء في التداول العربي[1] أو الأمازيغي[2].

ث - المقياس

ذكر اسم "المقياس" في وثيقة واحدة من (تاجـكّـالت)؛ ويتعلق الأمر بعقد جهاز بتاريخ رجب 1082(1671م)، والذي وردت فيها عبارة: **"زوزة المقياس النقرة"** [وثيقة 12]، ومعناه : زوج أساور من الفضة.

لا تتوفر المعطيات لتفسير سبب تفضيل محرر هذا العقد للفظ (المقياس) النادر، على حساب الأسماء الأخرى الشائعة في الوثائق المكتوبة كالأسورة و(الدبليج) و(ءازبـگ). ولا شيء يميز الوثيقة التي ورد فيه هذا الاسم "الغريب" عن باقي وثائق المنطقة؛ فمحررها يدعى محمد بن سعيد الرسموكي، وينحدر من منطقة سوس كما يؤكد ذلك انتمائه إلى قبيلة (ءيدا وگـارسموك) بالأطلس الصغير، كما أن أسلوبه عادي وبسيط ولا يختلف في معجمه وفي صياغته عن الأسلوب المتداول عند أغلب المحررين في الجنوب. وفي كل الحالات يبقى الحضور الاستثنائي للفظ (المقياس) دليلا على انفتاح بعض المحررين السوسيين على مصطلحات منتشرة في آفاق بعيدة. وبالفعل فقد كان لفظ (أَمقياس) متداولا في مناطق أمازيغية أخرى داخل المغرب وخارجه[3]، سواء في الريف الشرقي[4]، أو في الأوراس بالجزائر[5]. كما كان متداولا في الحواضر، فقد ذكره السفير الدانماركي هوست في كتابه الصادر سنة 1779 وقال بأن النساء الحضريات كن في تلك الفترة يتزين بأساور تسمى (دبليج) و(مكيس) [6].

ج- (تانبالت)

ورد هذا الاسم أول مرة في ذي الحجة 1016 هـ (1608م) بوثيقة لتقسيم الإرث من قبيلة (ءيمنتاگـن) والتي جَرَدَت من بين الحلي المقسومة : **"زوجة النبلات من الفضة"** [وثيقة 6]. ثم ورد الاسم بعد ذلك في الوثائق التي اطلعنا عليها بصيغ متقاربة، جمعا وتأنيثا وهي: (تنبلت)، (النبلات)،

---

[1] **حسب هوست كانت نساء الحواضر المغربية يتزين بأساور من بينها نوع يسمى: (دبليج)**
Host G, Relations, op. cit., p. 77.

[2] **في الأطلس المتوسط يقال "ادبليج" وجمعه 'ايدبليجن' لنوع من الأساور الدائرية المكونة من قطعة واحدة وتكون عادة ملتوية :**
Goudard J, Bijoux , op.cit. p.289

[3] **أورده شفيق في معجمه في صيغة المؤنث "تامقياست" كمرادف لـ"أزبك"، انظر: شفيق، المعجم...، ج 1، ص.375.**

[4] **عمل ميداني سنة 2015 بقبيلة بني بويحيا، جماعة أفسو، إقليم الدريوش**

[5] **Benfoughal T. op.cit.p. 172.**

[6] **Host G, Relations, op.cit.p. 77**

(انبلت)، (النبآيل)، (النبالة)، (النبائل)، (نبالتيْن)، (تنْبيْلتْ)، (نْبَلْتْ)، (النبيلة)، (النبلتَيْن) ... ونلاحظ أن الاختلافات البسيطة بين هذه الأسماء لا تبعدها من النطق الشفوي المحلي، أي: (تانبالت)

يتميز معجم الأساور عموما بغناه وتنوعه، وتتداخل فيه الأسماء العامة الواسعة الانتشار مع الأسماء الخاصة المتميزة بانتشارها المحدود. ويبرز ضمن هذا المعجم اسم جدير بالانتباه، وهو (تانبالت) الذي يعتبر اسما خاصة لحلية محددة، ولكن انتشاره يشمل عموم سوس وأغلب مناطق المغرب.

ثانيا: أنواع الأساور

1) (تانبالت)

الاسم

تسمى هذه الإسورة (تانبالت)، وجمعها (تانبالين)، وقد تنطق بصيغة (تانبايلت) في بعض القبائل الواقعة جنوب سهل سوس. ويأتي اسمها غالبا في صيغة المؤنث، عكس أنواع الأساور الأخرى التي تأتي عادة في صيغة المذكر. وانتقل الاسم إلى العربية الدارجة، وينطق (النبالة)[1]، وجمعها (النبايل).[2]

المجال

تتزين نساء كل قبائل مجال الدراسة بـ(تانبالت)، هذه الأسورة الفريدة التي تتجاوز الحدود الجغرافية والاثنية لتأخذ مكانها بين الحلي المرتبطة بكل مجال على حدة، ولتضيف لمسة مشتركة إلى المجموعات القبيلة المحلية الخاصة. ويصعب أحيانا تحديد المواطن التي صنعت فيها نماذج هذه الإسورة بدقة[3].

تنتشر (تانبالت) بنفس الاسم وبنفس التصميم العام[4] في باقي مناطق المغرب حيث تتكون الحلية غالبا من صفيحتين مقوستين تتحركان بواسطة مفصلين، يلعب أحدهما دور القُفْلِ لفتح وإغلاق الاسورة. ويسود لفظ (تانبالت) في أغلب أماكن التداول بالأمازيغية خارج سوس، عند قبائل (زيان)،[5] و(ايت سغرووشن) و(ايت يوسي)[6]، وغيرها من القبائل بالأطلس المتوسط والأطلس المركزي والجنوب الشرقي. كما يتداول نفس الاسم في منطقة الريف الشرقي وينطق بصيغة (تانبارت)[7].

---

[1] **شفيق محمد، الدارجة المغربية... ص.169.**

[2] **يطلق لفظ (نبالة) أيضا على الحلقة التي توضع في رجل الصقر، انظر:**
Colin G.S, Dictionnaire op.cit. V :8, p.1881

[3] **Rabaté J., Bijoux.op. cit.p. 65.**

[4] **وخارج المغرب، ينتشر نفس الصنف من الأساور المجهزة بقفل في منطقة القبايل بالجزائر، والتي تصنع بنفس التصميم والتركيب العام، ولكنها تختلف من حيث الاسم والزخارف.**
Camps-Fabrer H., Kabylie . op.cit.p. p.58 et 128

[5] **Besancenot J., Costume . op. cit.p.155**

[6] **Goudard J, op.cit. p.289**

[7] **عمل ميداني 2015**

الوصف

تتكون (تانبالت) من صفيحتين مقوستين تشكلان عند التقائهما إسورة اسطوانية عريضة. وتُشد الصفيحتان المقوستان بواسطة مفصلين؛ أحدهما مغلق بإحكام بواسطة مسمار ذي رأسين يؤدي وظيفة الدسر ويسمى (تافلّيست)[1]، ويشكل محورا تدور حوله الصفيحتان وتتباعدان نحو الخارج عند فتح الإسورة وتتقاربان عند إغلاقها، أما المفصل الثاني، فمزود بمسمار متحرك يسمى (تاساروت)، ومعناه: المفتاح، لأنه هو الذي "يفتح ويغلق" الحلية، كما يسمى (ءامْهْماڈْ) أو (ءامهماز) أو (تـاكُوست)، في أماكن أخرى. يكون هذا "المفتاح" مشدودا إلى طرف الإسورة بسلسلة صغيرة مكونة من بضعة حلقات، تسمى (تيويناس). وعند الرغبة في فتح الحلية، يُزال المسمار/المفتاح، فتنفصل الفتحات المكونة للمفصل وتنفتح الإسورة، وبعد وضع المعصم داخل الحلية، يعاد تركيب المفصل عند التقاء الفتحات المهيئة على جانبي الصفيحتين المقوستين، ويولج فيه المسمار.

ويضم كتاب السفير الهولندي الصادر سنة 1779 احدى أقدم رسوم الإسورة من نوع (تانبالت) كانت تزين معصم امرأة حضرية وهي في كامل أناقتها. وكان تصميم الاسورة يضم مفصلا مزودا لتسهيل فتح وإغلاق الحلية[2]. ويوضح الرسم بشكل بارز أن (تانبالت) لم يتغير تصميمها منذ تلك الفترة إلى الآن.

تتميز (تانبالت) عموما، بخفة وزنها ورشاقتها. ويتفنن الصاغة في جعلها حلية الاحتفالات بامتياز من خلال المغالاة في تزيينها بالعديد من التقنيات، نذكر من بينها:

- تزيين الطرفين، العلوي والسفلي للأسورة، بشكل زخرفي يسمى (تاضرسا)، وينجز بسلكين مبرومين في اتجاهين معاكسين، ويؤطران مجال الترصيع بالنيال الزجاجي داخل فواصل السلك.

- تركيب قطع نقدية صغيرة أو علاقات مختلفة لتتدلى من (تانبالت)، وتصدر رنينا أثناء تحريك اليدين.

[1] يسمى بالفرنسية [rivet]
[2] أنظر فصل المشابك أعلاه، ص. 197

- توزيع أنصاف أسطوانات بارزة مزينة بالنيال الزجاجي على جسم الحلية بشكل عمودي، لإخفاء المفصلين، ولخلق توازن جمالي على طول محيط الاسورة. تسمى هذه الزخرفة البارزة بالفرنسية: [cache charnière]، ومعناه: مُخْفِي المفصل، بينما تتعدد اسماؤها بالأمازيغية، ومن بينها: (ءامْنَار) وهو الأكثر شيوعا، ويعنى لغة درج السلم، و(تاغانيمت)، ومعناها القصبة، وأخيرا (ءاحلاس)، ويعني: البردعة التي توضع على ظهر الدواب.

تنجز وتزخرف بعض الأساور من صنف (تابالت) بخصائص تقنية محددة جغرافيا، مما يسمح بمعرفة المراكز التي صنعت فيها، حتى وإن انتقلت بعد ذلك لتزيين معاصم نساء في آفاق بعيدة، ومن هذه الخصائص:

- الجمع بين الزخارف الهندسية بتقنية الحفر وتركيب الزخارف البارزة المثبتة بواسطة تقنية (تافلّيست) أي :"الدسر"، وذلك في المجال الممتد من (ءاشتوكن) و (ايت باها) حتى (يداوكّنيضيف)[1].

- استعمال النيال الزجاجي في المجالات التي تنتشر فيها هذه التقنية.

- يشكل النيال الزجاجي داخل فجوات السلك الخلفيةَ التي تزين (تانبالت) منطقة (ءايت واوزكّيت)، وتضم زخارف بارزة مكونة من حبوب فضية وفصوص الزجاج، وأشكال فضية مجوفة مختلفة[2]. وتتميز بعض النماذج الأخرى من (ءايت واوزكّيت) بحقول زخرفية عمودية أو أفقية على شكل سلك متموج، تفصلها مساحات من السلك المبروم، وتزينها الحبيبات الفضية والزخارف الموشورية البارزة[3].

- اشتهر الصاغة اليهود بـ(تاهالا) قرب (تافراوت) بإنجاز نموذج فريد من (تانبالت) المزينة بزخارف بارزة عبارة عن موشورات ومخروطات متوالية على طول محيط الحلية[4].

تفسر عوامل كثيرة تفضيل نساء الجنوب المغربي لـ(تانبالت)، فمنها خفة هذه الحلية وعدم ارهاقها لليد بفضل وزنها الملائم، ومنها سهولة وضعها في المعصم، ومنها تصميمها

[1] **Rabaté J. et M.-R., Bijoux. op.cit.p.172**
[2] **Besancenot J., Costume . op. cit.p.13**
[3] **Rabaté J. et M.-R., Bijoux. op.cit.p.162**
[4] **Rabaté J. et M.-R., Bijoux. op.cit p.52.**

الفريد وزخارفها المتناسقة، ومنها ثمنها المناسب مقارنة مع أنواع أخرى من الأساور [1]. هذه العوامل مجتمعة جعلت من (تانبالت) حلية "وطنية" بامتياز

2 (بيبودا)/ (بيركّن)

الاسم

يتميز هذا النوع من الأساور الثقيلة بأضلعه المائلة؛ ويشَبِّه سكان الأطلس الكبير الغربي هذه الاضلع بالحواجز الترابية المنخفضة التي تقسم الحقل إلى أحواض صغيرة لتسهيل سقيها. يسمى هذا الحاجز: (ءابادو)، وجمعه (ءيبودا)، لذا سميت الإسورة باسم (بيبودا)، ويعني هذا اللفظ معجميا: ذو الحواجز الترابية. أما سكان سهل سوس، فيشبهون أضلاع الحلية بقشور ثمرة الأركان بعد تكسيرها، لذا يسمون هذا الدملج: (بيركّن)، ويعني هذا اللفظ معجميا: "ذو قشور ثمرة أركان". وينتشر هذا النوع من الأساور في أغلب المدن المغربية العريقة، حيث يطلق عليه اسم: (تْعْصار الصّابون) ، وذلك لأن أضلع الإسورة المائلة والملتوية تشبه في طياتها ليّ الملابس أو الأثواب المعصورة بعد تصبينها[2].

المجال والوصف

ينتشر هذا النموذج عادة في المناطق التي تسود فيها تقنية (الفريغ) كالأطلس الكبير الغربي، وسهل سوس، كما تتزين به النساء في العديد من مناطق المغرب وخاصة في الجنوب الشرقي[3]. وتتميز هذه الفئة من الأساور الممتلئة والثقيلة باعتماد تصميمها على تكرار أضلع متوازية ومائلة باعتبارها المكون الجمالي الأساسي للحلية؛ ويعمد الصائغ أحيانا إلى التغلب على رتابة هذا التصميم من خلال تغيير أحجام وزخارف الأضلاع، وذلك بتعاقب الأضلع الكبيرة والصغيرة، أو بتناوب الأضلع الملساء مع الأضلع المزينة بالنقوش.

---

[1] تظهر بعض الوثائق أن (تانبالت) يكون ثمنها عادة اقل من قيمة أنواع أخرى من الأساور، ففي عقد جهاز من ايت ايكاس بتاريخ شعبان 1174هـ/(1761م)، قُوِّم : "سوار فضة بسبع عشرة اوقية وزنا، و[قومت] النبالة بإحدى عشرة اوقية و نصف الاقية" [وثيقة 2]، وفي عقد جهاز آخر من "ثغر اكادير" بتاريخ 23 شوال 1183 (فبراير 1770م) قومت "زوجة نبايل فضة بخمسة مثاقيل[–] فضة ونبالتيْن فضة بخمسة مثاقيلا فضة ودبليجيْن فضة بسبعة مثاقيل و عشرة أوجه" [وثيقة 94]. ويبدو أن انخفاض ثمن (ثانبالت) مقارنة مع أصناف أخرى من الأساور يرجع إلى كونها تصنع من صفيحة معدنية رقيقة، وتتطلب كمية قليلة من الفضة.

[2] Besancenot B., Costume. op.cit.. Pl.G2] N° 35

انظر أيضا: بوسلام محمد "الحلي"، معلمة المغرب، عدد 11، ص, 3553-.

3 تتزين نساء الجنوب الشرقي عند ايت عطا وبومالن دادس بأساور ثقيلة جدا مزينة بأضلاع مائلة .لا تُستخدم هذه الحلي الثقيلة في أيام الاحتفالات فقط ، بل تتزين بها المرأة بشكل يومي. فنساء الرحل من (ايت عطا)، يضعنها في المعصم أثناء المساعدة في تثبيت الخيمة، وأثناء حلب النعاج والماعز، او إعداد الطعام، وغزل الصوف...، انظر:

Rabaté J. et M.-R, Bijoux . op.cit. p.159

3) (شمس وقمر)/ (تافوكت د وايّور)

الاسم

كانت هذه الإسورة مرتبطة أساسا بالحواضر التاريخية، وتشتهر باسمها العربي (شمس وقمر)، إلى جانب ترجمته الأمازيغية: (تافوكت د وايّور)، ويفسر هذا الاسم بكون الحلية كانت تصنع من معدنين نفيسين، وهما: الذهب الأصفر(الشمس)، والفضة البيضاء (القمر)[1].

المجال

تنتشر إسورة(شمس وقمر) في كل الحواضر المغربية العريقة، حيث تتزين بها نساء الأسر الميسورة. أما في الجنوب، فكان هذا الصنف من الحلي يستقدم غالبا من مدينة مراكش، كما كانت تصنع نماذجه في تارودانت والصويرة، وأخيرا في تيزنيت. وكانت الحلية المفضلة لنساء الأوساط المخزنية التي كانت قصباتها ورياضاتها منتشرة في أغلب قبائل الجنوب [2].

الوصف

تتكون الإسورة عادة من حلقة دائرية مصمتة من الفضة تشكل نواة الحلية، وتثبت فوقها أضلع مائلة أو عمودية، بعضها مصنوع من الفضة والبعض الآخر من الذهب، وهي موزعة بالتناوب لتعطي للحلية شكلا لولبيا. وتنتشر نماذج تحمل نفس الاسم، وتتكون من الفضة والنحاس، حيث تشكل حلقة النحاس الهيكل الداخلي الذي تزينه أضلع مائلة من الفضة والنحاس.

تحدث مارمول عن حلي مراكش في القرن السادس عشر، وقال بأن نساء المدينة **"كن متحضرات وأنيقات يمشين وهن متزينات بعدد من الأساور الملولبة والمنبسطة من الذهب والفضة"**[3]. لقد أشار مارمول بوضوح إلى انتشار أساور ملولبة، وإلى استخدام الذهب والفضة في انجاز هذه الحلي، مما كان سيشجعنا على افتراض أن المقصود بهذا الوصف هو حلي (شمس وقمر). غير أن اقحامه عبارةَ

[1] **Beancenot J., Bijoux op.cit. p.6.**

[2] انظر فصل الوظيفة السياسية

[3] مارمول كربخال ، مصدرسبق ذكره ، الجزء الثاني ص. 57

"الأساور المنبسطة" إلى جانب الملولبة في الجملة تجعل من الصعب معرفة العلاقة بين مختلف أنواع الأساور المذكورة والمعادن التي صنعت منها.

4) الأساور المجوفة (ءيمخوان)

الاسم

تتميز هذه الفئة من الأساور بخاصيتين أساسيتين: جسمها المجوف، ومساميرها الفضية البارزة. ومن هاتين الخاصيتين، صاغت القبائل أسماء مختلفة، نذكر من بينها:

- (ايمخوان): ومعناه الحرفي "المُجَوَّفان"، وسبب هذا الاسم هو أن هذه الأساور من النماذج النادرة التي يكون جسمها عبارة عن حلقة ضخمة مجوفة. وينطق اسم الحلية عادة في صيغة الجمع لأن المرأة تتزين دائما بزوج من الأساور .

- (بوتودّيزين) و(بيـكّـرّا)، و(بيبوضن) وتعني كلها: ذو المسامير الفضية، وذلك لأن جسم الحلية مدعم بمسامير فضية بارزة ذات رؤوس مسطحة.

- (ءاسملال)، نسبة إلى قبيلة (ءيداوسملال) بالأطلس الصغير الغربي التي تعتبر من أهم مراكز صناعة هذه الفئة من الأساور.

المجال

ينتشر هذا النوع من الأساور في الجنوب الغربي، ويذكر بوزنسنو أن هذا النموذج كان يصنع في (تاهالا)[1]. وكان مجاله يمتد من (تيزنيت) إلى (تافراوت)[2]، ويشمل بعض المناطق في سهل سوس وخاصة (ءاشتوكن) والقبائل المجاورة.

الشكل

الحلية عبارة عن حلقة ضخمة مجوفة مصنوعة من صفيحة رقيقة، ويتخذ الجانب الخارجي للأسورة شكلا مقوسا، أما جزئها الداخلي الملامس لجلد المعصم فيبقي مسطحا. وهذه الإسورة خفيفة الوزن، ولا تتطلب كمية كثيرة من المعدن، غير أن شكلها "المنفوخ" يجعلها تبدو بحجم أكبر مقارنة مع

[1] Besncenot , **Costume** . op.cit. pl. H2] N° 13
[2] Rabaté J. et M.-R, **Bijoux** . op.cit. p. 59

وزنها من الفضة. ويتم تعويض خفة الإسورة بإضافة مجموعة من المكعبات الفضية والمسامير التي تنتهي رؤوسها بأسطح وزوايا.

5) (ءودّيز د سّلك)

الاسم

يسمى هذا النموذج (ءودّيز د سّلك) أو (الحبّة د السّلك)، ومعناه : الحبة والسلك، وذلك لأن زخرفتها تعتمد على مجموعات من حبات الفضة التي تفصل بينها قطع من السلك الغليظ.

المجال

تنتشر هذه الاسورة في السفح الجنوبي للأطلس الصغير وخاصة في واحات باني[1]، وإن كانت تمتد في اتجاه الغرب.[2] وتشير الدراسات إلى انتشار نماذج مشابهة لهذه الإسورة في موريتانيا[3].

الوصف

الاسورة عبارة عن حلقة محدبة ملساء، ومزينة بمسامير ذات رؤوس مدورة ومثبتة بتقنية الدسر، تتوسط قطع سلك غليظ عرض الحلية، وتصل بين مجموعات المسامير البارزة. وهذا التصميم المعتمد على السلك ورؤوس المسامير هو الذي يفسر اسم الحلية.

يعمد الحرفيون في بعض الحالات إلى لحم اسورتين منفصلتين للحصول على حلية واحدة، وذلك في إطار ممارسة فريدة في مجال الصياغة المغربية. تسمى هذه الاسورة المزدوجة: (بوكْرون) و(بواسكاون)، ومعناه ذات القرون. أما انتشارها فينحصر في واحات باني[4].

6) (بويمى)/ الإسورة المفتوحة

أورد بوزونسونو هذ النوع من الأساور المفتوحة تحت اسم (ءازبك)، وأشار إلى أن "الإسورة المفتوحة (ءاز□)، تمثل حلية خاصة بالأطلس الصغير"[5]، ولكن، وكما اشرنا إلى ذلك، فإن كلمة (ءاز□)

[1] **Besncenot , Bijoux . op.cit. p. 9.**
[2] **Rabaté J., Bijoux . op.cit. p.186**
[3] **Puigaudeau du O., Arts et Coutumes, op.cit. p.149.**
[4] **Besncenot , Bijoux . op.cit. p.17.**
[5] **Besncenot , Costume . op.cit. pl. 43**

هي اسم عام لكل أنواع الأساور ؛ أما الإسورة المفتوحة فاسمها الخاص هو (بويمى) وتعني حرفيا: "ذو الفم" ، وذلك لأن الحلية ليست مغلقة وتشبه فما مفتوحا[1].

المجال

ينتشر هذا النوع من الأساور عموما في الأطلس الصغير في طرفه الغربي وفي جزئه الأوسط، في حين لم نقف على ذكر له في الأطلس الكبير الغربي وفي سهل سوس شمال (واد والغاس).

الوصف

(بويمي) أسورةٌ مفتوحة مصنوعة من صفيحة مرنة مطاوعة على شكل حلقة دائرية غير مكتملة، يمكن أن تتسع فتحتها عند جدب طرفيها نحو الخارج حتى تحيط بالمعصم، فتنقص فسحة الفتحة تلقائيا ويضيق طرفاها على اليد. وقد يكون الطرفان المحددان للفتحة أعرض من باقي أجزاء الحلية، وخاصة من الجزء الواقع في الوسط والذي يكون أحيانا ضيقا جدا.

يتميز (بويمي) بزخارفه التي تعتمد على حضور النيال بصنفيه الزجاجي والرصاصي أو أحدهما فقط. ويزينه الصائغ بزخارف بارزة سواء على شكل حبات فضة (تودّيزين) أو مخروطات مثبتة بتقنية الدسر. كما تضم بعض النماذج فصوصا زجاجية، وزوائد موزعة على طول جسم الحلية أو على جانبي فتحتها[2].

7) إسورة القرن: (تاسكيوت)

الاسم

تصنع هذه الإسورة من قرن الحيوان وتسمى: (تاسكيوت) وجمعها (تاسكيوين)، وهذا اللفظ مشتق من كلمة (ءيسك) التي تعني قرن الحيوان بالأمازيغية السوسية[3].

[1] ينسجم هذا الاسم مع تقليد الصاغة في اطلاق أسماء مستلهمة من الجسد البشري على بعض الحلي أو بعض أجزائها : (تافوست) ويعني الكف الصغير، و(ءابوض)، ويعني السرة، و(تاضارت) ويعني القدم الصغيرة، و(تاباسكارين) ويعني الاظافر الصغيرة...

[2] Besncenot , Costume . op.cit. pl. 43 et Rabaté J. et M.-R, Bijoux . op.cit. p. 59

[2] Rabaté M.-R, Bijoux . op.cit. p. 59

[3] يشبه اسم هذه الحلية اسم آلة الرقص المسماة "تيسكت" في الأطلس الكبير الغربي، والتي صنفتها اليونسكو تراثا إنسانيا. نلاحظ أن اللفظ في صيغة المفرد مختلف، فيقال (تاسكيوت) للإسورة و(تيسكت) لآلة الرقص، أما في الجمع فلا يتغير وهو: (تاسكيوين)

المجال

كانت إسورة (تاسكيوت) منتشرة في السفوح الجنوبية للأطلس الصغير الغربي وعلى طول واحات جبل باني. وبالفعل فقد ذكر شارل دوفوكو أثناء زيارته لواحة تيسينت سنة 1885 أن نساء المنطقة كن يتزين بأساور من قرن[1]. كما كانت هذه الحلية معروفة في عالية سوس والأطلس الكبير الغربي. وفي الأطلس المتوسط كانت الفتيات الصغيرات يضعن في المعصم اسورة مصنوعة من قرن الغزال ومزينة برؤوس الفضة، وتسمى: (ايدبليجن ن ييش)[2] وترجمتها: "أساور القرن"

الوصف

لم توثق الدراسات الاثنوغرافية، طريقة صنع أساور القرن، وتفيد الرواية المحلية، أن هذه الحلية كانت تصنع في بعض المناطق من قرن الماعز،[3] وتزين بحبات من النحاس، وتوقفت صناعتها والتزين بها منذ بداية النصف الثاني من القرن الماضي[4]

خاتمة

تحرص المرأة عادة على تزيين معصميها بزوج من الأساور بهدف خلق توازن جمالي بين اليد اليمنى واليسرى. كما تضع أكثر من إسورة واحدة في كل معصم، مستفيدة من كثرة أنواع الأساور المتوفرة لها والتي تجمع بين نماذج محلية، وأخرى "وافدة". وكانت لكل مجال جغرافي نماذجه الخاصة، فتنتشر الأساور الممتلئة ذات الأضلع المائلة (بيبودا/ بيركّن) في الأطلس الكبير الغربي وفي سهل سوس، وتنتشر الأساور المجوفة المزينة بمسامير فضية (ءيمخوان/ بوتودّوزين) في الأطلس الصغير الغربي، وتكثر الأساور المفتوحة من نوع (بويمي) في الأطلس الصغير الاوسط، وتنحصر الأساور الملساء المزينة بمجموعات السلك الغليظ وحبوب الفضة في جبال باني، وقد يعمد الحرفيون في هذه الواحات إلى لحم حليتين من هذا النموذج للحصول على إسورة مزدوجة فريدة ....وبالإضافة إلى هذه الأنواع المحصورة في مجالات جغرافية محددة، كانت إسورة (تانبالت) تشكل حلية "وطنية" بامتياز، وتتزين بها نساء مدن وقبائل سوس كما هو الحال في باقي مناطق المغرب.

وأخيرا كانت نساء العائلات المخزنية في المدن ومراكز الحكم، يتزين باسورة (شمس و قمر/ تافوكت د وايّور) التي كانت تجمع بين معدني الذهب والفضة في صناعتها. وكان هذا النوع من الأساور مظهرا من مظاهر انتماء بعض الأسر إلى دوائر السلطة، وارتباطها بالقيم الثقافية المنتشرة في الحواضر العريقة شمال الأطلس الكبير.

[1] **De Foucauld (Ch.), Reconnaissance, op.cit. p. 334.**

[2] **Goudard J., Bijoux, op. cit. p. 286.**

[3] **كان قرن الجاموس يستعمل بدوره لصناعة الأساور، انظر: Colin, Dictionnaire. op. cit.t. V7,p. 1749**

[4] **معلومات شفوية من المعلم الدوايج في أولوز.**

الفصل الخامس: حلي الأصابع

مقدمة

تنتشر في الجنوب المغربي أسطورة (حمو اونامير) الشهيرة التي تحكي قصة شاب من سكان الأرض ارتبط بالزواج بـفتاة من عالم السماء. وبعد أحداث مختلفة، تضطر الزوجة للرحيل بعد أن نبت لها جناحان، وصعدت نحو الفضاء. استطاع (حمو اونامير) أن يلتحق بها بعد رحلة طويلة مليئة بالمغامرات، وقضى معها في عالمها فترة من الزمن. وفي يوم عيد الأضحى، خالف نصيحة زوجته وأطل من مكان محظور على الأرض، فرأى أمه تمسك كبشا ولا تجد من يذبحه لها، فحاول أن يتواصل معها، وبعد فشل كل المحاولات، قفز نحو الأرض التي لم يبلغها إلا بعد أن تحول إلى نقطة دم واحدة سقطت على عنق الكبش فذبحته. وكانت القبائل تتداول روايات مختلفة لهذه الأسطورة، ولكنها تلتقي في الأحداث الأساسية وفي العديد من التفاصيل، ومن بينها أن الزوجة تركت قبل طيرانها خاتما للزوج[1]. وكان حضور الخاتم في أشهر أسطورة أمازيغية على الإطلاق دليلا على الأهمية الرمزية لهذه الحلية بالنسبة للمجتمع. مما حفزنا لتخصيص فصل كامل للتعريف بالخواتم التي لم تنل حظها كثيرا في الدراسات حول الحلي المغربية. وسنتبع خصائص هذه الحلية على مستوى المعجم، والتصميم، والأنواع، ثم سنرصد ظاهرة فريدة في المجتمع المغربي، وتتمثل في انتقال الخاتم من الأصبع نحو أعضاء أخرى من جسد المرأة.

أولا: عموميات

1) الاسم

وثق إميل لاووست الاسم الأمازيغي للخاتم بالجنوب المغربي في بداية القرن العشرين، وهو (تاوونست) وجمعه (تيويناس)[2]، ثم ورد بعد ذلك نفس الاسم عند جوردان في معجمه الصادر سنة 1934، أي (تاوونست)[3]، وجمعه (تيوونسين).[4] وأوضح لاووست بأن مصطلح (تاوونست) يدل أيضا علي فتحات شبكة الصيد[5]، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن هذا اللفظ يدل معجميا على الفتحة الدائرية سواء كانت عينا من عيون شبكة الصيد أو الحلقة التي تشكل المكون الأساسي الثابت في تصميم الخاتم[6].

---

[1] **Bounfour A., Poésie populaire berbère, textes recueillis par Arsen Roux, Paris, Edit. CNRS. 1990, p.100.**

[2] **Laoust E., " Pécheurs" . op.cit. p.339.**

[3] **Jordan A., Dictionnaire berbère français (dialectes tašlhit), Rabat, Editions Omnia1934, p. 136.**

[4] **ورد اسم الحلية بنفس صيغة المفرد المذكر عند الكاتبين، وهو (تاوونست). ولكنهما اختلفا في صيغة الجمع، لأن احدهما أورد الجمع السالم (تيوونسين)، والآخر جمع تكسير (تيويناس)**

[5] **Laoust E., " Pécheurs" . op.cit. p.339.**
يدل لفظ تاوونست لغة على الحلقة و الفتحة، ويستعمل جمعه "تيويناس" للدلالة على السلسلة المكونة من عدة حلقات مترابطة، أو على أقراط الأذن المكونة عادة من حلقتين كل واحدة منهما على إحدى جانبي الرأس.

[6] **أورد محمد شفيق في معجمه لفظ (تيسغت) كاسم امازيغي لخاتم الاصبع [شفيق، المعجم... الجزء الأول، ص.308]، وذكر بوزونسونو أن الاسم العام للخواتم في الأمازيغية هو (تاخات)،انظر:Besancenot, Costume. op. cit . p.155**

لقد صار لفظ (تاوونست) نادر الاستعمال في التداول الشفوي، وحلت محله أسماء أخرى للدلالة على الخاتم وهي:

- (لخاتم) في صيغة المذكر، أو(تالْخاتمت) في صيغة المؤنث.

- (لْفْتْلْ) وجمعه (لمفاتل)، وينتشر هذا الاسم في أماكن متفرقة في سهل سوس، والأطلس الصغير الغربي والاوسط، وواحات باني[1].

ويتعايش الاسمان -(لفتل) و(تالخاتمت)- احيانا في مجال واحد، ويخصص كل منهما لنوع محدد من الخواتم، فيطلق (لفتل) على الخاتم العادي المكون من حلقة بسيطة تحيط بالأصبع، ويطلق لفظ (تالخاتمت) على الخاتم المزين الذي تعلوه الزخارف[2].

2) الخاتم في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	نوعية الوثيقة	التاريخ	الصيغة
ءيمنتاگن[وثيقة10]	**جهاز**	**شوال 1129 (1717م)**	**خاتم فضة**
تالگجونت [وثيقة 20]،	**جهاز**	**صفر 1175 (شتنبر 1761م)**	**قلادة أيضا متاع ادّز مع الخَواتِمْ بأربعة وثلاثين اقية وربع**
اكادير، وثيقة 94]	**جهاز**	**23 شوال 1183 (فبراير 1770م)**	**ستة خواتم بأربعة عشر اوقية**
اكلو، الوثيقة 315]،	**جهاز**	**ربيع النبوي 1328 (1910م)**	**يد الخواتم**

ملاحظات:

من خلال الأرشيف الذي اطلعنا عليه، لم يرد الخاتم إلا في أربعة عقود جهاز:

- تعود أقدم وثيقة إلى شوال 1129هـ(1717 م)، وضمت خاتما واحدا من الفضة.

- اشتملت وثيقة أكادير بتاريخ 1183هـ (1770م) على ستة خواتم، ويبدو أن هذا العدد لم يكن اعتباطيا، إذ كانت النساء في المناسبات يزين عادة ثلاثة أصابع من كل يد بالخواتم .

- جَرَدَ عقدُ جهاز بتاريخ ربيع النبوي 1328 **(1910م)**"يد الخواتم". ويبدو أن "اليد" في هذا الاطار هي تحديد عدد الخواتم التي يضمها الجهاز.[3]

- وردت عبارة " **قلادة أيضا متاع ادّز مع الخَواتِمْ بأربعة وثلاثين اقية وربع** " في عقد جهاز من (تالگجونت) بتاريخ صفر 1175**(شتنبر 1761م)**. لا تسمح هذه الصيغة بتحديد إن كانت الخواتم ضمن

---

[1] يدل لفظ (لفتل) أيضا على نوع من أقراط الأذن . أنظر المرجع السابق نفسه .

2 معلومات شفوية من المعلم العربي اوبيهي بتيزنيت سنة 2019.

[3] يستعمل لفظ (ءافوس) –بمعنى اليد-كمرادف للفظ (تايّوكا) ومعناه زوج، ويقال: (ءافوس ن ءيدوكان) أي: يد البَلْغَة، ويقصد به: زوج البلغة. وفي الأطلس الكبير الغربي، يدل لفظ (ءفوس) على رقم عشرة اثناء عملية عد ثمرات الجوز، حيث يضع المكلف بالعد عشر ثمرات في يديه ويلقيها في الكيس. وبهذه الطريقة تحسب كمية الجوز تزايديا بعشرة ثمرات كل مرة.

مكونات القلادة إلى جانب حبوب الفضة (ءودّيز)، أم أن الخواتم كانت منفصلة ومعدة لتزيين الأصابع، ولكنها أثناء إحصاء عناصر الجهاز ادمجت مع قلادة (ءودّيز) لتسهيل عملية التقويم.

لا نعرف الأسباب التي كانت تجعل السكان لا يعيرون اهتماما لذكر الخواتم ضمن جرد مكونات حلي الجهاز؛ قد يفسر ذلك بقيمتها المادية المتواضعة مقارنة مع باقي الحلي، أو بعوامل أخرى يصعب الإحاطة بها حاليا. وبغياب الخواتم عن الوثائق العائلية نفتقد للمعطيات التي من شأنها أن تفيد في إعادة تركيب خصائص حلي الأصابع من حيث أسمائها وتقنيات إنجازها ومجالات انتشارها وتطورها عبر الأجيال[1].

3) أنواع الخاتم

يعرف الخاتم في سوس، وكما رأينا ذلك، بثلاثة أسماء، وهي: (تاوونست) و(لخاتم) و(لفتل). وإلى جانب هذه الأسماء العامة، تنتشر العشرات من المصطلحات الخاصة التي تحيل على أنواع محددة من حلي الأصابع، والتي يستمد كل نوع منها اسمه من طبيعة زخارفه وخصائص التقنية. و يتكون تصميم الخاتم، في أغلب قبائل الجنوب، من مكونين مستقلين، وهما: الحلقة التي تحيط بالأصبع، والزخرفة التي تعلو هذه الحلقة وتعطيها خصوصيتها، وتسمح بتميزها عن باقي أنواع الخواتم. ويصنع الصائغ المكونين بشكل منفصل ثم يدمجهما معا بتقنية اللحام أو الدسر. ويمكن تصنيف حلي الأصابع إلى نماذج مختلفة تبعا لنوعية الزخرفة التي تعلو حلقة الخاتم، ومن بين هذه النماذج:

- (بو تـكْريشت)، وتتدلى منه قطعة نقدية صغيرة.

- (بو تزرورت)، وتتدلى منه علاّقة فضية صغيرة[2].

- (بو وّاقا) أو (بوژلّا)، ومعناه: ذو الفص، ويُتَوِّجُهُ فصٌّ زجاجي.

---

[1] **تحدث الوزان عن حلي (ايداوعاقل) في الأطلس الكبير الغربي، وذكر أن من عادة نساء المنطقة أن "يعملن من الفضة [...] خواتم في اصابعهن". لا يعطي الوزان معلومات عن شكل هذه الخواتم ولا طريقة التزين بها، ولكن حرصه على الإشارة اليها قدر حرصه على الإشارة إلى باقي الحلي "الكبيرة الحجم" من مشابك وأقراط الأذن الضخمة وخلاخل السيقان، دليل على أن هذه الخواتم كانت لها أهميتها بالنسبة للنساء وأنها كانت تستحق ان تذكر. أنظر : الوزان الحسن ، مصدر سبق ذكره ، الجزء 1- ص. 110**

[2] **أنموذج من الخاتم ذو علاّقات معروف عند ايت سغروشن و مرموشة و يعتبر كخاتم زواج :**
Besncenot , Costume . op.cit. Pl. H2 , N° 30

- (بو تالّوزت)، ومعناه: ذو ثمرة اللوز، ويكون سطحه مزينا بشكل المعين الهندسي.

- (بو تفارنوت)، ومعناه: ذو تنور إنضاج الخبز، ويسمى أيضا (بو لقّوبت)، ومعناه: ذو القبة، وتعلو هذا الخاتم زخرفةٌ بارزة على شكل قبيبة صغيرة.

- (بو وّالن): معناه ذو العينين، لأنه مزين بزخرفتين على شكل دائرتين أو معينين هندسيين متجاورين.

- (بو تباشيلت)، ومعناه ذو القدم، وتزينه زخرفة على شكل قدم الانسان

- (بو تباكشّوت) أو (بو كبّوض)، وله زخرفة تشبه قبة صغيرة، لها شكل مثلث أو بيضاوي.. .

- (بوتبلاضت)، ومعناه ذو قطعة مستطيلة أو دائرية مستوية.

ثانيا : نماذج متميزة

1) خاتم (ءايت واوزكّيت)

يتميز خاتم (ءايت واوزكّيت) والمناطق الشرقية بحلقته العريضة المزينة بقطع من السلك المستوية التي تؤطر الزخرفة أو تتخذ شكلا متعرجا. كما يتميز بالفص أو الشكل الزخرفي الذي يعلو الحلقة والذي تسنده أحيانا أربع أعمدة صغيرة.[1]

2) خواتم الرأس في واحات جبل باني

تزين المرأة في واحات باني أصابعها بالخواتم الفضية ككل النساء في الجنوب، ولكنها تتوفر على نموذجين فريدين من الخواتم التي لها نفس تصميم حلي الأصابع، ولكنها كبيرة الحجم، وتستعمل لتزيين الرأس، وهي : (لفتل ن تكياض) و (ءادّلبايح)

[1] **Besncenot , Bijoux . op.cit. p.17-18**

أ- (لفتل ن تكياض)

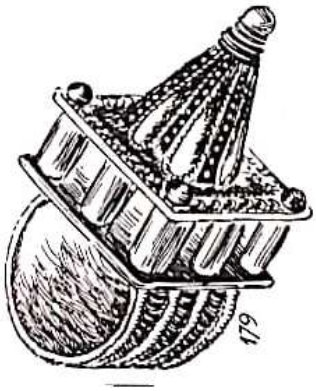

يسمى هذا الخاتم: (لفتل ن تكياض)،وجمعه (لفتول ن تكياض)، ويعني لغة: خاتم خصلات الشعر، وينتشر في واحات جبل باني كـ(أقا) و(تيسينت)[1]. ويتكون هذا الخاتم الضخم من حلقة واسعة وعريضة، ومن زخرفة بارزة مركبة من أعمدة صغيرة (تيغانيمين)، تحمل بدورها شكلا هرميا (تيرشت)[2] أو (تالقّوبت)،[3] وقد تضم بعض النماذج طبقتين من الأعمدة الصغيرة. ويشبه (لفتل ن تكياض)، من حيث تصميمه العام، الخاتم العادي الذي تزين به المرأة أصابعها، ولكن حجمه الضخم يجعله لا يناسب صغر أصابع اليد، ليقتصر دوره على مرافقة تسريحة الشعر.

ب- (ءادّلْبايح)

تسمى هذه الحلية:(ءادّلْبايح)، وجمعه (ءيدّلبايحن)، وتنتشر بدورها في واحات باني، وتتكون من حلقة منجزة بسلك غليظ دائري الشكل، ومن كرية كبيرة مجوفة مصنوعة من السلك الرفيع، وقد تزينها أحيانا حبوب من الفضة أو بعض النيال الزجاجي.

كانت خواتم الرأس- من (لفتل ن تكياض) و(ءادّلبايح) وغيرهما- تثبت بمفردها بشكل منفصل أو تدمج كل ثلاث أو خمس قطع منها لتزيين الجبهة أو الصدغ. أو تتدلى في طرف ضفائر الشعر[4]، ويذكر دافيد راووش أن هذه الحلي كانت تملأ بصوف مبلل بالعطر[5].

3) الخاتم المتعدد

تعتبر "الخواتم" المتعددة من النماذج الطريفة المميزة للحلي بالجنوب، وتتكون عادة من ثلاث أو أربع خواتم ملتصقة توضع حول عدة أصابع وتشكل حلية واحدة. ووثقت الدراسات الإثنوغرافية حضورها في طرفي سوس، بمنطقة (ءيمي ن تانوت) شمال الأطلس الكبير، وفي جبال باني جنوب الأطلس الصغير عند التخوم الصحراوية.

[1] **Rabaté J. et M.-R., Bijoux. op .cit. 169.**

[2] **معلومات شفوية من أحمد الفضي بـ(ايمي اوكادير)، فم الحصن.**

[3] **معلومات شفوية من المعلم بوكرين من طاطا.**

[4] **Besncenot , Bijoux . op.cit. p.18**

[5] **Raouch D. , op. cit. p.204.**

تميزت واحات باني بخاتم رباعي عريض مزين بالنيال الرصاصي، ومدعم في طرفيه بحلقتين لتدخل الأولى في الخنصر والثانية في السبابة، وكانت هذه الحلية تغطي السلاميات الأولى للأصابع الأربعة. وذكر بوزونسو أن هذه الحلية النادرة كانت منتشرة في واحات باني فقط[1]. وبعده بعقود ذكرت راباتي أن هذا الصنف من الخواتم اختفى تماما، وافترضت أن تكون صناعته توقفت مع توقف مراكز حرفية بائدة كانت تتقنه، أو أن الاذواق لم تعد تستسيغه فتم التخلي عن صنع المزيد من نماذجه[2]

وإذا انتقلنا إلى سلسلة الأطلس الكبير الغربي الممتدة شمال سهل سوس، سنجد نوعا آخر من حلي الأصابع المكون من ثلاث خواتم ملتصقة ومزينة بزخارف محفورة، وتتدلى من كل خاتم منها قطعة نقدية صغيرة مدعمة بمقبض رفيع. وكانت نساء عدة قبائل موزعة على سفحي الجبل يتزين بهذا النموذج من الخاتم "الثلاثي" الذي سيتقلص مجاله لاحقا، إلى أن ينحصر في المجال الممتد من (ايمي ن تانوت) في اتجاه (تاركّانت) نحو الجنوب الغربي[3] والقبائل المجاورة.

ثالثا: طريقة تزيين الأصابع بالخاتم

في أغلب المجالات التي شملتها دراستنا في كل من الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس والأطلس الصغير وواحات جبل باني وجبل سيروا والمناطق المجاورة، كانت العادة تقتضي أن تزين المرأة بشكل دائم ثلاثة أصابع من اليد اليسرى بالخواتم، فتضع خاتما أو اثنين في كل من الخنصر والبنصر والوسطى. ولم تكن تزين يدها اليمنى بالخواتم في الأيام العادية، لأن هذه الحلي قد تمنعها من التفرغ لأنشطتها المختلفة؛ بل ومن هذه الانشطة ما يمكن أن يتسبب في خدش الأصابع أو تكسير حلقة الخاتم[4]. أما في أيام الاحتفالات المختلفة، فكانت المرأة تحرص على وضع الخواتم في ثلاثة أصابع من كل يد، وقد تزين أحيانا بعض الأصابع بخاتمين.

---

[1] **Besancenot, J, Bijoux .op. cit. p.19 (forme 178)**

[2] **Rabaté M-R, Bijoux . op. cit. p.91**

[3] **Rabaté M-R, Bijoux . op. cit. p.170**

[4] **لا تستطيع المرأة أن تؤدي بعض الاشغال بسهولة وهي تضع الخاتم في يدها اليمني، وخاصة مسكَ المنجلِ الصغيرِ الذي تقطع به الأعشاب قبل نقلها للبقرة في الحظيرة، أو التحكم في العمود الخشبي الذي تسحق به محتويات الهاون، أو مسك الحجرة التي تُكَسَّرَ بها ثمار اللوز أو الجوز أو الأركان...**

تؤكد اللوحات الفنية التي نشرها بوزونسونو سنة 1953 أن النساء في مناطق مختلفة من المغرب كن يزين أصابعهن بنفس الطريقة، فيضعن الخواتم في ثلاثة أصابع من كل يد، ومن بين اللوحات التي تظهر ذلك بوضوح:

- فتاة من قبيلة (ءيسافّن) بالأطلس الصغير الأوسط، رسم: 43.

- امرأة من قبيلة (زايان) بالأطلس المتوسط، رسم: 20

- امرأة من (ءايت سغروشن) بالأطلس المتوسط . رسم: 22

- عروس من مدينة سلا، رسم: 10

- "حضَّارة" من مدينة فاس، وهي ضيفة الشرف التي تحتفي بها الأسر المحتفلة وتجلسها في مكان بارز. رسم : 12

-امرأة من المدينة تشارك في حفل ختان ابنها، رسم: 13

- امرأة من (دار المخزن) ترتدي أزياء فاخرة وحلي نفيسة. رسم: 14.

- امرأة من تطوان ترتدي القفطان، رسم :15

تنتمي النساء اللائي رسمهن بوزونسونو في لوحاته إلى مجالات جغرافية مختلفة، فمنها المدن كتطوان وسلا وفاس، ومنها المناطق القروية في كل من الأطلسين الصغير والمتوسط. لم يورد بوزونسونو رسوما لنساء من الأطلس الكبير الغربي، ولكن الذاكرة المحلية تؤكد أن المرأة كانت تزين ثلاث أصابع من اليد اليسرى في الأيام العادية، وتزين نفس الأصابع في اليد اليمنى في أيام الاحتفالات؛ وأكد دي سيكونزاك أن نساء قبيلة (ايت بولمان) التي زارها في الأطلس الكبير المركزي سنة 1905 بالقرب من زاوية (أحنصال) كن يزين ثلاث أصابع من كل يد بحلقات فضية[1].

يبدو أن بعض القبائل كانت لها تقاليدها الخاصة في وضع الخواتم في الأصابع[2]، ولكن النساء عموما في أغلب مناطق الدراسة كن يزين ثلاث أصابع في اليد اليسرى خلال الأيام العادية، ويبادرن إلى وضع الخواتم حول ثلاث أصابع في اليد اليمنى أيضا في المناسبات والاحتفالات.

---

[1] **Segonzac Mis de R., op. cit . p.43**

[2] **ذكر دوتي أن نساء قبيلة (ءيڭندافن) بالسفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي كن يزين سبابة وخنصر اليدين معا بالخواتم، وكان ذلك اثناء زيارته للمنطقة ما بين 1902 و1906. [Doutté E., Tribu. ,op. cit. p.77**

خاتمة

يبدو أن الخواتم كانت تلعب دورا ثانويا في تزيين الأطراف العلوية للجسد، وتكتفي المرأة عادة بوضع ثلاث خواتم في اليد اليسرى في الأيام العادية، وتضيف إليها ثلاث خواتم أخرى أيام الاحتفالات.

ويعتمد تصميم الخاتم على تركيب مكون من حلقة وزخرفة. وكانت الحلقة تسمح بتثبيت الحلية حول الأصبع، وتشكل في نفس الوقت قاعدة لحمل الزخرفة التي تعطي للخاتم خصوصيته وتسمح بتصنيف نماذجه المختلفة تبعا لتقنية محددة أو مجال جغرافي محدد. وقد تميزت بعض الخواتم بتصميمها الفريد، وخاصة منها الخواتم الثلاثية أو الرباعية التي تزين ثلاثة أو أربعة أصابع في نفس الوقت، ومنها أيضا خواتم ضخمة كانت تزين الرأس.

كانت الخواتم معدة أساسا لتزين أصابع اليد، ولكن النساء يعمدن إلى نظمها أو عقدها في قلائد أو في حلي جبينية، أو يظفرنها مع خصلات الشعر، أو ينثرنها بشكل متناسق على جانبي الرأس. فلكي تتخلص الخواتم من "منافسة" الأساور الموضوعة حول المعصم، لابد لها أن تبتعد عن الأصابع، وتسافر نحو العنق أو الرأس وخصلات الشعر، لتساهم بدور أكبر في إبراز أناقة المرأة.

الباب الثالث:
وظائف الحلي

الفصل الأول : الوظيفة الاقتصادية (الثروة والحلي)

مقدمة

اهتم الباحث الفرنسي يوزونسونو بدراسة الحلي في عموم المغرب، وفي المناطق الواقعة جنوب الأطلس الكبير بشكل خاص، وذلك خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي. وجمع هذا الكاتب بين هاجس الباحث الإثنواغرافي، وشغف الفنان التشكيلي، فأبدع في رسم نساء المنطقة وهن في كامل زينتهن، وتفنن في إظهار جمال الحلي في لوحاته ورسوماته، وحاول أن يُظهر في مؤلفاته ثراء عوالم الأناقة المغربية.

وجدير بالذكر أن المعطيات الدقيقة التي جمعها الكاتب ميدانيا في القبائل والمدن جعلته ينتبه إلى أن الحلي كانت تؤدي وظيفتين متكاملتين، إحداهما جمالية والأخرى اقتصادية، وأكد بأن الحلي في المجتمع الأمازيغي تعكس "تركيبة منسجمة تجمع بين الإدخار العائلي الذكي وأناقة المرأة"[1] .

كان بوزونسونو واعيا بأهمية الوظيفة الاقتصادية للحلي، ولكنه، وبحكم تخصصه وانشغالاته العلمية من جهة، وبالنظر إلى الفترة الزمنية التي أنجز فيها دراساته من جهة ثانية، فقد فضل التركيز على المقاربة الإثنوغرافية، واهتم بتوثيق الجوانب الجمالية والتقنية لهذا التراث، وعمل على تحديد إطاره الإثني والقبلي، وعلى رصد تنوعه المعجمي. وظل الباحثون بعده أوفياء لهذه المقاربة، واكتفوا بإثارة الوظائف التزيينية والرمزية لمنتجات الصياغة التراثية، وظلت الوظيفة الاقتصادية مهمشة رغم أهميتها الكبيرة بالنسبة للمجتمع المغربي.

أثار بوزونسو البعد الاقتصادي للحلي باقتضاب شديد، وقال بأنها كانت تمثل رأسمالا نقديا، وتلعب دور الحساب البنكي في حياتنا المعاصرة. وعند الحاجة المستعجلة إلى النقود، بسبب نقص المحصول أو بسبب تفشي وباء في قطيع الماشية، كانت الأسر تعمد إلى بيع بعض الحلي في السوق، وبعد تجاوز أزمتها، ستعمل على استعادة القِطَع الناقصة عندما تسمح المداخيل النقدية بذلك[2].

تؤكد الصور القديمة لنساء الجنوب، وكذلك الأوصاف الإثنوغرافية التي تركها لنا بعض الباحثين البعدَ الاقتصادي للحلي، وذلك لأنها تبرز العدد الكبير من القطع الثقيلة التي كانت تغطي مساحات كبيرة من جسد المرأة. قد يكون الإكثار من عدد الحلي محكوما بدوافع جمالية، وقد يكون مرتبطا بمعايير الذوق المحلية؛ غير أن هذه "المبالغة" تثير من جهة ثانية "الكلفة النقدية" للأناقة؛ فالصفائح الفضية، والمواد

[1] **Besancenot J., Bijoux . op. cit. p. XII**

[2] **Ibid. p . XII**

الثمينة الأخرى من خرز المرجان وكريات اللوبان الأصفر، كلها تشكل ثروة هامة من حيث وزنُها وقيمتُها المادية، ومن المؤكد أن اقتناءها تطلب تخصيص موارد مالية كافية.

لم تنل الوظيفة الاقتصادية للحلي الأهمية التي تستحقها على مستوى الدراسة والتحليل، ومساهمة منا في مقاربة هذا الميدان، سنحاول إثارة بعض القضايا المرتبطة بقنوات توزيع وتسويق الحلي من خلال دور المحاور الطرقية والملتقيات التجارية الموسمية والأسبوعية والسنوية، ثم سنستعرض أهم الموارد المالية التي كانت تسمح للأسر باقتناء منتجات الصياغة، وسنختم برصد مكانة الحلي في المبادلات التجارية بين السكان.

أولا: المحاور التجارية والأسواق

1) الطرق:

كانت شبكة كثيفة من الطرق تربط بين قبائل سوس، والمجالات الجغرافية الواقعة في اتجاه مراكش والشمال عبر الأطلس الكبير الغربي، أو في اتجاه الجنوب عبر الأطلس الصغير وجبل باني أو نحو الشرق في اتجاه درعة والجنوب الشرقي.

أ- الطرق عبر الأطلس الكبير الغربي:

كان السكان يتنقلون بين سوس في الجنوب، وبين مراكش وقبائل الحوز في الشمال عبر فجاج كثيرة موزعة على طول الأطلس الكبير الغربي، وتربط هذه المعابر بين الأودية المتقابلة الواقعة على سفحي الجبل. ولم تكن كل هذه الطرق مهيأة لمرور قوافل الجمال، وخاصة تلك المحاور التي تخترق تضاريس صعبة أو تجتاز فجاجا مرتفعة قد يصل علوها نحو 3000متر، فهذه الطرق الوعرة كانت تكتسي أهمية محلية بالأساس، ويقتصر استعمالها على القبائل المجاورة[1]، وتصلح لمرور البغال المحملة بالسلع، وقطعان الماشية بالإضافة إلى السكان بمن فيهم النساء والأطفال[2]. أما القوافل التجارية[3]، فكانت تفضل أربعة محاور محددة، موزعة على طول الأطلس الكبير الغربي انطلاقا من محور (**تيزي ن تلوات**) شرقا، ثم كل من محوري (**تيزي ن تاست**) و(**تيزي ءو ماشّو**) في الوسط، وصولا إلى الطريق الساحلية بموازاة المحيط الأطلسي في أقصى الغرب.

[1] **Célérier J., 1927, « L'Atlas et la circulation au Maroc », in Hespéris, p. 447-530, p. 474 = Célérier J., « L'Atlas ..»**

[2] **Montagne R., Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc, Collection Archives, Editions Afrique-Orient= Montagne R., Les Berbères**

[3] **و"الحَرْكاتْ" العسكرية أيضا**

+ طريق (تيزي ن تلوات):

ينسب هذا الطريق إلى فج (تيزي ن تلوات)، ويدل لفظ (تلوات) في الأمازيغية على "الحوض المنخفض"[1]. كان هذا المحور ينطلق من مراكش ومن دمنات في الشمال، ويصعد وادي (غدات) وصولا إلى (تيزي ن تلوات) التي يبلغ ارتفاعها حوالي 2000 مترا[2]، والتي كانت تقطعها الثلوج لبضعة أسابيع في فصل الشتاء.[3] وبعد تجاوز (تيزي ن تلوات) في اتجاه الجنوب، كانت الطريق تتفرع إلى محورين: يتوجه أحدهما نحو انعطاف وادي درعة للوصول إلى زاوية (تامكّروت)، بينما يتوجه الثاني نحو واحات (دادس)، و(تودغة) و(فركلة)، وصولا إلى واحات (غريس) و(زيز) و(تافيلالت)[4].

كان فج (تيزي ن تلوات) يسمى قديما: "باب درن"، ومنه كانت تمر الطريق الأكثر استعمالا للتوجه نحو بلاد السودان، ثم ازدادت أهميته مع العلويين لأنه يؤدي إلى تافيلالت مهد دولتهم. كما ارتبط هذا الطريق بأحداث أثرت على مرور بعض المحلات السلطانية، وخاصة خلال فترة مولاي إسماعيل سنة 1679 للميلاد، ثم في فترة السلطان مولاي الحسن سنة 1894 للميلاد[5]. وفي فترة المولى الحسن كان المزواريون، حكام قبيلة (ءيكّلوّا)، هم المسؤولون على أمن هذا الطريق، وعملوا على تسهيل مرور "حركة" السلطان. وقد استفادوا من أهمية هذا المحور سياسيا واقتصاديا، لتكوين قيادة مترامية الأطراف[6]، والتحكم في المبادلات التجارية في الاتجاهين، فكانت تعبر التمور والجلود في اتجاه مراكش، والمواد المصنعة والسلع الأوروبية نحو الجنوب والجنوب الشرقي[7].

+ طريق (تيزي ن تاست):

يُنسب هذا لمحور إلى فج (تيزي ن تاست) الذي يعني بالأمازيغية: فج البقرة[8]. كما ينسب إلى (واد نفيس)، فيقال له (ءاغاراس ن تّفيس)، وذلك لأنه بعد تجاوز الفج في اتجاه الشمال، يخترق هذا الطريق تراب قبيلة (تاكّنتافت) على طول (واد نفيس)، أحد روافد نهر (تانسيفت).

يمر هذا المحور عبر مجال تضاريسي يبدو من بعيد على شكل منخفض واسع وسط جبال الأطلس الشاهقة[9]. ويصل ارتفاع فج (تيز ن تاست) حوالي 2000 متر[10]، ويتلقى الثلوج بكثافة تجعل

---

[1] السبتي عبد الأحد ، بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2009،ص. 243.

[2] يبلغ ارتفاعه 2400 مترا . انظر المرجع السابق ، ص. 243

[3] Célérier J., « L'Atlas ..».op.cit. p. 478, et Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.13.

[4] Célérier J., « L'Atlas ..» op.cit. p.480

[5] السبتي عبد الأحد ، مرجع سبق ذكره ،ص. 243.

[6] Célérier J., « L'Atlas ..» ,op.cit. p.480

[7] Segonzac Mis de R., Au cœur de l'Atlas, mission au Maroc 1904-1905, Paris, 1910, Emile Larose Libraire Editeur , p.114.

[8] يستعمل السكان حاليا في الجنوب المغربي هذ اللفظ في صيغة الجمع، ويقال :(تيسيتان)، ومعناه: البقرات. أما المفرد (تاست) فقد اختفى من التداو ل، ولكننه بقي في أسماء الأماكن، وخاصة في طوبونيم فج (تيزي ن تاست) :محمد أو سوس، اماوال ن ءمودرن معجم حيواني (فرنسي-امازيغي-عربي)، مؤسسة تأو الت الثقافية – سلسلة معاجم (1) ص, 9 (طبعة رقمية)]

[9] Célérier J., « L'Atlas ..»,op.cit. p.474

[10] يبلغ ارتفاعه 2092 مترا . أنظر :السبتي عبد الأحد ، مرجع سبق ذكره ،ص. 243.

القوافل تتجنب المرور عبره لعدة أسابيع في السنة.[1] وكان هذا المحور يشكل أقصر طريق للانتقال من تارودانت وسوس جنوبا نحو مراكش والمناطق الشمالية[2]. لذا، اكتسى أهمية كبيرة منذ العصر الوسيط، وخاصة خلال فترة الموحدين الذين أقاموا بالمنطقة مركز تينمل قبل استيلائهم على مراكش، واستمر بفضل موقعه الاستراتيجي في صلب التجاذبات السياسية، إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين ظهرت على طول وادي نّفيس قيادة اسرة **(آيت الحسن)** الكنتافيين التي كانت تستفيد من هذه الطريق، وعملت على تأمينها بعدد من القصبات في كل من (تـكّـاديرت ن البور)، و(تالات يعقوب)، و(تاكّـندافت)[3]

+ (تيزي [ن] ءوماشو):

يعرف هذا المحور محليا باسم **(ءاغاراس ن ءوكّـلّيد)**، وتعنى حرفيا (طريق السلطان)[4]، ويعرف أيضا بـ(تابريدا)[5]، ومعنا الطريق الواسع. كما يعرف بـ(ءاغاراس ن تيزي ءوماشّو)، ومعناه طريق فج (ءاماشو)، نسبة إلى المعبر الشهير الواقع جنوب (ءيمي ن تانوت)؛ والمقصود بلفظ (ءاماشّو)، نوع من التربة الحمراء التي تميز الموقع[6]. وينطلق هذا الطريق من غرب سهل سوس، ويخترق السفح الجنوبي للأطلس الكبير صعودا عبر ممر (بيباون)،[7] و منه إلى (تاركّـانت)، وصولا إلى (ءيمي ن تانوت)[8] حيث يمكن للقوافل التوجه نحو مراكش شرقا. ويعتبر فج (تيزي ءوماشو) الواقع جنوب (ءيمي ن تانوت) من أهم مراحل هذا الطريق، وبما أن ارتفاع هذا الفج لا يتجاوز 1600 مترا[9] فإن الثلوج لا تقطعه عادة، ويبقى سالكا طوال السنة. كما كان ملائما لقوافل الجمال إلى جانب البغال والحمير[10]. وعند اختراق الأطلس الكبير في اتجاه الجنوب، كان الطريق بعد "نزالة" (تاركّـانت) يتفرع إلى محورين: يؤدي

---

[1] Célérier J., « L'Atlas ..» , op . cit. p.475

[2] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.13

[3] Célérier J., « L'Atlas ..» . op. cit. p.476

[4] يسمى هذا الطريق "ءاغاراس ءو كليد" لأنه كان اهم محور لتنقلات جيوش المخزن:
Berques J., Structures sociales du Haut-Atlas, suivi de retour aux seksawa, 2e édition, Paris, 1978,Presse Universitaire de France, p. 119.

[5] محمد زرهوني، العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في أعوام الستين من القرن التاسع عشر، جامعة الحسن الثاني-عين الشق-، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الاطروحات الرسائل: 5. مطبعة فضالة المحمدية 1988،.ص. 60.= زرهوني، العلاقات

[6] يدل لفظ (ءاماشّو) لغة على حيوان :"القط"، و تعنى اصطلاحا نوعا من التربة الحمراء التي توصف بكونها "عطشى لأنها نفاذة للماء. [بيرك البنيات 148]، ويشاع عن القط أنه يشرب الماء كثيرا.

[7] يمكن ترجمة (بيباون) بعبارة: "ثنية الفول"، انظر:السوسي، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، ج 10، ص, 196 ..

[8] عمر افا و الحسين افا، 2017، قبيلة مسكينة في سوس غرب الأطلس الكبير: بوابة سوس، الطبعة الأول ي 2017، مطبعة imprimerie EXPRIM'IMMPRESSION، ص. 170= عمر افا و الحسين افا، قبيلة مسكينة

[9] ذكر روبير مونطاني أن الإرتفاع لا يتجاوز ارتفاعه 1400 مترا، أما سيليري فذكر أن ارتفاعه يصل إلى 1600 مترا. أنظر :
Célérier J., « L'Atlas ..». op. cit. p.475
Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.13

[10] Ibid.p.16.

أحدهما إلى ميناء أكادير والمحيط الأطلسي غربا عبر (أمسكروض)، بينما يقصد الثاني تارودانت في اتجاه الشرق عبر فج (بيباون)[1].

ازدادت أهمية طريق (تيزي ءوماشّو) مع نهاية القرن الخامس عشر الميلادي. وترسخت العناية به منذ وصول السعديين الذين استغلوه لضمان تدفق المحاربين من سوس، بالإضافة إلى توجيه مداخيل زراعة السكر نحو عاصمتهم في مراكش،[2] وضمان نقل ذهب السودان الذي كان يوجه بدوره نحو العاصمة[3]؛ ومع قيام الدولة العلوية، سيواصل هذا المحور لعب دور "طريق المخزن" للربط بين مراكش والجنوب[4]. وتطلَّب تأمين هذا الشريان التجاري والعسكري إقامةَ مجموعة من القصبات على طول الطريق في فترة السعديين، ثم قام مولاي إسماعيل بتجديدها لاحقا كقصبة (ايمي ن تانوت)، وقصبة (بن تاكمّوست)، جنوب (تيزي ءوماشّو)، وقصبة أخرى قرب (تارڭانت)، وقصبة (أمسكروض)[5].

+ الطريق الساحلي:

ساهم انخفاض تضاريس الأطلس الكبير في طرفه الغربي عند المحيط الأطلسي في ظهور طريق "ساحلية" تربط بين سهل سوس جنوبا وميناء الصويرة في الشمال. كان هذا الطريق الذي يمر عبر تراب قبائل (ءيداوتنان) و(ءيحاحان) يعرف بعض الصعوبات التي تعوق السير العادي للقوافل، خاصة بسبب انحدار آخر هضاب الأطلس، وبسبب مجرى الأودية الجافة قرب المحيط[6]. وكان هذا المحور يربط قديما بين ماسة جنوبا، وميناء (ڭوز) شمالا، على مصب نهر تانسيفت، ولكن تراجعت أهميته عقب قيام البرتغاليين بتخريب معظم المعالم العمرانية، التي كان يربطها في منطقة (ايحاحان). وبعد انشاء الصويرة، على عهد السلطان محمد بن عبد الله، سيسترجع الطريق حيويته[7]، وسيضطلع بدور أساسي في الحركة التجارية بين سوس والمدينة الناشئة[8]. .

---

[1] Célérier J., « L'Atlas ..». op.cit. p.475

[2] Ibid. p.476

[3] محمد اقديم، التحولات السوسيوتاريخية في منطقة الأطلس الكبير من افّيفن إلى إمنتانوت مساهمة في كتابة التاريخ المحلي، منشورات دار الأمان، مطبعة الأمنية الرباط 2016،ص, 352-353.

[4] Célérier J., « L'Atlas ..». op. cit.p.476

[5] Ibid.

[6] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.15

[7] محمد زرهوني، العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في أعوام الستين من القرن التاسع عشر، جامعة الحسن الثاني-عين الشق-، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الاطروحات الرسائل: 5. مطبعة فضالة المحمدية، 1988. ص. 58 = محمد الزرهوني، العلاقات.

[8] أجرت السلطات الفرنسية إحصائيات عن عدد الدواب التي مرت بمركز (تمانار) سنة 1926 في اتجاه الجنوب، وكان عددها 3000 جمل، 1800 حمار، 150 من البغال، أنظر: Célérier J., « L'Atlas ..». op. cit. p.466

ب-الطرق عبر الأطلس الصغير

عديدة هي المسالك التي كانت تخترق الأطلس الصغير، وتؤمن انتقال السكان من جبل باني والواحات الصحراوية، نحو سهل سوس والمناطق الشمالية. فالقادم من واحات (اقا) و(طاطا) يمر عبر قمم قبائل (ءيدا وكنسوس) و(ءينداوزال) بالأطلس الصغير الأوسط، قبل النزول إلى سهل سوس بالقرب من النقطة التي ينطلق منها الطريق المتوجه إلى مراكش عبر (تيزي ن تاست) بالأطلس الكبير.[1] أما القادم من الصحراء، عبر واحات (تامانارت) و(ءيفران)، فيمر عبر بلاد (أمانوز)، ففج (تيزي ن ترقاتين) ومنطقة (ءيداوكّنيضيف) و(ءايت مزال) بالأطلس الصغير الغربي، قبل أن يصل إلى سهل سوس[2]؛ ويقابله في الأطلس الكبير الغربي المعبر المار من (تيزي ءو ماشّو)[3]. ويوجد طريق آخر بمحاذاة الساحل، حيث ينخفض الأطلس الصغير في طرفه الغربي ليخترقه ممر[4] سالك بالنسبة للقوافل، عبر تراب قبيلة (آيت باعمران) ثم سهل تيزنيت و(ءاشتوكن)، ويلتقي شمال أكادير مع المحور الساحلي الذي ينطلق في اتجاه الصويرة[5].

تلتقي الطرق القادمة من مراكش و(الحوز)، عبر فجاج الأطلس الكبير الغربي، مع الطرق المتوجهة نحو الصحراء عبر سهل سوس والأطلس الصغير، وتضمن كلها انتقال السكان والسلع في اتجاه عمودي بين الشمال والجنوب. وتتقاطع هذه الطرق مع محاور أخرى تسمح بالتنقل في خطوط أفقية بين الشرق والغرب، وتساهم في توسيع شبكة التنقلات بين مختلف جهات الجنوب، ومن أهمها تلك الطريق التي تربط بين المحيط الأطلسي غربا، ودرعة في أقصى الشرق، والتي تنطلق من أكادير في اتجاه (سيدي بوسحاب)، و منه إلى (هوارة)، ثم إلى تارودانت[6]، ومن هذه المدينة تستمر الطريق نحو درعة و(تامكّروت)[7]، ويكون الانتقال بين سهل سوس غربا ودرعة شرقا عبر ممر طبيعي يفصل بين الأطلسين الكبير والصغير [8].

ت- الأَمْن:

كانت هذه الشبكة المتكاملة من الطرق تسمح بتجاوز كل العقبات التضاريسية، فترتقي محاورها اسفوح الجبال، وتعبر الفجاج المرتفعة، ثم تواصل مسارها على طول الأودية المتعرجة في اتجاه السهول.

---

[1] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.15

[2] Montagne R. Un Magasin collectif de l'Anti Atlas : l'Agadir des Ikounka, Hesperis, T : IX, 1929, ,p151= Montagne R. , « Ikounka ».

[3] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.16

[4] Célérier J., « L'Atlas ..». op. cit. p.468

[5] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.16

[6] عمر افا و الحسين افا، قبيلة مسكينة ، مرجع سبق ذكره ، ص. 170.

[7] Célérier J., « L'Atlas ..». op. cit. p.475

[8] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.13

وكي تؤدي الطرق هذه وظيفتها، في هذه مجالات جغرافية متنوعة، كانت تُهَيَّئ تبعا لمعايير محددة من حيث الاتساع، ودرجة الميلان، وشكل المنعرجات، حتى تسمح بمرور القوافل المكونة من الجمال وغيرها من الدواب. وقد لاحظ هوكر سنة 1871 أن مسالك الأطلس الكبير الغربي كانت منجزة بإتقان، ومهيأة على شكل منعرجات لتسهيل مرور الدواب المثقلة بالأحمال[1]. وكانت هذه المسالك تتعرض لتأثير الرياح والثلوج والتساقطات المطرية، بالإضافة إلى الاستعمال الكثيف من طرف السكان ودوابهم، مما كان يفرض العناية بها باستمرار، وإصلاحها بانتظام. ونشير في هذا الإطار إلى شهادة لوموان الذي مر بالأطلس الكبير الغربي سنة 1904، والذي قال بأن طريق (تيزي ن تلوات) المتوجهة نحو مراكش، مثلا، كانت مصانة بشكل مناسب، بل وشبهها بالمسالك التي يحرص الفرنسيون على العناية بها في منطقة الألب ببلادهم[2].

كان المسافرون والدواب المحملة بالسلع، يتنقلون أحيانا عبر طرق ومسالك تنعدم فيها الينابيع والمياه الجارية والآبار، فتكون الوسيلة الأساسية للحصول على هذه المادة الحيوية هي (النطفيات)، ويقصد بها: خَزَّانات محفورة في الصخر أو في تربة صلبة ومطلية من الداخل بطبقة من الجير، ومغطاة بقبة طويلة من الحجارة[3]. وكانت هناك (نطفيات) على طول المحاور المنطلقة من الأطلس الصغير الغربي نحو الأطلس الكبير[4]، ومن الأطلس الصغير الأوسط وصولا إلى الصويرة[5]، وفي غيرها من المحاور التي تربط بين مختلف القبائل والمدن[6].

داوم التجار على قطع المسافات الطويلة لإيصال السلع إلى زبنائهم مستفيدين من الظروف المناسبة لتنقل القوافل عبر طرق مهيأة بعناية ومصانة بانتظام، ومن توفر الماء للمسافرين وللدواب. غير أن نقل الحلي، باعتبار وزنها الخفيف وقيمتها المرتفعة، كانت تحتاج، قبل كل هذه "التسهيلات اللوجيستيكية"، إلى توفر الأمن في الطروقات. وبالفعل فقد كانت المحاور التجارية تنعم بالأمان بفضل

---

[1] Dalton Hooker J., Journal of a tour in Marocco and the great atlas, Macmillan And Co, London, 1878. P.221.

[2] Lemoine, P., Missions dans le Maroc occidental (1904), publications du comité du Maroc, Paris, 1905,p.117.

[3] Humbert A. et Herbert Popp, L'Anti Atlas une montagne méconnue, éditeur IRCAM, imprimerie El Maarif Al Jadida, Rabat, , 2016p.47, = Humbert A. et Herbert Popp, L'Anti Atlas

[4] هناك مثلا سلسلة نطفيات للماء إزاء الطريق الاتية من (تيلكّات) بالأطلس الصغير الغربي إلى (ءامسكروض) بالأطلس الكبير. السوسي، خلال جزولة، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثاني.ص. 140.

[5] لاحظ شارل دوفوكو سنة 1884 عدة نطفيات في طريقه من قبائل(ءيسافّن) و(ءييركاك) بالأطلس الصغير الأوسط في اتجاه ميناء الصويرة: DE Foucault Ch , op. cit. p. 171.

[6] أمر السلطان سيدي محمد بن عبد الله ببناء خزانات كبيرة على طول المسافة بين (أمكدول) ومراكش، في أماكن مختلفة تجتمع فيها مياه الأمطار في فصل الشتاء، وبعد أن تم إصلاح هذه الخزانات في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان، صارت ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمسافرين. أنظر: أحمد صابر، رحلة سفارتين اسبانيتين إلى مراكش: رحلة السفير فرسنثكو ميري أي كلوم إلى مراكش 12 مايو 22 يونيو 1863، الرباط، 2003،ص. 89.

تدابير متعددة، بعضها من اختصاص المخزن، والبعض الآخر مرتبط بمبادرات القبائل التي تتحمل مسؤولية ضمان سلامة المسافرين على ترابها[1].

كانت القصبات المخزنية وقصبات القواد والزعماء المحليين موزعة على طول الممرات التي تخترق الجبال[2]، والتي كانت تؤدي وظائف عديدة، وخاصة توفير الأمن للقوافل التجارية. أما في الليل فإن المسافرين يتوقفون في محطات تعرف بـ(النزايل) كانت معدة لاستقبالهم وإيواء دوابهم وحماية سلعهم. وهي محطات مرتبة على امتداد طرق المخزن، وتوفر للمسافرين والقوافل المبيت. كما أنها توفر إمكانية التموين بمواد مثل البيض والدجاج والعلف للدواب، وكان التجار يستفيدون من كل هذه الخدمات مقابل دفع رسوم محددة. وكان طريق (تيزي ءوماشو) نموذجا لطريق المخزن الذي كان السلطان يشرف على تنظيم حراستها، وقام بتفويض تسييرها لبعض القبائل، لتشكل محطات لاستراحة وتموين المسافرين والقوافل.[3]

ساهمت النظم الاجتماعية القبلية بدورها في توفير الأمن للقوافل التجارية، وتشجيع تنقل الأشخاص والسلع، فالقبائل كانت تعمل على توفير الأمن في الفجاج والطرق و(النزلات) التي تقع في ترابها، ومقابل ذلك، يحق لها أن تُحَصِّل مداخيل على شكل مبالغ مالية محددة تُفرض على الأشخاص ودواب الحمل وقطعان الماشية. ولكن هذه القبائل كانت مطالبة بدفع التعويض في حالة تعرضت الممتلكات للسرقة أو تعرض المسافرون للضرر على أراضيها[4]. كما كانت (تازطّاط) من الممارسات الشائعة في أماكن كثيرة من المغرب[5]، وبواسطتها كان المسافرون يتمكنون من عبور تراب القبائل الأخرى، عن طريق الاستعانة بأفراد من هذه القبائل الذين يرافقونهم ويسهرون على أمنهم وسلامتهم. وكان الشخص المرافق للمسافرين والقوافل في الجنوب يسمى (أزطّاط)[6]، ويتلقى تعويضا محددا مقابل خدماته.

وكانت الطرق التي توصل إلى السوق الأسبوعي والموسم السنوي (ءانموگّار) تحظى بعناية خاصة من طرف "المشرع القبلي"، وكانت القوانين المحلية المكتوبة تنص على ضمان أمن هذا الملتقيات التجارية، كما تضمن أمن الطرق التي توصل إليها، وتعاقِبُ بصرامة كل من يهدد سلامة التجار والسلع

---

[1] الزوايا الدينية كـ(إيليغ) و(تامگروت) كانت تستفيد من نفوذها الرمزي لدعم سلطتها الاقتصادية من خلال مراقبة المحاور الطرقية والمساهمة في المبادلات التجارية. أنظر : عبد الاحد السبتي ، مرجع سبق ذكره ، ص. 40

[2] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.1 6

[3] غالبا ما يتبرأ المخزن من كل مسؤولية حين يخيم المسافرون خارج النزالة ، أنظر : عبد الاحد السبتي ، مرجع سبق ذكره ، ص. 40-41

[4] Montagne R., " L'Aghbar" . op.cit. p7.

[5] عبد الاحد السبتي ، مرجع سبق ذكره ، ص.40.

[6] ذكرأ قديم أن تازطّاط مشتقة من (ءازطّا) أي النسيج، و ذلك لأن عملية النسيج تقتضي بدايتها حركة سريعة من الذهاب و الإياب، فأطلق اسم ازطّاط تشبيها في السير ذهابا و إيابا على مرافق القوافل التجارية لعبور المجال الترابي لقبيلته. [أقديم، مرجع سبق ذكره ، ص.67.] أما جورج مارسي فيشير الى أن الشخص المكلف بتقديم الحماية في منطقة (ايت جلداسن) بـ(أيت وارواين)، كان يقدم قطعة من ثوبه (التي تسمى (ءازطّا) لطالب خدماته كضمان على التزامه بمرافقته . انظر :

Marcy G., "Une tribu berbère de la confédération des ait Warain :Les Ait Jellidasen", Hespéris, 1929, pp. 79 - 143, p.141.

على الطرقات أثناء تنقلهم في الذهاب أو الإياب بين قراهم وقبائلهم، من جهة، وبين أماكن انعقاد الأسواق والمواسم، من جهة ثانية[1].

2) الأسواق

أ- الأسواق الأسبوعية:

تمارس المبادلات التجارية بانتظام داخل المدن في (القيسريات)، و(الفْنادْق)، و(الرٌّحْبات) المهيأة لهذه الغاية. كما تقام أسواق أسبوعية خارج الأسوار لاستقطاب سكان القبائل المجاورة، وكان من العادة أن تقام هذه الأسواق يوم الخميس سواء خارج مراكش أو خارج تارودانت[2]. ثم خارج تيزنيت لاحقا.

وبعيدا عن أسوار المدن، تنتشر أسواق أسبوعية في المجالات القروية، فكان لكل مجموعة يوم محدد تنظم فيها سوقها[3]، وفق برمجة مضبوطة، موزعة على مختلف الأيام، مما يعطي لسكان القبائل المتجاورة إمكانية ارتياد أي سوق قريب لاقتناء الحاجيات دون الاضطرار لانتظار أسبوع كامل لانعقاد السوق الخاص بكل قبيلة. كما تم الحرص على تفادي تنظيم سوقين متقاربين في نفس اليوم، لتجنب التنافس بين الملتقيات التجارية المتجاورة[4]. ويمكن تصنيف الأسواق بالوسط القروي إلى فئتين مختلفتين من حيث الموقع وأهمية المبادلات، وعدد المرتادين:

+ الأسواق المتواضعة: التي تعقد لفائدة عدد محدود من القرى في الجبل أو في الحدود بين تجمعين أو ثلاثة تجمعات. ويتكون السوق من ساحة صغيرة تحيط بها أحيانا دكاكين بسيطة من الحجر الجاف[5]، ويعرض فيها الباعة سلعهم. ويجتمع حوالي مائة شخص في هذا المكان مرة في الاسبوع. ويقوم أعيان المنطقة بالإشراف على الأمن.

+ الأسواق الهامة: التي تقع على طول المحاور الكبرى للمرور[6]، أو تلك الواقعة عند قدم الجبل [7]... وتكون عبارة عن فضاءات كبيرة، وتضم أحيانا مئات من الدكاكين الصغيرة المبنية بالتراب والحجارة الجافة، وتكون مقسمة إلى عدة فضاءات (رْحْبات)، و يكون بها مسجد، و"مقاهي" متواضعة,,, ويحج

---

[1] **Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.265**

[2] **ديكو دي طوريس، مرجع سبق ذكره ، ص. 58 و168**

[3] **كانت بعض المراكز التجارية النشيطة تعقد فيها السوق يوميا كما هو حال قرية (اكادير) في (تيسينت) التي كانت تتركز فيها تجارة الواحة، يرتاده الامازيغ من القبائل المجاورة، والرحل من المنطقة من اجل اقتناء التمر ولحبوب والزيت ومنتجات أوروبا مثل الخونت والسكر والشاي. أنظر : DE Foucault Ch , op. cit. p. 171.**

[4] **Lemoine, P., Missions dans le Maroc occidental (1904), publications du comité du Maroc, Paris 1905, p.265**

[5] **بدون ملاط من الطين والماء**

[6] **مثل (جمعة ايت دا ود) عند (ءيدا وبوزيا) بمنطقة(ءيحاحان)، و (احد ايت مزال بالأطلس الصغير، انظر: Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.250**

[7] **كما هو حال سوق (امزميز) وسوق (تيسكين) بكدميوة: .,ibid**

إليها سكان قبائل بعيدة قادمين من مسافة مسيرة يومين، و يجمع عدة الاف من المتسوقين، مما يتطلب إجراءات دقيقة لحماية المبادلات[1].

كانت الأسواق على العموم تخضع لتراتبية تبعا لموارد المجال، وعدد الساكنة، والموقع بالنسبة لمحاور المرور، وأهمية المبادرات التجارية؛ وتشكل بكل مستوياتها شبكة متكاملة من الفضاءات التجارية التي تسمح بإيصال السلع من الموانئ والمدن نحو أبعد القرى وأقلها كثافة من حيث السكان.

تكون الأسواق أحيانا مشروعا اقتصاديا مرتبطا بدوافع "إحسانية"، وقد اشتهر في هذا المجال العالم الصوفي حسين الشرحبيلي الذي نظَّم في أواخر حياته جولة كبيرة في جميع قبائل سوس في طائفة من الطلبة من أصحابه ما بين 1141هـ و1142 هـ، وسعى في المصالح العامة، وفصل قضايا النزاعات بين القبائل، وقسم مياه العيون بين المستفيدين بطريقة مقبولة من طرف الجميع، وأقام الأسواق من بينها : سوق الخميس في قبيلة (ايت باعمران) ، وسوق الثلاثاء في (لاخصاص) وسوق الجمعة في (تيمولاي) والخميس في (تاغجيجيت)[2]...

+ وظائف السوق:

يكتسي السوق أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع المحلي بالجنوب المغربي، وتتجاوز وظائفه البعد التجاري لتلامس الجوانب الاجتماعية والسياسية والفنية؛ فيقصده السكان من أجل القيام بعمليات البيع والشراء، ولقاء الأصدقاء، وحل النزاعات حول الأرض والمراعي[3]. وفيه تعقد القبيلة اجتماعاتها لاتخاذ القرارات الحاسمة حين يداهمها خطر خارجي[4]. وفي السوق يمكن الاستمتاع بالعروض الموسيقية والفنية التي تؤديها فرق من الفنانين المتجولين، وفيه يمكن الاستفادة من خدمات الحلاقين ومتعاطي الطب [الشعبي][5]. وكان الناس يقصدون السوق أيضا للاطلاع على الأخبار[6]، حيث يتحول الفضاء التجاري مرة في الأسبوع إلى "منصة إعلامية" تسمح بالاطلاع على الجديد في المجالات السياسية والاجتماعية والفنية، والاقتصادية. وفي المجال التجاري، كان السوق مناسبة لتتبع أخبار وضعية العرض والطلب،

---

[1] Ibid. p. 50

[2] السوسي ،المعسول ، مصدر سبق ذكره ، الجزء 18، ص. 240-245

[3] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.250

[4] Ibid. p. 169.

[5] De Chenier M., Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc, volume:3, Paris, 1787. p.114

[6] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p. 249, et Lemoine op. cit. p.87.

وتيرة البيع والشراء، وتقلبات الأسعار، مما يحوله إلى نوع البرصة المنتظمة، فيشكل مرجعا طوال الأسبوع لتحديد أثمنة السلع في المعاملات التي تتم بين السكان في قراهم. وكان تقويم جهاز العروس من العمليات التي تعتمد على أثمنة السوق كمعيار مقبول من لدن كل الأطراف أثناء تحديد القيمة مكونات الجهاز من أواني نحاسية وملابس وغيرها. وكانت الحلي بدورها تعتمد على السوق في تحديد أثمنة بعض مكوناتها التي لا توزن كاللبان والقرنفل والمرجان.

ب- السوق الموسمي : (ءانموڴار)

يطلق على (الموسْمْ) في الجنوب لمغربي اسم: (ءانموڴار)، وجمعها (ءينموڴارن)، ويعني هذا اللفظ لغة الملتقى، ويحيل اصطلاحا على الملتقيات الدينية والتجارية التي تقام عادة بالقرب من أضرحة الصلحاء وتستقطب أعداد كبيرة من الرواد. وكانت أيام انعقاد (ءانموڴار) مناسبة لتمتين التحالفات، وتدبير الخلافات السياسية والأحلاف والتحالفات...، وعقد المصاهرات[1]، والاستمتاع بالعروض الفنية القادمة من مناطق متباعدة. ويشكل (ءانموڴار) فرصة ملائمة للمبادلات التجارية، حيث يسمح بعرض السلع التي قد لا تتوفر في الأسواق الأسبوعية العادية. وكانت ظاهرة المواسم التجارية متجذرة في تاريخ المنطقة، فقد ذكر حسن الوزان، عند حديثه عن مراكز إقليم (حاحا)، أن سكان مدينة (اديكيس) كانوا يمارسون التجارة، ويلبسون "الثياب الانيقة، ويمتلكون الخيل الفارهة". ويقيمون كل سنة سوقا يجتمع فيه سكان الجبال المجاورة[2].

كانت ملتقيات (ءانموڴار) السنوية تشكل نوعا آخر من الأسواق المتميزة باتساع إشعاعها وكثرة روادها، وضخامة كمية السلع التي تعرض فيها[3]. وتنظم ملتقيات مختلف القبائل بالتتابع خلال الفترة الممتدة ما بين نهاية شهر مارس، وبداية فصل الخريف[4]، ويقصدها الزوار من قبائل بعيدة تفصلها مسيرة أيام عن مكان انعقاد (ءانموڴار)[5].

وكانت أكبر الملتقيات السنوية في سوس تجمع بين البضائع المحلية، والمنتجات المصنوعة في مدن الشمال أو في أو روبا،

[1] كما هو الحال في موسم (ءيمي اليمايس) بالأطلس الكبير الغربي، و موسم سيدي احمد ءو موسى في تازروالت...
[2] الوزان الحسن ، مصدر سبق ذكره ، ج. 1، ص. 101
[3] إبراهيم ياسين، جنوب طلس مراكش تحت حكم الفرنسيين و القادة الكلأو يين : اثار الاحتلال الفرنسي لبلاد ايت وأو زكيت، دار ابي رقراق للطباعة و النشر الرباط, 2003، ص,303
[4] Gatell J., "Description du Sous, 1871", Bulletin de la Société de Géographie (Paris). 1871/01-1871/06 pp.81-106. p.101.
[5] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.250

بالإضافة إلى سلع بلاد السودان[1]. وكان الصاغة يحرصون -وكباقي ممارسي الأنشطة الحرفية الأخرى- على التنقل إلى "المواسم" لعرض حليهم، والمشاركة في هذه المعارض المفتوحة، التي كانت منتشرة في أغلب قبائل الجنوب.

يُعَدُّ موسم (تازروالت) من أبرز الملتقيات التجارية على صعيد الجنوب المغربي، وكان يستقطب سكان القبائل من أحواز مراكش إلى تيندوف[2]، وكان ولفترة طويلة **"الوحيد في العظمة، والمتخذ سوقا عامة تروج فيها البضائع"**[3]. وكان هذا الـ(أنموكـار) يستقطب التجار من مختلف الافاق، لعرض بضائع من أصناف كثيرة[4]، بما فيها الحلي الفضية التي يحضرها الحرفيون القادمون من مراكز الصياغة بالأطلس الصغير الغربي وسهل سوس[5].

يعتبر موسم (ءيمي ن تاتلت) أهم ملتقى تجاري بالأطلس الصغير الأوسط[6]، ويعقد خلال شهر أبريل من كل سنة بجوار مقر زاوية (سيدي محند ؤ يعقوب)، في منقطة استراتيجية لتبادل الصناعات الواحية والجبلية [7]، وتتقاطع فيها الطرق القادمة من واحات باني في الجنوب، وكتلة سيروا [والأطلس الكبير] في الشمال، ووادي سوس في الغرب، ودرعة في الشرق[8]. وكان هذا الموسم من بين أكبر الملتقيات التجارية بسوس، وخاصة في ما يتعلق بتسويق منتجات الصناعات الحرفية الجهوية[9]، وكان يستقطب الصاغة المسلمين من قبيلة (تاكموت) والصاغة اليهود من مركز (ءيغيل ن ءوغو) بقبيلة (ءيسكتان)[10] ومن باقي مراكز الصياغة بالمنطقة.[11]

---

[1] de Foucault Ch , op. cit. p. 169

[2] Le Chatelier, A., Tribus du Sud-Ouest marocain : bassins côtiers entre Sous et Drâa‹1891, p.44

[3] محمد المختار السوسي، الرؤساء السوسيون في العهود الأخيرة من أو اخر القرن الثالث عشر إلى أو اسط القرن الرابع عشر الهجريين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط الطبعة الأولى، 2010، ص. 253= محمد المختار السوسي، الرؤساء

[4] كان موسم تازروالت ينفرد بسوق رائجة للكتب . أنظر ، السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، ج 9، ص, 254,

[5] معاينة ميدانية بتاريخ غشت 2010، و كان باعة الفضة يعرضون الحلي في دكاكين مجتمعة في زقاق خاص.

[6] عمالة إقليم طاطا

[7] ايت عدي واسمهري ، مرجع سبق ذكره ، ص, 212.

[8] Bert Flint « Essai d'inventaire des styles dans les arts populaires du Maroc », Maghreb art 2, pp.31 – 44

[9] كان يستقبل هذا (الموسم)انتاجات حرفيي النحاس الأصفر والنحاس الأحمر من قبائل الأطلس الصغير الأوسط، انظر
Naji S., Fils de saints contre fils d'esclaves : Les pèlerinages d e la Zawya d'Imi n'Tatelt (Anti-Atlas et Maroc présaharien) », Editeur : Centre Jacques-Berque, collection : Description du Maghreb, Angers,2011, p.105. = Naji S., Fils de saints

[10] Bert Flint , op. cit.p.38.

[11] Naji S., Fils de saints , op. cit. p.104

ولابد من الإشارة إلى أن الصائغ اعتاد ارتياد الأسواق الأسبوعية بانتظام، من أجل بيع المنتوج وتحقيق الربح المادي، أما زيارته لـ(ءانموڭار) فإنها، وبالإضافة إلى طابعها التجاري، كانت تكتسي طابعا روحيا من خلال استحضار العلاقة التي تكون عادة بين الولي الذي يقام الموسم بالقرب من ضريحه، والحرفيين الذين كانوا مطالبين بزيارته، طلبا لمباركة صَنْعتهم[1].

وكان الزبناء بدورهم يفضلون اقتناء الحلي في المواسم كما هو الشأن بالنسبة لباقي السلع والمواد. ويفسر هذه الإقبال، أولا، بوفرة العرض وجودة المنتوج، ثم في الاعتقاد بأن الحلي المقتناة في الموسم لها طابع خاص، وذلك لأنها مرتبطة بمعاني التفاؤل واليمن والخير؛ وهذا ما يجعل النساء يحرصن على التزين بقطع حلي مشحونة ببركة (ءانموڭار)[2].

ت- أسواق ومواسم النساء:

تمكن الأسواق والمواسم من مقاربة مكانة النساء في المجتمع التقليدي بالجنوب من زاوية اقتصادية واجتماعية. فالمرأة ترتاد التجمعات التجارية الأسبوعية أو السنوية سواء في إطار نسوي خاص أو في إطار يجمع السكان من الجنسين، وفي كلتا الحالتين كانت المرأة تساهم بشكل مباشر في المبادلات التجارية، فتبيع وتشتري، وتحقق أرباحا مالية، وتبقى على اطلاع دائم على تفاصيل الحركة الاقتصادية في محيطها القبلي. وكان حضور المرأة في الملتقيات التجارية يختلف من مجال جغرافي لآخر، فإذا كانت أغلب القبائل تسمح بحضور النساء إلى جانب الرجال، فإن قبائل أخرى كانت تنظم أسواقا أسبوعية خاصة بالنساء كما هو الحال في (ايحاحان) شمال الأطلس الكبير الغربي، وفي قبيلة (ءاشتوكن) بسهل سوس[3]. ولم تكن أسواق النساء أقل حركية ورواجا من أسواق الرجال، فكانت تستقطب عددا كبيرا من المتسوقات[4]. وكانت تحظى بعناية خاصة من طرف المجتمع الذي أعد ضوابط خاصة يشرف عليها أعيان القبيلة تهدف لضمان أمنها وتوفير ظروف مناسبة للمعاملات التجارية[5].

كان حضور المرأة في (ءانموڭار) السنوي موازيا لحضورها في السوق الأسبوعي ويختلف من منطقة لأخرى. ففي بعض المجالات كان (ءانموڭار) مفتوحا أمام الزوار من الذكور والإناث. وفي مجالات أخرى، كان (الموسم) يستقبل في نفس الوقت الرجال والنساء مع تخصيص فضاءات لكل جنس

---

[1] ايت عدي واسمهري ، مرجع سبق ذكره ، ص, 212

[2] عندما كان برايفس يتنقل رفقة زوجته في الأطلس الكبير الغربي خلال شهر يونيو 1907، تعرض لمشاكل مع السكان، ولكن عندما أظهرت زوجته "خاتما كانت حصلت عليه في ضريح لالا عزيزة، هدأت الامور" وواصل الرحالة طريقهم بدون صعوبات :
Brives A., Voyages au Maroc, Editeur : Typographie Adolphe Jordan, Alger, 1909,.p.343]

[3] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.252

[4] زار برايفس خلال غشت 1903 سوقا للنساء على الضفة الجنوبية لواد (تيدزي) بقبيلة (ءيحاحان) ولاحظ أن المكان كان مكتظا بالمتسوقات، انظر: Brives A., Voyages, op.cit. p.89.

[5] لم يكن مسموحا للرجال والشباب فوق 15 سنة من العمر ان يقتربوا من الأسواق والمواسم الخاصة بالنساء، انظر:
جهادي الحسين، من ذاكرة سوس وبصمات الحاضر نموذج ايت باعمران، الدار البيضاء، 2016،مطبعة النجاح الجديدة .ص, 522

على حدة[1]، وكان من الشائع في مناطق أخرى أن ينظم (ءانموڭار) النساء بعد أسبوع من ملتقى الرجال كما هو الحال في كل من (سيدي بوعبداللي)، و(سيدي أحمد ءو موسى)، و(ءيسك)، و(تاديغت)، وامثالها... [2]

تتعدد وظائف الملتقيات كل من الأسواق والمواسم[3]، ولكننا سنركز على بعدها التجاري وخاصة في مجال تسويق الحلي. إذ تقصد النساء هذه الملتقيات لتداول أغلب السلع التي نجدها عادة في أسواق ومواسم الرجال، ولكن تتميز عنها بنوع من "التخصص" في لوازم التزيين؛ وتتمكن النساء والفتيات الشابات اقتناء قشر شجر الجوز المستعمل للسواك المستقدم من أودية الأطلس الكبير، والكحل والحناء المستوردان من الواحات الصحراوية، ويشترين مساحيق التجميل الحمراء والسوداء، والبخور، و(لبان جاوي) و(صلبان)، وأعواد القرنفل[4] والعنبر والأعشاب الزكية والحلي والحرير[5]، بالإضافة إلى كريات اللوبان الأصفر والعقيق الزجاجي وخرز المرجان المستوردة من الدول الأوربية عبر الموانئ الأطلسية...

ثانيا : الموارد الاقتصادية المحلية:

كان السكان في مختلف القبائل والمدن بالجنوب يخصصون مواردهم المالية للحصول على الحاجيات الأساسية من المواد التي لا يمكن الاستغناء عنها والتي لا يوفرها المجال. وبعد تغطية المصاريف الضرورية، كان الفائض النقدي يوجه لتمويل مشاريع مختلفة، وشراء منتجات وأغراض متعددة، وفي اقتناء الحلي النسوية، والأسلحة الرجالية من بندقية (مكحلة) وخنجر (كُمِّيَّة).

كانت لكل مجال من المجالات الجغرافية بالجنوب موارده الاقتصادية الخاصة، والتي نتجت عن مزاولة الأنشطة الفلاحية، واستغلال الغطاء الغابوي، وإتقان الصناعات الحرفية[6]، وتعاطي المبادلات التجارية، واستغلال الثروات المعدنية[7]. ولن يكون من السهل الإحاطة بكل أصناف الممارسات الاقتصادية التي كانت منتشرة في أوساط إثنية وجغرافية متنوعة، وخلال فترة طويلة ممتدة من بداية القرن السادس عشر إلى بداية القرن العشرين. ورغم ذلك، يمكن تقسيم هذه الأنشطة عموما إلى صنفين رئيسيين:

---

[1] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.252

[2] . السوسي ، خلال جزولة ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الرابع، ص, 21

[3] لهذه الملتقيات وظائف اجتماعية تسمح باستمرار التواصل بين نساء من قبائل متباعدة، كما أشار المختار السوسي إلى وظيفة دينية تعليمية تتمثل في الوعظ والإرشاد الذي تقوم به صالحات وواعظات كن يرتدن هذه الملتقيات : السوسي ، خلال جزولة ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الرابع، ص, 21

[4]Boulifa., op.cit. p.147

[5] جهادي الحسين ، مرجع سبق ذكره ، ص, 522

[6] عرفت سوس بكثافة انشطه سكانها وتخصص كل منطقة في صناعة معينة انظر : المختار السوسي، المعسول، مصدر سبق ذكره ، الجزء الأول ، ص, 193.

- Flint B., op. cit. p.30

[7] المناطق التي حظيت بثروات معدنية كالنحاس وملح البارود، استفادت منها في تنويع مصادر ثروتها، [De Castries H., ., op.cit. p.89] وكان سكان الأطلس الكبير الغربي يستغلون الملاحات، ويسوقون ملحها نحو مراكش [Célérier J., "L'Atlas" p. op.cit. ., 447].

الصنف الأول: وكان منتشرا في مناطق محددة وتمارسه مجموعات خاصة[1].

الصنف الثاني: وكان واسع الانتشار، وشكل الأرضية الأساسية لتكوين الثروة بالنسبة لأغلب السكان في الجنوب. وسنقتصر في هذا المقام على استعراض أنشطة الصنف الثاني مع التركيز على أهم الأنشطة التي ارتبطت بتاريخ المنطقة وخاصة استغلال شجرة الأركان، وزراعة الحبوب والأغراس[2]، وتربية الماشية، والعناية بالنحل.

1) زراعة الحبوب:

تشير المصادر إلى أهمية منطقة سوس في إنتاج الحبوب منذ القرن السادس عشر، فتذكر وثيقة برتغالية محررة ما بين 1505 و1521 أن البرتغاليين اقاموا حصنا بمنطقة سانتا كروز –اكادير الحالية- بعد أن جدبتهم المؤهلات الاقتصادية للمنطقة من قمح وأغنام وعسل [3]. وذكر الوزان أن (تيوت) كانت تنتج كمية "عظيمة" من القمح والشعير وغير ذلك من الحبوب والخضر[4]. وذكر الأسير مويط أن جبال منطقة سوس مليئة بالشمع والحبوب والثمار[5]. وكان السكان يعتمدون في معيشتهم على ثلاثة أنواع أساسية من الحبوب، وهي الشعير بشكل أساسي، ثم القمح والذرة.

أ- الشعير:

يهتم السكان بالشعير أكثر من غيره من الحبوب، فهو يصلح لتغذية الإنسان والحيوان على السواء، ويقدم كعلف أخضر للخيول والبغال والجمال[6]، كما يقدم للدواب على شكل تبن وحبوب. وكان يمثل أساس تغذية أغلب القبائل[7] فيعد به الخبز والكسكس والحساء والعصيدة وغيرها من الأطباق. وكان الشعير ينتشر في السهول إلى جانب القمح، أما في المناطق الجبلية كالأطلس الكبير الغربي فكان يشكل الزراعة الأساسية[8]، ويحظى باهتمام الفلاحين أكثر من القمح[9].

---

[1] كانت القرى الواقعة على طول الساحل تحصل على موارد مالية هامة من خلال صيد، و"حفظ" الأسماك، ونقلها بعيدا نحو الواحات والمناطق الجبلية، أنظر: Laoust E., 1923 – « Pêcheurs berbères du Sous », Hespéris, III, p. 237-264

[2] استعاد السكر أهميته بالنسبة لسوس خلال الفترة السعدية، وتهافت عليه التجار الأوربيين لجودته، إلى درجة أن ملكة انجلترا في تلك الفترة لم تكن تقبل في قصرها، إلا السكر المغربي. غير أن استغلال هذه المادة كان حكرا على المخزن، وسيختفي السكر سريعا من سوس بعد ان انتقلت زراعته نحو جزر الانتيل والبرازيل، انظر:

De Castries H., op.cit. p. V-VII

[3] Robert Ricard, "La côte atlantique du Maroc Au début du XVIe siècle D'Après des instructions nautiques portugaises "Hespéris , 1927, p. 252.

[4] الوزان الحسن ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الأول ، ص.115.

[5] رحلة الأسير مويط ، مصدر سبق ذكره ، ص. 44

[6] Oscar Lenz, op. cit . t. 2, p.446.

[7] DE Foucault Ch , op. cit. p. 110

[8] مارمول كاربخال ، مصدر سبق ذكره ، الجزء 2، ص. 25-26

[9] James Grey Jackson, An account of the empire of Marocco, second edition, London, 1811,p.17

ب- القمح:

لم يكن القمح يدخل في تغذية الدواب والمواشي، لذا قلت المساحات المخصصة له مقارنة مع الشعير، ولكنه مع ذلك كان يحتل مكانة متميزة في النظام الغذائي للسكان، وكان يستعمل أكثر من طرف الفئات الموسرة[1]. وكان القمح يتجاور مع الشعير في سهل سوس[2]. وحتى في المناطق الجبلية كانت الأسر تحرص عادة أثناء فترة الحرث على تخصيص بعض الحقول للقمح للاستفادة منه في إعداد الخبز والعصيدة والكسكس في المناسبات الخاصة وفي الأعياد[3].

ت- الذرة/ الدخن:

كانت زراعة الذرة قديمة في الجنوب المغربي، وقد ذكرت منذ فترة الموحدين[4]. واشتهرت المنطقة بنوع من الذرة البيضاء المحلية الصغيرة الحب والتي تسمى محليا (تافسوت)[5]. وكانت تستعمل في إعداد أنواع من الحساء والكسكس والعصيدة.

كان "إقليم سوس" ينتج من الذرة الكمية الكافية لاستهلاك سكانه فقط[6]. وكانت القبائل التي لا تتوفر على الموارد المائية اللازمة لإنتاج هذه الحبوب تضطر لاستيرادها من مناطق أخرى نظرا للحاجة اليها في إعداد الطعام بشكل يومي، وخاصة طبق العصيدة (تاكُولاَّ) المفضل، والذي تتناوله الأسر كوجبة عشاء في فصلي الصيف والخريف[7]. وظهر بعد القرن السادس عشر الميلادي بالجنوب المغربي، صنف جديد من الذرة الصفراء المستقدم من أمريكا الجنوبية[8]، وانتشر هذا الصنف في مختلف مناطق الأطلس الكبير الغربي[9] وفي سهل سوس[10] والأطلس الصغير والواحات الواقعة في التخوم الصحرأو ية؛ فتراجعت مكانة الذرة البيضاء المحلية، أمام تزايد الاهتمام بالذرة الصفراء الوافدة.

---

[1] Dث Foucault Ch , op. cit. p. 110

[2] James Grey Jackson , , op. cit . p.8

[3] في قبيلة (تاجلت) بالأطلس الكبير الغربي مثلا، كانت كل أسرة تخصص حقلا واحدا على الأقل للقمح، ويسمى: (ءيبحير ءوكرّام)، ومعناه: حقل الولي الصالح. لأن من محصوله يعد به طبق الكسكس الذي يتناوله السكان بشكل جماعي في اليوم الثاني بعد عيد المولد النبوي. [معاينات ميدانية]

[4] اثناء فترة حكم عبد المومن الكومي، عندما قام الموحدون بإخضاع مناطق من سوس، منها "ايكلي"، يقول البيدق عن هذه الحركة: "وسقنا غنائمهم وأفسدنا لهم أمزكور"؛ ويضيف المؤرخ أنه في عام خمسة وعشرين وخمسمئة أفسد "امير المؤمنين [عبد المومن] "أسنـڭ ار بالسوس ". ويدل لفظا (أمزكور) و(أسنكار) على الذرة البكرية والذرة المازوزية بالأمازيغية. أنظر : البيدق، اخبار المهدي ، دار المنصور، الرباط ، 1971، ص. 95

[5] تسمى أنواع الذرة المحلية بالفرنسية [Millet و sorgho] وبالعربية الفصحى الدخن، وبالعربية الدارجة البشنة، ومن اسمائها الأمازيغية: تافسوت، تازيوت، أنلّي، اسنكار أماصري] [شفيق محمد، المعجم، الجزء 1، ص.357] و أنظر كذلك:

Rosenberger Bernard « Cultures complémentaires et nourritures de substitution au Maroc (XVe-XVIIIe siècle). », in Annales Economies, sociétés, civilisations. 35e année, N. 3-4, 1980. pp. 477-503, p.285-286.

[6] Jackson , op.cit.p.20.

[7] كان العشاء "الرسمي" في أغلب مناطق الجنوب يتكون من عصيدة الذرة. لذا، كانت بعض قرى الأطلس الصغير الغربي التي لا تنتج هذه الحبوب تستوردها من ماسة . أنظر : السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، ج 1، ص. 27

[8] يعتقد جاك بيرك أن الذرة الصفراء الأمريكية وصلت إلى الأطلس الكبير في القرن السادس عشر. غير أن غوزينبيغجي (Rosenberger Bernard) يرى أن دخول هذه الحبوب إلى جنوب المغربي حصل بعد هذا التاريخ بكثير . انظر :

Rosenberger,op. cit .p. 285-286 et J. Berque , Structures. op.cit. p. 72.

[9] J. Berque , Structures. op.cit. p.140

[10] Jackson , op.cit.p.7.

اختلفت مكانة إنتاج الحبوب داخل مختلف المجالات الجغرافية داخل مجال هذه الدراسة. فكانت المناطق المنبسطة الواقعة في سهل سوس، وفي سهل الحوز شمال الأطلس الكبير، بأراضيها المسقية والبورية، تعطي محاصيل هامة من الحبوب في سنوات الخصب عند توفر الامطار بكميات كافية. أما الواحات والمناطق الجبلية فكان سكانها غالبا ما يعتمدون على استيراد حاجياتهم من هذه المادة الأساسية. فالواحات بجبل باني تستورد الحبوب من سهل سوس[1] أما سكان الأودية العليا المنحدرة من الأطلس الكبير الغربي وجبل سيروا، ورغم أنهم كانوا يستغلون بعناية كل الأراضي الصالحة للزراعة، فإنهم كانوا يستوردون كميات هامة مما يستهلكونه من الحبوب من أحواز مراكش وذلك حتى في السنوات الفلاحية الجيدة.[2] وكانت التساقطات الغير منتظمة، ورياح "الشرقي" الحارقة في الأطلس الصغير، تؤدي إلى تضرر الحبوب، فتكون المحاصيل منعدمة أربع مرات كل سبع سنوات[3]. وفي الأطلس الكبير الغربي، فرغم توفر السقي في المدرجات فإن السكان لا ينتجون ما يكفيهم من الحبوب، وأقصى ما ينتجونه في الظروف المناخية العادية هو نصف حاجياتهم، أما البقية كان لزاما شراؤها[4].

2) الأغراس والأشجار المثمرة:

تتنوع الأغراس والأشجار المثمرة، تبعا لاختلاف الموقع الجغرافي ولتنوع التضاريس والظروف المناخية. فاشتهرت المنطقة عموما بأغراس عديدة من الخروب، والتين، والرمان، والعنب، والخوخ وغيرها من الفواكه، كالتفاح و"حب الملوك"[5]. أما أهم الأغراس التي كان لها دور كبير في تنويع الموارد المالية للسكان فكانت هي: النخيل، والجوز، واللوز، بالإضافة إلى شجر الزيتون.

أ- التمر:

تنتشر أشجار النخيل في الواحات الجنوبية الممتدة على طول السفوح الجنوبية للأطلس الصغير، وفي الواحات عند مخارج الأودية التي تخترق سلسلة باني[6]، كما تنتشر في الواحات التي تمتد شرق سوس، وعلى طول وادى درعة. واشتهرت هذه المجالات بأصناف مختلفة من التمور، ومن أهمها:

---

[1] **DE Foucault Ch , op. cit. p. 126.**

[2] **كان متوسط العجز في انتاج الحبوب بقبائل (ءايت واوزگيت) يقدر بحوالي 60 % : إبراهيم ياسين، مرجع سبق ذكره،,ص, 281**

[3] **Montagne R. « Ikounka ». op.cit.160-161**

[4] **Berque J., Notes sur l'histoire des échanges dans le Haut-Atlas occidental, Annales, 1953, 8-3, pp.289-314, p. 293**

[5] **تؤكد معطيات مختلفة أن قبيلة (ءيسكساوان) بالأطلس الكبير الغربي مثلا كانت معروفة بشجر التفاح، وشجر الكرز، انظر : J. Berque , Structures. op. cit.p.42.**

[6] **استنادا إلى احصانيات الفترة الاستعمارية لسنة 1945، فإن واحة (ءاڤا) مثلا كان بها حوالي 70000 نخلة، وواحة (ءيمي ءوكادير) 20000 نخلة، وواحة (ءيشت) 25000، وواحة(تمنارت) 85000 نخلة، انظر: مبارك ايت عدي واسمهري مرجع سبق ذكره،,ص, 43**

(ءاڭّيد)، (ءاحرضان)، (ءازڭزاو) ،(بوفكوس)، (بورار)، (بوسكري)، (بوستحمّي)، (بويطّوب)، (ءيكلان)، (الجيهل)، (مجهول)[1]...

كان التمر يحتل مكانة أساسية في النظام الغذائي لسكان الواحات، كما كانت بعض الأصناف تقدم علفا لقطيع الماشية ، وكانت كميات أخرى توجه للبيع، حيث كانت القوافل المحملة بهذه المادة تنطلق من (ءاسّا) و(تاڭموت)، و(ءيدوبلال)، و(طاطا)، و(تيسينت)، وغيرها من واحات الأطلس الصغير وجبل باني، في اتجاه تارودانت ومراكش[2]، وكان المغرب خلال بداية العصر الحديث يصدر التمور إلى أوروبا، وقد ذكر (مارمول) أن تمر تافيلالت كان يباع في إسبانيا[3]. وكان لميناء أكادير دور في تصدير هذا المنتوج، فقد كان التمر من المواد التي شحنتها سفينة إنجليزية من هذا المرسى سنة 1552،[4] وسيتواصل تصدير التمور نحو البلدان الأوروبية عبر ميناء الصويرة انطلاقا من القرن الثامن عشر.[5]

ب- اللوز:

كانت أغراس اللوز تغطي مساحات كبيرة بالأطلس الكبير الغربي[6]، وتنتشر كذلك في سهل سوس وفي العديد من مناطق الأطلس الصغير، وخاصة في سفوحه الشمالية، حيث يشكل أحيانا الشجرة الأساسية في انعدام أغراس مثمرة أخرى[7]. وكان اللوز من المواد التي يكثر عليها الطلب داخل المغرب[8] وخارجه، وكانت يبعث إلى المدن كمراكش وتارودانت خاصة عند اقتراب الأعياد والمناسبات، كما كان يصدر إلى البلدان الأوروبية التي كانت تفضل اللوز القادم من الأطلس الكبير وسهل سوس والسفوح الشمالية للأطلس الصغير[9]، وكانت هذه المادة تصدر من ميناء أكادير على الأقل منذ أواسط القرن السادس عشر[10]. وعند انتقال النشاط التجاري نحو الصويرة، كان اللوز من بين السلع الأساسية الموجهة للتصدير من الميناء الجديد[11].

---

[1] Présentation des principales variétés du Palmier Dattier au Maroc. Dépliant de l'Agence Nationale pour le développement des zones oasiennes et de l'Arganerie (ANDZOA), sans date.

[2] Célérier J., «L' Altlas » op. cit. p. 477

[3] مارمول كاربخال، مصدر سبق ذكره ، ج. 3، ص. 45.

[4] Lebel R., "Le Maroc dans les relations des voyageurs anglais", Hesperis1929, p. 270.

[5] Gatell J., "Description du Sous, 1871", Bulletin de la Société de Géographie (Paris)، p.101

- Lemprière W., Voyage dans l'empire de Maroc et le royaume de Fez, Paris, Cordier et Legras imprimeurs-libraires, Paris, 1801،p.66.

-James Grey Jackson, op.cit. p.2

[6] J. Berque , Structures. op. cit.p.141.

[7] DE Foucault Ch , op. cit. p. 139.

[8] يستعمل اللوز الحلو بكثرة في مجال التغذية يستهلك السكان اللوز بكثرة، فيتخذونه من بين المكسرات المفضلة إلى جانب الجوز والتمر في مناسبات مختلفة، كما يشكل أحد العناصر المكونة للزاد الذي يحمله المسافر أو الراعي إلى جانب الخبز والجوز والتمر والزبيب والتين المجفف,,، وتزين به أقراص الخبز قبل انضاجها في الفرن خلال الأعياد والاحتفالات. غير أن أكبر كمية من اللوز كانت تطحن وتمزج بزيت أركان والعسل للحصول على مادة "أملو" اللزجة التي تغمس فيها قطع الخبز.

[9] CELERIER J., «L' Altlas » op. cit. p. 477

[10] Lebel R., op.cit. p.20

[11] Gatell J., op.cit. p.102.

كان اللوز يوجه نحو مجموعة من الدول، من بينها: المانيا، وأوروبا الوسطى، والولايات المتحدة الأمريكية، وإنجلترا. وكانت تصدر كميات هامة من النوعين الحلو والمر نظرا لتعدد استعمالاتهما ما بين الحلويات، والصابون الرفيع والعطور[1].

ت- الجوز:

كانت أشجار الجوز منتشرة في أعماق الأودية التي تخترق قمم الأطلس الكبير الغربي، وقد وفرت جذوعها الضخمة أعمدة متينة تستعمل في تحميل أسقف البنيات المحلية، كما وفرت المادة الملائمة لصناعة قصاع العود التي يكثر عليها الطلب في كل مناطق المغرب، والخشب المناسب للأثاث الرفيع.

لم تذكر ثمار الجوز كثيرا ضمن السلع التي كانت تصدر من سوس نحو الخارج، ولكن من المؤكد أنها كانت تشكل إحدى المصادر الأساسية الثروة بالنسبة للسكان خاصة بالأطلس الكبير الغربي[2]. وقد عبر دوتي عن أهمية الجوز لسكان الأطلس الكبير الغربي بقوله أن هذه الشجرة **"هي التي تعطى لهذا المجال خصوصيته [الطبيعية] وتهب السكان أهم مصدر لثروتهم"**[3]

ث- زيت الزيتون:

كانت سوس تنتج كميات هامة من زيت الزيتون تفوق ما تنتجه باقي أقاليم البلاد[4]. وكان الطلب على هذه المادة كثيرا، للتغذية والإنارة، فتحمله القوافل عبر فجاج الأطلس الكبير من سوس نحو مراكش،[5] أويصدر نحو البلدان الأوربية. فخلال فترة الفترة الممتدة ما بين سنتي 1768 - 1769 مثلا، صدر من كل من الصويرة وأكادير حوالي أربعون ألف قنطار من الزيت نحو مدينة مارسيليا. واستمر التصدير عبر ميناء الصويرة خلال القرن التاسع عشر[6].

3) أركان:

يستفيد سكان سوس من الغطاء النباتي الغابوي المتنوع في رعي الأغنام، وفي الحصول على الخشب والفحم، وفي العديد من الاستعمالات. فبعض الأشجار كالعرعر كانت تستغل في صناعة القطران الذي يكثر عليه الإقبال في قبائل الجنوب[7]، وأنواع أخرى كانت تستخدم لاستخلاص الصمغ الذي كان يصدر إلى أو روبا[8] والذي كانت أشجاره منتشرة في كل من الأطلس الكبير الغربي وفي الأطلس الصغير

---

[1] Pascon P. , Le Haouz de Marrakech, Tome : I , Editions marocaines et internationales Tanger , 1983 , p. 412.= Pascon P. , Haouz

[2] J. Berque , Structures. op. cit.p. 41.

[3] Doutté E., En tribu . op.cit.p.155

[4] James Grey Jackson, op.cit. p.2 0

[5] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.13.

[6] Gatell J., op.cit. p.102.

[7] السوسي، المعسول، مصدر سبق ذكره، الجزء 1، ص, 193

[8] كان الصمغ يصدر إلى أوروبا حيث يدخل في صناعات الطلاء اللماع فيرني والمراهم ومساحيق عطرة. :

Oscar Lenz, op. cit . t. 2, p.446.

وجبل باني[1]. غير أن أهم مكونات الغطاء الغابوي وأكثرها تفردا وأوثقها ارتباطا بالجنوب، هي شجرة أركان التي تعطي زيتا متميزا يساهم بقسط وافر في تنمية موارد السكان.

تبدأ أشجار الأركان بالظهور بشكل جلي جنوب واد تانسيفت لتصير مكونا أساسيا في الغطاء النباتي المحلي[2] في مناطق شاسعة في سفوح الأطلس الكبير الغربي، والأطلس الصغير الغربي والأوسط وسهل سوس[3]. وتلعب هذه الشجرة أدوارا هامة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية للسكان، فخشبها يستعمل في النجارة وفي التدفئة، كما تجذب أوراقها الماعز والضأن والابل والبقر التي تقتاتها بشراهة،[4] وتدخل القشور الخارجية للثمرة أيضا في تغدية الماشية كعلف رفيع.[5] أما القشرة الداخلية الصلبة فبعد تكسيرها لاستخراج النوى البيضاء تستعمل لإشعال نار المواقد في المطبخ.

تتكلف النساء بمعالجة النوى البيضاء عبر عمليات طويلة ومعقدة للحصول على الزيت، فتقلى المرأة هذه النوى فوق إناء فخاري (تافلّوت)، وتغربلها في طبق من الأسل (ءيسگّوي)، وتطحنها في رحى خاصة لتحصل على سائل ثقيل بني اللون، ثم تمزجه بنسب محددة من الماء و تعصره للحصول على زيت أركان ذي الرائحة الزكية[6].. ويلعب هذه الزيت دورا أساسيا في الحياة اليومية للسكان، وفي مجالات متعددة من طبخ وإنارة[7] وعناية بالبشرة والشعر...[8]

كان زيت الأركان يشكل مصدرا هاما للدخل بالنسبة للمجموعات التي تستقر في مجالات انتشار هذه الشجرة، فكان يوفر حاجياتهم في مجال الطبخ والتغذية، ويعتبر مصدرا هاما للدخل من أجل اقتناء المواد والسلع التي تنقصهم في إطار المبادلات التجارية الداخلية[9]، كما توفر فائضا نقديا يمكن استثماره في الأغنام أو ادخاره عن طريق اقتناء الحلي[10].

---

[1] CELERIER J., «L' Altlas » op. cit. p. 474

[2] - Thomson J., Travels in the Atlas and Southern Morocco : a narrative of exploration, London, 1889,p.61.

[3] توجد محطات معزولة لشجر اركان بعيدا عن سوس، في كل من واد (گرو) شرق الرماني، و(بوغريبة) غربي بركان وبعض الأشجار المتناثرة جنوب مدينة الجديدة، وبالضبط ما بين مولاي عبد والله والجرف الأصفر :

Villes et tribus du Maroc Les Doukkala V :I,, Edit, publications de la faculté des lettres et des Sciences Humaines, Rabat, Série Trésors de la bibliothèque n° 10, 1ere édition, 2012,p.23

[4] Dalton Hooker J., Journal of a tour in Marocco and the great atlas, Macmillan And Co, London, 1878.p.97

[5]– عبد المالك بنعبيد « اركان -نبات- »، 1989، معلمة المغرب, الجزء 1، ص322-323.

[6] أديوان سعيد، أركان، 323-324، ص. 323، معلمة المغرب، الجزء الأول ، من انتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1989. ص.323.

[7] بما أن زيت الأركان كان كثيرا في "سوس"، فإنه يعتبر وسيلة اقتصادية للإنارة. لذا، يوضع في حوض القنديل[James Grey Jackson, op.cit. , p.17]. مثله مثل باقي الدهون وخاصة زيت الزيتون والسمن. [المختار السوسي، المعسول، الجزء الثالث، ص. 322]

[8] اعتادت النساء منذ القديم استعمال زيت الأركان للعناية بالجلد والشعر والاظافر، وبالفعل، فقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن هذا الزيت يساعد على تـأخير ظهور التجاعيد، ويحافظ على ليونة الجلد، ويعتني بالشعر ويعالج فروة ارأس، كما يقوى الاظافر المتكسرة، أنظر:

Au fil d'Argane ouvrage, ouvrage imprimé sur les presses de l'Imprimerie Art et Caractère, Lavaur, France. Editions Privat Galénic , Paris, 2007.

[9] لم تكن تصدر من زيت الأركان الا كميات قليلة نحو أو روبا، وكان استعماله في تلك الفترة يقتصر على صناعة العطور :

Lenz , op. cit .t . 1 , p. 337

[10] انظر الكد والسعاية أسفله

4) الأغنام

كانت تربية الماشية من الأنشطة الأساسية لعدد كبير من قبائل الجنوب، وخاصة منها تلك التي تعيش على الترحال في السفوح الجنوبية للأطلس الصغير الغربي وجبل باني[1]؛ واشتهر الأطلس الكبير بدوره بتربية المواشي الصغيرة منذ القديم، فقد ذكر مارمول في القرن السادس عشر أن سكان بعض قبائل هذ الجبال لا يشتغلون بشيء آخر طوال حياتهم سوى برعي قطعانهم[2]. وكان الرعي يسود أيضا في المجالات الشرقية في كل من جبل (سيروا)، وفي المناطق الشاسعة الفاصلة بين (تازناخت) و(وارزازات)، حيث تنتشر قطعان الأغنام التي تقضى النهار في المراعي وتأوي أثناء الليل إلى "عزايب" مبنية بالحجارة الجافة[3].

لقد اعتنى السكان في أغلب مناطق الجنوب بتربية الأغنام لما تنتجه من الصوف اللازم لنسج الملابس، ومن السماد الطبيعي الضروري لإخصاب الأرض، بالإضافة إلى توفير اللحوم[4] للاستهلاك، والجلود والصوف لأنشطة حرفية عديدة. وبسبب هذه الوظائف الهامة كانت الأسر على تربية بعض القطعان المحدودة من الماعز حتى في القبائل التي ينعدم فيها غطاء نباتي كثيف[5]. وكان قطيع الأغنام يتكون من الماعز والضأن، وتختلف نسبة كل نوع من النوعين تبعا للظروف المناخية والتضاريسية، ونوعية الغطاء المتوفر في المجال؛ وكان الماعز هو الأقدر على التكيف مع أصعب و أفقر التضاريس[6]؛ ففي الأطلس الكبير يقتات أو راق وثمار شجر البلوط، وفي المجالات التي تنتشر فيها شجرة أركان كان الماعز يأكل قشرة الثمار، ويتسلق الأشجار للاستفادة من مراعيها "المعلقة"[7].

كانت رؤوس الأغنام توجه بانتظام نحو الأسواق كلما كان صاحبها في حاجة إلى موارد مالية، لاقتناء المواد والسلع القادمة من مناطق أخرى، أو حتى من البلدان الأوربية[8]، كما كان "الحَمَل السمين" يشكل نوعا من الادخار الذي يمكن تحويله إلى نقود[9]، ويساهم في تكوين الثروة، لذا كان عدد رؤوس الأغنام من معايير تحديد أهمية الثروة في المجتمع التقليدي، فكلما كبر حجم القطيع، ازدادت أهمية

---

[1] كانت هذه المناطق تصدر كمية هامة م الجلود : De Foucault , op. cit . 134.

[2] مارمول كاربخال ، مصدر سبق ، ذكره ، الجزء الثاني ص. 65

[3] Humbert, op.cit. p.78

[4] J. Berque , Structures. op. cit.p. 179

[5] افا ، قبيلة مسكينة، مرجع سبق ذكره، ص. 111.

[6] J. Berque , Structures. op. cit.p. 165.

[7] عبد المالك بنعبيد « اركان -نبات- »، 1989، معلمة المغرب, الجزء 1، ص322-323.

[8] [8] Doutté E., En tribu . op.cit.p.155

[9] J. Berque , Structures. op. cit.p. 165.

الموارد المالية لصاحبه، وتقوت مكانته داخل المجموعة، مما يؤهله لجمع الثروة والمبادرة أحيانا إلى التطلع إلى الزعامة السياسية في الوسط القبلي[1].

كان الصوف يوجه نحو مدينة مراكش على ظهور قوافل من البغال التي تعبر فجاج الأطلس الكبير[2]، وكانت مدنية تارودانت تستقطب جزءا هاما من إنتاج الجنوب لتوفير حاجيات حرفيي النسيج في المدينة الذين كانوا يصنعون "حياكا" جميلة تعتبر عماد تجارة المدينة[3]، وكان الفائض من هذه المادة يصدر إلى أو روبا بربح وافر[4].

وكانت الجلود تستغل محليا في المراكز القبلية في الصناعات الجلدية التي توفر للسكان حاجياتهم من أنواع "البلغة" والكيس الجلدي والجراب وأنواع الأحزمة، كما كانت توجه نحو مدينتي تارودانت[5] ومراكش[6] التي كانت كل واحدة منهما تتوفر على دار الدباغ وعلى عدة أنشطة حرفية تعتمد على الجلد في إنجاز منتوجاتها[7]. وكانت جلود أخرى تجد طريقها نحو التصدير، وقد أثارت هذه السلعة اهتمام الأوربيين منذ بدايات القرن السادس عشر[8]، وكانت تباع للتجار المسيحيين في الموانئ الأطلسية بكل من (تفتنة) و(رأس أكير)-اكادير[9]- ثم بالصويرة بعد تأسيسها في القرن الثامن عشر.[10]

لقد كانت الأغنام والماعز من أهم مصادر الثروة في المجتمع التقليدي، وكانت تساهم بشكل مباشر في توفير الموارد المالية اللازمة لاقتناء الحاجيات الأساسية للسكان. وكانت الأسر تعمل في سنوات الخصب على بيع بعض رؤوس الماعز أو الضأن وبيع الفائض من الصوف والجلود والمنسوجات الصوفية، لتغطية مصاريف متنوعة، واقتناء الأثاث والملابس والحلي. ونشير في هذا الإطار إلى شهادة دييكو دي طوريس الذي ذكر أن شخصا باع ماشيته يوم السوق بمراكش "وأخذ ثمنها أسوارا وحليا من فضة..."[11]. وليس من المستغرب أن يذكر سيليري بعد ذلك في بداية القرن العشرين أن سكان الأطلس

---

[1] تولى احمد أومواليد مهمة "امغار" خلفا لوالده سنة 1900 في الأطلس الكبير الغربي، وكان يملك عددا لا يحصى من قطعان الأغنام، وعندما يحين عيد الأضحى، يجمع مساعدوه جزاء من القطيع ، ويجلس عند باب منزله، ويعطى رأس غنم كهدية لكل من جاء ليبارك له العيد، .... وكان هذا الكرم، بالإضافة إلى سلطته، كافيان بأن يجعلا منه رئيسا قبليا حقيقيا رغم الطابع المتواضع لمنزله :

Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.13.

[2] Pascon P. Haouz . op. cit .396

[3] Lemprière W., op. cit. p.123.

[4] Host G., op. cit. p230

[5] ذكرت "دار الدباغ" في مدينة تارودانت منذ شهر صفر 1022، انظر: الحوالة الحبسية المجلد الثاني 2/3 ص 93.

[6] كانت القبائل الواقعة في لشرق، كـ(تازنتخت) توجه قوافل محملة بسلع من بينها الجلود نحو مدينة مراكش :

De Foucault, op. cit . p. 339.

[7] Colin G.S., « Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech », in Hespéris, tome: XII, 1931, pp.229-242

[8] Robert Ricard « La côte atlantique du Maroc Au début du XVIe siècle D'Après des instructions nautiques portugaises » , Hespéris, 1927, p. 252.

[9] مارمول كاربخال مصدر سبق ذكره ، ص. 24-25،

[10] Lemoine , op. cit. p.576

[11] دييكو دي طوريس مصدر سبق ذكره ، ص. 186

الكبير كانوا يقتادون أغنامهم نحو مدينة مراكش لبيعها[1]. وشراء ما يحتاجونه من أغراض، ومن بينها الحلي.

5) العسل والشمع:

كانت الأسر تستغل خلايا النحل المنتشرة في الحقول وقرب المنازل، وفي أماكن خاصة بالمخازن الجماعية -ايكودار- أو في بعض المناحل الجماعية[2]. وتبرز الكتابات التاريخية مكانة العسل والشمع الناتج عنه في اقتصاد الجنوب المغربي، حيث كانت جبال منطقة سوس مليئة بالشمع بكميات كبيرة[3].

كان العسل يدخل في التغذية[4] وفي الممارسات العلاجية، أما الشمع فيوجه إلى الأنشطة الصناعية في كل من تارودانت ومراكش. فكانت تارودانت تتوفر على "معصرة للشمع" منذ النصف الثاني من القرن العاشر الهجري[5]، أما في مراكش فكانت هذه المادة تستغل في صناعة الشموع التي كانت تشعل في الأضرحة، وكان الحرفي المتخصص في هذه الصناعة يسمى "الشمّاع"[6].

وكان الشمع الخام يباع للتجار المسيحيين في (اسفي) و(تفتنة) و(رأس أكّير)،[7] وبعد انتقال الثقل التجاري نحو الصويرة، انتقلت معه هذه المادة لتشكل إحدى أهم الصادرات[8]، وكانت تحمل إلى الدول الأوروبية، وتصل حتى روسيا عن طريق (هامبورك) حيث تستعمل في صناعة الشموع الرفيعة[9].

تتوفر لسكان المنطقة مؤهلات اقتصادية عديدة، تتسم بالتنوع، من جهة، والتكامل من جهة ثانية، مما يسمح بنسج علاقات تجارية لتبادل وتسويق السلع بين الجهات، وتصدير الفائض نحو الدول الأوروبية خاصة عبر الموانئ المحلية. ووفر تسويق السلع داخليا وخارجيا مداخيل مادية أمكن تخصيصها لاقتناء الحاجيات الأساسية التي لا يوفرها المجال، و تمويل كل المبادرات والمشاريع التي تتطلب موارد مالية هامة، ومنها اقتناء الحلي.

---

[1] Célérier J., « L'Atlas ». op. cit. p.474

[2] لمزيد من التفاصيل حول هذه المنحلة انظر : عبد الله أزيكي منحلة تادارت انزركي بايدا أو زيكي الأطلس الكبير (الذات – الحقل الثقافي – التاريخ) ,مطبعة الورود، اينزكان,2017.

Lapourre Olivia, Analyse de l'évolution d'un outil apicole à valeur productive en objet à valeur patrimoniale étude de cas : Le rucher collectif d'Inzerki, commune rurale Argana, Maroc, Mémoire de fin étude, Ecole supérieure d'Agro-Développement international, Cedex. 2014,

[3] James Grey Jackson, op. cit. p.20

[4] كانت العناية بالنحل من الأنشطة الاقتصادية الأساسية للسكان والتي يلخصها البيت الشعري الأمازيغي الشائع :
ءاوّوللّو د ووللّي (د) تادّارت ءا-ي تّالّن يان
ومعناه الحرفي : المحراث والغنم وخلية النحل هي التي ترفع [مكانة] الشخص
والمقصود أن ثلاث أنشطة أساسية تساهم في تحسين الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للأسر، وتضمن لها عيشا كريما وهي : زراعة الحبوب، والاهتمام بقطعان الأغنام من ضأن وماعز، والعناية بالنحل.

[5] ذكرت (معصرة الشمع) في وثيقة بتاريخ ربيع النبوي سنة 971 ضمن الحوالة الحبسية لمدينة تارودانت الصفحة 86 من المجلد الأول

[6] Colin G.S., "Noms". op.cit. p.235.

[7] مارمول كاربخال , مصدر سبق ذكره ، ج.2. ص. 24-25.

[8] De Chenier M., Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc, volume:3, Paris, 1787. Source: gallica.bnf.fr , p.351

[9] Pascon P. Haouz . op. cit .413.

ربطت المبادلات التجارية قرى وقبائل المغرب مع أبعد البلدان في مختلف القارات ويكفي أن نشير في هذا الإطار إلى شمع النحل الذي كان ينتج في جبال الأطلس ويصدر نحو روسيا عبر هامبورك[1]، ومن روسيا كانت تأتي كريات اللوبان الصفراء، عبر مارسيليا ولندن ومدينة ليفورن الإيطالية[2] لتزين قلائد النساء في الأطلس.

ثالثا : الحلي في المعاملات التجارية المحلية

جمع الباحث الفرنسي أرسن روكس خلال الأربعينات من القرن الماضي مجموعة من الأشعار الأمازيغية السوسية التي تعالج قضايا اجتماعية مختلفة[3]؛ وكانت من بينها قصيدة تصور بدقة معاناة السكان خلال فترة الجفاف، واضطرارهم للتخلي مرغمين عن أنفس ما يملكون من حلي؛ وقد جاء فيها:

كولّ ما يفتان ءار سّوق ءيزرا د نّدامات

تاقشوشت دار ءيدلاّلن تـڭـا زوند ءاكال

نزرا تيفالاتين ءولا دّباليج د ءيخرصان

ءار تن زّنزان ءيدلاّلن س واتيـڭـ دا ران

ايكّس لكيّال تيزوزاف ءيشوان ءي لـڭـومان

كولّ مادّ تجمعات ءينّا طومزين ءاز-د نسوق

ترجمة هذه الابيات بالعربية:

كل من ذهب إلى السوق سيرى المآسي

يعرض الدلالون للبيع حليا [فقدت قيمتها] مثل التراب

رأينا القلائد والأساور وأقراط الأذن

يعرضها الدلالون بالثمن الذي يريدون

فقد انتزع شراء الحبوب من الناس أغلي حليهم

وكل من كلمتَه، يجيب:" قصدت السوق لشراء الشعير"

---

[1] **Pascon P. Haouz . op. cit .413.**

[2] **Camps Fabrer H., 1986, Ambre, Encyclopédie berbère, Volume :4, Aix-en-Provence, Edisud, pp.1-8, p.6.**

[3] **نشرها عبد الله بونفور سنة 1990 :**

Abdellah Bounfour, Poésie populaire berbère, textes recueillis par Arsen Roux, Edit. CNRS, Paris ,1990,p. 115-116

تصف هذه الابيات ساحة السوق في فترة من فترات المجاعة والجفاف، وما يعانيه السكان من صعوبات للحصول على الشعير الضروري للبقاء على قيد الحياة، وما يتطلبه ذلك من التضحية بالحلي التي فقدت قيمتها بين أيدي التجار. ورغم الطابع "المأساوي" الذي صاغ فيه الشاعر خطابه، ومبالغته في إظهار التدهور الذي أصاب قيمة الحلي، فإن هذا لا يمنع من ملامسة الحقيقة الاجتماعية والتاريخية التي تعكسها هذه الأبيات بعمق، وهي أنه في مرحلة الأزمة، وعند الحاجة الماسة إلى الطعام، لم يجد السكان إلاَّ الحلي كوسيلة وحيدة للحصول على الشعير النادر الثمين، ومواجهة شبح الموت.

تبرز هذه الأشعار أن بيع الحلي كان من آخر الخطوات التي يلجأ اليها السكان في صمودهم ضد المجاعة وللجفاف بعد أن يستنفدوا كل ما كان بأيديهم من مدخرات. ونرى من المفيد أن ننتقل من العوالم الإبداعية إلى الواقع التاريخي، لمقاربة أشكال تداول الحلي بين السكان من خلال عقود المعاملات التجارية؛ ونقصد بالضبط : معاملات البيع، والرهن، وبيع الثنيا.

1) الرهن:

أ- المشابك الفضية

+ عقد رهن من (ءيمنتاڭن) بتاريخ أو اسط ربيع الثاني عام 1125 هـ (ماي 1713م)

"الحمد لله وحده صلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد

أشهد لدي و بين يدي الله تعالى وعلى نفسه أحمد بن عبد الله التجر به عرف المنتاڭي من مُولِّيژ بانه رهن لحامله أحمد بن إبراهيم من أبناء بيهي بن مبارك الوجاسي[1] من إمولاس جميع زوجة الخلالة من النقرة بست عشرة أواقية من النقرة مولايْ إسماعيل قبضه ذلك الراهن من يد مرتهنه قبضا وافيا باقراره لدينا بالقبض ولاستفآء وأمره الانتفاع ما دامت بيده إلى يوم الافتكاك، طال الزمان أم قصر شهد به عليه بحال كماله بتاريخ أو اسط ربيع الثاني عام خمسة وعشرون ومائة والف عبد ربه مبارك بن الحسن بن أحمد السوالي لطف الله به" [توقيع] [وثيقة 18]

توضح الوثيقة المحررة بتاريخ أواسط ربيع الثاني عام 1125هـ/ (ماي 1713م) - أن أحمد بن إبراهيم ارتهن زوج مشابك فضية (زوجة الخلالة من النقرة) من أحمد بن عبد الله، مقابل مبلغ مالي قدره (**ست عشر أواقية من النقرة مولايْ إسماعيل**).

كان أحمد بن إبراهيم يتوفر في هذه الفترة على إمكانيات مادية هامة سمحت له بالانخراط في الاستثمار في رهن الحلي وغيرها من الممتلكات. فقبل الحصول على زوج المشابك الفضية بحوالي خمسة عشر يوما، وفي بداية شهر ربيع الثاني 1125 هـ(أبريل 1713م)، كان بادر رفقة أخيه إلى الزيادة في

[1] من قرية (ايمولاس) بفرقة (ايت وادّجاس) بقبيلة (ايمنتاكن)

قيمة رهن حقل مسقي (بطير) سبق أن تسلماه من ابن عمهما[1]. ونلاحظ أن انتقال الحقل بالرهن تم بين أبناء الأعمام داخل نفس القرية، مما يظهر حرص الأسرة على بقاء استغلال الأرض الفلاحية في إطار عائلي. أما زوج المشابك الفضية فقد جرى تداوله بين طرفين لا تربطهما أية رابطة أسرية ظاهرة، وينتميان إلى قريتين مختلفتين، (مُولّيژ) و(إيمولاس). إن انتقال ملكية واستغلال الأرض محكوم بإكراهات اجتماعية لا تنطبق بالضرورة على الحلي التي "تتجول" خارج الحدود الضيقة للاطار العائلي والقبلي.

+ جرد للديون من تاجـكّـالت في تاريخ متأخر عن ربيع الثاني 1146هـ (1733م)[2]

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

اشهد الفقير عبدالله بن الحسن بني حامد التجـكّـالتي يشهد لله تبرك و تعلى بالوحدانية والتوحيد والرسالة النبوءة على صحة عقله مريض الجسم بأنه أوصى بجميع بيان متاعه وديونه التي كانت له بيد بعض الناس فمن ذلك زوجة الخلالة النقرة الصائرة اليه من عند محمد بن إبراهيم بني مر من تفنكّولت[3] رهنه منه تلك الخلالة بتمانية عشرة أواق عادلة ثم رهنه الفقير عبد الله المدكور ذلك لمحمد بن محمد بن عبد الله التصرتي المسكّـالي بخمس عشرة أواقي عادلة □ ثم لدى محمد بن الحسن بني ارزكّـن به عرف بني مر خمسة أصواع من قطرة الزيت، ثم عند عبد الله بنو إبراهيم سبعة عشرة صاعا من شعير الكيل، الجميع أصل ذلك سلفه سلفا احسانا □ ثم لدى محمد من بني سعيد بن علي خمسة وتلاثون صاعا زرعا بوجه السلف إحسانا □ ثم عبد الله الخراز[؟] خمسة وعشرون صاعا من الشعير بوجه السلف أيضا ثم عند عبد الرحمان نيت الطالب يوسف ستة أصواع الشعير ثم لدى الفقير علي بن علي بني [الإدريسي ؟] خمس أواقي عادلة وعند علي بن الدوش جـ ـ دفعه له على أن يكون له بالموزوية[4]؟[رقم 37]

يخبرنا هذا "الزمام"، أن عبد الله بن الحسن رغب في إنجاز "بيان متاعه وديونه التي كانت له بيد بعض الناس". ونفهم من استعمال صفة "الفقير" أن المعني بالأمر كان كبير السن، وقد بادر بإنجاز هذه الوثيقة من أجل إحصاء معاملاته مع بعض الأشخاص لتكون بيانا له أو لورثته في حالة وفاته. وتوضح الوثيقة ان المعني بالأمر حتى وان كان مريض الجسم، فإنه "صحيح العقل"

اما هذه الديون فهي:

---

[1] نص زيادة رهن حقل :
الحمد لله و حده و صلى الله على سيدنا محمد
زاد مبارك بن يحي بن مبارك الوجاسي من املس [ايمولاس] من يد أولاد عمه أحمد بن إبراهيم وأخيه مبارك بن إبراهيم من النسب جميع عشرة موزونة في البطير المرهون بيدهما المعروفة له بالسدر[؟] مشهورة بتسل [=تاسيلا] زيادة صحيحة تامة على التمن الأول جملة ذالك يوم الافتكاك [–] ما قدره شهد على اشهاده بدلك بحال كماله بتاريخ أوائل ربيع التاني عام خمسة وعشرون بعد مائة والف عبد ربه احمد بن الحسن بن محمد الوجاسي من املاس لطف الله به" [17 ايمنتاكن]
[2] نعرف من خلال باقي وثائق الأسرة ان هذا الشخص تزوج بتاريخ ربيع الثاني 1146/(1733م) [وثيقتين 60 و 61].
[3] هذه الجملة شُطّب عليها بسطر
[4] العملة الأخيرة غير واضحة

- خمسة أصواع من زيت الزيتون عند محمد بن الحسن من آيت مري

- سبعة عشر صاعا من الشعير عند عبد الله من (آيت إبراهيم) بوجه "السلف والاحسان"، وقد تم تحديد كمية هذا الشعير بكيل سوق الجمعة.

- خمسة وتلاثون صاعا زرعا عند محمد من (آيت سعيد وُعلي) بوجه السلف والإحسان.

- خمس وعشرون صاعا من الشعير عند عبد الله الخراز[؟]بوجه السلف والإحسان

- ستة أصواع من الشعير عند عبد الرحمان من (أيت الطالب يوسف)

- خمس أواقي عادلة عند الفقير علي بن علي بني [الادريسي ؟]

- زوج مشابك الفضة (الخلالة النقرة) التي سبق للفقير عبد الله أن أخذها بالرهن من عند محمد بن إبراهيم بني مر من قبيلة (تافينـكّولت) بمبلغ قيمته ثمان عشرة أوقية عادلة، ثم قام الفقير المذكور، بعد ذلك برهن هذه الحلية لمحمد بن محمد بن عبد الله التصرتي المسكالي بخمس عشرة أو اقي عادلة.

يتضح من خلال هذا الجرد أن الفقير عبد الله، أعار زيت الزيتون والشعير والنقود على الأقل لخمسة أشخاص، من خمس أُسر مختلفة. وكان هذا السلف "بوجه الإحسان"، أي لم تكن تترتب عليه فوائد. وتدل هذه المعاملات على أن المعني بالأمر كان في وضعية مادية مريحة، وكان يتوفر على الشعير وعلى زيت الزيتون لاستهلاك أُسرته، بالإضافة إلى فائض يمكن إعارته للآخرين.

غير أن طبيعة حضور الحلي ضمن هذا الجرد توحي بتقلبات طارئة في الوضعية المادية للفقير عبد الله بعد ذلك. فقد سبق له أن أخذ زوج المشابك على وجه الرهن من عند شخص من قبيلة (تافينـكّولت) مقابل ثمان عشرة أوقية عادلة عندما كانت إمكانياته المادية تسمح له بذلك، ولكنه سيضطر لاحقا إلى التخلي عنها، وتسليمها لمحمد بن محمد بن عبد الله من قرية أخرى مقابل خمس عشرة أوقية عادلة. وتبرز هذه الوضعيةُ إمكانيةَ انتقالِ رهنِ الحليةِ بين أكثر من طرفين، فقد انتقلت المشابك الفضية بين ثلاثة أشخاص من ثلاث عائلات مختلفة ومن قرى متباعدة، مع التقيد بتوثيق كل هذه الانتقالات من أجل ضمان حق المالك الأصلي في استرجاع حليته متى توفرت له قيمة الرهن.

+ عقد جهاز من (ءايت حامد) بتاريخ رجب 1250 هـ (نونبر 1834م) [وثيقة 5]

ورت مجموعة من قطع الحلي ضمن مكونات جهاز من قبيلة ءايت حامد بتاريخ رجب الفرد عام 1250(نونبر 1834م)، وهي:

- زوجين من أقراط الأذن،
- خواتم صغيرة (تالّخاتمتين)، دون تحديد العدد

- الحلية الجبينية من نوع "ءامشبوح" بإحدى وعشرين أُقية
- زوج الأسوار من نوع "تانبالت" بأربعة مثاقيل؛ وقد حصلت عليه أُسرة الزوجة بواسطة الرهن.
- زوجين من المشابك (خلالات)
- قلائد مختلفة: بعضها مركب من علاقات فضية كبيرة (إيموحدين)، والبعض الآخر مكون من علاقات فضية صيرة (تيموحديين)
- كرية فضية مجوفة وكبيرة الحجم (تاكّمّوت)[1]،
- قلادة من المرجان،
- قلائد من اللوبان الأصفر
- حلية " الحرُزْ أُضــرْض "
- زوجين من المشابك الفضية (الخلالة) : أحدهما في ملكية الزوجة، وقد حصلت عليه من زوجها، والثاني حصلت عليه أسرتها بواسطة الارتهان. وتجدر الإشارة إلى أن زوج المشابك الأول ، قوم بأربعة عشر مثقالا، بينما قوم زوج المشابك المرتهن بثمانية مثاقيل فقط. قد يكون سبب هذا الاختلاف مرتبطا بالخصائص الفنية والتقنية لكل مشبكة أو بوزن كل حلية من الفضة، ولكنه قد يفسر أيضا بكون قيمة رهن الحلية، تكون غالبا أقل من قيمة البيع.

كانت الحلي المكونة لهذا الجهاز في ملكية الأسرة، باستثناء قطع محدودة محصلة من رهن وهي زوج الأسوار من نوع (تانبالت)، وزوج مشابك فضية. لقد كان من حق العروس أن تتزين بالحلي المرتهنة، وأن تستغلها في كل أوجه الاستغلال التي يتيحها الرهن. وعندما يبادر أصحاب تلك الحلي إلى إبداء الرغبة في استرجاع حليهم، ستعيد لهم العروس زوج الأساور وزوج المشابك، وتتسلم منهم المبلغ النقدي المساوي لقيمة الرهن.

ب- القلائد

+ إفادة حول رهن قلادة من تاجـّالت حرر بتاريخ أو اسط رمضان 1164 **(1751م)**، ثم ألحق به عقد آخر بتاريخ أول جمادى الأولى عام 1166 (مارس 1753م):

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد

وعن لسان إبراهيم بن عبد الله انه رهن علقة[2] الدز عند رجل لم يعرف اسمه بتلعة تِيِّيوْت وجدنا فيها بلحساب تسع وستين زوجة من حب الدر [الدز] وثلاثة أقلاب وهذا ما رأينا في تلك العلقة،

[1] تتوسط هذه الكرية عادة قلائد المرجان واللوبان الاصفر
[2] المقصود بـ(علقة) قلادة العنق

وشهد إبراهيم بن عبد الله بانه دفع لربها ثلاثين أواقية و كتبه عنه في تاريخ أو سط رمضان عام 1164 عبيد ربه عبد الرحمـ[ـان]" (40 تج)

الوثيقة عبارة عن إفادة إبراهيم بن عبد الله، يوضح فيها أنه ارتهن قلادة من حبوب الفضة المسماة (ءودّيز) من شخص آخر في قرية (تالات ن تييّيوت)، وتتكون هذه الحلية من 69 زوجا من حبوب الفضة التي تفصل بينها ثلاث فواصل من صنف "اقلاب"[1]. والوثيقة، كما رأينا، ليست عقدا بين طرفين، ولكنها مجرد إفادة طرف واحد، لذا لم يرد فيها اسم صاحب القلادة[2]، ولا أسماء الشهود. وبعد حوالي سنتين، وبالضبط في بداية جمادى الأولى عام 1166،(مارس 1753م) سيستعين إبراهيم بن عبد الله بخدمات محرر آخر من أجل إنجاز إفادة ثانية، ورد فيها:

"الحمد لله وعن لسان إبراهيم بن عبد الله نيت حامد من تجكلت أنه رهن له محمد نيت عبد الرحمان من تفـكّست [؟] جميع قلادة أدز بثلاثين أوقية إسماعيلية المكتوبة أعلاه وزاد عنده عشرين أو قية أيضا حتى استكمل تلك العدة خمسين أوقية إسماعيلية حتى[3] أراد متاعه وبه كتب عن لسان المذكور أعلاه وفي تاريخ أول جماد الأول ى عام 1166 عبد ربه أحمد بن أبي بكر بن محمد التيصرتي

إلحاق وفيها سبعون زوجة من ابّر[4] غير واحدة و به أيضا [(40 مكرر تج)]

يوضح ابراهيم بن عبد الله في إفادته الثانية اسم صاحب القلادة والقرية التي ينحدر منها[5]، ويُذَكِّر بمبلغ الثلاثين أوقية التي دفعها سابقا ثم العشرين التي زادها لاحقا ليصبح قيمة الرهن خمسين أوقية إسماعيلية. وألحَقَ المحرر بهذه الإفادة تذكيرا بوصف القلادة المكونة من 69 زوجا من حبوب الفضة. ويؤكد هذا النموذج من المعاملات إمكانية الزيادة في قيمة الرهن متى اتفق الطرفان على ذلك.

ونلاحظ من جهة ثانية أن نفس الحلية سميت من طرف محرر العقد الأول باسم "علقة الدز" بينما اعتبارها محرر الوثيقة الثانية "قلادة ادز"، أي أن لفظي العلقة والقلادة في هذه الحالة يدلان على نفس النوع من الحلي.

+ عقد رهن من تاجـكّـالت بتاريخ ءاخر ربيع النبوي عام 1294 (أبريل 1877م):

اطلعنا على عقدين من تاجـكّـالت يوثقان لعملية رهن قلادة واحدة، وقد حُرِّر العقدان على يد نفس الكاتب في فترتين متقاربتين، وبالضبط في آخر "ءاخر ربيع النبوي عام 1294"(أبريل 1877م)،

---

[1] يبدو أنها ترجمة حرفية للمصطلح التقني الامازيغي "ءول" الذي يعني لغة القلب، واصطلاحا في مجال الصياغة علاقة كبيرة الحجم تتوسط القلادة.

[2] قد يبدو لنا جهل اسم صاحب الحلية أمرا غريبا، ولكننا لا نتوفر على كل المعطيات المحيطة بهذه النازلة.

[3] قد تقرأ أيضا: متى

[4] كلمة غير مقروءة، و قد تكون (ادّر)

[5] ورد في الوثيقة الأولى أن المعاملة تمت في قرية (تالات ن تييّيوت)، وفي الإفادة الثانية ورد أن الطرف الثاني ينحدر من قرية (تفـكّست)، أي أن الطرفين ينحدران من قريتين مختلفتين، وشرعا في الرهن في قرية ثالثة.

- العقد الأول:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد

ارتهن الحسن بن سعيد بني بحسن التجكّالت لحامله الحسن بن أحمد بني حامد من محل المذكور جميع القلادة من الدراهم فيها سبعة عشر زوزة من المرجان وأربعة أثمان وخمس أو اقي من الفضة وخمسة أوجه، وهم إِطْرْنِشْنْ من الفضة كل ذلك بيدهم[1] من الفضة بثمن بالغ قدره ونهايته ريالة [...] جزائرية وربوع واحد بوجهه و مع ذلك اثنين[...] أوقيتين وموزونتين دراهم فضة سكة قبض الأول [...] العدة من يد الثاني بإقراره لدينا بالقبض تقابضا و تفا[...]صلا في الثمن والمثمون وبذلك شهد به علىَّ في ءاخر ربيع النبوي عام 1294 عبد ربه تعالى محمد بن أحمد بني الطالب التجموتي النفيس لطف الله به [شكل] وعبيد ربه تعالى سعيد بن الحسن الز؟زي لطف الله به" [وثيقة 23]

يوضح العقد الأول ، والمحرر بتاريخ آخر ربيع الثاني 1294(أبريل 1877م)، أن الطرفين ينتميان إلى نفس القبيلة، ولكنهما ينحدران من عائلتين مختلفين: (آيت بوحسين) بالنسبة للراهن و(ءايت حامد) بالنسبة للمرتهن. أما القلادة موضوع الرهن فكانت مكونة من قطع نقدية (دراهم)، وسبعة عشرة زوجا من المرجان، وخمس علاّقات فضية (ءيطرناشن). وبعد مدة وجيزة من هذا الاتفاق، ودائما في آخر ربيع الثاني 1294، اتفق الطرفان على الزيادة في قيمة الرهن بموجب عقد جديد، حُرِّر على ظهر نفس الورقة التي تضم الوثيقة الأولى:

"الحمد لله وحد

زاد البائع حوله من يد المبتاع حوله جميع سِتٍّ أو اقي قيل[2] موزونة على ما بيده في القلادة المرسومة حوله زيادة صحيحة تاما أبدا [ـ] مع الثمن الأول تكون الجملة واحدة يوم الافتداء والقطع إن شاء الله في تاريخ ءاخر ربيع النبوي عام 1294 عبد ربه تعالى [محمد بن] احمد بني الطالب التجموتي النفيس لطف الله به " [(23 مكرر).

لا تكرر هذه الوثيقة اسمي الطرفين ولا وصف القلادة موضوع الرهن، واكتفت بالإشارة إلى أن صاحب الحلية توصل من المرتهن بزيادة قدرها ست أواقي قل موزونة لتنضاف إلى المبلغ المدفوع سابقا.

+ عقدي رهن من قبيلة تاجلت: أحدهما بتاريخ جماد الثانية عام 1323 (غشت 1905م)، والثاني بتاريخ محرم 1324 (1906م).

---

[1] تسمى محليا (تافوست) وهي المقبض الصغير الذي تجهر به الصفيحة الفضية (أطرنيش) أو المسكوكة لكي تنظم في القلادة.
[2] يقصد: قلٌّ، أي أن المبلغ هو ست أواق تنقصها موزونة واحدة

قام حمد بن عبد الله بالحصول على قلادتين بموجب عقدي رهن من مكانين مختلفين؛ أحدهما مع شخص ينحدر من قبيلة بعيدة، والثاني مع شخص يقيم معه في نفس القرية.

° العقد الأول بتاريخ جمادى الثانية عام 1323 (غشت 1905م)

الحمد لله وحده

اشهدنى على نيت سعيد بن مَحمْد من فم لفكت أنه رهن ووضع لحامله وهو حمد بن عبد الله نيت تبي جميع القلادة وهي تفلت اثنين وعشرون نتلوبانت، اثنا عشر نتمحديت الصغيرة صنعة اليهود رهنا صحيحا قاطعا[1] إن وجد الثمن توجد الإقالة بينهما إن طال الزمان أو قصر، البالغ قدره ونهايتها عشرون مثاقلا ان قبض الراهن من يد المرتهن قبضا كاملا وهذا ما شهد على وبه كتب بتاريخ شهر الله وجماد الثانى عام 1323 عبد ربه عبد الله بن سعيد بنى محمد الله وليه ءامين [شكل] [وثيقة 5]

يقيم أحمد بن عبد الله من عائلة (ءايت تابيا) بقرية (ءامضروس) بقبيلة (ءيداومحمود) بالقرب من قمة الأطلس الكبير، وارتهن قلادة من عند (على نيت سعيد) المقيم في قرية (ءيمي لفوكت) بقبيلة (ءيلبنسيرن) [دمسيرة] التي تبعد بحوالي مسيرة يومين ذهابا وإيابا. والقلادة المرهونة تسمى محليا (تيفيليت)، وتتكون من 12 علّاقة فضية صغيرة (تاموحديت) التي تفصل بينها 22 كرية صغيرة من اللوبان الأصفر (تالّوبانت). وكانت العلّاقات الفضية من صناعة الحرفيين اليهود الذين كانوا يشتغلون في بعض ملاحات المنطقة وخاصة بملاح (تاركانت نايت موسي). أما قيمة الرهن فبلغت 20 مثقالا.

العقد الثاني بتاريخ محرم 1324 /(1906م)

"اشهدني محمَّد بن الحسن نيت الطالب انه رهن ووضع لحامله وهو حمد نيت تابيا جميع تفلت من النقرة ومع اژمژل رهنا صحيحا قاطعا إن وجد الثمن توجد الإقالة بنهما إن طال الزمان أم قصر البالغ قدر ونهايتها سبعة ربوع سكة الحسن وهذا ما شهد على، وبه كتب وبتاريخ شهر الله محرم عام 1324 عبد ربه عبد الله بن سعيد بن محمد الله وليهء امين [شكل] [تاجلت 6]

تبين هذه الوثيقة أن أحمد بن عبد الله من أسرة (أيت تابيا)، ارتهن قلادة (تيفيليت) مكونة من القطع الفضية الفضة مع (اژمژل)[2]، من شخص يقيم معه في نفس القرية، وينتمي إلى عائلة أخرى. وبلغت قيمة هذا الرهن سبعة "ربوع" من سكة الحسن الأول .

---

[1] تستعمل كلمة قاطعا عادة في البيع و ليس في الرهن

[2] الكلمة غير مشكلة، ولم نهتدي إلى دلالة مؤكدة، وإذا افترضنا أنها مشتقة من فعل (ايژلي) بمعنى فصل، فإن اللفظ يمكن نطقه بصيغتين: صيغة المفرد اَژَمَژَلْ والتي تعني الفاصل، إما إذا كانت في صيغة الجمع (اِيژْمژْلا)، فقد تعني الفواصل. ومن المعتاد أن تكون القطع الفضية المكونة للقلادة مفصولة بفواصل من عقيق الزجاج أو اللوبان أو المرجان. وتسمى هذه الفواصل أيضا (اژّلاي) المشتق بدوره من فعل (ايژلي)، وجمعه ايژّلاين

كان المرتهن يتوفر على المبالغ المالية التي مكنته من الحصول على قلادتين مختلفتين في معاملتين خلال ستة أشهر فقط، واحدة في قريته، والأخرى من قبيلة بعيدة.

ت- تانبالت

+ جرد للممتلكات من (ءاڭنسان) بتاريخ ذي القعدة عام 1229 (1814م) .

ورد الجرد ضمن وثيقة مبتورة الأول [1]:

,,, **"والمواعين أيضا من الدوم باثني عشر أو اقية والكومّيتَيْنْ بعشرة مثاقلا ومكحولتين واحدة كانت عندهم بالرهن باربع واربعين أواقية والثانية بعشرة مثاقلا وستة عشر مثاقلا ونصف المثقال قيمة الأتواب الصوف الأبيض وخمس وثلاثين أواقية أيضا قيمة الخنيف[؟] والنبالة الكبيرة كانت عندهم بالرهن بخمسين أواقية والنبالة أيضا بخمسين أواقية والخريص[؟] أيضا بخمس وثلاثين أواقية بالرهن وزوجة الخلالة بعشرة مثاقلا دراهيم [-] عشر أواقي من الدراهم وثمانية مثاقل أربع أواقي في اللبان وسبع وعشرون أواقية في ستة خيوط من المرجان مع عمارتهم وأربع عشر أواقية في القرنفل مع عمارته وأربعين أواقية أيضا في الحرير والريحية[؟] بخمس واقي ونصف وسبع أواقي دراهم في الصباطين الرجال والريحية أيضا بعشرة أوجه**

هذا ما [-]العادة بحضور الشهود جماعة ءال تازوضوط محمد بن سعيد وأخيه عبد الله واحمد بني ايت مبرك [- - -] احمن واحمد بن احمد الكيسي والكاتب بتاريخ شهرالله ذي القعدة عام تسع وعشرون سنة وماتين والف عبد ربه احمد بن مبارك [-] [وثيقة 15]

يضم الجرد المكونات التالية :

- "مواعين من الدوم"، ويقصد بها غالبا أطباق مختلفة الأحجام، وكذا القفاف، والحصير.

- الأسلحة : خنجرين مع جوائهما (الكوميتَيْنْ)، وبندقيتين (مكحولتين)

- ملابس صوفية بيضاء اللون

- برنوس خشن مخصص لأيام البرد ينسج من شعر الماعز (أخنيف)

- قطع الزيف من الحرير، ويقصد بها عادة أغطية الرأس النسوية[2].

- زوج بلغة رجالية (صباطين)، وزوجين من بلغة نسوية جلدية حمراء اللون (ريحية)

---

[1] **الوثيقة مبتورة الأول ، ويبدو أنها تضم "زِماما" أو جردا لثروة الأسرة، ونرجح أن الأسطر المبتورة كانت تحتوي على إحصاء البهائم والغنم والحبوب و أواني النحاس و أدوات الحديد، كما هو معهود في مثل هذه الوثائق؛ وينجز هذا النوع عادة عند التحاق زوجة جديدة ببيت الأسرة**

[2] **أحيانا يدل لفظ الحرير على الحزام النسوي أيضا**

- إسورتين من نوع (تانبالت)، واحدة كبيرة، وكانت عند صاحب الجرد (بالرهن)،

- أقراط الأذن (الخريص؟)، وكانت عند صاحب الجرد بالرهن

- زوج مشابك (خلالة)

- قلائد من اللبان، والمرجان، والقرنفل ...

تبدو لائحة حلي والملابس هذه الأسرة كاملة، وتضم زوجا من المشابك، وأقراط الأذن، وقلائد اللبان الأصفر والمرجان والقرنفل، وإسورتين من نوع "تانبالت". وكانت إسورة (تانبالت) الكبيرة الحجم وأخراص الأذن موضوعة عند هذه الأسرة في إطار معاملات مرتبطة بالرهن. وتنطبق نفس الوضعية على الأسلحة النارية، حيت يبرز الإحصاء من بين مكوناته مكحولتان "واحدة كانت عندهم بالرهن ب 40 أوقية، أما الثانية، وهي في ملكية الأسرة، فقيمتها 10 مثاقيل". ولم يكن باستطاعة الأسرة الإقدام على ارتهان الإسورة وأقراط الأذن والـ(مكحلة) الثمينة بدون توفرها على فائض مالي مناسب.

+ عقد جهاز من ءايت حامد بالأطلس الصغير الغربي بتاريخ رجب 1250(نونبر 1834م):

يضم عقد جهاز من (يت حامد) مجموعة من الحلي المختلفة من أقراط الأذن، وحلية جبينية، ومشابك وأساور وخواتم وقلائد العنق المكونة من علّاقات فضية وكرية مجوفة ومن مرجان ولوبان أصفر. وكان زوج الأساور من نوع (تانبالت) وزوج المشابك من الممتلكات التي حصلت عليها أسرة العروس بالرهن.

+ عقد رهن من تاجلت بتاريخ أوائل رجب عام 1268/ (أبريل 1852م)

" الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه

اشهد لدى وشهد على نفسه عبد الله بن أحمد بنى منصور التنارى من أَسَكّ بانه رهن ووضع لحامليه الطالب سيدي الحسن بن محمْد بنى محمْد التجلتى من محلة أمضروس جميع تَنْبَلْتْ وهي ازبكّ من النقرة الصافي من العيوب الظاهر[ة] في هاده الساعة رهن الأول للثاني جميع ما ذكرنا بمنافعها رهنا صحيحا ممنوعا من الفوت إذا وجد الثمن توجد الإقالة بينهما بالثمن البالغ قدرها ونهايتها ثلث وعشرون أوقية دراهيم سكة الجارية في الوقت وعلى السنة في ذلك وعرفهما كافيا بتاريخ أوائل شهر الله رجب عام 1268 عبيد ربه عبد الله بن بلا أمرير من حوزة[1] كاكت غفر الله ذنوبه"[2] [تاجلت 7]

[1] ينتمي الكاتب إلى قرية (كاكت) بقبيلة (تاجلت)، وبما أن كل سكان قريته ينحدرون من (حوز) مراكش ، فإن هذه القرية تسمى في الوثائق: حوزة كاكت.

[2] اسم محرر العقد، ومكان التحرير، والدعاء والتاريخ ادمجت كلها في شكل الموثق.

يوثق هذا العقد لمعاملة رهن بين صاحبها الذي يقيم في قرية (ءاَسَكّ) بقبيلة (ءايت تونارت)، وبين المرتهن، الذي ينحدر من قرية (ءامضروس) بقبيلة (تاجلت)، وتفصل بين مقري إقامة الطرفين حوالي مسيرة يوم ذهابا وإيابا. أما موضوع الرهن فهو أسورة فضية مقابل 23 أوقية. وقد أورد محرر العقد الاسم العام للأسورة، وهو (ءا**زبگ**)، والاسم الخاص، وهو (تانبالت) والذي يطلق حصرا على فئة الأساور التي تفتح وتغلق بواسطة مفصل. وجدير بالذكر أن المحرر ذكر وظيفة المرتهن الذي كان (طالبـا) وحلاه بلقب سيدي. وقد كانت ممارسة الشرط في المساجد، والتدريس في المدارس العتيقة يوفران الإمكانيات اللازمة للطلبة والعلماء من أجل ارتهان الحلي[1].

ث- حلية جبينية (تاسفيفت)

+رسالة من ءيمنتاكّن غير مؤرخة

"الحمد لله وحده

وعليك السلام أيها المسلم علينا في بطاقة أخرى فكتابك قرينا وفهمنا ما فيه لفظا

ومعنى[2] يعنى الحاج عبد الرحمان أما السَّفيفة التي أرسلت لهَا أحمد بن بَهَا فهي رهنها لمحمَّد ابه بنى بربوش بواحد وعشرون مثقالا ارْبع ربوع [-] افتداها من يد سيد مبارك نيت إبراهيم بتكّنتورت واحدى عشر مثقالا زادهنَّ من يدِى وكل خبرهَا في رأس حامل[3] وأمَّا السفيفة أحمد أُبه الذى سألني حامل كتابك ما عندى ولا رأينا قط ولا سمعنا وما عندى إلا متاع محمَّد أُبه بما ذكر لك من المال وإن وجدهَا حامل أو غيره فيودي لي متاع والسلام من يد المقدم الحسن ابه وكافة الجماعة ومع سيد مبارك نيت ابلا[4] والسلام" [وثيقة 24]

نفهم من هذه الوثيقة أن شخصا اسمه الحاج عبد الرحمان سبق له أن وجه رسالة مع [رقاص]، إلى الحسن أوبيهي الذي كان يشغل منصب مقدم قريته في قبيلة (ءيمنتاكّن) في تلك الفترة، ويطلب منه توضيحات بشأن حلية جبينية من نوع "السفيفة " في ملكية شخص يدعى أحمد أوبيهي. وفي هذه الرسالة الجوابية يشرح المقدم بأنه لا علاقة له بتلك الحلية، وبأنه يتوفر على "سفيفة" أخرى كان قد حصل عليها بالرهن من شخص آخر يسمى محمد أوبيهي، وليس أحمد أوبيهي مقابل مبلغ مالي؛ وعبر عن استعداده لإعادتها إلى صاحبها بمجرد توصله بقيمة الرهن.

---

[1] **تحدث الكختار السوسي عن عن فقيه مشارط في (أداي) بحربيلة ، توفرت له إمكانيات مادية هامة فمال إلى مداينة الناس وارتهان حلي الأسر . أنظر : السوسي ، المعسول، مصدر سبق ذكره ، ج 10، ص،204**

[2] **أي : فهمت الرسالة لفظا ومعنى**

[3] **المقصود بالحامل صاحب الحلية الذي رهنها للقدم**

[4] **قد يكون "سيد مبارك نيت ابلا" هو الكاتب الذي حرر الرسالة.**

في غياب الرسالة الأولى التي نبهت إلى مشكل "السفيفة"، لن نعرف تفاصيل "سوء الفهم" الذي جعل شخصا يبادر بالكتابة لطلب توضيحات عن حلية من المقدم الذي يؤكد أنه لا يتوفر عليها. ولكن الرسالة مهمة على عدة مستويات، نذكر منها:

- يمكن للرهن ان ينتقل من شخص لآخر يكون مستعدا لدفع مبلغ مالي أكبر، وفي هذه الحالة، فإن المرتهن الجديد يحصل على الحلية بعد أن أدى قيمة الرهن الأول للمرتهن الأول ، بالإضافة إلى زيادة مبلغ آخر يحصل عليه صاحب الحلية[1].

- تتدخل الأطراف لمحاولة حل بعض المشاكل المرتبطة بمعاملات الحلي، فنرى هنا أن الشخص لا يتردد في مراسلة "مقدم" قبيلة أخرى ليطلب منه توضيحات بشأن حلية ما. ونرى المقدم يحرص من جهته على تحرير رسالة جوابية لتقديم التوضيحات اللازمة. وتوضح الرسالة أن إعداد الجواب تم بحضور "الجماعة"، فالمقدم لا يحق له أن يتخذ أية مبادرة دون الرجوع إلى السكان الذين "انتخبوه" لهذه المهمة لمدة محددة، وسيحاسب في حال أي تهاون أو تهميش "للجماعة".

خلاصات

تساعدنا هذه النماذج من الوثائق على رصد أهم خصائص رهن الحلي في تاريخ المجتمع التقليدي بالجنوب، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- كان الرهن يشمل كل أنواع الحلي التي كانت تتزين بها النساء من الأكاليل، وأقراط الأذن، والمشابك، والقلائد والأسوار.

- كان الرهن معاملة "مفتوحة"، تسمح لصاحب الحلية بطلب الحصول على مبلغ مالي إضافي كلما رغب في ذلك؛ وغالبا ما يسارع المرتهن إلى دفع الزيادة المطلوبة إذا توفرت له الإمكانيات، وإلا فإن طرفا ثالثا يتدخل ويدفع قيمة الرهن الأصلي للمرتهن كي يتسلم منه الحلية، ويدفع بعد ذلك المبلغ الإضافي الذي يطلبه صاحب الحلية. وتتم هذه العمليات المتداخلة بضوابط محددة، وتوثق بدقة كي تُضمن حقوق كل الأطراف.

- عند ما تحصل الأسرة على حلي بالرهن، فإنها تستفيد منها في كل الاستعمالات المعتادة وخاصة لتزيين النساء، كما تحضر بقيمة الرهن النقدية ضمن مكونات الجهاز وضمن جرد ثروات العائلات.

- كانت الحلي المرهونة تبتعد عن أماكن سكن أصحابها، وتنتقل بين القرى والقبائل لتربط علاقات تجارية بين أفراد قد لا تربطهم أحيانا علاقات القرابة أو المصاهرة.

[1] انظر وثيقة 37 تاجكالت أعلاه حول المشابك الفضية

لقد كان الرهن معاملة مرنة، تسمح لصاحب الحلية بالحصول على السلف دون فوائد، ثم يناضل بعد ذلك أجل استعادة حليته، ويعمل جاهدا لجمع المبلغ اللازم اعتمادا على مداخيل ناتجة عن بيع محصول جيد، أو مواش، أو من هجرة موسمية للعمل وإحضار النقود. ويحرص في البداية على رهن حليه مقابل مبلغ مالي بسيط، ليكون قادرا على رده بدون ارهاق موارده المالية المتوقعة. وإذا تأزمت ظروفه المادية أكثر، فيمكنه أن يواصل المطالبة بمبالغ إضافية، تزاد إلى قيمة الرهن الأصلي. وتجدر الإشارة إلى أن المبلغ الذي يسلم في رهن، يكون عادة أقل من الثمن الفعلي للحلية، ولكن عند تحويل الرهن إلى بيع، فإن صاحبها لن يتخلى عنها الا بعد أن يكون تسلم قيمتها الحقيقة بفضل الزيادات المتتالية التي حصل عليها.

2) بيع الثنيا والإقالة

بيع الثنيا هو العقد الذي يشترط فيه البائع على المشتري أن يرد اليه المبيع متى أتاه بالثمن الذي دفع اليه[1]، وتواضع الناس في سوس على اعتبار هذا البيع نوعا من الرهن[2]. ووقفنا على نموذج واحد من هذا النوع من المعاملات في وثائق قبيلة (ءيداوكايس) بالأطلس الكبير الغربي، بتاريخ آخر صفر عام 1251 هـ (يونيو 1835م)

"الحمد لله و صلى الله على سيدنا مُحمد

وضع بوجه بيع الثنيا والإقالة الشب براهيم بن عبد الرحمان نيت محمد بتضرة الكيسي لحاملته أولاد المرحوم بالله احمد بن احمد نيت وسعدن بامتتر الكيسي مُحمد بن احمد والحسن بن احمد وأخيه عبدالله احمد مثالثا بينهم في الثمن والمثمون جمع زوجة الخلالة من الفضة صنعة المفرغ بنهاية ثلاثة وعشرين مثقالا دراهيم سكة تاريخه قبضا وافيا معاينة من الجانبين لدينا بالقبض والدفع وهما بحال كمال الاشهدة وبه كتب بتاريخ اخر من شهر الله صافر عام 1251 عبد ربه سبحانه على بن الحسن بن محمد الكيسي [(وثيقة 19، ءيداوكايس]

يوضح العقد أن إبراهيم بن عبد الرحمان من قرية (طازروت) بقبيلة (ءيداوكايس) باع زوج مشابك لثلاثة أخوة من قرية (ءامتيتر) بنفس القبيلة؛ وكانت الحلية مصنوعة بتقنية (صنعة المفرغ)، أي أنها أنجزت عن طريق إفراغ الفضة المذابة في تجويف سبق أن وضع فيه نموذج الحلية المراد إعادة نسخها. وتمثل هذه المعاملة نموذجا لمشروع عائلي شارك فيه ثلاثة أخوة، وساهم كل واحد منهم بثلث المبلغ الذي تطلبه اقتناء الحلية. وسيسترجعون هذا المبلغ ويتقاسمونه متى توصلوا به من صاحب الحلية إذا ما رغب في استعادة المشابك الفضية.

[1] العبادي، فقه النوازل. مرجع سبق ذكره. ص. 449،
[2] نفسه ص. 450.

3) البيع القاطع:

أ- المشابك

+ عقد بيع من ءيمنتاكّن بتاريخ أو اسط ربيع عام 1134 (1721م)،

"الحمد لله وحده اشترى بحول الله وقواته مبارك بن إبراهيم وأخيه[1] محمد بن حم الوجاسي[2] من إمولاس جميع زوجة الخلالة الدكّ الخلاه[3] من يد سيد سعيد بن عبد الله الزداغي[4] من تلمت أصل من موضع تازيايت[5] اشتراء صحيحا قاطعا جائزا منجزا دون شرط يفسده ولا تماني[؟] ولا خيار ولا إقالة[6] ابدا طال الزمان اما اقصر وحل في ماله مالا حلاه والمرجع بالدرك وعرف البائع ما اشترى من يد المبتاع عرف قدره بثمن عدة ونهاية التمن عشرون أوقية قبضها البائع من يد المشتري جميع التمن المذكور قبض ذالك قبضا وافيا بمعية[؟] وشرط أصل الحلال برضائه وهاذا ما شهد به علينا في حال الصحة والجوز والطوع والرضى وعرفهما في ذالك تعريفا كافيا وفي تاريخ أوسط ربيع عام أربعة وثلاثين و مائة وألف. عبد ربه محمد بن عبد الله الوجاسي من امولاس لطف الله به ءامين وعبد ربه سبحنه سعيد بن عبد الله بن الحسين التملي من تلمت لطف الله [به] ءامين [وثيقة 5]

قام كل من مبارك بن إبراهيم ومحمد بن حمّو من قرية (ءيمولاس) بشراء زوج مشابك فضية من صنف "الدكّ الخلاه"[7] من يد البائع "الطالب" سيدي سعيد بن عبد الله من قرية (تازيايت) بقبيلة (تالامت / ءيداوزدّاغ) المجاورة مقابل عشرين أوقية. ونلاحظ أن شخصين ساهما في اقتناء الحلية، كمبادرة عائلية، لأنهما لم يقوما بقسمة ثروتهما بعد، أو لأن الحصول على زوج المشابك كان يتطلب ميزانية تفوق إمكانيات شخص واحد منهما.

اختار المحرر عبارات تبين بوضوح أن الشراء كان **"صحيحا قاطعا جائزا منجزا دون شرط يفسده ولا تماني[؟] ولا خيار ولا اقلة أبدا طال الزمان اما اقصر"**. وتفيد هذه العبارات في تأكيد أن البيع نهائي ولا يحق للبائع استعادة زوج المشابك في أي حال من الأحوال. ونلاحظ أن المشتريان من جهة، والبائع من جهة ثانية، ينتحدرون من قريتين واقعتين في قبيلتين مختلفتين، مما يبرز تعدد آفاق تدوال الحلي.

+ جرد للديون [زمام]من تاجكّالت بتاريخ جمادى الأولى عام 1159/ (1746م)

---

[1] نلاحظ أن المشتريين لكل منهما أب مختلف، بينما يشير المحرر إلى أن أحدهما "أخ" الثاني، فيكون تفسير ذلك، إما سهوا في كتابة اسم الأب بالنسبة لأحدهما، أو أنهما اخوان بالأم، أو أن الاخوة هنا تحيل على الانتساب إلى نفس الاسرة الكبيرة.

[2] من فرقة (أيت وادجاس) بقبيلة ايمناتكن

[3] [قد تقرأ أيضا : "الخللـ ه".

[4] من قبيلة ءيداوزدّاغ

[5] يقيم البائع في قرية (تالامت)، ولكن أصله من قرية (تازيايت)

[6] المقصود : اقالة

[7] لم نستطيع تحديد خصائص هذه التقنية

"الحمد لله زمام وبيان لمن يخاف النسيان والنكران عن لسان حامله إبراهيم بن عبد الله بني حامد أنه عند الشيخ عبد العزيز الحروشي بتافنـكـولت اتنان واربعين أوقية قيمة الخلالة الذين اشترى منه إلى وقت الحناء يعني وقت حصاد أوله ثم عند مبارك بن احمد بني حامد وعبد الله بن لمِنْ الا؟صماري ثم الامزالي نسبا ثمانية أواق وكما أن له أيضا غرارة الشعير بكيل الجمع عند عبد الله بن علي اجرو والفقير سعيد بن يحي ومحمد بن مبارك بني وسعدن ومحمد بن يحيى بن الحاج مرابعا بينهم إلى وقت الدرس وفي عدة الدين رهن مكحولة ذات الزناد من احمد بن مبارك العمراني وهو ابريْ بأربع وعشرين أو قية و كتبه بيانا في الحادي و العشرون من جماد الأولى عام 1159 عبد الله بن الحاج احمد وفقه الله بمنه[؟]" [وثيقة 41]

بادر إبراهيم بن عبد الله من عائلة (ءايت حامد) إلى إنجاز جرد (زمام) للديون التي له على مجموعة من الشخاص في قرى مختلفة وذلك بسبب (مخافة النسيان والنكران)، أي أن الزمام له وظيفتان، توثيق المعاملة لمحاربة النسيان، وكذلك ضمان الحقوق كي لا تنكرها الأطراف الأخرى إن لم تكن موثقة كتابة. واستُهِلَّ جردُ هذه الديون بذكر زوج المشابك[1] التي سبق "لصاحب الزمام" أن باعها للشيخ عبد العزيز الحروشي من (تافينـكُولت)[2] مقابل مبلغ مالي قدره اثنان وأربعين أوقية، ستدفع لاحقا بعد بداية فترة "حصاد" الحناء. بدأ (الزمام) بذكر المشابك، التي كان ثمن بيعها الأهم من بين كل المعاملات الأخرى، وقد سلم صاحب الجرد المشابك للمشتري دون ان يتوصل بالثمن كاملا، وسبقى المبلغ الناقص بمثابة دين على المشترى إلى حلول الأجل المتفق عليه[3].

أما الديون الأخرى التي يوردها الجرد فهي:

- مبلغ مالي قدره ثمان أواق عند كل من مبارك بن أحمد من عائلة (ءايت حامد)، وعند عبد الله بن لامين.

- غرارة من الشعير قومت بكيل سوق الجمعة سُلِّفَت لأربعة اشخاص. وقد تم الاتفاق على أن يرد المستعيرون ذلك الشعير وقت الدراس. وتبين هذه المعاملة النقص الذي كان ملموسا في مجال الحبوب لدرجة يضطر فيها أربعة أشخاص لاستدانة غرارة واحدة من الشعير. ويأمل المستدينون أن يكون الحصاد جيدا ليتمكنوا من رد الشعير في فترة الدراس.

- بندقية (مكحولة ذات الزناد) من نوع (ءابوريْ) أخذها صاحب الجرد بالرهن من عند أحمد بن مبارك العمراني مقابل بأربعة وعشرين أوقية.

---

[1] في النص وردت عبارة (خلالة)، في صيغة المفرد، ويبدو أن المقصود هو : زوج الخلالة

[2] لا توضح الوثيقة إن كان الشخص شيخا لقرية (تافينكولت)

[3] ربما في هذه الفترة سيتمكن المشتري من دفع ثمن المشابك بعد جمع محصول الحناء.

تظهر هذه الديون أن صاحب الجرد كان يتوفر على موارد مالية هامة مقارنة مع الأشخاص الذين استدانوا منه الشعير أو النقود، ومقارنة مع الشخص الذي اضطر لأن يتخلى له عن بندقته بواسطة الرهن. ورغم هذه الوضعية المادية "المريحة" نراه يبيع زوج مشابك لشخص أخر. لا نتوفر على عقد بيع المشابك، ولا نعرف إن كان البيع نهائيا ام مجرد بيع "ثنيا وإقالة". ولكن، من الواضح ان صاحب الجرد لم يكن على ما يبدو يعاني ازمة نقدية، لذا لم يكن مستعجلا لتحصيل ثمن الحلية، وكان مستعدا لينتظر حتى موسم الحناء.

ب- القلادة

عقد بيع من تاجـكّـالت بتاريخ ربيع الأول 1159/ (1746م)

الحـ[ـمد لله وحـ]ـده اشهد لدي و شهد على نفسه محمَّد بن[1] إبراهيم بني عدِّ التفنـكّـولتي انه باع وقطع للفقير [...]بن محمد بني الحاج التجـكّـالتي جميع خيوط العنق وهي [...ا]ذز التي [- -] من تاريخه وزنها [...] قبضا ما بقى من قيمتها وهو ثلاثة أواق باعها بيعا قاطعا تاما لم يتصل بها شرط يفسده بعد رضى كل واحد منهما وعرفوا قدرهما كلا في ربيع الأول عام 1159 عبد ربه احمد بن يحيا التجـكّـالتي [وثيقة 36 مكرر]

باع محمد بن إبراهيم من عائلة (ايت عدّي) بقرية (تافنكولت) قلائد العنق المكونة من حبوب الفضة المسماة (ءودّيز) لشخص آخر من عائلة (ايت الحاج) من قرية (تاجـكّـالت)، وقبض المشترى ثلاثة أواق بمناسبة انتهاء هذه المعاملة. وكان هذا البيع " بيعا قاطعا تاما لم يتصل به شرط يفسده بعد الرضى كل واحد.

ت - الحلية الجبينية

عقد بيع من (تاجلت) بتاريخ ربيع الأول عام 1285 (1868)

الحمد لله وحده

اشهد لدينا وعلى نفسه مُحمَّد بن الحاج سعيد نيت يدار ومع أخيه يدار بن الحاج سعيد ومع أمهما زهرة بنت براهيم نيت الحسن بانهم باعوا وقطعوا لعبد الله بن احمد نيت مَحمْد أُسعيد ومع امه رقية بنت براهيم نيت يدار جميع (حزز) وهو ازْرُرْ الفضة ومع تزررت التي فيه بجميع المنافع وكافة المرافق باعوا له ذلك بيعا صحيحا قاطعا جائزا مناجزا دون شرط يفسده ولا تنيا ولا خديعة ولا اقالة له ابدا بالثمن عدتها ونهايتها ثمانية عشر مثقالا دراهيم فضة سكة الوقت قبضهم ذالك قبضا كاملا، يشهدان علينا بذالك بتاريخ ربيع الأول عام 1285 عبد ربه على بن سعيد السوسى الله وليه [وثيقة 8].

[1] اللفظ مكرر لأنه في بداية السطر

لدينا هنا نموذج لمعاملة عائلية تجمع عدة أفراد من أسرتين تجمعها علاقات قرابة. فالبائعون هم الشقيقان مُحمَّد و (ايدار)، وأمهما زهرة، والمشتريان هما عبد الله ووالدته رقية. ونلاحظ أن رقية التي اشترت رفقة ابنها تنتمي إلى عائلة (ءايت ايدار) الذي ينتمي اليه الشقيقان البائعان مُحمَّد و ايدار، مما يظهر أن عملية البيع تمت مع الحرص على بقاء الحلية داخل الإطار العائلي. **أما** الحلية موضوع البيع، فهي عبارة عن إكليل جبيني يسمى في الأطلس الكبير الغربي (حازاز)، وقد أوضح المحرر أنه يسمى أيضا (ءازرور)، وكان يتكون من صفائح فضية (تيزرار). واختار محرر العقد الصيغة المناسبة لإبراز أن المعاملة نهائية، لذا وصف هذا البيع بأنه كان **"صحيحا قاطعا جائزا منجزا دون شرط يفسده ولا تنيا ولا خديعة ولا اقالة له ابدا".**

4) افتكاك الحلي المرهونة أو المباعة بيع "ثنيا وإقالة"

اطلعنا على وثيقة واحدة تشير إلى استرجاع الحلية بعد رهنها أو بيعها بيع ثنيا واقالة، ويتعلق الامر بجرد غير مؤرخ من قبيلة (ءيداوكايس)، ويضم مجموعة من المصاريف والنفقات.

" الحمد لله وحده

و عن لسان رب الزمام محمَّد بن المحجب [...] الدراهم التي دفع لمحمَّد بن هم بني ايت الطالب[...] من عنق الاعلا وهي جميع سبعة و عشرون مثاقلا دراهم سكة تاريخه و ثمانية مثاقلا أيضا في غرارتين من القمح أربعة أوجوه لكل صاع بصاع الجبل وخلص له أيضا غرارتين شعير بوجوههم[1] ودفع أيضا رب الزمام ستة عشر مثاقلا ونصف[2] أيضا لمحمَّد بن عيسى[...] لبنى اِلسبُعِ من اكرض تلتين أواقية دراهيم و ارب[...] دراهم افتدى بهم رب الزمام الكمية و النبالة من عند على بن بلا الكضاشي، وست أواق أيضا عند بووش[...] يعنى بُلَدْيَبْ، و ست عشرة أواقية أيضا دفعها لمحمَّد فى البنيَانْ و ثلاث أواق دفعهم لمحمَّد بن سعيد بني ايت الطالب وخمس عشرة أواقية من الكتان الدي[...] أخيه محمَّد بن احمد كل ما دكرنا أعلاه من [...] المدكور انتهى[3] واحيك من الصوف الكحل[4][...] بنت محمَّد بن مبارك باربعين أواقية والعبروق بمثقالين الحزامة النساء واللفة والحرامة الراس ووثلاثة أرجل من المرجان والكصعة من العود كامل ما دكرنا أعلاه بلسان رب الزمام و السلام انتهى [وثيقة 13]

تجرد الوثيقة (الزمام) المصاريف المتنوعة التي أداها محمد بن المحجوب، ورغم، أن الورقة ممزقة والتفاصيل غير واضحة، فيمكننا توزيع بعض هذه المصاريف إلى المجموعات التالية[5]:

---

[1] المقصود بعبارة "خلص له غرارتين شعير بوجوههم"، أنه أعاد له الشعير عينا وليس نقدا

[2] أضيفت فوق السطر

[3] كتب المحرر كلمة "انتهى"، ثم أضاف بعد ذلك عناصر أخرى للجرد، وختمها مرة أخرى بكلمة "انتهى"

[4] هل يقصد "الكحل" أي الأسود، خصوصا أن عقود أخرى تحدد لون الصوف عندما يكون أبيض؟

[5] يضم الجرد أيضا حزاما نسويا، ثلاثة قلائد منظومة بالمرجان الأحمر، وقصعة من العود، وحانك صوفي أسود اللون بالإضافة إلى غطاءين للرأس أحدهما من نوع (ءاعبروق)، و الآخر من نوع (المحرمة) وكلاهما خاص بالنساء، ويصعب تحديد علاقة هذه الأغراض بمصاريف (صاحب الزمام)

- دفع صاحب (الزمام) لمحمَّد بن همّو من عائلة (ايت الطالب)، من قرية (ءاڭـرض ءوفلا)، مبلغا ماليا قدره 27 مثقالا. ودفع لنفس الشخص ثمانية مثاقيل مقابل غرارتين من القمح، كما رد له غرارتين من الشعير التي سبق له ان استعارهما منه.

- دفع ستة عشر مثقال ونصف لمحمَّد بن عيسى[...] لبنى اِلسبُعِ[1] من قرية (ءاڭـرض)

- دفع مبلغ ثلاثين أو قية وارب[...] دراهم ليفتدي به الخنجر (الكمية) و إسورة (تانبالت) الذين سبق أن رهنهما أو باعهما بيع الثنيا والاقالة لعلى بن بلا الأكضاشي.

- دفع ست عشرة أو قية أيضا لمحمَّد

- دفع ثلاث أو اق لمحمَّد بن سعيد بني ايت الطالب

- دفع خمس عشرة أو اقية من الكتان الدي[...] أخيه محمَّد بن احمد[2].

يبدو أن صاحب (الزمام) عمد إلى توثيق المبالغ المالية التي صرفها، والتي سيستعين بها لاحقا، ربما عند قسمة "عمارة الدار" حين يحتاج كل "ساع" إلى تبيان مساهمه في تكوين ثروة الأسرة. وتنقسم هذه المصاريف إلى رد ديون نقدية مستحقة، وأداء قيمة القمح، ورد الشعير المستلف... كما تشمل هذه المصاريف افتكاك خنجر(كُمِّيَّة) وإسورة (تانبالت) بعد ان دفع للمرتهن قيمة الرهن المحدد في ثلاثين أوقية دراهم و ارب[...] دراهم. وتوضح هذه الوثيقة أن هذا الشخص تحسنت وضعيته المادية، وانتقل من وضعية الخصاص والإستدانة إلى وضعية مريحة توفر له فيها الفائض النقدي اللازم لأداء الديون، واسترجاع الأغراض الثمينة المرهونة، وفي مقدمتها (تانبالت). لقد كان استرجاع الإسورة عنوانا لتحول بارز في الوضعية المالية للأسرة.

تظهر الأرشيفات العائلية (ارّاتن) التي تسنى لنا الاطلاع عليها، والتي عرضت في هذه الدراسة، أن هناك طغيانا نسبيا للرهن على حساب البيع "النهائي" في مجال المعاملات الخاصة بالحلي. لقد كان البيع مرادفا للفقدان النهائي للحلية بالنسبة للبائع، ومكسبا بالنسبة للمشتري؛ أما الرهن -والبيع بالثنيا والإقالة كذلك- فكان يجعل من الحلية مجالا تتجاذبه الانشغالات المتعارضة للراهن والمرتهن.

لاحظ جاك بيرك، أن بيع الأرض في سوس كان ممارسة نادرة، بل وهناك قبائل قامت بإلغائه بشكل تام؛ كما لاحظ انطلاقا من العقود المكتوبة التي اطلع عليها في قبيلة (ءيسكساوان) بالأطلس الكبير

---

[1] **قد تكون ترجمة لـ (ءيزماون)، وهو لقب للعديد من الأسر بالأطلس الكبير الغربي، ويترجم عادة في الوثائق العائلية بعبارة (بني السبع).**
[2] **لم نعرف وظيفة الكتان في هذا الاطار، لأن هذه الخامة كانت تستعمل للباس، وتستعمل أيضا بكثرة ككفن لدفن الموتى.**

الغربي، أن من بين كل أربع عمليات "بيع" للعقارات، واحدة فقط تكون نهائية،[1] كما أكد العبادي انطلاقا من النوازل التي عرضت على فقهاء سوس، أن البيع النهائي كان ممارسة نادرة[2].

وعند الانتقال إلى الحلي سنلاحظ أن نسبة القطع المرهونة أكثر من نسبة القطع المباعة بشكل نهائي، ففي الوثائق التي اطلعنا عليها في عدة القبائل بالسفحين الشمالي والجنوبي للأطلس الكبير، احصينا 12 رهنا مقابل أربع حالات بيع نهائي. إننا أمام نفس المنطق، الذي يقبل التخلي عن الممتلكات مؤقتا في انتظار توفر الإمكانيات المالية لاستعادتها.

لقد كان رهن الأراضي والعقارات غالبا ما يتم في أضيق إطار ممكن، بين أفراد الأسرة الواحدة، أو بين أسر العائلة الكبيرة الواحدة، أو بين مكونات القرية الواحدة أو القبيلة الواحدة. ويمكن تفسير هذا الحرص برغبة السكان في تحصين "الأساس المادي لبنية القبيلة"[3] الذي هو ملكية الأرض، من العاملات التي تسمح للأجانب بـ"التسلل" إلى العائلة سواء بالمصاهرة والإرث أو بالمعاملات التجارية. أما تحركات الحلي فلا تتدخل فيها اعتبارات عائلية ولا توازنات قبلية، لذا "ترحل" المشابك والقلائد والأساور لتساهم في تنشيط المبادلات التجارية، ونسج العلاقات بين أفراد وأسر متباعدة،

[1] **J. Berque , Structures. op. cit. p. 36.**

[2] **العبادي، فقه النوازل. مرجع سبق ذكره. ص. 449،**

[3] **احمد التوفيق، الإفتاء والتاريخ قضية المرجع الديني في النقاش حول التنمية ببلاد الإسلام، مطبعة النجاح الجديدة (CTP)، الدار البيضاء ، 2019، ص. 25= احمد التوفيق، الإفتاء**

خاتمة :

توفرت لسكان الجنوب موارد اقتصادية متنوعة ومتكاملة، ولكنها كانت تتأثر سلبا بعوامل متداخلة، فالحبوب والأغراس والنحل وقطعان الأغنام كلها تتأثر بالجفاف وبالتقلبات المناخية[1]. فكانت أغراس الزيتون واللوز والجوز تعاني من تبعات تقلبات المناخ وحدة الآفات والأمراض التي كانت تصيبها بشكل دوري[2]. وكانت أشجار النخيل، في الواحات الصحراوية، تعاني من عدم انتظام التساقطات والمناخ الصحراوي الجاف، بالإضافة إلى انتشار بعض الأمراض وخاصة البيوض[3]. ولم تكن الأغنام في منأى عن العديد من الأخطار، فالجفاف يؤثر على الغطاء النباتي والموارد المائية، ويتسبب في القضاء على جزء من القطيع [4]، كما تؤدي موجات البرد والعواصف الرعدية المدمرة إلى هلاك نسبة كبيرة من الماعز والأغنام[5]، مما جعل السكان في "كفاح دائم لتجديد قطعانهم كلما تعرضت للدمار "[6].

لقد كانت الموارد بالجنوب المغربي متنوعة وغنية، ولكنها هشة كانت وتتأثر سلبا بالتقلبات المناخية، فعندما تقل الأمطار، ينعدم الشعير ويهلك القطيع، وخلايا النخل وتتضرر الأغراس، فينهار التوازن المالي للأسر. ودفعت هذه الظروف السكان إلى الاستفادة من سنوات الخصب لتكوين مدخرات غذائية في المطامير وفي المخازن الجماعية تحسبا لسنوات الجدب[7]، كما دفعتهم الى تخصيص جزء من المداخيل لاقتناء الحلي باعتبارها تشكل رصيدا ماديا يمكن تحويله بسهولة إلى نقود، واستغلاله لشراء الحبوب، ولإعادة تكوين قطيع الأغنام وباقي وسائل الإنتاج التي تضررت خلال فترات المجاعة والجفاف والأوبئة. وإذا علمنا أن السكان كانوا يعانون من هذه الازمات بانتظام، يمكننا ان نستوعب الضرورة القصوى التي كانت تمثلها الحلي كأهم وسيلة للادخار. لقد كانت المرأة وهي في كامل زينتها تبرز أناقتها، وتؤكد تمسكها بهويتها وارتباطها بالقيم الجمالية لمحيطها الاجتماعي القبلي، وكانت تبرز في نفس الوقت الرصيد المالي والثروة النقدية التي ستساعد أسرتها على تجاوز كافة الأزمات.

---

[1] كان الجراد بدوره يدمر الغطاء النباتي ويزيد من آثار الجفاف والتقلبات المناخية مما يؤثر على المحاصيل الزراعية وعلى النباتات التي تقتات عليها قطعان الماشية

[2] J. Berque , Structures. op. cit. p. 167

[3] Loussert Raymond et Ferrak Ahmed, Secrets des oasis et du palmier dattier, Imprimerie Toumi, Salé, 2015,p. 60

[4] أُنجزت دراسات في الأربعينات من القرن الماضي في قبيلة (عينفّيفن) بالأطلس الكبير الغربي، وأظهرت أنه في فترات الجفاف كان كل خروف من اثنين مرشحا للموت بعد أن يجد طريقه إلى البيع والمجزرة. لتبدأ عملية إعادة تكوين القطيع من جديد. أنظر: اقديم ، مرجع سابق ، ص. 391

[5] تهلك نسبة كبيرةمن القطيع تصل أحيانا الى 80 %، خاصة ضمن الحملان الصغيرة، أنظر : ابراهيم ياسين ، مرجع سبق ذكره ، 289-290

[6] نفسه

[7] Montagne R., « Ikounka » . op. cit . p. 162

الفصل الثاني: الوظيفة الاجتماعية (المرأة والحلي)

مقدمة

خصصت جاك مونيي فقرات للحديث عن "ملكية الحلي" في مقالها الصادر سنة 1961 عن الصياغة والصياغين بجنوب المغرب، وذكرت فيها أن الرجل هو الذي يتولى شراء الحلي لزوجته، وذلك لسببين؛ الأول: لأن النساء ليس لهن الحق في ربط علاقات مع الصائغ باعتباره شخصا غريبا عن العائلة، والثاني: لأن الزوج هو الذي يمول العملية، وبالتالي فهو الذي يعرف عدد القطع النقدية التي يتوفر عليها أو التي يريد تخصيصها من أجل إنجاز الحلي. وتشرح جاك مونيي أن**" الحلي هي ملكية الزوج، [...] وعندما يطلق الرجل زوجته، فإنه يستعيد الحلي التي كان منحها لها، أو بالأحرى أعارها لها. ويهديها لزوجته الجديدة"**[1]. ونستغرب أن يصدر هذا الاستنتاج السطحي من شخصية علمية فذة من طينة جاك مونيي التي تجولت في أغلب المجالات الجغرافية بالجنوب المغربي، ودرست تراثه المعماري والفني، وتعاملت مع سكان القبائل عن قرب، مما سمح لها بالاطلاع على ممارساتهم الثقافية والاجتماعية[2]. والأدهى من ذلك هو أن هذا "الرأي" المجانب للصواب، والمتعارض مع الواقع الاجتماعي والتاريخي المحلي، سيؤثر على كتاب آخرين، فيقومون بتكراره بشكل آلي، ويمكن أن نذكر في هذا الصدد (آن بارتيميلي) (Barthélémy Anne) التي تقول في كتابها بأن **"الحلي التي يهديها الزوج لزوجته بمناسبة الزواج أو التي يشتريها الزوج بعد ذلك تكون ملكا له وحده"**. وتضيف **"إذا كانت المرأة تعرف كيف تحصل على الحلي كهدايا [من زوجها]، فإنها كانت تتقن أيضا الوسائل الضرورية للاحتفاظ بها. فكانت تخترع ألف حيلة وحيلة، وألف وسيلة لتحتفظ بتلك العناصر الضرورية"**[3].

تقدم الكاتبة صورة كاريكاتورية عن المرأة التي تنتظر أن يتكرم عليها زوجها بالحلي، و تبقى مهددة في كل لحظة بفقدانها، وتمضي عمرها تحت رحمة الزوج وتقلب مزاجه، لأنه يسمح لها بالاحتفاظ بلوازم زينتها مادام راض عنها. لقد كان هذا "الهذيان" يعكس أوهام بعض الكتاب، ولا علاقة له بالواقع، فالمرأة في مجال الدراسة، لم تكن في حاجة إلى اختلاق الحيل وحبك المؤامرات، لأن المجتمع وضع آليتين مضبوطتين تمنحان الجق للزوجة لتكوين ثروتها من الحلي، والعمل على تنميتها باستمرار، والمحافظة عليها بعيدا عن أي ضغوط من جهة الزوج أو أي رجل آخر ولو من عائلتها، وهاتان الآليتان هما: (ءاروكو) أي الجهاز، و(تيزّلا) أي الكد والسعاية.

---

[1] Jacques-Meunier D., "Bijoux " . op. cit.p.60.

[2] **كانت معلومات جان بوزونسونو (Jean Besancenot) أكثر موضوعية من ادعاءات جاك مونيي (Jacque-Meunier) ، فقد ذكر أن المرأة الأمازيغية كان تتكفل بإنجاز حليها بنفسها، وأوضح أنها عندما تدخر مبلغا معينا من المال، كانت تكلف الصائغ بإعداد الحلية، وتوفر له المادة الأولية و التي هي عبارة عن قطع نقدية من الفضة وتتفق معه على أجرته : Besancenot J., Types et Costumes. . op. cit. p.171**

[3] **Barthélémy A., Tazra, op. cit. p.56.**

أولا: الجهاز/(ءاروكو)

1) الإطار العام

أ- الاسم

يُعرف "جهاز العروس" باسم (ءاروكو) في أغلب مناطق الجنوب[1]. وهو اسم أمازيغي في صيغة المفرد المذكر، ويعني معجميا: "الإناء". ويقترب هذا اللفظ اشتقاقيا من كلمة "تاراكا" التي تستعمل في منطقة سوس للدلالة على أثاث المنزل[2].

يدل (ءاروكو) اصطلاحا على الجهاز الذي تقدمه الأسرة لابنتها عند زواجها، ويتكون عادة من أثاث وأواني وملابس وأغطية وأفرشة وحلي ومواش من بقر وغنم. ونجد نفس اللفظ بدلالة قريبة عند بعض القبائل خارج سوس، كما هو الحال عند (آيت مجيلد) بالأطلس المتوسط حيث يتكون أساسا من فراش وأغطية وملابس[3].

ورد لفظ "الجهاز" بالعربية في أقدم وثيقة اطلعنا عليها في عقد محرر بتاريخ ربيع عام 979 هـ / (1571م) في (امطدي) بالسفح الصحراوي للأطلس الصغير الغربي. ووردت فيه العبارة التالية " **تسمية جهاز تعزا بنت على من دار اخيها محمد بن على إلى دار بعلها إبراهيم بن احمد فمن ذلك**[...]" [وثيقة 21]. ثم ورد نفس اللفظ بعد ذلك في مئات الوثائق التي درسناها من مختلف قبائل الجنوب. والملاحظ أن كتاب العقود ولا أصحاب المجموعات الفقهية لم يستعملوا مصطلحات أخرى لها نفس الدلالة وتنتشرخارج سوس وخاصة لفظي (الشِّوار) و(الشُّورة)[4]. فهل يكون اختيار لفظ "الجهاز" من طرف حاملي الثقافة العالمة في سوس مرتبطا بكون هذا الاسم كان الأقرب، في نظرهم، لتأدية معاني المصطلح الأمازيغي: (ءاروكو)؟

---

[1] تنتشر في بعض المناطق اسماء أخرى مثل : (ليقامت) أو (لقيمت)، وهي مشتقة من الفعل العربي "قيم"، ويقال : قيم الشيء أي حدد قيمته . انظر: E. Laoust E., « Noces ». op. cit . p. 165-166.

- Azizi S., «Lqimt (la dot), Système de transmission des biens dans les relations matrimoniales dans le Sous », Awal (Cahier d'Etudes berbères) , 2001,pp. 31- 42.

- Berque J., Structures. op. cit . p.342.

- بصير، الحاج الماسة، مرجع سبق ذكره ، ص. 33

[2] E. Laoust E., « Habitation ». op. cit . p. 240.

[3] E. Laoust , « Noces ». op. cit . p. 73.

[4] محمد بوسلام "، الشوار"، معلمة المغرب، الجزء 15، ص. 5428.

ب - عادات نقل (عاروكو)

تحرص الأسر على إيلاء الجهاز ما يستحقه من اهتمام، من خلال نقل مكوناته إلى بيت الزوجية في أجواء احتفالية تجمع بين المحتوي الطقوسي والإطار الفني الغنائي. ففي الأطلس الكبير الغربي مثلا، كانت النساء يتفنن في إعداد موكب بهيج، وتأخذ كل امرأة طبقا من الدوم، أو من النحاس الأصفر الفاخر، وتغطيه بأثواب حريرية ملونة وتضع فوقه حلية فضية أو قطعة من لباس أو لوازم التجميل... فيتكون الموكب الفني من نساء القرية وهن يحملن أطباقا كثيرة فوق رؤوسهن بعد أن وُزِّعَت عليها مكونات الجهاز الثمينة والخفيفة، ويتوجهن نحو منزل العريس عبر أزقة القرية ويرددن أغاني متوارثة خاصة بهذه المناسبة.

وكان السكان في العديد من مناطق المغرب، في البوادي والمدن، يقومون بوضع الهدايا، وما يقدم للعروس في أطباق خاصة، وتُنقل في جو احتفالي على أنغام الموسيقى[1]. وكانت التقاليد المخزنية المرعية بدورها تشدد على تقديم الهدايا للسلطان فوق أطباق كبرى مغطاة بقطع من الحرير مضفور بسلك رفيع من الفضة.[2] وتندرج هذه الممارسات في إطار إرث مغربي عريق وواسع الانتشار، كان يهف إلى إبراز قيمة الهدايا المقدمة في مختلف المناسبات.

كانت نساء بعض القرى في سوس يتهيأن للمشاركة في موكب (عاروكو) وهن في كامل أناقتهن، فيوزعن أهم مكونات جهاز العروس فوق أطباق مزينة بأثواب ملونة، ثم تحمل كل امرأة طبقا فوق رأسها، ليتوجه الموكب بعد ذلك إلى منزل العريس. فتتشكل لوحة فنية بديعة تتكامل فيها الألوان والألحان والمرددات الغنائية. قد تتنوع مظاهر نقل وعرض مكونات الجهاز بين جهات سوس، ولكنها تلتقي في الوظائف والغايات. إذ تسمح طقوس (عاروكو) المختلفة بإبراز أهمية الجهاز المقدم للعروس، وتشكل في

[1] أنظر: **Colin, Dictionnaire. V 5. op. cit . p.1219**

[2] **Bey Ali, 1814, Voyages, op. cit. p.73-74.**

الوقت نفسه "إعلانا جماعيا" لعرض مكوناته على عموم سكان القرية الذين يصبحون جميعا "شهودا" على ما أحضرته الزوجة من منزل أسرتها.

ت - تقويم عناصر (ءاروكو)

تدخل عادات تقديم ونقل (ءاروكو) ضمن "اختصاصات" المرأة في المجتمع التقليدي بالجنوب، وكانت تضمن "توثيقا طقوسيا" لمكونات الجهاز، أما الرجال فيشرفون على "توثيق مكتوب" لتلك المكونات من خلال الإشراف على تحرير جرد مفصل من طرف فقيه القرية بحضور كافة هيئات تسيير أمور السكان. وبهذا التوثيق المزدوج سيصعب على الزوج لاحقا أن يتنكر أو يستهين بمكونات جهاز زوجته، فكل رجال القرية حضروا عملية التقويم وتحرير العقد، والنساء شاركن في نقل مكوناته أو على الأقل كن متفرجات على الموكب الذي تجول به عبر أزقة القرية.

لخص كاتبُ عقد جهاز من قبيلة (ءيمنتاڭن) بالأطلس الكبير، طبيعةَ المشاغل التي كانت تتحكم في عملية تقويم مكونات الجهاز بشكل عام، وأبرز بشكل بليغ مدى تضارب مصالح أسرتي العروس والعريس المعنيتين بهذه العملية الدقيقة، فقد حرر هذا الكاتب عقدا بتاريخ، دي قعدة 1043/ (ماي 1634م)، وضمه جردا مفصلا لعناصر جهاز العروس مع قيمته النقدية، ثم ختمه بالعبارة التالية: " **وكل هادا بقيمة عادلة في حق من قوم له وفي حق من قوم عليه** "، [وثيقة 1]. توضح هذه العبارة أن عملية تحديد القيمة المالية للجهاز تجري بين طرفين أساسيين، أحدهما "قوم له"، ويقصد به أسرة العروس التي أحضرت الجهاز، والطرف الثاني "قوم عليه"، ويقصد به أسرة العريس التي ستكون منذ لحظة تحرير هذه الوثيقة ضامنة لقيمته المالية ومسؤولة عن غرمه أو تعويض كل ما قد ينقص منه.

كانت كل أسرة تدافع عن مصالحها المادية، فأهل العروس لا يريدون أن يبخس الطرف الآخر القيمة الحقيقية لجهاز ابنتهم الذي يشكل في الواقع جزءا هاما من ثروتهم انتقل إلى بيت العريس على شكل حلي وملابس وأواني وأثاث ومواشي. أما أهل العريس فهم واعون بأنهم مسؤولون عن سلامة مكونات الجهاز، وسيكون عليهم أن يردوه كما هو في حالة الطلاق أو في حالة وفاة الزوج، وإذا حدث وأن ضاع منه عنصر ما لأي سبب من الأسباب، فهم مطالبون بغرم قيمته. لذا، يحرصون على ألا يكون التقويم مبالغا فيه حتى يسهل عليهم تعويضه بأقل كلفة ممكنة.

كان الوصول إلى أثمنة مناسبة للطرفين من الهواجس التي تتردد أصداءها في كتابات محرري العقود، كما تؤكد ذلك مجموعة من العبارات الواردة في عقود الجهاز، نذكر منها:

ـ " بالإقامة العادلة لا غبن فيها لاحد " شوال 1129، **(1717م)** [وثيقة من (تاجڭالت) رقم 50]

- "وذلك قيمة عدل وسداد بلا غبن ولا شطط" بتاريخ 12 ذي حجة 1199/(أكتوبر 1785م) [وثيقة من(ءيمجّاط) رقم 5]

- "بقيمة البلد والوقت لا غين فيها" وثيقة بتاريخ ربيع الأول 1292/(أبريل 1875م) [من (ءايت وافقا)]

كان السكان يحرصون على توفير الأجواء المناسبة من أجل الاتفاق على تقويم مناسب للأسرتين المتصاهرتين، كي لا يشوبه "غبن ولا شطط". وللوصول إلى هذا الاتفاق، تتدخل الجماعة لتذليل الصعاب، وتقريب وجهات النظر من خلال الاستعانة بأفراد يتقنون "فن" التفاوض لتمثيل الأسرتين، وتدبير هذه العملية الدقيقة والحساسة كي لا تخرج عن وظيفتها الاجتماعية[1].

تقدم لنا الوثائق العائلية المفاوضين بصفتهم فئة جديرة بالثقة للقيام بالمهمة الصعبة والدقيقة المتمثلة في إقناع الطرفين المعنيين بالجهاز بالتوافق حول أثمنة مقبولة، وكيف لا وهم يشكلون جماعة متحلية بالحياد والعدل، ومترفعة عن أية أطماع دنيوية، ولا تسعى إلا إلى تحقيق "الخير"، جماعة تضم بين أعضائها كفاءات وخبرات في مختلف المجالات[2].

كانت مكونات الجهاز توضع "أمام الحاضرين شيئا فشئيا، فيقدر لكل شيء من الثياب والحلي وما إليهما الثمن الخاص"[3]. وكان المفاوضون يعتمدون في أداء مهمتهم على معايير موضوعية، ويحددون الأثمنة وفق مساطير محددة ومضبوطة ومنهجية واضحة لا تترك مجالا للارتجال والمحاباة. فبعض المواد كالحناء، والريحان والطرفا، مثلا كانت تقوَّم باستعمال أواني خاصة كالصاع أو القبضة/(تولتيمت)[4]. وفي هذه الحالة، كان محرر العقد يكتفي بذكر مقدار هذه المواد[5]، دون الإشارة إلى قيمتها النقدية. وبما أن لكل قبيلة أوعية قارة للكيل. فإن الزوج، في حالة رد الجهاز أو غرمه، سيكون مضطرا لتقديم نفس الكمية المدونة في وثيقة الجهاز، باستعمال نفس الوعاء بغض النظر عن تقلبات أسعار هذه المواد. ويقسم المشرفون على عملية تقويم الجهاز، العناصر بشكل عام إلى صنفين: صنف ما (يوزن)، وصنف (ما يقوم)[6].

---

[1] قد يؤدي اختلاف وجهات نظر ممثلي الأسرتين إلى اختلافات جذرية في تقدير ثمن الأغراض المعروضة أمامهم، وقد يتحول الحوار الهادي إلى نقاش حاد، وقد يتطور إلى نزاع وخصام، ويؤدي إلى نسف الحفل و"تفرق الجمع بلا عقد" :السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، الجزء 1، ص. 32

[2] أنظر: فصل الوظيفة السياسية

[3] السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، الجزء 1، ص. 32

[4] القبضة اناء لتحديد كيل السوائل والمواد الصلبة على السواء، ويسمى بالامازيغية (تاولتيمت). السوسي، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، الجزء 13، ص. 56

[5] نموذج من: صاع ونصف من الريحان وثلاثة اصواع من الحنا وثلاث قبضات من الطرفا [جهاز من أمطدي بتاريخ ربيع 979، / (1571م) وثيقة 21]

[6] يرد هذا التقسيم في العديد من عقود الجهاز، نذكر من بينها:
- "انتهى بعد تقويم اهل المعرفة بذلك ما يقام و وزن ما يوزن" ضمن عقد جهاز من (ايمنتاكن) بتاريخ ذي القعدة 1161، (1748م) [وثيقة 14]
- " من مقوم وموزون بقيمة البلد والوقت" ضمن عقد جهاز من (ايت وافقا) بتاريخ ربيع الأول 1292 /(أبريل 1875م).

+ **صنف ما يوزن**

تضم هذه الفئة قطع الحلي المصاغة من معدن الفضة، والتي تُعرف في الوثائق العائلية بـ "النقرة المخدومة". وتوضع قطع الحلي الفضية، الواحدة تلو الأخرى، فوق إحدى كفتيْ الميزان، بينما يتم تحديد الوزن بوضع قطع نقدية في الكفة الأخرى، وفي الأخير يُدَوَّن اسم الحلية مع وزنها في عقد الجهاز[1]. وكان تحديد قيمة الحلي الفضية لا يثير الجدال بين المشرفين على عملية تقويم الجهاز، وذلك لأن المنهجية المتبعة واضحة، وتعتمد على معيار موضوعي هو وزن هذه الحلي.

+ **صنف ما يُقوَّم**

يضم هذا الصنف مجموعة مفتوحة من المواد والسلع والأغراض المختلفة، من ملابس وأفرشة وأغطية وأواني نحاسية وأثاث منزلي ولوازم الزينة ومواد التجميل، كما يضم المواشي من بقر وغنم، بالإضافة إلى بعض المواد التي تدخل في تركيب الحلي[2]. وبما أن تحديد قيمة مكونات هذا الصنف لا تخضع للوزن أو الكيل، فإن السكان اتفقوا على اعتماد الأسعار المتداولة في السوق كمرجع مقبول من جميع الأطراف. لقد كان السوق الأسبوعي يؤدي أدوارا متعددة في المجتمع التقليدي وتتداخل وظائفه التجارية والسياسية والفنية والاجتماعية، كما كان يشكل نوعا من "البورصة" التي تسمح بمتابعة كافة التقلبات التي تشهدها الأسعار. وكان السكان يرتادون هذا الملتقى التجاري بانتظام، فتتكون لديهم كل أسبوع فكرة واضحة عن وضعية العرض والطلب، والتغيرات التي تطرأ على أثمنة مختلف السلع والمواد. وكان المحررون يختارون، أثناء كتابة العقود، تعابير تؤكد، انسجام الأثمنة المتفق عليها مع تلك المتداولة في السوق، ومن هذه التعابير:

- **" و قو[م] جميع ذلك في بيت العروس بقيمة عادلة لا غبن في دالك [–] دلك ما يساوي في السوق"** [وثيقة 7 من (تاجـكـالت) بتاريخ ذي قعدة 1083/(1673م)]

- **"الكل قوموها بسومها و سعرها في الأسواق في الوقت بلا شك"** [وثيقة رقم 2 من (ءايت حامد) بتاريخ ربيع الثانى عام 1121 (1709م)]

- **"و كل ذالك بتقويم لمن له المعرفة والبصر وسدد بحيث لا غبن [–] شطط بسوم ما يساوي الحال في الأسواق"** [عقد جهاز من (أكلو) بتاريخ ربيع الثاني 1180/ (شتنبر 1766م)[وثيقة رقم 361]

تؤكد عبارات "ما يساوي في السوق"، "بسوم السوق"، "سعرها في السوق" وغيرها من العبارات، تؤكد كلها أهمية اعتماد السكان على الأسعار المتداولة في السوق الأسبوعي كمعيار

1651 E. Laoust , « Noces ». op. cit . p.

[2] مواد أخرى غير الفضة.

موضوعي لتقويم مكونات الجهاز. فأثناء المفاوضات المرافقة لعملية التقويم، يحدث أن يقترح ممثل أسرة الزوجة قيمة تبدو له مناسبة لعنصر من عناصر الجهاز الموضوعة أمام الحاضرين، ولكن قد يحتج أحد ممثلي أسرة الزوج ويقترح قيمة أقل بكثير، وهنا يتدخل المفاوضون الذين يحضون بثقة الطرفين، للتذكير بأن العنصر موضوع الخلاف قد بيعت منه نماذج في الأسواق الأسبوعية بثمن محدد يعرفه الجميع، فيقتنع الطرفان وينتهي الجدال. أما المكونات التي يتم تقويمها اعتمادا على الأثمنة المتدولة في الأسواق فهي: الملابس بمختلف أنوعها، من حائك وأغطية الرأس والأحزمة من صوف، وحرير، وكتان؛ وكذلك الأواني النحاسية والخشبية، والأغطية والوسادة والأفرشة من حصيرة أو زربية، ولوازم الزينة من مشط ومرآة وكحل وعطور، والمواشي من بقر وغنم[1].... بالإضافة إلى بعض مكونات الحلي، كما تبين ذلك هذه النماذج من عقود الجهاز:

- عقد جهاز من (تاجـكّـالت) بتاريخ ذي قعدة 1162هـ/(1749م)،

أوضح كاتب الوثيقة أن القطع الفضية من "قلادة عنق" و"خراس الأدنين" حددت قيمتهما "بالميزان الصنجة"، أي بالوزن، أما قلادة "خيط القرنفل"، وقلادة العقيق الزجاجي "العـكّـيك" فقد قوّمتا بنفس طريقة أثواب الصوف وأغطية الرأس والأواني ... [وثيقة 18]

- عقد جهاز من تاجـكّـالت بتاريخ ذي حجة 1160/(دجنبر 1747م)،

شرح محرر الوثيقة، أن الحلي الفضية من "زوجة الخلالة"، و"خراس أدنها" و"قلدة ادز" حددت قيمتها "ميزانا "، أما قلادة اللوبان الأصفر (قلدة البان)، فقد قومت "بأربعة أواق سلطانا" أي أنها لم توزن، وإنما قومت بالسكة الجارية في ذلك الوقت. [وثيقة 56].

- عقد جهاز من ءايت عيـكّـاس بتاريخ شعبان 1174هـ/(1761م)،

قسم كاتب العقد مكونات الجهاز إلى مجموعتين تبعا لطريقة تحديد قيمة كل منهما، فافتتح الجرد بتدوين أسماء وأثمنة المكونات التي حُددت اثمنتها بالتقويم وهي: أغطية الرأس (عبروق)، وحزام الكتان، وأواني النحاس – سطل وإناء من نوع (تاكرا) وقنديل- وقلادة القرنفل، وقلادة اللوبان والعقيق [الزجاجي]، والمكحلة الخاصة بحفظ الاثمد، ومرآة وقارورة. ثم انتقل إلى المجموعة الثانية من مكونات الجهاز، وكلها كانت تتشكل من قطع فضية: "زوجة الخلالـ[ـلة] فضة" و "سوار فضة" و"النبالة" و"قلادة أو دّيز"، ونوعان من أقراط الأذن، وقلادة القطع النقدية من فئة "الريال" وهذه القطع "**موزونة كلـ[ـها] بالوزن**"[وثيقة 2 قب].

[1] أحيانا لا تضم عقود الجهاز تقييما لثمن للبقرة، ويكتفي المحرر بذكر سنها، مما يعطي فكرة دقيقة عن قيمتها النقدية

تبين هذه النماذج أن الحلي عموما كانت تقسم إلى فئتين، فالقطع المصنوعة من الفضة كانت توزن لأن قيمتها المادية تساوي قيمة القطع النقدية الفضية المعادلة لها وزنا، أما القلائد المركبة من اللوبان الأصفر[1] والعقيق الزجاجي والقرنفل، فكان المشرفون على العملية يحددون قيمتها بالتفاوض للتوافق على ثمن مناسب للطرفين اعتمادا عل أسعار هذه المواد في السوق.

كان الرجال يشرفون على تقويم الجهاز انطلاقا من عرض مكوناته امام "المقومين"، ووزن الحلي الفضية، والتفاوض لتحديد قيمة العناصر الأخرى، وتُتَوَّج كل هذه المراحل بتحرير وثيقة مكتوبة على يد (الطالب) لإحصاء الأغراض التي ستنتقل بها العروس إلى منزلها الجديد. ولا تغيب النساء عن هذه العملية، ولكن حضورهن يتخذ بعدا رمزيا وطقوسيا. فهن يشرفن على إعداد طبق الدوم (تيسگّيت/تيشيشت) الذي يوضع أمام الرجال أثناء تقويم الجهاز، ويضعن في هذا الطبق البيض وخاتم من فضة وقلادة (تيفولوت) وثلاث قبضات من الحناء والتمر[2]. وقد يستعاض عن الخاتم والقلادة بإسورة فضية في مناطق أخرى. كانت هذه الممارسة شائعة في سوس، وكانت تهدف إلى تهيئة الجو النفسي الملائم لنجاح عملية التقويم، وتوحي المواد المكونة لها برغبة الأطراف في نجاح هذه العملية الدقيقة. لقد كان الطبق الموضوع أمام المقومين واجهة رمزية لخلفية تنظيمية محكمة.

2) مكونات الجهاز

أ- الازياء

- الحائك / (أفاوّو)

يعرف الحائك في الجنوب باسم عام أساسي وهو: (أفاوّو)[3] ومؤنثه (تافاوّوت). كما يعرف باسم آخر، وهو: (أعبان) ومؤنته (تاعبانت)[4]. والحائك عبارة عن رداء غير مخيط ينسج من قطعة مستطيلة الشكل تنجز خرقتها دفعة واحدة[5]. وكان يشكل القطعة الأساسية في لباس المغاربة رجالا[6] ونساء، في البوادي والمدن. وتعددت نماذج (ءاحايك)[7] تبعا للخامات التي كان ينسج منها، وتبعا لتنوع للمجالات الجغرافية والإثنية التي كان لكل منها أصنافها المتميزة بأبعادها وألوانها وزخارفها. وكانت أبعاد الحائك النسوي

---

[1] أحيانا كان اللبان بدوره يوزن كما يفعل بحلي الفضة، انظر نموذج جهاز عند: العثماني ، مرجع سبق ذكره ، ص. 75.

[2] كيكر عبد الله، قبيلة ايت براييم تاريخ وذاكرة، مطابع الرباط نت، الرباط، 2015، ص.180.

[3] ينطق كذلك بصيغة (افاكّو)، ومؤنته (تافاكّوت)،

[4] ورد الاسمان الأمازيغيان في وثائق محلية، وذُكر مصطلح (تَعْبَنْتْ) مثلا في وثيقة تضم جردا لديون المقدم محمد فرتال من (ءاكنسان)، الذي عينته القبيلة للإشراف على تدبير مصالحها [وثيقة 1]، أما مصطلح (افاوّو) فذكر في جرد للمسروقات غير مؤرخ من قبيلة ءيداوكايس (وثيقة 23)

[5] - بوسلام محمد، " الحايك"، معلمة المغرب، ج. 10، ص: 3291-3292 الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ص.3291.

[6] كان الرجال في مختلف مدن وقبائل المغرب يرتدون الحايك، فيرتديه السلطان ورجالات المخزن والأعيان والعلماء والتجار والحرفيون وغيرهم، وكان الرجل يكتفي بلف الحائك حول جسمه والاستعانة أحيانا بحزام أو حمائل الجراب الجلدي أو الكمية الفضية لتثبيته. وتوقف استعمال الحائك من طرف الرجال مبكرا، ويمكن الآن أن نرى فرسان بعض فرق (التبوريدة) يلفون الحائك حول ملابسهم كشكل من أشكال احياء التراث.

[7] انظر بوزونسونو لتفاصيل حول الاختلافات بين مناطق المغرب بشأن ارتداء الحائك [Basencenot J., Types et Costumes, op. cit.]

تصل في المتوسط إلى حوالي أربعة امتر في الطول و1,80 مترا في العرض[1]. وتلفه المرأة فوق جسمها مباشرة، ولكن الغالب أن ترتدي تحته قميصا طويلا يسمى (ءاقشّاب) أو (تّوبيت) أو (شّايت)... وفي كل الحالات، وبما أن الحائك غير مخيط، فإن المرأة تشبكه بالمشابك الفضية (تيزرزاي) عند مستوى الصدر، وتشده بالحزام عند مستوى الخاصرة فيلتصق بالجسد بشكل مناسب، ويتحول إلى لباس عملي يجمع بين الأناقة والفعالية؛ وتستطيع المرأة أن تتفرغ -وهي ترتديه – لكل أشغالها داخل المنزل وخارجه. وكانت المرأة تتوفر على حياك مختلفة، بعضها صالح للاستعمالات اليومية العادية والبعض الآخر مخصص للاحتفالات والمناسبات، وينسج عادة من خامات فاخرة، ويزين بزخارف ملونة في الأطراف.

الحائك في عقود الجهاز

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
امطدي [وثيقة 12]	ربيع الثاني 979 /(غشت-شتنبر1571م)	"اكسيتها"
تاجـّالت [وثيقة 6].	ربيع2 1002،.(يناير 1594م)	"الحائك بخمس وعشرين أوقية" و"الحائك أيضا بمتقال"
[كلو] ، وثيقة 331]	حوالي 1077 (1666م)	حائك بثلاثة مثاقيل كساء أخرى بيضاء بثلاثة مثاقيل محربل بأربعة مثاقيل كساء مصبوغ بالنيل بأربعة مثاقيل بل غير ربع
ايداو كايس [وثيقة 8]	شعبان سنة 1088،	- "توبيْن من الصوف"
[اكلو] ، وثيقة 361]	ربيع2- 1180،/ (شتنبر 1766م)	الحائك الدراز فاسي مثقال ونصف، الثوب الأبيض بثلاثة مثاقلا
اكادير ، وثيقة 94]	23 شوال 1183(فبراير 1770م)	- حايك خلالة جديد بثلاثين أوقية، [–] محربل نصف حبة بخمسة و عشرين أوقية ، حايك فاسي باثني عشر أو اق
أولاد عيسى (قب 11)	عاشر ذي حجة عام 1203 (شتنبر 1789م)	ثم الرداء الصوف باثنين و عشرون وقية ثم الرداء الكبير بأربعة مثاقيل
(ءيمجّاط)، وثيقة 2	ربيع الثاني 1208،(1793م)	تحيكت الصوف بعشرة وجوه
[تاجـّالت وثيقة 13،	رمضان 1223]	- الحايك الجديد ادراز باربعين أواقية، الحايك أمكرض بعشرة أو اق
وثيقة 74، تاجـّالت	ربيع2-1241	- الحيك الخلالة ستة وأربعون أوقية والحيك ادرز خمس وأربعون أوقية، الخرق فم الكنون مثقال
[وثيقة 30، تاجـّالت]	،جمادى2-1277[أو 1222]تاجـّالت]	- الحايك القرشال بخمسة عشر مثاقلا وهو امْحربلْ، الحائك بفم الكنون بمثاقل

[1] Colin G.S., Dictionnaire . t. V :2, op. cit. p. 403

ملاحظات:

- تشير وثيقة من (امطدي) بتاريخ ربيع الثاني 979 **(غشت-شتنبر1571م)**إلى أن العروس أخذت معها إلى بيت الزوجية "اكسيتها" ضمن مكونات الجهاز [وثيقة 12]. وتدل الأكسية في هذه الوثيقة على الحياك التي كانت تشكل الزي الأساسي للمرأة. وهذا ما يؤكده عقد جهاز آخر من (تاجكّالت) بالأطلس الكبير الغربي المحرر بتاريخ ربيع2 1002 (يناير 1594م)، والذي يضم من بين الأزياء "الحائك بخمس وعشرين أو قية" و"الحائك أيضا بمتقال" [وثيقة 6]. وسترد مصطلحات أخرى في الوثائق تحيل إلى (افاوّو) من بينها : كساء، ثوب، الرداء ...

- تفيد عقود الجهاز في إحصاء بعض أصناف (أفاوّو) التي كانت منتشرة في المنطقة، ومن أهمها:

+ الحائك المنسوج محليا من الصوف ويسمى بالأمازيغية (افاوّو ن تـزكّا)، بينما تسميه الوثائق العائلية (حايك الخلّالة) أو (حايك تازكا)، نسبة إلى آلة الصيصة التي تستعملها المرأة في نسجه[1].

+ حائك (ءادرّاز)، ويسمى بالأمازيغية (أفوّو ءادرّاز)، وذلك لأن صناعته تكون على يد (ءيدرّازن)- أو الدرّازة بالدارجة- وهم رجال يحترفون النسيج في المدن باستعمال نول خاص. وكانت نساء الجنوب يحصلن على حائك (ءادرّاز) من تارودانت التي اشتهرت ببراعة حرفيها الذين كانوا يصنعون أنسجة مختلفة وفي مقدمتها "حياك جميلة كانت تعتبر عماد تجارتها[2].

ونرجح أن تكون مراكش بدورها وفرت هذا النوع من الحياك، بالإضافة إلى مدينة فاس التي تؤكد عقود الجهاز وصولَ منسوجاتها للمنطقة، كما هو الحال في (أكلو) بتاريخ ربيع2- 1180 / (شتنبر 1766م)و(أكادير) بتاريخ 23 شوال 1183(فبراير 1770م).

+ حايك (ءامحربل) الوارد في عدة وثائق من (اكادير) و(أكلو)، و(تاجكّالت) بالأطلس الكبير. وحرص محرر عقد جهاز (تاجكّالت) على توثيق طريقة نطق اللفظ بدقة : (ءامْحربلْ)، كما أضاف توضيحا مفاده أن هذا النوع من الرداء يسمى أيضا حايك (القرشال)، وكان (ءامحربل) من الحياك الفاخرة التي تصنع من خيوط صوف محببة.[3]

[1] ورد في وثيقة من (ءيداو كايس) ما يفيد أن المرأة كانت تنسج حائكها بيدها، وعبر الكاتب عن ذلك بقوله "الحيك الجديد بتصك الدي خدمت بيدها" وذلك بتاريخ جمادى الثاني عام 1231/ (ماي 1816)[وثيقة 15]

[2] Lemprière W., Voyage dans l'empire de Maroc et le royaume de Fez, Paris, Cordier et Legras imprimeurs-libraires, Paris, 1801, p.123.

[3] Besancenot J.,Types et Costumes. op. cit. p. 142.

+ حياك مختلفة الألوان، فمنها الأبيض المذكور في عدة وثائق، ومنها المصبوغ بـ(النيل) كما هو وارد في عقد جهاز من (أكلو) بتاريخ قريب من 1077 هـ **(1666م)**. ويبدو أن المقصود بلفظ النيل هو صباغة النيلة التي كانت تضفي على الأثواب لونا أزرقا مميزا.

+ حائك قديم منخفض القيمة المادية، ويستعمل غالبا في المطبخ، وتسميه الوثائق العائلية (الحائك بفم الكانون) أو (امكروض بفم الكانون)، أو (الخرق فم الكنون)... وهذه العبارات كلها ترجمة حرفية للأصل الأمازيغي :(ءامكروض[1] ن ءيمي ن تاكات)[2]، ومعناه: الثوب البالي[المستعمل] في المطبخ[3].

الكتان

كان الكتان[4] يستخدم كخامة للأزياء، بفضل مزاياه المتعددة، من حيث جودة أليافه ونعومة منسوجاته[5]، وخفة وزنه، وملاءمة قماشه للفترات الحارة من السنة، عكس الملابس الصوفية التي تناسب الفترات البادرة. وبفضل هذه المزايا كانت المرأة ترتدي قطعا مختلفة من الكتان من بينها قميص طويل (ءاقشّاب)، وإزار(ءادّال)، بالإضافة إلى (ءامنول) وهو حزام تَشُد بها النساء اغطية الرأس الصوفية والحريرية والكتانية[6].

لم يثبت أن عرفت المجالات الواقعة جنوب الأطلس الكبير زراعةَ وحلجَ ونسجَ الكتان؛ فلم يشر إليه الوزان، كما لم يذكره الرحالة الأوربيون الذين زاروا المنطقة بعده منذ القرن السادس عشر إلى أواخر القرن التاسع عشر. وكان الكتان كغيره من الأقمشة يصل سكان الجنوب عبر الموانئ المحلية، ففي سنة 1551 ميلادية مثلا، وصلت سفينة انجليزية إلى ميناء "سانتا كروز"- أي أكادير- وعلى ظهرها بضائع متنوعة من بينها اقمشة الكتان[7]. وكانت مراكش تساهم في تسويق الكتان نحو القبائل الواقعة في اتجاه الجنوب، فقد ذكر مارمول أن المدينة كانت تتوفر على ساحة يباع فيها "الحرير وأقمشة الكتان والقطن"[8].

---

[1] ويسمى (ءامكروض) بالأمازيغية وجمعه ايمكراض وهو الثوب المستعمل، أنظر: Destaing E., op. cit. p.166.

[2] تعني عبارة (ءيمي ن تاكات) حرفيا: " فم الكانون"، والمقصود بها: مكان الطبخ وإعداد الطعام.

[3] كانت المرأة في الأطلس الكبير الغربي تصنع من هذا الثوب البالي نوعا من الوسادة المحشوة لتجلس عليها اثناء قيامها بإعداد الطعام. (أبحاث ميدانية)

[4] يسمى بالأمازيغية: (تيكرت) tikrt و(تيفّست) tiffst انظر: محمد شفيق، المعجم، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثاني ص. 375

[5] عبد الملك بنعبيد، "الكتان"، معلمة المغرب، الجزء 20، الجمعية المغربي للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا،2004،ص. 6745-6746، ص. 6746.

[6] كان الرجل بدوره يختار أحيانا قطعة كتان يتخذها حانكا يلفه حول جسده، أو يخيط منها جلبابا أو قميصا أو منصورية أو فرجية أو يتخذ منها عمامة.

7 Lebel R., Le Maroc dans les relations, p.269.

[8]مارمول كار بخال ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثاني ص. 55.

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
وثيقة 8، ءيمنتاكّن]	**جماد 2 -1018/ (شتنر 1609م)**	**اتواب الكتان**
[ءيمنتاكّن وثيقة 9،	**- جماد 2، 1051 (1641م)**	**- لازار الاكتان بثلاثة مثاقيل ذهب،**
اكلو وثيقة 352]	**شعبان 1192،**(1778م)	**- ازارٌ من كتان بمثقال غير ثمانية أوجه**
وثيقة 2، تاجلت	**صفر 1165، (1751م)**	**- العصبات الكتان، الازياف الكتان،**
وثيقة 20، تالـكّـجونت	**، صفر 1175(شتنبر 1761م)**	**والقفطان الحرير بسبعة مثقالا، لِيزَر الكتانْ،**
[اكادير [وثيقة 94]	**، 23 شوال 1183** (فبراير 1770م)	**- منصورية كتان، نصف وقميص كمامة كاسة**
وثيقة 5 ءيمجّاط]	**ذي حجة 1199** /(أكتوبر 1785م)	**وحاشية الكتان بخمسة وعشرين موزنة... و[حايك ؟] الكتان بستة موزنة.**
- ءايت وافقا	**ربيع الأول عام 1292]** /(أبريل 1875م)	**-...الازار الكتان بـ 33 ق**

ملاحظات :

- كان الكتان من بين الخامات العريقة التي صنعت منها الأزياء النسوية. فقد ذكر في قبيلة جبلية بقمة الأطلس الكبير الغربي منذ جمادي الثانية 1018 (شتنبر 1609م). كما كان مستعملا في الأطلس الصغير وسهل سوس...

- كان الكتان يستعمل لإنجاز الرداء الذي تلفه المرأة حول جسمها بدل الحائك الصوفي. وكانت الوثائق العائلية تسمي رداء الكتان (الازار)، ويسمى في التداول الشفوي الأمازيغي (ءادّال). كما اتخذ منه القميص الطويل الذي يلبس تحت الحايك وكذا أغطية و"عصابة" الرأس، بالإضافة إلى السروال[1].

- سمح الكتان بإنجاز نسخ للأزياء المحلية التي كانت تصنع من الصوف، كما شكل القناة التي تسربت عبرها أزياء حضرية نحو المحيط القبلي كما هو حال المنصورية.

- كانت أقمشة الكتان أقل قيمة نقدية من منسوجات الصوف مما يفسر الإقبال عليها.

وتجدر الإشارة، من جهة ثانية إلى أن السكان كانوا يبادرون إلى دفن موتاهم في أُكفان من أثواب الكتان،[2].

القطن

لم تشر المصادر إلى الاهتمام بزراعة القطن وحياكته في الجنوب المغربي، ولكن الوثائق العائلية تؤكد وصول هذا الخامة إلى أعماق الأطلس الصغير، فقد ورد في عقد جهاز من ءايت حامد بتاريخ

[1] وردت الإشارة إلى سروال من الكتان في وثيقة جرد لما دخلت عليه الزوجة في قبيلة (اكنسان) بتاريخ صفر 1270 .

[2] تتحدث وثيقة من (ءيداوكايس) بتاريخ شعبان 1084 عن: " ثوب الكتان الذي دفنت فيه الأم وثمنه سبع أواق وخمسة عشر أوجه" [وثيقة 17]

ربيع2-1281[1] (شتنبر 1864م)، أن العروس أحضرت معها " الرداء القطن بثلاثة مثقالا وستة أو اق "[وثيقة 6]. أي حائكا مصنوعا من قطعة قطن.

الخونت

كان سكان المنطقة يستعملون أقمشة قطنية متميزة بلونها الأزرق النيلي [indigo] التي كانت تُستورد من بلاد السودان، وتنتشر بكثرة في باني والتخوم الصحراوية. وبما أن هذه المنسوجات كانت باهظة الثمن[2]، فقد ظهرت، ومنذ القرن التاسع عشر، أقمشة مقلدة تسمى "الخونت"، وكانت تصنع في إنكلترا وتستورد عبر ميناء الصويرة[3]. وقد انتشر هذا القماش انطلاقا من الواحات في اتجاه الأطلس الصغير[4]، وسهل سوس والأطلس الكبير وغيرها من المجالات[5]... وكان المرأة تتخذ ردائها من قماش (الخونت) الأوروبي الأزرق في الأيام العادية، خاصة في فصل الصيف وأثناء ممارسة الأشغال المنزلية[6]، ولكنها في أيام الأعياد وكما في كل مكان في الجنوب، تعود إلى حائكها المنسوج من الصوف الأبيض[7].

الخونت في الوثائق العائلية

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
امطدي وثيقة 19	**29 ربيع ... عام 1266 /(1850م)**	**ادل الخنط بسبعة أو اق**
ءيسندالن، وثيقة 355]	**شوال 1305** (1888م)	**الاشار الخنثْ"**

ملاحظات

- تعود هاتان الوثيقتان إلى القرن التاسع عشر، وينسجم هذا التاريخ مع بداية وصول ه أقمشة (الخونط) للجنوب عبر ميناء الصويرة.

- وردت الإشارتان في عقدي جهاز من الأطلس الصغير، من مجال جغرافي قريب من جبل باني والواحات الصحراوية التي كانت تنتشر فيها تقاليد القطن الأزرق النيلي الإفريقي، والذي انتقلت منه هذه التقاليد نحو باقي مناطق الجنوب نحو سهل سوس والأطلس الكبير.

[1] [تقدم الفعل 1278]

[2] كان ثمن "القشابة" المصنوعة من القماش القطني المستقدم من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء يقدر بحوالي 60 فرنكا، بينما لا تتجاوز قيمة "القشابة" المصنوعة من الخونت العادي المستورد من أوروبا 5 أو 6 فرنكات، مما جعل من القماش الإفريقي يقتصر على لباس أسر الزعماء والأعيان : Ch. De Foucault , op. cit. p.122.

[3] Ibid.

[4] Adam , « Costume ». op. cit. p. 442.

[5] Montagne R., « L'Aghbar » . op. cit . p. 8

[6] Montagne R., « L'Aghbar » . op. cit . p. 8

[7] Besancenot J., Costumes. op. cit. p. 160.

- للدلالة على حائك المرأة المصنوع من قماش (الخونت)، استعمل محرر عقد الجهاز من (امطدي) المصطلح الامازيغي: (ءادّال)، بينما استعمل محرر عقد (ءيسندالن) المصطلح العربي الإزار، ولكن كتبه بهذه الصيغة: (الاشار)، بزاي مفخمة، كما ينطق محليا. وما نريد التأكيد عليه في هذا المقام، أن مصطلح (ءافاوّو) كان يدل أساسا على الحائك المصنوع من الصوف، بينما يدل مصطلح (ءادّال) على أغلب أنواع الحائك سواء المصنوعة من الصوف[1] أو من أقمشة أخرى كالكتان أو (الخونت)[2].

القمصان النسوية الطويلة.

كان الحائك المصنوع من الصوف أو الكتان يشكل القطعة الأساسية في أزياء المرأة التي لا ترتديه عادة مباشرة فوق الجلد، وتلبس تحته أنواعا متعددة من الأقمصة الطويلة التي تحمل أسماء مختلفة، من بينها : (تاشّايت)، و(أقشّاب)، و (تاسدريْت) [3]... وكانت هذه القمصان تنجز من الصوف[4] أو من القطن[5] أو الكتان، و تتوفر على فتحة أمام الصدر، ولكن تتنوع زخارفها وطرق تقطيعها وتفصيلها وخياطتها.

القمصان النسوية الطويلة في عقود الجهاز

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
اكادير [وثيقة 94]	**23 شوال 1183** (فبراير 1770م)	**منصورية كتان، نصف وقميص كمامة كاسة**
تاجـّالت، وثيقة 17	**، ذي حجة 1250**(1835م)	**- الازار مع الشيت بخمس وثلاثين أو اقية**
تالـّجونت، وثيقة 26	**26 جهاز محرم، 1272]** (1855م)	**قميصة الكتان الفرجية ثلاثين أو اقية**
ءايت حامد، وثيقة 6	**ربيع2-1281، (شتنبر 1864م)**	**الشيْتْ بثلاثة وعشرين أقية،**

ملاحظات

- كان القميص النسوي الطويل منتشرا بشكل عام في الأطلس الصغير والأطلس الكبير وسهل سوس...

- تعددت أسماء هذه القمصان، فمنها (الشايت)، و(القميص)، و(المنصورية)، و(الفرجية)، ولا نعرف إن كانت هذه الأسماء تحيل على نفس القمصان النسوية المعروفة في الحواضر، أم أنها تدل على أزياء بصيغة محلية[6].

---

[1] Montagne R., « L'Aghbar » op. cit. p.8

[2] (ءادّال) وجمعه (ءادّالن)، ويعني لغة الغطاء، و قد يطلق في بعض القبائل على جزء منفصل من (ءافاكّو) تغطي به النساء الرأس والكتفين : Adam A., « Costume ». op . cit.p. 480

[3] Cambazard-Amahan, op. cit.p.104.

[4] Adam A., « Costume ». op . cit. p.468

[5] Cambazard-Amahan, op. cit.p.104.

[6] ذكر كولان بأن النصورية النسوية تختلف دلالتها بين القبائل، وبأنها في مراكش كانت تعنى القميص الطويل المسمى (الشايت) Colin, Dictionnaire , t. v 8 p.1912.

القفطان

كان القفطان النسوي من الأزياء الخاصة بنساء الحواضر، ونساء أسر الرؤساء ورجالات المخزن، وكان يُتخذ من خامات ثمينة وخاصة من الحرير.

القفطان في عقود الجهاز

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
وثيقة 20، تالـكّـجونت	**صفر 1175،(شتنبر 1761م)**	**والقفطان الحرير بسبعة مثقالا، لِيزَر الكتانْ،**
اكادير ، [وثيقة 94]	**شوال 1183** (فبراير 1770م)	**قفطان عكر بالسقلي بتسعة مثاقيل، منصورية كتان، نصف وقميص كمامة كاسة**

ملاحظات

- لم يرد القفطان إلا في عقدين للجهاز، ويبدو أن هذا المصطلح كان يدل في الحالتين معا على الزي الفاخر المنجز بعناية كما هو معروف في الحواضر. ففي (تالـكّـجونت) بالأطلس الكبير الغربي، ضم الجهاز المحرر بتاريخ صفر 1175/ (شتنبر 1761م) قفطانا مصنوعا من (الحرير)، وكان ثمنه- سبعة مثاقيل- أغلى من باقي أنواع قطع اللباس الواردة في الوثيقة. أما في ميناء أكادير، فقد أ رد كاتب العقد، المحرر بتاريخ شوال 1183،(فبراير 1770م) تفاصيل تؤكد أن الأمر يتعلق فعلا بالقفطان الحضري، وخاصة لونه (العكري)، وزخارفه من (السقلي)[1]، وكذلك قيمته المادية المرتفعة مقارنة مع باقي الأزياء (تسعة مثاقيل).

أغطية الرأس

من الصعب الإحاطة بكل أنواع أغطية الرأس النسوية الواردة في عقود الجهاز، وذلك بسبب كثرة أسمائها، وتنوع خاماتها، واختلاف أشكالها، وغنى زخارفها، وارتباطها ببيئات جغرافية وبشرية متعددة. ويمكن تصنيف كل هذه الأغطية إلى فئتين: فئة محلية، تصنع عادة من الصوف، وفئة وافدة وتصنع غالبا من الحرير. ويسمح معجم كُتّاب عقود الجهاز من التمييز بين هاتين الفئتين، فالأولى تحمل أسماء عامة من قبيل (خرقة الرأس)، و(الزيف) و(الخمار). أما الثانية فتحمل أسماء خاصة من قبيل: (تاوكايت)، و(تاسّبنيت) و(تاشربيت) و(ءاعبروق) و(ءاكنبوش)...

[1] **الصقلي أي المطروز بخيوط رفيعة من الذهب، انظر**

Boulifa S., op.cit. p. 350.

ب- محفظة جلدية نسوية/(تاوّلكت)

يصنع الحرفيون كيسا جلديا مدبوغا يسمى (ءاوّلْكْ)، ويُستعمل لحفظ ونقل مواد جافة متنوعة، كالحبوب والدقيق، كما يضع فيه المسافر الزاد ومؤونة الطريق[1]. ويصنعون أيضا نوعا من الأوعية "الفاخرة" من جلد الماعز المدبوغ بإتقان، والمزين بزخارف مصبوغة[2]، لتؤدي دور المحفظة أو الحقيبة النسوية، وتحفظ فيها المرأة ملابسها وحليها ولوازم أناقتها[3]. وتسمى هذه الحقيبة بالأمازيغية (تاوّلكت)، وتترجمها عقود الجهاز بلفظ "مزود" في صيغة المذكر، أو "مزودة" في صيغة المؤنث. ورصدناها في أغلب عقود الجهاز التي اطلعنا عليها.

نماذج من حضور (تاوّلكت) في عقود الجهاز:

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
وثيقة 21، [امطدي]	ربيع 979/ (1571م)	أربعة مزاويد كبار فيهن واحدة [–]
تاجـّالت [وثيقة 6]	ربيع2 1002 (يناير 1594م)	المزودة
وثيقة 22، ءيمنتاّن	جماد 2، 1066، (1656م)	- مزودتين وعمارتهما بتمانية أوجه
أكلو [وثيقة 325]	ربيع النبوي 1077 (شتنبر 1666م)	مزود بنصف الأوقية
وثيقة 47 تاجـّالت]	ذو الحجة 1087، (فبراير 1677م)	- المزاويد و ما فيهن
وثيقة 20] تاجـّالت	شوال 1090 (نونبر 1679م)	- قفة الصوف مع عمارتها من المزاويد بثلاثة أواق
ءايت حامد وثيقة 2	ربيع2-1121،(1709م)	المزاود بعمارتها بعشرة أو جه
ءيدأو كايس [وثيقة 8]	رجب 1122 (1710م)	- المزاودة مع عمارتهن
وثيقة 2، [تاجلت]	صفر 1165، (1751م)	- المزودات
اكلو [وثيقة 361]	ربيع الثاني 1180،/ (شتنبر 1766م)	اربع مزاويد بسبعة [أوجو]ه
ءيمجّاط، وثيقة 2	ربيع الثاني عام 1208 (1793م)	المزودة وما فيها من العطيرة بثمانية
. ءايت وافقا.	ربيع الأول عام 1292/(أبريل 1875م)	والمزودتيْن بـ 26 ق والمزودة اليد مع عمارتها بـ 15 ق

[1] Bruno , « Noms de récipients à Rabat », in Hespéris, 1921,p. 121.

[2] بصير، الحاجة الماسة، مرجع سبق ذكره ، ص. 328

[3] Laoust E., Mots et Choses berbères, August Chalamel Editeur, Paris, 1920,p.138.

ملاحظات:

- ذكرت (تاوّلكت) ضمن مكونات الجهاز ضمن أقدم وثيقة اطلعنا عليها، وتعود الى **ربيع 979/ (1571م)/ وشكلت منذ ذلك الوقت إحدى العناصر الثابتة ضمن ما يقدم للعروس** في أغلب مناطق سوس وطوال الفترات التاريخية المتعاقبة.

- تضم بعض العقود أكثر من محفظة واحدة من نوع (تاوّلكت)، قد يصل عددها إلى أكثر من أربع حقائب، مما يظهر أهمية هذه الأوعية بالنسبة للمرأة التي تحرص على العناية بأزيائها ولوازم زينتها.

- تُذكر (تاوّلكت) غالبا مع (عمارتها)، والمقصود مع محتواها من لوازم التزيين كالنباتات العطرية.

- كانت المرأة تستعمل نوعا من المحافظ الصغيرة التي تسميها الوثائق (مزودة اليد)، والتي كانت تستخدم لحفظ كميات قليلة من الطيب والعطور أو لوازم زينة صغيرة الحجم.

ت- لوازم الزينة

- (تيدارڭيت)/ حُق الطيب

حق الطيب عبارة عن صندوق خشبي صغير دائري الشكل، يقارب قطره حوالي خمسة عشرة سنتمترا، وارتفاعه حوالي عشرة سنتمترات، ويُغلق بواسطة غطاء منفصل، مصمم بشكل يجعله يحيط بفتحة الصندوق بإحكام ويحافظ على جودة المحتويات الموضوعة داخله.

يسمى حق الطيب بالأمازيغية، (تيدارڭيت)، ويستعمل هذا الاسم في التداو ل الشفوي[1]، وفي الوثائق العائلية المكتوبة، كما وثقته معجم عربي أمازيغي مخطوط من القرن الثامن عشر الميلادي[2]

[1] **هناك اسم آخر وهو (تابجا) في صيغة المؤنث ومذكره (أبجا) بمعنى الأجوف، وتطلق على التحفة الصغيرة المصنوعة من الخشب تضع فيها النساء الكحل والزعفران. أنظر :الهتاف الحسين، معجم المصطلحات الأدبية والموسيقية بمنطقة امحاميد الغزلان, جامعة ابن زهر تخصص أدب موسم جامعي 97-98، ص. 28.**

[2] **النفيسي عمر بن عبيد الله بن علي، المجموع اللائق على مشكل الوثائق معجم عربي أمازيغي ، تحقيق عمر افا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، مطبعة المعارف الجديدة, الرباط، 2007.**

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
ءيمنتاكّن، وثيقة 22،	جماد الثانية 1066، **(1656م)**	**صندوقة وعمارتها**
كلو [بجي، الحلي، وثيقة 325]	ربيع النبوي 1077، **(شتنبر 1666م)**	**- ست قوارير**
[وثيقة 7 تاجكّالت]	ذو القعدة 1083، /(1673م)	**- قرورتين وعمارة دالك من أنواع الطيب**
ءيمنتاكّن، وثيقة 23	ربيع الثاني 1086 **(1675م)**	**- تدركتْ**
[وثيقة 47 تاجكّالت]	ذو الحجة 1087، (فبراير 1677م)	**- القرورات**
وثيقة 64، تاجكّالت	شعبان 1140، (1728م)	**- كّروريتين مع عمارتهما**
اكلو [وثيقة 359]	-شعبان 1157، (1744م)	**- اربع قرائر**
وثيقة 14، ءيمنتاكّن	قعدة 1161،**(1748م)**	**قرورة الطيب**
-وثيقة 2، [تاجلت]	صفر 1165، (1751م)	**- الصندوقات مع عمارتهما**
وثيقة2 ءيمجّاط	ربيع الثاني 1208 (1793م)	**- الكرارة**
وثيقة 4، [تاجلت]	ذو القعدة 1229، (1814م)	**- قرارةٌ و هي تِدَرْكِتْ**
وثيقة 7، ءايت حامد]	ذو الحجة 1284 (1868م)	- العطارة [؟] مع عمارتها بثمانية عشر أو قية

ملاحظات

- تعددت أسماء حق الطيب الواردة في العقود، فهناك الاسم الأمازيغي (تيدركّيت) القديم، إلى جانب أربعة أسماء أخرى، وهي:

+ (القارورة)، وترد بصيغ مختلفة ولكنها متقاربة نطقا وكتابة، وقد مُزِّغ هذا الاسم في التعبير الشفوي الأمازيغي، وينطق : تالْكّيرارت.

+ (الصندوقة)، يدل هذا اللفظ عادة على الأثاث الخشبي الذي تحفظ فيه الأزياء، ولكنه عندما يرد في عقود الجهاز فإنه يحيل غالبا على حُقّ الطيب.

+ (العطارة)، ورد هذا الاسم في وثيقة من (ءايت حامد) بتاريخ ذي حجة 1284/ (1868م)وقد أطلق على الحُق لأنه يحفظ المواد العطرية.

- تكتفي بعض عقود الأجهزة بجرد حُق طيب واحد، بينما تضم عقود أخرى عددا أكبر قد يصل أحيانا إلى ست أوعية. وكلما زاد عدد الأوعية كثرت كمية عناصر الطيب المقدمة للعروس.

- تؤكد أغلب الوثائق أن (تيدرڭيت) كانت تقدم للعروس مع "عمارتها"-أي محتواها - من "أنواع الطيب"، ولا

- الطبق: (ءيسڭي) أو (ءيشيش)

يصنع الطبق من الحلفاء ومن سعف النخل أو الدوم، وتتعد أحجامه ووظائفه، فيلعب دور المائدة حين توضع فوقه أواني الطعام عند تقديمها للضيوف[1]، وتستعين به المرأة في أشغال منزلية مختلفة مثل تنقية الحبوب[2]، وإعداد حبات الكسكس... ويعرف الطبق في الأمازيغية باسم (ءيسڭي) أو (ءيشيش) ومؤنثهما هما على التوالي: (تيسڭيت) و(تيشيشت)، ويطلق اللفظان عادة على طبق فاخر يكون أصغر حجما وأتقن صنعة وأكثر زخرفة، وتقدم فيه الأغراض ذات الأهمية الرمزية بالنسبة للسكان. وكانت توضع فيه لوازم الزينة، والعطور التي تقدم للعروس ضمن مكونات الجهاز.

[1] **A. Adam, « Maison ». op. cit. p.320.**
[2] **E. Laoust , « Noces ». op. cit . p. 19.**

الطبق في عقود الجهاز:

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
وثيقة 12، امطدي،	ربيع الثاني 979، (1571م)	خمس [؟] طبيقات واحدة مملوءة بالحناء المدقوق وفي الاخريات صاع ونصف الريحان وثلاث اصواع من الريحان و [–] واخر مملوة بالحنا والريحان المدقوق وثلاث قبضات من الطرفا
وثيقة 6 تاجـّالت	ربيع الثاني 1002، (يناير 1594م)	الضبـّ معمرتها بخمسة أو اق
وثيقة 9، ءيمنتاّن	جمادى الثانية 1051 (1641م)	-الضبقة [–] بوقية
اكلو [وثيقة 325]	ربيع النبوي 1077، (شتنبر 1666م)	طبق طبق سيور بنصف المتقال طبق سعف بستة أو جه طبق سعف وعمارته ريحانا مع ءاخر بريحانه بنصف المثقال [...[سعف بعمارته توسرغنت.
وثيقة 48 ، تاجـّالت	جماد2 1149، (1736 م)	- الطبق مع الحصير بستة موزونة يعني مع عمارة االطبق المذكور
وثيقة 2 ءايت حامد	محرم 1152 /(1739م)	- حبل الشعر وطبق اللـ - اف[أو ق]
وثيقة 2، تاجلت	صفر 1165، (1751م)	- الطباق
وثيقة 20، تالكجونت	صفر1175، (شتنبر 1761م)	- الطبق مع عمارته بين القرورات و المشطات و المرايات بسبعة أو اقية
اكادير [، وثيقة 94]	23 شوال 1183 (فبراير 1770م)	طبق كبير بعمـ[ـارته ـ] الطيب المعتاد له بمثقال
ءايت وافقا.	ربيع الأول 1292 /(أبريل 1875م)	و"تشِشْت

ملاحظات:

- ورد الاسم الأمازيغي (تيشيشت) في بعض العقود، كما ورد اللفظ العربي (الطبق) بصيغ متقاربة: (الضبـكّ)، (الضبقة)، (الطباق)...

- تحتوي بعض العقود على طبق مرتبط بالاستعمالات المنزلية الذي يُجرد عادة مع الأثاث المنزلي[1]، بينما تضم عقود أخرى الطبقَ المرتبط بالاستعمالات التزيينية، والذي يذكر غالبا مع الأزياء والحلي ولوازم الزينة والطيب والعطور.

- يؤكد أقدم عقد اطلعنا عليه من الأطلس الصغير، أن الطبق كان مرتبطا بوظائف التزيين والتجميل، فقد أبرزت هذه الوثيقة المحررة بتاريخ ربيع الثاني سنة 979 / (1571م) أن الجهاز كان يضم (طبيقات) مملؤة بالحناء والريحان والطرفا، [وثيقة 12]. وستؤكد أقدم وثيقة اطلعنا عليها من الأطلس الكبير الغربي، والتي تعود إلى ربيع 1002/ (يناير 1594م)، أن الطبق في هذه المنطقة أيضا كان يستعمل كحامل لمواد الطيب والعطور، من خلال الإشارة إلى أن الجهاز كان يضم (الضبـكّ معمرتها)، أي الطبق مع (عمارته). وتوضح عقود أخرى طبيعة هذه المحتويات التي كانت تختلف من قبيلة لأخرى، وكانت تشمل مواد عطرية مثل: (تاوسرغينت) و(السنبل) و(الريحان)، وقد تحتوي كذلك على الأمشاط والمرايا وحق الطيب، والمكحلة مع الإثمد ...

- يختلف عدد أطباق تقديم لوازم الزينة حسب عقود الجهاز، فبينما تضم بعض الوثائق طبقا واحدا، كانت عقود أخرى تجرد عددا أكبر وقد يصل إلى تسع أطباق؛ و تختلف مواد صناعة هذه الأوعية في نفس الجهاز، حيث تعتمد بعض الأطباق على سعف النخيل والأخرى على السيور[2]...

- المشط

كانت المرأة تستعمل أنواعا من المشط المنجزة من قرون الحيوانات، أو من خشب بعض الأشجار كالجوز وشجر الليمون، أو من العظام، وكانت تصنع في بعض المدن كفاس[3] وسلا[4]. كما عرف المغرب استعمال أمشاط ذات أسنان دقيقة مصنوعة من العاج مستوردة من أوروبا[5].

---

[1] يرد الطبق المخصص للاستعمالات المنزلية مع الغربال والقِمَع، أو مع الحبل الذي تربط به المرأة الأغراض الت تحملها فوق ظهرها...

2 ربما المقصود أن الطبق كان مصنوعا من مادة نباتية، ولكنه مزين بزخارف مكونة من سيور جلدية أو غيرها...

[3] Prosper Ricard, Les métiers manuels à Fès… p. 216.

[4] الوزان ، مصدر سبق ذكره ، الجزء1، ص, 208- 209

[5] رحلة الأسير مويط ، مصدر سبق ذكره . ص, 144.

يستعمل كتاب عقود الجهاز أحيانا نفس لفظ (المشط) للدلالة على أداة تسريح شعر المرأة، وعلى آلة تستخدم في النسيج، لذا من الضروري الانتباه إلى الإطار العام الذي ورد فيه هذا المصطلح لمعرفة الأداة المقصودة بالتحديد.

نماذج من ذكر المشط في عقود الجهاز:

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
وثيقة 9، يءيمنتاڭن	جمادى الثانية 1051 (1641م)	ـتمشط بخمسة وجها
وثيقة 8 ءيداوكايس]	رجب 1122 (1710م)	مشطتين
وثيقة 9 تالـڭجونت	ـ جمادى الثانية 1142	مشطة و مراءة بموزونة
[وثيقة 20، تالـڭجونت]	صفر1175، (شتنبر 1761م)	الطبق مع عمارته بين القرورات والمشطات والمرايات بسبعة أو اقية
اكادير، وثيقة 94]	شوال 1183 (فبراير 1770م)	مشطة [ـ]
وثيقة 3 ، ءايت ءيڭأس	، رمضان 1188، (1774م)	المر ولمشطة بثلاثة موزنة

ملاحظات

- تؤكد الوثائق انتشارَ المشط بشكل مستمر في كل من الأطلس الكبير الغربي وفي سهل سوس، وذلك في إطار ممارسة شائعة كانت تشمل باقي المجالات بكل من جبال الأطلس الصغير وباني وسيروا، كما هو الشأن في عموم المناطق القروية بالمغرب التي كانت نسائها يستعن بأمشاط خشبية للاعتناء بالشعر[1].

- كان من المعتاد أن يضم الجهاز مشطا واحدا، مع إمكانية تضمينه أكثر من ذلك.

- كانت بعض القبائل تعمد إلى جرد المشط والمرآة في خانة واحدة وتقويمهما معا بثمن واحد.

- يذكر المشط أحيانا ضمن المحتويات إلي تقدم للعروس في (الطبق) إلى جانب المرآة وحُق العطور، وهذا ما يفسر عدم إشارة بعض عقود الجهاز إلى هذه العناصر صراحة مادامت تدخل ضمن (عمارة) الطبق أو (عمارة) الحقيبة النسوية (تاوّلكت).

المرآة

كانت المرآة من عناصر الأناقة التقليدية الملازمة للمرأة في المدن كما في القرى[2]. وكانت المرايا تصنع في بعض المراكز الحضرية كفاس[3]، أو تستورد من البلدان الأوروبية[4].

[1] Laoust E., « Mots » . op. cit. p. 138

[2] Ibid.

3 القادري محمد بن الطيب ، نشر المثاني، الجزء الثاني، تحقيق محمدحجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية ، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1982، ص. 216.

[4] رحلة الأسير مويط ،مصدر سبق ذكره ص. 98.

نماذج من حضور المرآة في عقود الجهاز

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
وثيقة 22 ءيمنتاكّن	جمادى الثانية 1066 (1656م)	- مرءات
أكلو ، وثيقة 325]	ربيع النبوي 1077 (شتنبر 1666م)	- مراءة بوجهين[1] [و] مراءة بوقيتين وربع
أكلو ، وثيقة 331]	تاريخ قريب من 1077 (1666م)	- ستة امرياء باقيتين [...] [
وثيقة 9 [تالـكّـجونت]	جمادى االثانية 1142 (1729م)	- مشطة ومراءة بموزونة
وثيقة، 20، [تالـكّـجونت]	، صفر 1175(شتنبر 1761م)	- الطبق مع عمارته بين القرورات والمشطات والمرايات بسبعة أو اقية
اكادير[وثيقة 94]	شوال 1183 (فبراير 1770)	ميراية كبيرة [-]
وثيقة 23،[ايمناكن]	ربيع الثاني 1086 (1675م)	- تلمريت مع مشاطة بوجه
- [ءيمجّاط وثيقة 2 ،	ربيع الثاني 1208 (1793م)	- الامرياء

ملاحظات:

- كانت المرآة من الأدوات المنتشرة في أغلب المجالات الجغرافية بالجنوب، والتي تَوَاصل حضورها بدون توقف في عقود الجهاز خلال فترات تاريخية متعاقبة

-لا تسعف الوثائق في تحديد خصائص المرآة التي كانت تقدم للعروس، ولكن كانت بعض الأجهزة كانت تتميز باحتوائها على مرايا كبيرة، كما هو الحال بالنسبة لجهاز ابنة قاضي "ثغر اكادير".

-تجرد الوثائق عادة مرآة واحدة، غير أن بعض العقود تضم عددا أكبر قد يصل إلى ست مرايا.

- كما أشرنا إلى ذلك سابقا، تُجرد المرآة أحيانا ضمن المحتويات التي تقدم للعروس في (الطبق)، وهذا ما يفسر عدم ذكرها صراحة في بعض عقود الجهاز مادامت تدخل ضمن (عمارة) الطبق أو (عمارة) الحقيبة النسوية (تاوّلكت).

المكحلة والإثمد:

كان الكحل من أكثر مواد التجميل استعمالا من طرف النساء[2] في المناسبات والاحتفالات كما في الحياة اليومية. واشتهرت منطقة الجنوب بعراقة استغلال مناجم

[1] المقصود أن ثمن المرآة يعادل وجهين

[2] كان الرجال يستعملون أحيانا الكحل لحاجات علاجية وللعناية بالعين.

معدن الكحل، وخاصة تلك المناجم الواقعة قرب أطلال مدينة (تامدولت) الأثرية بإقليم (طاطا)، والتي كان سكان القرى المجاورة لها في طليعة المتخصصين في إعداد أجود أنواع الكحل[1].

يُعالَج الإثمد، ويُدق حتى يصبح مسحوقا ناعما، ثم تُضاف إليه توابل وأعشاب مختلفة كعظم الزيتون الأسود، وعظم التمر، والبزار الأبيض، والنيلة الحرة والقرنفل، ويخلط الجميع فيصبح كحلا صالحا لتصفية العين[2] وإبراز جمال الجفون. ويُحفظ الكحل في وعاء خشبي خاص مزين بزخارف محفورة أو مصبوغة تسمى (تيكفيست)، أو (تاكْمامت) بالأمازيغية[3]. ويغلق هذا الوعاء بعود خشبي طوله حوالي تسع سنتمترات يؤدي وظيفة المِرْود لجعل الكحل في العين ويسمى (أمـژوال) -بزاي مفخمة-.

<u>الإثمد والمكحلة في عقود الجهاز</u>

رقم الوثيقة المكان	التاريخ	الصيغة
وثيقة 21، [أمطدي]	**ربيع 979، / (1571م)**	**مكحلة بكحلها**
وثيقة 15 ءيمنتاكن	**ربيع الثـ[ـاني]1072. (1661م)**	**قصب الكحل**
[وثيقة 2، [ءايت ءيـكـاس]	**شعبان 1174، (1761م)**	**المكحلة بخمس موزونات**

<u>ملاحظات</u>

- كانت المكحلة الممتلئة بالإثمد من أقدم المكونات المسجلة ضمن عقود الجهاز، غير أن الوثائق لا تشير عادة إلى هذا العنصر الهام في الحياة اليومية المرأة، مما يدعو إلى الافتراض أنها لم تكن تذكر صراحة لأنها ربما كانت تدخل ضمن (عمارة) مكونات أخرى كالحقيبة الجلدية، أو حق الطيب، أو الطبق الذي يقدم للعروس[4].

- تشير النماذج التي عرضناها إلى المكحلة كوعاء للإثمد، باستثناء عقد جهاز واحد يتحدث عن (قصب الكحل)، ويمكن تفسيره هذه الحالة إما بكون وعاء حفظ الإثمد كان فعلا عبارة عن أسطوانة عادية من القصب، أو أن محرر الوثيقة استعمل لفظ (القصب) ولكنه كان يقصد في الواقع مكحلة خشبية فاخرة، ربما بسبب محدودية المعجم الذي توفر له.

---

[1] انظر ايت عدي واسمهري المحفوظ، مرجع سبق ذكره، ص. 216

[2] الحسين البعاوي، "الكحول"، معلمة المغرب، ج.20، ، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا،2004، ص.6775.

[3] يسمى أيضا (تادّوات ن طاژولت) وتعني حرفيا : دواة الاثمد.

[4] في الوثيقة 15 من ايمنتاكن بتاريخ أوائل ربيع الثاني 1072/ (1661م)، ذُكر قصب الكحل مع الطبق والحصير والمشط والمرآة وقومت كل هذا العناصر بثمن واحد، مما يظهر أن لوازم الزينة قدمت ضمن محتويات الطبق.

ث- مواد الطيب والعطور

كانت "أنواع الطيب" من العناصر الثابتة ضمن مكونات الجهاز في سوس. ووجدنا في وثائق السفح الجنوبي الأطلس الصغير إحدى أقدم الإشارات الواضحة إلى بعض هذه المواد كالحناء والريحان والطرفاء. وقد وردت هذه الإشارة في عقدي جهاز من (امطدي) بتاريخ ربيع 979 / (1571م) [وثيقتي 12 و21].

اطلعنا بعد ذلك على عقود جهاز من مختلف قبائل سوس والتي كتبت في فترات تاريخية مختلفة، وتشترك أغلبها في تركيزها على أهمية لوازم التزيين من عطور ومواد العناية بجلد المرأة وشعرها. وكان بعض محرري العقود يكتفون بإشارات عامة إلى حضور مواد التجميل دون ذكر تفاصيل العناصر المكونة لها[1]، مما يدفع إلى الاعتقاد أن ذكر تلك التفاصيل لم يكن دائما ضروريا، مادام سكان كل قبيلة يعرفون بالممارسة نوعية وكمية لوازم التزيين التي كانت تحملها العروس معها إلى بيت الزوجية، والتي تكون عادة محددة بالعادات المحلية.

وتحتوي بعض عقود الجهاز على معطيات تفصيلية عن طبيعة عناصر التجميل والعطور التي كانت تتداول في سوس، والتي كانت تستعملها المرأة للعناية بجمالها والاهتمام بأناقتها. ومن أهم هذه المواد:

الحناء

تبقي نبتة الحناء من أهم المواد التجميلية التي تستعملها المرأة في مختلف مناطق المغرب، وكانت تستعمل للعناية بالشعر والجلد، ولتزيين الكفين والقدمين، كما كانت لها استعمالات علاجية وتزيينية متعددة[2]. وكانت الحناء من بين العناصر الثابتة ضمن لوازم زينة العروس، ووردت هذه المادة في عقدي جهاز من (امطدي) محرران بتاريخ ربيع 979 / (1571م)، وتضمن أحداهما "ثلاثة اصواع من الحنا" [وثيقة 21،] أما الآخر، فقد ميز بين وعاء "مملوء بالحناء "، ووعاء آخر مملوء "بالحناء المدقوق". [وثيقة 12]

القرنفل

يدخل القرنفل عادة ضمن مواد نظم القلائد، ولكنه قد يرد كمادة عطرية كما هو الحال في عقد جهاز من (تاجكّالت) بتاريخ ذي حجة 1250 (1835م)، حيث ذكر " **القرنفل مع الكرارة بستة أو اق"**

---

[1] **من بين هذه النماذج: " طبق كبير بعم-[ارته -] الطيب المعتاد له "في عقد جهاز من اكادير بتاريخ 23 شوال (فبراير 1770)1183[وثيقة 94]**

[2] **Maurin Garcia M, Le Henné: plante du Paradis, Imprimerie A.G.E.P., Marseille. .,1992**

[وثيقة 17]. ففي هذه الحالة رُبطت عيدان القرنفل بالحُق (الكرارة)، مما يدفع إلى الاعتقاد أنها اعتبرت ضمن العطور.

السنبل

يدل السّنْبْلْ في منطقة سوس على عشب كالحناء أو القرنفل، يتم طحنه فيصبح مسحوقا تمسح به الفتيات رؤوسهن للاستفادة من رائحته الطيبة[1]

وقد ردت عبارة "[...] بعمارتهم سنبلا بأربع أو اق و ثمانية[...]" في عقد جهاز من (اكلو) [وثيقة 331]. بتاريخ قريب من سنة 1077 هـ/ ذ(شتنبر 1666م). ويتعذر معرفة نوعية الوعاء الذي وضع فيه السّنْبْلْ، ونرجح أنه قُدِّم في أطباق من السعف كبقية المواد العطرية المذكورة في العقد.

الريحان

ذكرت هذه المادة العطرية في عقد جهاز من (أمطدي) بتاريخ ربيع 979 / (1571م)، وضم "صاع ونصف من الريحان"[وثيقة 21]، كما وردت بعد ذلك في عقد آخر من (اكلو) بتاريخ ربيع النبوي 1077 (شتنبر 1666م) [وثيقة 325] واحتوى على ثلاثة أطباق من السعف المملؤة بالريحان.

يعرف (الريحان) بالآس في الشرق العربي، ويسمى "myrte " باللغة الفرنسية[2]. ويقتصر التوزيع البيوجغرافي للريحان في المغرب على المنطقة الشمالية حيث يكثر في الريف، وبناحية تازة وبالهضبة الوسطى والمعمورة ومنطقة بنسليمان[3]. وقد سبق لمؤلف كتاب الاستبصار أن أكد أن الريحان "عزيز" في سوس وبلاد الصحراء التي لا تنبته، ورغم ذلك فسكانها كانوا يعتبرونه "من أطيب الطيب"[4]. تُقطر أو راق الريحان للحصول على العطر، أو وتدخل في تحضير وصفات تجميلية بمزجها مع الحناء أو الغاسول لتنظيف شعر النساء أو تلوينه باللون الأسود[5]. وكان (الريحان) من العطور المستعملة في حفلات زفاف النساء القرويات حيث يستعملن سائلا عطريا يسمى (ءامان ن رّيحان)، يوضع في إناء يسمى (ءابوقّال ن تسليت) ومعناه : قُلَّة العروس، وترش به الأم ابنتها العروس[6].

---

[1] **محمد بصير، مرجع سبق ذكره، ص. 329.**

[2] **بنعبيد ، مرجع سبق ذكره، جزء 13.، ص.4510**

[3] **نفسه.**

[4] **كاتب مراكشي، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، وصف مكة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد المجيد، دار النشر المغربية الدار البيضاء، 1985، ص. 214.**

[5] **يستعمل الريحان في التطبيب التقليدي لعلاج أمراض الجهازين التنفسي والغذائي، وأمراض العيون .. وتستخدم أو راقه في غسل الميت أو توضع معه في قبره قبل ان يغمر بالتراب، [بنعبيد ، مرجع سبق ذكره، معلمة المغرب ، الجزء 13، ص,4511**

[6] **E . Laoust, Noces . op. cit. p. 113**

العُصْفُرُ

يعرف العُصْفُرُ في الأمازيغية باسم (ءينغمي)[1]، وينطق في الدارجة المغربية بصيغتين متقاربتين: (عصفور) و(عزفور)[2]، وهو النبتة التي تعرف في الفرنسية بلفظ [carthame]. ويعتقد البعض أن أحمر الخدود التقليدي المسمى، عكر فاسي أو عكر صحراوي، كان يصنع من بتلات زهرة شقائق النعمان، وهذا من الأخطاء الشائعة، والصحيح أن هذه المادة الملونة كانت تستخرج قديما من بتلات العصفر[3]. وكان هذا النبات الصبغي ينتشر في نواحي فاس ويستعمل لإعداد مسحوق تجميلي أحمر[4].

كانت النساء في سوس يستعملن مسحوق العصفر –أو (العكر)- للزيادة من احمرار الشفاه والخدود[5]، كما كن يزين الوجه عموما بخطوط من العكر الأحمر تسمى (أدلال)،[6]وذلك في إطار تقليد قديم، حيث ذكر (**العصفور**) في وثيقة من (تاجـكّـالت) بالأطلس الكبير الغربي بتاريخ شهرمحرم عام 1171هـ/ (1757م)[وثيقة 31].

الطرفاء

الطرفاء أو الطرفة أو الأثل، وتسمى بالأمازيغية (تامّايت) أو (امّاي)، وبالفرنسية (تاماريس) [tamaris][7]. وتوجد في المغرب حوالي عشرة أنواع طبيعية شجيرية من الطرفاء، ولها استعمالات عديدة، منها الاستخدامات التجميلية والعلاجية[8].

وردت الإشارة إلى الطرفاء في عقدي جهاز من (امطدي) بتاريخ ربيع 979هـ/ (1571م)، وضم كل واحد منهما "ثلاث قبضات[9] [وثيقة 12، ووثيقة 21]. وذِكْرُ هذه المادة ضمن مواد التجميل، يدفع إلى الاعتقاد أن المقصود بها هو عصفة الطرفاء المسماة (تاكّاوت) [la galle du tamarix] التي كانت تستعمل في الصباغة[10] ، وفي العناية بالشعر وتليينه.

تاوسرغينت

---

[1] **محمد شفيق، المعجم، مرجع سبق ذكره، الجزء الثالث، ص. 113.**

[2] **يرى كولان في معجمه أن المصطلحين المستعملين في الدارجة قريبين اشتقاقيا من مصطلح اسباني**
Colin, Dictionnaire . V. 5 , op. cit. p. 1263

[3] **Bellakhdar J., Hommes et plantes au Maghreb : Eléments pour une méthode en ethnobotanique, Plurimonsdes, 2008,p. 163.**

[4] **Besancenot J., Costumes. op.cit. p.144**

[5] **أشار اليها بوزونسونو في منطقة الأطلس الصغير الأو سط ولكنها كانت منتشرة في مناطق أخرى كالأطلس الكبير :**
Besancenot J., Types et Costumes. op.cit. p.170 et Boulifa S .,op. cit ., p. 126

[6] **Destaing E., Etude sur la Tachelhit du Sous …p. 179.**

[7] **بنعبد الله ، مرجع سبق ذكره ، معلمة المغرب ، الجزء 17، ص, 5739,**

[8] **نفسه**

[9] **مقصوده بالقبضات مقدار اناء يكال به إذ ذاك يسمى (تاولتيمت)، فأطلق على كل واحد قبضة، وهو دون (ليترو)، انظر : السوسي، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، الجزء13، ص.56,**

[10] **شفيق ، المعجم مرجع سبق ذكره ، الجزء الثاني، 113**

تسمى هذه النبتة العطرية بالفرنسية [la corrigiole.][1]، وذكر الوزان في القرن السادس عشر أن (تَسَرْغينَت) عبارة عن جدر عطري يوجد في ساحل المحيط إلى جهة الغرب ويحمله تجار موريطانيا إلى بلاد السودان، وهناك يستعمل كعطر رفيع. وقال بأنه لا حاجة إلى حرقه أو تسخينه، لأنه إذا حفظ في حجرة نشر فيها نفس الرائحة[2]. وكانت المرأة تصنع بخورا محليا باستعمال مواد كثيرة متميزة بطيب رائحتها كنبتة (تاوسرغينت)[3].

وردت نبات (تاوسرغينت) العطرية في عقد جهاز من منطقة أكلو بتاريخ ربيع نبوي 1077 (شتنبر 1666م) [وثيقة 325]، كما جُردت ضمن مكونات جهاز من نواحي تافراوت بتاريخ رمضان **1215/(فبراير 1801م)**، وورد فيه " **الطبقة مع توسرغنت بخمسة عشر موزنة** "[وثيقة 98] ومعناه أن (توسرغنت) كانت موضوعة في طبق من الدوم أو من سعف لنخيل.

البخور

انتشرت أنواع مختلفة من البخور في سوس، وكان بعضها من تحضير السكان أنفسهم باستعمال مواد محلية وأخرى مستوردة[4]، وكانت أنواع أخرى تُقتنى من الأسواق وتكون عبارة عن كتلة صلبة ذات رائحة طيبة، وهذا الصنف هو الذي يشير اليه عقد جهاز من (أكلو) ضم من بين مكوناته **"حجر من البخور"**، [وثيقة331][5]

كان البخور يُحرق باستعمال الجمر في أواني خاصة من أجل تعطير مختلف الفضاءات من المنازل والبنايات الدينية كالمساجد ولأضرحة، وكذا الأسواق وأماكن تنظيم الحفلات والعروض الفنية التراثية. كان كانت المرأة، [وكذلك الرجل] تعطر ملابسها بواسطة الروائح الطيبة المتصاعدة من احتراق البخور كالجاوي وصالبان، وغير ذلك[6].

السّواك

يسمى بالأمازيغية (أكـوسيم)[7]، وكان يتخذ من قشرة جذور الجوز التي تجفف وتباع على شكل رزم من القطع المستطيلة. يمضغ السواك أو يدلك لأجل تبييض الأسنان وتحمير الشفاه واللثات،[8] وللحصول على نفس منعش[9].

---

[1] **شفيق ، الدارجة ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثاني، 122**
[2] **الوزان الحسن ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثاني ، ص. 283**
[3] **ايت عدي واسمهري ، مرجع سبق ذكره ، ص. 216,**
[4] **نفسه.**
[5] **قد يكون محررا في تاريخ قريب من 1077 (1666م) [انظر الوثيقة 325].**
[6] **Boulifa S., op. cit . p. 147**
[7] **شفيق ، المعجم مرجع سبق ذكره ، الجزء 1، 563**
[8] **عبدالمالك بنعبيد، "السواك"، معلمة المغرب ، ج. 15، الجمعية المغربية للتـأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا2002، ص. 5148**
[9] **Flamand P., Un mellah en pays berbère Demant, Institut des Hautes études marocaines, Notes et documents : X, Librairie Générale de droit et de jurisprudence, Paris 1952, p.85.**

يدخل استعمال السواك في إطار ثقافة مغربية تركز على العناية بصحة الفم والأسنان، وكان المغاربة، رجالا ونساء، يتوفرون قديما على اسنان رائعة[1].

الزعفران

انتشرت زراعة الزعفران في أغلب مناطق سوس العليا الواقعة في اتجاه الشرق ، وخاصة عند بعض القبائل الواقعة على واد (زاكْموزن)، التي اشتهرت بجودة منتوجها[2]. ويستعمل الزعفران عادة في أغلب مناطق المغرب كتابل وكمادة لتلوين الأغذية، وكمستحضر في مجال التطبيب التقليدي[3].

لم نعثر في الوثائق التي اطلعنا عليها على إشارات واضحة للزعفران ضمن عقود الجهاز، ولكن هذا لا يعني غيابها عن مواد الزينة التي كانت تقدم لعروس، فقد ثبت أن نساء بعض قبائل سوس كن يصبغن بعض اجزاء الوجه بالزعفران.[4] كما كانت هذه المادة تدخل في صناعة البخور[5].

كانت العطور ولوازم التزيين من العناصر الثابتة والأساسية ضمن مكونات الجهاز، والتي يحرص المقومون على جردها وتحديد قيمتها، ومن البديهي أن المرأة بعد زواجها ستستعمل كل تلك المواد التجميلية بل وستشتري كميات هامة أخرى طوال فترة زواجها. ولكن المهم هو أن تدوينها في الجهاز وتحميل الزوج مسؤليتها، يؤكد أن المرأة المطلقة أو الأرملة عندما تعود إلى منزله من حقها ان تعود مع المواد التجميلية. إننا أمام مجتمع حريص على أن تتمتع المرأة بأناقتها بشكل دائم.

ج- الأواني

- أواني النحاس

كانت أواني النحاس من بين أقدم مكونات الجهاز التي تجردها الوثائق العائلية، وورد لفظ "النحاس" في عقد من (امطدي) بالسفح الجنوبي للأطلس الصغير منذ ربيع2- 979 / (1571م) [وثيقة 12]، كما وردت نفس الكلمة في أقدم عقد اطلعنا عليه من (تاجكْالت) بالأطلس الكبير الغربي والذي يعود إلى ربيع الثاني 1002 (يناير 1594م) [وثيقة 6]. وليس غريبا أن تأتي أقدم الإشارات من هاتين المنطقتين المتباعدتين؛ فكل واحدة منهما كانت قريبة من مركز من المراكز التاريخية المشهورة بصناعة النحاس في الجنوب. تقع (أمطدي) في قبيلة (ءايت حربيل) غير بعيد عن مركز (ايفران) الذي ارتبط بوجود مناجم النحاس، وصناعة الأواني النحاسية التي كانت تروج كثيرا في بلاد السودان خلال القرن

---

[1] فسر جاكسون جمال أسنان المغاربة بكونهم كانوا يستعملون معجونا للأسنان مصنوعا من مواد نباتية يتم احضارها من المناطق الداخلية للبلاد، ويبدو أنه يقصد مسواك قشرة جذور الجوز :Jackson , op. cit. p .116.

[2] ذكر الزعفران في مناطق خارج هذا المجال خاصة في السفح الشمالي للأطلس الصغير، انظر :

Jacques Meunier , Magasins. op. cit. p. 49

[3] عبد المالك بنعبيد ، الزعفران، معلمة الجزء الرابع عشر , ص. 4667

[4] Besancenot J.,Types et Costumes. op.cit. p.170.

[5] ايت عدي واسمهري ، مرجع سبق ذكره ، ص. 216,

السادس عشر[1]، أما (تاجـكـالت) فكانت تطل من سفح الأطلس الكبير على تارودانت في سهل سوس، تلك المدينة التي شكلت في تلك الفترة مركزا هاما لصناعة النحاس، والتي كانت تحتضن عددا كبيرا من "الصفارين" المشتغلين في سوق خاص بهم[2].

بالإضافة إلى الإشارات الواردة في أقدم وثيقتين من (امطدي) و(تاجـكـالت)، وردت إشارات عامة أخرى إلى أواني النحاس في عقود من مناطق متباعدة مختلفة ومن فترات تاريخية مختلفة، نجمل بعضها في هذا لجدول:

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
وثيقة 12 [امطدي]	**ربيع الثاني- 979**، / (1571م)	**قنديل جديد و نحاس جديد**
وثيقة 6 تاجـكـالت	**ربيع الثاني 1002** (يناير 1594م)	**- "النحاس"**
وثيقة 8 ءيمنتاكن	**جمادى الثاني 1018 (شتنبر 1609م)**	**انية النحاس**
" وثيقة 2 [ءايت حامد]	**محرم 1152،(1739م)**	**النحاس بثمانية وعشرون وجها "**
[وثيقة 2، [تاجلت]	**صفر 1165، (1751م)**	**- " النحاس"**
وثيقة 11 [أولاد عيسى المنابهة]	**ذو الحجة 1203 (شتنبر 1789م)**	**- مواعين النحاس بأربعة عشر أوقية "**
وثيقة 4، ءايت حامد	**صفر 1239**(1823م)	**- النحاس الأحمر بستة عشر أوقية**

ملاحظات

لا تحدد هذه النماذج طبيعة الأواني التي كانت تقدم للعروس، واكتفى المحررون بعبارات عامة من قبيل "النحاس" أو "مواعين النحاس" أو "آنية النحاس"، وذلك لأن كاتب العقد لم يكن مضطرا لتحديد نوعية تلك "المواعين" ما دامت الممارسات المحلية الخاصة بكل قبيلة تحدد بدقة مكونات النحاس الواجب تضمينها في الجهاز.

توضح نماذج أخرى من الوثائق طبيعة المكونات النحاسية التي تدخل ضمن جهاز العروس، والتي تتشكل غالبا من القنديل، ووعاءين اثنين وهما "السطل" أو "تاكرا".[3]

[1] **الوزان الحسن ، مصدر سبق ذكره، الجزء الثاني، ص.169.**
[2] **انظر الحوالة الحبسية لتارودانت المجلد الأول 1/3، ص. 2**
[3] **تذكر العقود أواني أخرى مثل الصاع، والطاسة ....**

السطل

يدل السطل على فئتين من الأواني المعدة لنقل السوائل: تؤدي الفئة الأولى دور المرجل وتُستغل لتسخين الماء، وتسمى بالأمازيغية (تافضنا)[1]، بينما تستغل الفئة الثانية لنقل وحفظ السوائل[2] كالماء والسمن والزيت والعسل وباقي الدهون. وتختلف أشكال وأحجام هذه الأواني تبعا لوظائفها، وتكون بعض النماذج المعدة لغلي وتسخين الماء مجهزة بمقبض لتعليق الإناء فوق النار، أما النماذج الفاخرة التي كانت مخصصة لنقل الدهون فكانت تجهز بمقبض وغطاء ويوضع فيها السمن أو العسل أو الزيت الذي سيقدم كهدية[3].

السطل في عقود الجهاز

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
[وثيقة 9، ءيمنتاڤن]	جمادى الثانية ، 1051 (1641م)	صطل النحاس وتغرت النحاس بسبعة [...]
أكلو[وثيقة 325]	ربيع نبوي 1077، "(شتنبر 1666م)	تيغرة نحاس بنصف المثقال سطل نحاس بمثقال
تاجڤالت وثيقة 12	رجب 1082] (1671م)	مواعين النحاس سطل وتغيرة الماء
وثيقة 2 [ءايت ءيڤاس]]	شعبان 1174، (1761م)	السطل
اكادير [وثيقة 94]	شوال 1183 (فبراير 1770م)	سطل نحاس كبير
وثيقة 5 [ءيمجّاط]	ذوال حجة عام 1199،]/(أكتوبر 1785م)	"الصطل مع القدح"
ءيمجّاط " [وثيقة 3]	1214 (1799م)	"الصطل الصغيرة"
[ءايت وافقا]	ربيع الأول 1292 /(أبريل 1875م)	"القدح النحاس ب 4 مث وصطل النحاس"
ءيسندالن، الوثيقة 355]	شوال 1305، (1888م)	تكَرت النحاس مع المرجل
ءيكسيمن الوثيقة 41]	ربيع1-1310،(1892م)	الصطلة بأربعة ارباع

ملاحظات:

- استعمل كُتّاب العقود مصطلح (الصطل)، وأحيانا مصطلح (المرجل) في حالات قليلة.

[1] **Laoust E., « Habitation » , op. cit.p.199**
[2] **Boulifa S., op.cit. p.350**
[3] **A. Adams, la maison et le village dans …. 320**
. انظر أيضا : المختار السوسي، المعسول، مصدر سبق ذكره ، الجزء:5، ص, 179

- كان السطل النحاس حاضرا ضمن مكونات الجهاز في أغلب قبائل الجنوب، ويُجرد عادة مع إناء نحاسي آخر يسمى (تاكْـرا).

- كانت بعض العقود تضم سطلا كبيرا من النحاس، بينما تضم عقود أخرى سطلا نحاسيا أصغر حجما، وهذا ما نفهمه من تعابير مثل: **"الصطل الصغيرة"** أو **"الصطلة"** في صيغة المؤنث.

تاكْـرا

يطلق اسم "تاكرا" على أواني مختلفة الأحجام والأشكال والمواد والوظائف، وتكون عموما على شكل إناء واسع الفتحة، قليل العمق[1]، ومقعر الجوانب، ويدل وعلى سطل خشبي مخصص للحليب[2]، وعلى إناء من خزف[3] على شكل صحفة[4]، وعلى الإناء النحاسي الذي تستعين بها المرأة بشكل خاص أثناء حلب بقرتها[5]، ولكنه يصلح بشكل عام لنقل وحفظ السوائل المختلفة.

(تاكْـرا) في عقود الجهاز

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
وثيقة 9، ءيمنتاكن	جمادى الثانية 1501 (1641م)	صطل النحاس وتغرت النحاس
ءيمنتاكن وثيقة 22، ،	جماد الثانية 1066(1656م)	تغيرة الكتم "
أكلو [وثيقة 325]	ربيع النبوي 1077(شتنبر 1666م)	- "تيغرة نحاس بنصف المثقال سطل نحاس بمثقال"
[تاجكْـالت وثيقة 12	رجب 1082 (1671م)	مواعين النحاس سطل وتغيرة الماء
وثيقة 5 [ءيمجّاط]	ذو الحجة عام 1199(1785م)	"الصطل مع القدح"
ءايت حامد وثيقة 3]،	محرم 1207	- " قدح النحاس "
[ءايت وافقا]	1292 ربيع الأول /(أبريل 1875م)	"القدح النحاس ب 4 مث وصطل النحاس"
ءيسندالن، الوثيقة 355]	شوال 1305، (1888م)	تكَرت النحاس مع المرجل"

[1] **Colin G.S., Dictionnaire. V :1, op. cit.p.188.**
[2] **Laoust E., « Habitation » ? op.cit. p.199**
[3] **Fili A.2011, « La céramique de tradition amazighe », Asinag, n° : 6, pp.21-29, p.125.**

[4] **في بعض مدن الشمال يدل لفظ (تاكرا) على نوع من الطاجين الذي ينضج فيه الطعام**

[5] **Destaing E., op.cit. p.161.**

ملاحظات

- استعمل أغلب محرري العقود المصطلحَ الأمازيغي (تاكـرا)، وإن كتبوه بصيغ مختلفة مثل: (تكَرت)، (تغرت)، (تغيرة)، (طغيرة)، (تيغرة) ... بينما استعمل محررون آخرون المصطلح العربي: (القدح) للدلالة على هذا الإناء.

- كانت (تاكـرا) منتشرة في أغلب مجالات الجنوب، ويتم إحصائها إلى جانب السطل.

- تنسب (تاكـرا) أحيانا إلى موقع (ءاكوتام) بالجنوب المغربي، وهو منجم كان مشهورا باستخراج النحاس.

القنديل

استعمل السكان في الجنوب المغربي أنواعا مختلفة من القناديل التي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة مجموعات كبرى تبعا لمادة صناعتها، وهي: القنديل المنحوت في كتلة من الحجر[1]، والقنديل المصنوع من الطين كباقي الأواني الفخارية[2]، ثم القنديل المعدني المصنوع من نحاس أو حديد، وإن كان النحاسي الأكثر شيوعا[3]. وكان من العادة أن يعلق القنديل المعدني بسلسلة من حديد ويغرز بمسمار من حديد في الحائط[4].

يملأ حوض القنديل بالإدام كزيت الزيتون أو زيت الأركان أو السمن[5]، وتوضع فيه فتيلة مبرومة من الثغام أو الكتان الخفيف[6]. وعندما تشتعل النار في طرف هذه الفتيلة، تنبعث منها الإنارة.

كان القنديل من الأغراض الهامة في حياة كل الأسر التي لا يمكنها ان تستغني عنه في حياتها اليومية، لذا كانت من العناصر الثابتة ضمن ما يقدم للعروس من تجهيزات وأغراض.

---

[1] ابراهيم ياسين , مرجع سبق ذكره ، ص. 302

[2] Laoust E. « Mots », op. cit.

[3] الصالحي صالح بن عبد الله، المدرسة الأول ى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998.ص, 14

[4] السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره ،ج 19، ص, 12

[5] نفسه ، الجزء الثالث، ص. 322.

[6] الصالحي، مرجع سبق ذكره ، ص. ص. 14

القنديل في نماذج من عقود الجهاز

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
امطدي وثيقة 12	ربيع الثاني 979 / (1571م)	قنديل جديد
وثيقة 22 ءيمنتاڤن	جماد الثانية 1066/(1656م)	" قنديل "
وثيقة 5 تالڭجونت	رجب 1122 (1710م)	"قنديل نحاس"
وثيقة قب 2 ، يت ايكاس	شعبان 1174، (1761م)	لقنديل
وثيقة 5، ءيمجّاط	ذو الحجة 1199 (1785م)	المصباح
وثيقة 11، ولاد عيسى، المنابهة	ذو الحجة 1203/ (شتنبر 1789م)	المصباح
وثيقة 4، [ءايت حامد]	صفر 1239(1823م)	- القنديل
وثيقة 4 ، قبيلة (ارحال)	صفر 1241 (1528 م)	- السراج
ءايت وافقا	ربيع الأول عام 1292، /(أبريل 1875م)	القنديل

ملاحظات:

- كان القنديل حاضرا في أغلب المجالات الجغرافية بالجنوب. وتواصل ذكره ضمن مكونات الجهاز بشكل مستمر منذ أقدم إشارة في عقد من (امطدي) بتاريخ ربيع الثاني 979 / (1571م)

- كان القنديل الذي تجهز به العروس يصنع النحاس، لذا كان يُجرَد مع أواني النحاس اثناء تقويم مكونات الجهاز. وكان تفضيل هذا المعدن راجع إلى أن القنديل النحاسي كان الأغلى ثمنا والأكثر متانة من بين باقي أنواع القناديل.

- استخدم أغلب كُتّاب عقود الجهاز لفظ "القنديل" رغم تنوع قبائلهم واختلاف الإطار الزمني الذي حرروا فيه تلك العقود. واقتصر استعمال أسماء أخرى كـ"السراج" و"المصباح"[1] على عدد قليل من الوثائق.

[1] **لا نعرف إن كان استعمال لفظ (المصباح) مجرد اختيار للمحرر من أجل تحديد القنديل النحاسي العادي المعروف في سوس، أم أنه يحيل على نوع خاص، ففي تطوان مثلا، كان (المصباح) يدل على قنديل خاص مزين بالميناء ويقف على قدم عال، انظر:** Colin G.S., **Dictionnaire . t. V : 4,op . cit. p.1041.**

- أواني الخشب

كانت المرأة تستعين بمجموعة متنوعة من الأدوات والأواني الخشبية في مطبخها كالهاوون (ءافردو) والقصعة (تازلافت)، والصحفة (تاكـرا)، والمحقن (اينيفيف)، وملعقة كبرى (ءاغنجا)، وملاعق صغيرة (تاغنجا)[1].

نماذج من عقود جهاز تضم أو اني خشبية

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
[وثيقة 21، [امطدي]	ربيع 979 / (1571م)	المغرف
أكلو [وثيقة 325]	ربيع النبوي 1077(شتنبر 1666م)	- قدح من عود بنصف المثقال - تيغرة الاثل بخمسة أو جه
وثيقة 58، تاجـكـالت	ربيع الثاني 1143	طغيرة العدب بخمسة موزونة
تالـكـجونت وثيقة 28،	ذو الحجة 1.65	تغيرة من البط[م]
تافراوت	رمضان 1215 (فبراير 1801م)	الكصعة بخمسة أو اق
امطدي، وثيقة 19	ربيع 1266/(1850م)	انفيف بثمانية أو جوه

ملاحظات:

- كانت آنية (تاكـرا) من أكثر أواني الخشب انتشارا في مختلف المجالات الجغرافية بالجنوب، ووردت في عقود بالجهاز بنفس أسماء (تاكـرا)التي تصنع من النحاس، وهي : (القدح)، وألفاظ أخرى قريبة من الصيغة الامازيغية مثل : تيغرة، طغيرة، تغيرة.

- كانت بعض أواني (تاكـرا)تنجز من خشب تسميه الوثائق: "الاثل" أو "العذب"، ويدل الاسمان على نفس النوع من الأشجار[2]، وهو الذي يعرف باسم : (تامّايت) أو (ءامّاي) بالامازيغية أو (تاماريس)

[1] كانت هذه الأو اني والأدوات منتشرة في أغلب البوادي المغربية، انظر : Laoust E., « Habitation » op.cit. p. 199

[2] رينهارت دوزي،، تكملة المعاجم العربية، الجزء السابع، ترجمة محمد سليم النعيمي، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد. 1992,ص. 163

[tamaris] بالفرنسية [1]. وكانت نماذج أخرى تصنع من خشب البطم، وهو (ئـكّ) بالأمازيغية و[le térébinthe] بالفرنسية[2].

- ذكرت القصعة دون تحديد مادة صناعتها، ولكن نرجح أنها مصنوعة من العود وليست من الطين، وذلك لأن السكان لم يعتادوا تقديم أواني خزفية ضمن الجهاز.

- ورد القمع باسمه الأمازيغي (ءينيفيف) في عقد من (ءامطدي)، ويبدو أن سكان هذه المنطقة كانوا يحتاجون وظائف هذه الأداة بانتظام، لذا كانت تُدرج ضمن مكونات الجهاز[3].

ح- أدوات النسيج

كانت المرأة في البوادي تحتكر مختلف مراحل أشغال الغزل وإعداد الخيوط واستعمال النول وإنجاز منسوجات متنوعة. وكانت نساء كل قرية يتعاون على النسج والغزل في عمل تطوعي جماعي يسمى "تيويزي ن تاضوط"[4]. وتختلف مكانة النسيج في مجال الدراسة تبعا لعدة عوامل، وفي مقدمتها توفر المواد الأولية، ففي بعض القبائل كانت المرأة تكتفي بتوفير حاجيات أسرتها من أفرشة وملابس. أما في المناطق التي تتوفر على قطعان أغنام كثيرة، فإن وفرة الصوف تسمح بإنجاز الزرابي والأزياء الرجالية والنسائية التي تسوق خارج القبيلة وتوفر موارد مالية للسكان، وكانت أدوات الغزل عدة كل امرأة، وكان عكوفها على إدارة المغزل رمزا لحذقها ووسيلة لدفع السأم والفراغ عنها[5]. كما كانت الأسر تحتفظ عادة بأعمدة النول الخشبي (ايفـكّـيـكّـن) مع المشط الحديدي في زاوية من زوايا المنزل[6] لتكون رهن إشارة المرأة التي تستخدمها بانتظام.

---

[1] عبد المالك بنعبد الله ، " الطرفاء" ، معلمة المغرب ، الجزء السابع عشر2003، ص. 5739-5740

[2] محمد شفيق، المعجم ، مرجع سبق ذكره ، .الجزء: 1، ص. 173.

[3] اثناء مشاركتنا في أبحاث اثنوغرافية بواحة (امطدي) انطلاقا من سنة 1995، لاحظنا وجود القمح في أغلب قاعات الخزن بالمخزن الجماعي بالقرية.

[4] ايت بومهاوت الوسخيني، مرجع سبق ذكره، ص, 52

[5] أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850-1912)، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط، رسائل وأطروحات رقم 6، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2011، ص.242 =أحمد التوفيق، المجتمع

[6] Adam A., « Costumes » op. cit. p. p.464

نماذج من أدوات النسيج في عقود الجهاز

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
امطدي وثيقة 12	ربيع الثاني 979 / (1571م)	صيـ[صـ]ـة سفود
اكلو [وثيقة 325]	ربيع النبوي 1077 (شتنبر 1666م)	السـ[فا]فيد الصيصة
وثيقة 7 تاجـكّـالت،	ذو القعدة 1083/(1673م)	مناتيف الصوف والصيصة
ـ ايدأو كايس وثيقة 8	شعبان 1088	قرشال
ءايت حامد [وثيقة 2]	ربيع الثاني 1121 /(1709م)	الصيصة والسفود
تالـكّـجونت وثيقة 5	رجب 1122(1710م)	منا[تف] الصوف مع ءالة النسج
تاجـكّـالت وثيقة 50	شوال 1129 (1717م)	الات الصوف تصك مع المناتف اقيتان
وثيقة 3 تاجـكّـالت	ربيع النبوي 1149	المشط وتزك
في ءيمنتاكّن [وثيقة 14]	ذو القعدة 1161، (1748م)	السفود مع تزكّـ
ءيمجّاط، وثيقة 5،	ذو الحجة عام 1199 /(1785م)	الصيصة مع السفود
وثيقة 11 قب، ولاد عيسى المنابهة]	ذو الحجة 1203 (شتنبر 1789م)	السفود مع المصباح بثلاثة وقية ثم الصيصة [بثـ]ـلاثة أو اق
وثيقة 4 [ءايت حامد]	صفر 1239 (1823م)	امشْضْن مع الصَّيصة بثمانية أواق
وثيقة 3، تالـكّـجونت	غير مؤرخة	ءالت انسج هو امشض بأواقية ونصف

ملاحظات

ـ كانت أدوات النسيج منتشرة في أغلب المجالات الجغرافية، في إطار ممارسة قديمة

ـ بعض القبائل كـ(ءاكّنسان) لم ترد أوات النسيج في عقود جهازها، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن النسيج لم يكن يمثل نشاطا هاما بالنسبة لنسائها.

ـ تتطلب عملية النسيج أدوات متعددة، ولكن عقود الجهاز لا تتضمن عادة إلا أداتين فقط، وهما: (اينفسا)/(اقرشال)، (تازكّا).

1 – (ءاقرشال) :

تُعرف هذه الأداة أيضا في سوس باسم (ءينفسا)، وتسمى بالعربية المِحلج[1]، وهي عبارة عن لوح خشبي مستطيل أو مربع الشكل، ومزود بمقبض أسطواني. تُغطى واجهته الداخلية بقطعة من الجلد، وتثبت فيها مسامير رفيعة كثيرة. وتستعين المرأة بزوج من (ءيقرشال) لتحلج بهما الصوف وتحوله إلى كتل معدة للغزل. استعمل المحررون عدة ألفاظ لتسمية هذه الأداة في ووثائقهم وهي: (أقرشال)، و(السفود)، و(ايمشضن)، و(المشط) و(مناتيف الصوف)...

2 – (تاژكّا):

تسمى هذه الأداة بالعربية: مشط الحائك أو الخلالة[2]؛ وتتكون من قطعة معدنية مزودة في طرفها السفلي بأسنان طويلة متساوية الطول، مثبتة في قطعة خشبية أسطوانية الشكل تناسب كف المرأة التي تدك بها الخيوط اثناء النسيج. استعمل المحررون عدة ألفاظ لتسمية هذه الأداة في وثائقهم وهي: (تاژكا)، و(الصيصة)، أو (ءالة النسج)...

كان الجهاز يضم، كما ذكرنا، أداتين فقط، ولكنهما أساسيتين في سلسلة معالجة الصوف وإنجاز عملية النسيج، وحضورهما ضمن الجهاز دليل على أن العروس مستعدة للمساهمة في توفير حاجيات أسرتها الجديدة من اللباس والأفرشة.

<u>خ- عناصر الفراش</u>

- الحصيرة (تاكرتيلت)

يتكون فراش الأسر من عناصر متعددة كالحصيرة، والزريبة، والأغطية الصوفية والوسادة والأزر. ويختلف حضور هذه العناصر من مجال لآخر، غير أن الحصيرة تبقى قاسما مشتركا بين مختلف القبائل. وكانت هذه الحصيرة تنسج من المواد النباتية المتوفرة محليا، ففي الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس، كانت تعتمد أساسا على حبال من الدوم (تيزنيرت) وعيدان الصمار (ءازّماي) الذي اعتنى

[1] **محمد شفيق، المعجم، مرجع سبق ذكره، الجزء: 1، ص. 284.**
[2] **محمد شفيق، المعجم...، مرجع سبق ذكره، الجزء: 1، ص. 334.**

الفلاحون بغرسه في بعض المناطق، ويحصدونه مرة واحدة في السنة في شهر يونيو[1]، أما في المجالات الواحية، فقد وفر سعف النخيل المادة الأولية لصناعة الحصر والفرش[2].

تستعل الحُصر فراشا في المساجد[3] وفي المنازل وكل الفضاءات المعدة للجلوس أو للنوم، وقد يستعملها السكان مباشرة، خاصة في الفصول الحارة، أو تفرش فوقها الزرابي أو أغطية صوفية. ونظرا لوظيفتها الأساسية في تأثيث المنزل، فإن الأسر كانت تجهز بها بناتها، ثم بعد ذلك يتكفل الزوج، تبعا لما تنص عليه التقاليد المتوارثة، بأن يقدم لزوجته حصيرة كل سنة[4].

الحصيرة في عقود الجهاز:

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
تاجـكـالت وثيقة 6	**ربيع الثاني 1002**،(يناير 1594م)	**الحصير اربعة أو جوه**
"ءيمنتاكـن، [وثيقة 9]	**جمادى الثانية 1051. (1641م)**	**"الحصيرت"**
وثيقة 22، ءيمنتاكـن	**جماد الثانية 1066، (1656م)**	**طبق و حصير بأربعة أو جه**
وثيقة 7 تاجـكـالت	**ذ القعدة 1083، /**(1673م)	**الحصير و الطبق باقـية**
ءايت حامد [وثيقة 2]،	**ربيع الثاني1121/(1709م)**	**"الحصير" ،**
ءيمجّاط [وثيقة 5] .	**ذو الحجة عام 1199 (1785م)**	**والحصير "**
أولاد عيسى بالمنابهة [وثيقة 11	**ذو الحجة 1203 (شتنبر 1789م)**	**- "الحصيرة"**
امطدي [وثيقة 3]	**ربيع ؟ 1266 /(1850م)**	**" حصير المزوق "**
وثيقة 9 ايسكتان	**صفر 1274 (1857م)**	**"الحصير"**

ملاحظات

- ذُكرت الحصيرة ضمن مكونات الجهاز في أغلب المجالات الجغرافية بالجنوب، وتواصل حضورها بشكل مستمر منذ ما لا يقل عن ربيع الثاني عام 1002 (يناير 1594م).

---

[1] محمد بصير مرجع سبق ذكره، ص. 48-49

[2] تصنع الحصر من الحلفاء في أماكن انتشار هذه النبتة كما هو الحال في المغرب الشرقي [معلومات ميدانية]

[3] تتحدث وثيقة ضمن الحوالة الحبسية لتارودانت عن تعاقد أحباس جامع تارودانت مع مبارك بن يعزى الحصّار التدسي من أجل انجاز "حصر الجامع من السمار الرقيق المنسوجة حُصرا يكون في كل حصير عشرة اذرع في الطول" في أو اخر رمضان المعظم واحد وتسعين وتسعمائة .... [الحوالة الحبسية لمدينة تارودانت، المجلد الأول ، الجزء الثاني، ص. 142]

[4] Berque J., Notes d'Histoire…, p.308.

- في بعض القبائل، خاصة بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي، كانت الحصيرة تُجرد وتقوَّم مع الطبق. ورغم اختلاف وظيفة العنصرين إلا أنهما يشتركان في كونهما يصنعان من مواد نباتية، الصمار بالنسبة للحصير، والدوم بالنسبة للطبق.

- لم يكن حضور الحصيرة في الجهاز مقتصرا على القبائل التي عرضنا نماذج من وثائقها، بل ارتبط بممارسة شائعة في أغلب المناطق[1].

- تسنى لنا الاطلاع علي عدد كبير الوثائق من (ءاڭنسان) و(تاجلت) بالأطلس الكبير الغربي، ولاحظنا أنها لا تورد الحصيرة ضمن مكوناتها[2]. غير أن هذا الفرش النباتي كان يحتل مكانة هامة في طقوس الزفاف، إذ كانت الحصيرة تُلَفُّ وتضعها إحدى النساء فوق رأسها وتسير بها ضمن موكب العروس لتنقل إلى منزل الزوج بطريقة احتفالية[3].

- كان الجهاز يضم عادة حصيرا من النوع الرفيع الذي يصنع من الصمار الرقيق ويزين بأشكال زخرفية متعددة؛ يتم الحصول على بعض الزخارف بتركيب سيقان السمار بطريقة فنية للحصول على أشكال هندسية متناسقة تعتمد على المثلثات والخطوط المتعرجة والمتقطعة، وتُنجَز زخارف أخرى عن طريق صباغة بعض الصمار بألوان طبيعية وإدماجه في التشكيل اللوني للحصيرة. ونشير في هذا الإطار إلى عبارة "حصير المزوق" التي وردت في عقد جهاز من امطدي بتاريخ ربيع 1266 /**(1850م)** [وثيقة 3] والتي تؤكد الطابع الجمالي الخاص للحصيرة في هذا الجهاز[4].

- الزربية

كان الجهاز يضم "زربية أو أكثر" في القبائل التي تمتلك تقاليد راسخة في ميدان النسيج في بعض الواحات الواقعة في السفح الجنوبي للأطلس الصغير[5]، وفي المناطق الواقعة في المجال الممتد بين (تاليوين) و(وارزازات).

---

[1] **Laoust E., « Noces » . op.cit. p.166-165.**

[2] **وثائق أكلو قرب تيزينيت بدورها لا تذكر الحصيرة**

[3] **Rovsing Olsen M., op.cit. p.258**

[4] **عند (ايت مجيلد) بالأطلس المتوسط، كان الجهاز يسمى (ءاروكو)، ويتكون أساسا من فراش واغطية وملابس، ومن ضمنها حصيرة مزينة برسوم من الصوف، وحصيرتين عاديتين من الحلفاء : Laoust E., « Noces » . op.cit. p.73**

[5] Laoust E., « Noces » . op.cit. p. 165

ورصدنا زربية ضمن مكونات جهاز ابنة قاضي " ثغر اكادير " [وثيقة 94] بتاريخ 23 شوال 1183(فبراير 1770م). وكان الجهاز يضم "قطيفة مديونية"، وهي زربية منسوجة في قبيلة مديونة بالشاوية.

- الوسادة

تفيد بعض الشهادات الإثنوغرافية أن سكان القرى كانوا يستعملون وسادة مكونة من كيس جلدي مدبوغ ومزخرف[1]، ويملأ بالأثواب أو الصوف بالقدر المناسب، ثم يوضع تحت الرأس. كما كان لأسر تستعمل وسائد أخرى عادية من الثوب كما تؤكد هذه النماذج من عقود الجهاز.

الوسادة في وثائق الزواج

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
أكلو،وثيقة 325]	**ربيع نبوي 1077 (شتنبر 1666م)**	**زيف ووسادة بمثقال**
اكادير،وثيقة 94]	**23 شوال 1183** (فبراير 1770م)	**- مخدة باثنى عشر أوقية**
أولاد عيسى المنابهة، [وثيقة 11]	**دي حجة 1203 (شتنبر 1789م)**	**الوسادة بثلاثين موزونة**
[تافراوت، وثيقة 98]	**رمضان عام 1215**(فبراير 1801م)	**الوسادة بستة أواق**
أكلو ،وثيقة 346]	**ذي حجة 1236 (شتنبر 1821م)**	**توصط بمثقال**

ملاحظات:

- كان تقديم الوسادة للعروس ممارسة قديمة ومنتشرة في مختلف مناطق سوس.

- ذكرت الوسادة بثلاثة أسماء وهي: المخدة، الوسادة، و(توصط)، وهذا الاسم الأخير هو تمزيغ للفظ العربي.

- لا تحدد الوثائق طبيعة هذه الوسائد، ولكننا نرجح أنها لم تكن مجرد كيس جلدي مدبوغ، ولكنها كانت منجزة طبقا للمعايير الخاصة بالوسائد في تلك الفترة.

[1] Bruno « noms de récipients», op . cit. p.121
Laoust E., « Mots » op.cit. p.138.

د- العجلة

كانت الأسر تحرص على امتلاك بقرة واحدة على الأقل، وذلك للأدوار الهامة التي يؤديها هذا الحيوان في الحياة اليومية للسكان، فالبقرة تعطي الحليب الذي يستخرج منه السمن واللبن، المادتان الحاضرتان بشكل أساسي في النظام الغذائي المحلي، إذ يستحيل الاستغناء عنهما أثناء تناول الطبقين الرئيسيين لأغلب الأسر: العصيدة والكسكس. كما تشكل البقرة استثمارا منتجا، فهي تلد العجول بإيقاع منتظم، مما يسمح بالحصول على موارد مالية إضافية يمكن تخصيصها لتمويل مشاريع مختلفة، ومبادرات متنوعة. ونظرا لدور هذا الحيوان في المجتمع التقليدي، فقد كانت العِجلة من المكونات الاساسية في جهاز العروس، كما تبرز هذه النماذج:

رقم الوثيقة والمكان	التاريخ	الصيغة
ءيمنتاڭن [وثيقة 8،]	جمادى الثانية1018(شتنبر 1609م)	تسع وتلاتين أوقية قيمة البقرة التي تبرع الزوج لزوجته.
- ايدأو كايس وثيقة 8	- شعبان 1088	"العجلة" [وربعة رؤوس من الغنم]
ايرسموكن [وثيقة 304]	شعبان 1155	"البقرة العرفية ذات ثلاث سنين"
اكلو [وثيقة 335]	ربيع الأول1205،	- ثم بقرة مع بنتها بعشرة
ءيمجّاط [وثيقة 2	1208 (1793م)	عجلة البقر بمثقالين
(تاجلت) [وثيقة 4]	ذو قعدة 1229 (1814م)	عِجْلَةً من البقر وهي صغيرة"
[ءايت حامد [وثيقة 5]	رجب الفرد 1250(نونبر 1834م)	بقارتها ذات ثلاث سنين"
ءاڭنسان[وثيقة 16]	غير مؤرخ	- الكـ[ر]فة بثمانية مثاقلا

ملاحظات:

- كانت العجلة من العناصر الثابتة ضمن مكونات الجهاز في كل المجالات الجغرافية التي تسنى لنا الاطلاع على وثائقها، في كل من الأطلس الكبير والصغير وفي سهل سوس، وتؤكد الأبحاث الإثنوغرافية أن هذا الممارسة كانت منتشرة في أغلب مناطق الجنوب[1].

[1] في واحة "تيمڭيسّن" [timgissin] على واد تليت بالسفح اجنوبي للاطلس الصغير على بعد 20 كلم غرب (فم زكيد) كان الجهاز يضم بعض رؤوس الماشية الصغيرة أو حتى بقرة، انظر: Laoust E., « Noces » . op.cit. p. 165

- كانت العقود تحصي العجلة بشكل مستمر، وذلك منذ أقدم ذكر لهذا الحيوان في جهاز بتاريخ جمادى الثانية 1018/**(شتنبر 1609م)** في إطار تقليد عريق.

- تختلف مصادر تمويل البقرة حسب الحالات والقبائل، فقد تقدمها أسرة العروس في إطار حظ الفتاة من الإرث، أو تقدمها أسرة العريس ضمن الصداق، أو "يتبرع" بها العريس، ولكن في كل الحالات، تصبح ملكا للزوجة، ويحق لها أن تستردها في حالة الطلاق أو وفاة الزوج.

- كان عمر البقرة يحدد غالبا في ثلاث سنوات كما تشير إلى ذلك هذه النماذج من العبارات: "**البقرة العرفية ذات ثلاث سنين**"، و"**بقارتها [بقرتها] ذات ثلاث سنين**"... كما أن بعض المصطلحات تعطي فكرة دقيقة عن عمر العجلة، وخاصة لفظ "**الكرفة**" الذي هو ترجمة للمصطلح الامازيغي (تاكنطورت) ويدل على عجلة تبلغ ثلاث سنوات[1]. لم يكن تحديد سن العجلة في ثلاث سنوات اعتباطيا، فالحيوان يكون في هذه المرحلة في أوج العطاء، إذ قبل هذا السن تكون العجلة الصغيرة(تيـكّـيزت) في حاجة إلى رعاية وعناية. وانطلاقا من ثلاث سنوات فقط تصبح قادرة على المشاركة في الأعمال الفلاحية، من خلال جر المحراث، والمساهمة في تحسين النظام الغذائي للأسرة بتوفير اللبن والسمن، والقدرة على إنجاب العجول.

ذ- الحلي في الجهاز

يعود أقدم عقد جهاز اطلعنا عليه من أمطدي إلى ربيع الثاني عام 979 / **(1571م)**، ويضم المكونات التالية:

"الحمد لله تعإلى وصلى الله على محمد [ـ ـ]حوا بنت على من دار اخيها محمد بن على إلى دار بعلها

عبد الله بن يحيى فممن ذلك ثلاثة أواق ودرهيمن قيمة أكسيتها وقنديل جديد ونحاس جديد

[ـ] وحبل وصيـ[صـ]ـة[2] وسفود وطبق وغربال [ـ] ومغرف و[ـ]دقيق ومكحلة بكحلها ووقاية الرأس

ومحزمها وأربعة أصواع سمنا ونعجتين وتوابعهما ومعزتين وتوابعهما وكبشتين وخمسة وعشرون احجارا من العقيق وقـ ـلتين[3] حبوب توشت[4] بعضها قبلية متاع ابسنت واربع مزاويد كبارا ـ من متاع اليد اثنين وخمس [؟] طبيقات واحدة مملوءة بالحناء المدقوق وفي الاخريات صاع ونصف الريحان وثلاث اصواع من الريحان و[ـ] و اخر مملوة بالحنا والريحان المدقوق وثلاث قبضات من الطرفا

[1] **Destaing E., op.cit.p.39**

[2] **حرف الصاد الثاني غير مقروء**
[3] **قد تقرأ هذه الكلمة :قلادتين**
[4] **قد تقرأ هذه الكلمة : ترشت**

وقبضة من [ـ] وهذا كله مقبوض ومصروف إلى يد الزوج [ـ ـ ـ] تم يتلوه صداقها هو عشرة مثاقيل [ـ ـ ـ] ربيع الثاني 979 [امطدي وثيقة 12]

لم نتمكن من قراءة هذه الوثيقة بشكل كامل بسبب انمحاء بعض الكلمات، ومن المكونات يضمها الجهاز:

- الأزياء، ومنها: "الأكسية" وهي غالبا الحياك، و"وقاية الرأس ومحزمها"، وهي غطاء الرأس والشريط الذي يشدها حول الجبين.

- أربع (مزاويد) كبار، وهي نوع من الحقائب الجلدية المسماة محليا (تاوّلكت)، وتحفظ فيها المرأة ملابسها ولوازم زينتها.

- لوازم الزينة: مكحلة بكحلها، ومجموعة من الأطباق المملؤة بالحناء والريحان والطرفاء.

-النحاس: قنديل وآنية أخرى من نفس المعدن.

- أدوات منزلية مختلفة: طبق مضفور من النبات، وغربال ومغرف [خشبي].

- أدوات النسيج : (الصيصة)، وهي مشط الحائك التي تسمى محليا (تاژكّا)، والسفود وهو المِحلج المسمى محليا (ءينفسا).

- ماشية: نعجتين وصغارهما، ومعزتين وصغارهما، بالإضافة إلى كبشين.

- حبل، ويظفر من شعر الماعز، ويسمى محليا (أسغن)، وقد أشار إيميل لاووست إلى حبل الشعر، الذي يسمى كذلك (تاسوقا)، وكانت له دلالة رمزية لأن الزوجة ستستعين به لربط الحطب الذي تحضره من الغابة من أجل إشعال النار في الموقد وإعداد الطعام[1].

- الحلي:، تضم الوثيقة "خمس وعشرون أحجارا من العقيق"، والتي يبدو أنها كانت منظمة في قلادة أو أكثر. وتعطي الوثيقة معلومات عن نوعية العقيق، ولكن يصعب تحديد طبيعتها.

يضم هذا الجهاز، عناصر متنوعة تجمع الأزياء ولوازم التزيين، والمحافظ الجلدية، والأدوات المنزلية وأواني النحاس، وأدوات النسيج، وعددا من الأغنام. فتأتي الحلي كعنصر مكمل لباقي المكونات المتميزة بتنوعها، وبتكامل وظائفها.

[1] **Laoust E., « Noces », op.cit. p.193.**

واطلعنا في نفس القبيلة على عقد جهاز آخر محرر في نفس التاريخ**(1571م)**، ويعود لأخت صاحبة الجهاز السابق، وجاء فيه:

"الحمد لله وحده تسمية جهاز تعزا بنت على من دار اخيها محمد بن على الى داربعلها
إبراهيم بن احمد فمن ذلك [ـ] تواق درهم ونصف سكة تاريخها ونعجتين واحد بتابعها وفردية
ومعزتين وتوابعهما وعتروس وحبل جديد و[ـ ـ ـ ـ] ومغرف وطبق وغربال
و[ـ]دقيق ومكحلة بكحلها وأربعة مزاويد كبار فيهن واحدة [ـ] بصاع
ونصف من الريحان و ثلاثة اصواع من الحنا وثلاث قبضات1 من الطرفا [ـ ـ
[ـ ـ ـ] وذلك في تاريخ تقدم وتأخر الرسم الى الربيع سنة 979 [امطدي 21]

تجرد هذه الوثيقة نفس العناصر التي يحصيها عقد الجهاز الأول، ولكن الأجزاء التي كتبت فوقها معطيات حول الحلي قد انمحت بالكامل.

نشر المختار السوسي بعض مكونات الجهاز من وثيقة من نفس المنطقة، أي من الأطلس الصغير الغربي، وحُرر هذه الوثيقة بتاريخ جمادى الأول ى عام 981 هـ **(1573م)**، وكانت تضم الأساور و"**أربعة خيوط مفصلين بادز وأربعة حروز**[2]"، والمقصود أربع قلائد أو قلادة واحدة مكونة من أربع خيوط منظومة بحبوب من الفضة (ءوّيز)، وعلّاقات من الفضة على شكل صفائح أو علب مجوفة (لحرز)[3].

ويعود أقدم عقد جهاز اطلعنا عليه من الأطلس الكبير الغربي، وبالضبط في قبيلة (تاجـكّـالت)، إلى ربيع الثاني عام 1002 هـ(يناير 1594م). وهذا نصه:

"تعالى عبد الله بن براهيم السجتاني تاب الله له[4] ءامين.

الحمد لله وحده و صلى الله و سلم على سيدنا [محمد]

---

[1] المختار السوسي المعسول 13، ص.56، هامش: مقصوده بالقبضات مقدار اناء يكال به إذ ذاك يسمى (تاولتيمت)، فأطلق على كل واحد قبضة، وهو دون (ليترو) [قبضة= تاولتيمت]
[2] المختار السوسي، المعسول،مصدر سبق ذكره ، الجزء :1، ص. 83.
[3] الوثيقة غير تامة ولا يمكن معرفة باقي مكونات الجهاز.
[4] يقصد : تاب الله عليه.

تسمية جهاز فاطمة بنت همُّ[1] أخيه [2] إلى دار بعلها الحسن نيت علي فمن ذلك الأول الحائك بخمس وعشرين أوقية واعبروق اربعة عشر أوقية والحائك أيضا بمتقال والسبنية بستة أواق و الشربية اربعة أواق. والعبروق أيضا بتمانية أوجوه والبن مع القنرفل بسبعة وعشرين أوقية والمزودة مع النحاس بخمسة أواق والضبـكـ معمرتها[3] بخمسة أواق والحصير اربعة أوجوه وزوجة الخلالة بخمس وأربعون أوقية

وجملة الجهاز تلاتة عشر متاقيلا ونصف وفي تاريخ نصف شهر الله ربع التاني عام 002 والف عبد ربه تعإلى عبد الله بن برهيم السجتاني تاب الله له آمين "

يحتوي هذا الجهاز على العناصر التالية:

- الأزياء، وتشمل: الحائك، وأربعة أنواع من أغطية الرأس الحريرية، وهي (تاسبنيت)، و(الشربية)، وغطاءين من (أعبروق)

- (مزودة) وهي كما ذكرنا نوع من الحقائب الجلدية المسماة محليا (تاوّلكت)، وتحفظ فيها المرأة ملابسها ولوازم زينتها.

- أواني النحاس

طبق مع (عمارته)، أي بمحتواه من العطور وبعض لوازم الزينة

- الحصيرة

- الحلي، وتضم **"البن مع القنرفل"**، والمقصود بها كريات اللبان الأصفر وعيدان القرنفل التي كانت على ما يبدو منظومة في قلادة، بالإضافة إلى زوج (خلالة)، أي المشبكين اللذين تشد بهما المرأة الحائك عند مستوى الصدر.

لقد كانت الحلي من بين أقدم مكونات الجهاز في مختلف مناطق سوس، ويبدو أن أهميتها تزايدت مع مرور الوقت، حيث أصبحت العقود تحصي عددا كبيرا من قطع الحلي من الأساور وأقراط الأذن والمشابك والاكاليل والقلائد. وهذا ما يؤكده أقدم عقد جهاز اطلعنا عليه من ضواحي تيزنيت بسهل سوس والذي يعود إلى 21 من ربيع الثاني سنة 1077 هـ**(شتنبر 1666م)**[4]. تضم هذا الوثيقة العناصر المعتادة في الجهاز من أزياء، ولوازم الزينة المختلفة من مرآة وأطباق وصناديق صغيرة مملؤة بمواد عطرية،

[1] في عقد النكاح المرفق بعقد الجهاز كتب اسم اب العروس بصيغة "محمّد"، وينطق محليا بصيغة: "همّو"
[2] من دار أخيها
[3] مع عمارته
[4] انظر النص الكامل في الصورة رقم 325 في الجزء الثاني من أطروحة : - بجي خديجة، مرجع سبق ذكره..

ويحتوي أيضا على أدوات النسيج، وأواني النحاس والعود، وبعض عناصر الفراش من وسادة وزربية من نوع (بنشكرا). أما في مجال الحلي، فقد حصلت العروس على قلادة من حبوب الفضة والمرجان وعلّاقة من الذهب "باشوشة"،واربعة أقراط الأذن[من الفضة]، وزوج مشابك فضية (زوج بزايم)، وزوج أسوار فضية كذلك، وزوج أقراط الأذن من الذهب.

خلاصة

كان الجهاز يضم العناصر الأساسية التي تسمح للعروس بالانخراط في الحياة الزوجية في ظروف مناسبة. فأناقتها تعتمد على الأزياء ولوازم الزينة والمحافظ الجلدية والعطور ومواد الطيب وعلى أدوات النسيج. ولضمان إطار مريح لممارسة الانشطة اليومية داخل المنزل، تُحضر العروس معها الأفرشة والقنديل وأواني "فاخرة" مصنوعة من النحاس أو من الخشب. وتوفر البقرة بعض أهم المواد الاساسية في النظام الغذائي للسكان وخاصة اللبن والسمن اللذان لا يمكن الاستغناء عنهما في الطبقين "الرسميين" للأسر، وهما: العصيدة والكسكس. كما تشكل البقرة وسيلة للاستثمار من خلال إنجاب العجول، وتلتقي في هذه الوظيفة مع الأغنام التي تدخل أحيانا ضمن مكونات الجهاز. وأخيرا، تحضر الحلي بوظيفتها التزيينية، من جهة، وبعدها الاقتصادي كوسيلة لادخار جزء هام من ثروة الزوجة، من جهة ثانية.

عندما تنتقل العروس إلى منزل الزوج تحمل معها عناصر هامة في حياة كل الأسر في المجتمع التقليدي، والتي تستجيب لأهم هواجس السكان في المجتمع التقليدي، ويصبح الزوج مسؤولا عن سلامة تلك العناصر بعد جردها بدقة بحضور السكان وتحرير وثيقة رسمية في الموضوع. وتشرع الزوجة في استعمال ملابسها ولوازم زينتها وحليها، وتستغل أسرتها الجديدة البقرة والأغنام والفراش، والأواني والأدوات المختلفة. وإذا توفي الزوج أو وقع الطلاق، فإن من حق الزوجة أن تسترجع كل العناصر الجهاز التي أحضرتها قبل سنوات. فتعود إلى منزل والديها ومعها الأزياء ولوازم الزينة، ومعها الأواني والأفرشة "الفاخرة"، ومعها بقرتها وأغنامها، ومعها حليها الفضية بقيمتها النقدية الهامة... وتضمن لها هذه الأغراض الإهتمام بأناقتها، والمساهمة في ثروة العائلة بشكل مباشر، فتكون عودتها مصدرا لزيادة ثروة اسرتها؛ وهذا ما يرسخ مكانتها الاعتبارية، لأنها لن تشكل عالة على أحد.

ثانيا: الكد والسعاية (تيزّلا)

1) تعريف

كانت طبيعة البلاد السوسية، تجعل المرأة نشيطة، فتشارك في أغلب الأشغال الزراعية، وجني الثمار والاحتطاب، وتربية المواشي والدواب وتعهدها بالعلف والسقي، وتربية الدواجن ... بالإضافة إلى القيام بصناعة أنواع النسيج والغزل كالزرابي والاكسية وغيرها، وهذا ما جعل الفقهاء النوازليين يعطون

أهمية خاصة لعمل المرأة في المنطقة[1]. وتُوجت اجتهاداتهم في هذا الاطار بـ"حق الكد والسعاية" الذي ضمن حصول النساء والأطفال وغيرهم من الأقارب على حظهم في ثروة الزوج والأب والأخ باعتبارهم شركاء في تحقيق تلك الثروة[2].

يسمى هذا الحق في الامازيغية (تيزّلا)، ويسمى المشاركون في الكسب (ايمازّالن)[3] وهو لفظ في صيغة الجمع المذكر، ومفرده (أمازّال)[4]، أما المؤنث المفرد فهو (تامازّالت)[5] وجمعه (تيمازّالين). ويدل لفظ (تيزّلا) معجميا على الجري، وقد يكون مشتقا من فعل (أزّلْ)، بمعنى: اجري، ويقال إلى الآن في بعض مناطق سوس: (أيْلّي د يوزّل) عند الحديث عن الرجل، ، أو (ايْلّي د توزّل) بالنسبة للمرأة، ويعني: مقابل سعيه، أو مقابل سعيها[6]. ويلتقي المصطلح الأمازيغي (تيزلا) مع المصطلحين العربيين (الكد)[7] و(السعاية)[8] في فكرة المجهود البدني والعمل الجاد اللذان ينتجان الثروة والمال.

يمتد مفهوم حق الكد والسعاية ليشمل كل أفراد الأسرة المشاركين، ولا مجال لحصره في حدود كونه حقا للمرأة المتزوجة فقط[9]، بل يشمل كل من قدر على الاشتغال والتكسب من أفراد الأسرة [10]، فيثبت حق (تيزّلا) للزوجة والولد والبنت والاخ والاخت، واليتيم...ولكل أفراد الأسرة صغارا وكبارا متى ثبت كدهم وسعيهم[11]. ويقتصر إجراء القسمة وفرز أنصبة السعاة في إطار حق الكد والسعاية فقط على الأموال العقارية والمنقولة التي تكونت ونمت نتيجة لمجهود السعاة ومساهمتهم، دون الأموال التي كانت موجودة قبل ذلك، لأنها لم تكن نتيجة سعيهم[12]، وتشمل أموال السعاية كل **"في الدار من أموال، من كل ما استفيد وتتجدد من المال بالابتياع والكد أيضا ، مياها و شجرا و بنيانا و غير ذلك"**13.

ليست لحق الكد علاقة بالأنصبة المحددة في أحكام المواريث، ولا تعمل فيه قاعدة «للذكر مثل حظ الأنثيين» عند توزيع أموال السعاية، إذ المعيار المعتمد هو قيمة العمل والجهد المبذول في تنمية أموال

---

[1] العبادي الحسن، فقه النوازل في سوس قضايا وأعمال، منشورات كلية الشريعة بأكادير، رسائل وأطروحات جامعية -5، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999، ص. 416، .= العبادي، فقه النوازل.

[2] بلحركة كمال، "حقوق المرأة العاملة عند النوازليين المغاربة: حق الكد والسعاية نموذجا"، مداخلة ضمن: ندوة دولية في موضوع النوازل الفقهية عند المالكية : تـأصيلا وتطبيقا، دار الحديث الحسنية يومي 1 و2 مارس 2017. (نسخة رقمية)، ص. 1. = بلحركة، حقوق المرأة

[3] Berques J., Structures.op.cit. p.343.

[4] يطلق اسم (امازّال) غالبا على الشخص المسؤول عن توزيع مياه السقي بين المزارعبن.

[5] بعض المؤلفات تتحدث عن (تامازالت) باعتبارها تدل على "الكد والسعاية"

[6] - المزكلدي عمر، حق الكد والسعاية محاولة في التأصيل، بحث في إطار دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون الخاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالرباط، السنة الجامعية 2005-2006. ص. 7، نقلا عن: الحسين الملكي نظام الكد والسعاية ص. 18.

[7] يدل مصطلح الكد لغة على التعب والعمل، انظر: العبادي، فقه النوازل، مرجع سبق ذكره ص.416

[8] مصطلح السعاية مأخوذ من فعل سعى يسعى سعيا وسعاية، أي قصد وعمل وكسب لعياله. انظر: العبادي، فقه النوازل، مرجع سبق ذكره ص.415.

[9] المزكلدي عمر، حق الكد والسعاية، مرجع سبق ذكره، ص.8

[10] العبادي، فقه النوازل، مرجع سبق ذكره ص. 416

[11] بلحركة، حقوق المرأة ، مرجع سبق ذكره ص.19.

[12] نفسه

[13] . الكرسيفي عمر بن عبد العزيز،رسالة في قسمة التركة اذا كان فيها كد وسعاية حفاظا على حقوق المرأة و الكسبة، المؤلفات الفقهية الكاملة للعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي، جمع وتحقيق عمر افا، منشورات وزارة الأو قاف و الشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية2006، ،ص. 289-299، ص. 290، = الكرسيفي، رسالة في قسمة التركة...

الأسرة[1]؛ ويرى الفقهاء في سوس أن النساء يستحقن في الواقع نصيبين اثنين أو أكثر من الكسب، وذلك لأنهن يقاسين الشدة في الأشغال أضعاف ما ينال الرجال منها، فهن يقمن بأعمال الاحتطاب والسقي و جمع الحشيش للمواشي والنسيج والطحن والطبخ وتربية الأولاد والبهائم وغير ذلك، زيادة على ما شاركن فيه الرجال في الخارج من الحرث والحصاد واجتناء الثمار.... والعلماء يقولون: "لكل عامل من الأجر قدر عمله، وهو نص صريح في أن لهن نصيبين فأكثر، لكن جرى العرف بعدم اعتبار ذلك، فلا يعطين إلا ما يعطاه الرجال. و لعل سببه المكارمة"[2].

شكل الكد والسعاية مادة خصبة للنقاشات الفقهية بمنطقة سوس، وساهم في تحديد خصائص الفقه بالجنوب المغربي، وفي صياغة العلاقات داخل الأسرة من خلال هذا الاجتهاد الجريء الذي أبدع آلية مبتكرة من أجل إنصاف وحماية حقوق المرأة العاملة مع زوجها في ماله أو مع أخيها أو أبيها أوعمها[3]. وقد سمحت لنا الوثائق التي اطلعنا عليها بنقل هذا الموضوع الهام من مستوى النقاش الفقهي إلى مستوى الوقائع التاريخية من خلال استعراض نماذج محددة في الزمان والمكان للوقوف عند بعض التفاصيل المرتبطة بضبط هذا الحق.

2) نماذج من حالات الكد والسعاية

أ- سعاية البنت قبل الزواج

تنظم البنت إلى دائرة "الكسبة" منذ قدرتها على المشاركة في الشغل، وتستمر في تنمية ثروة العائلة إلى موتها أو تزويجها[4]. وما تكسبه الفتاة مع أسرتها يكون ملكا لها، وقد تساهم به في تمويل جهازها، ولا ينقص ذلك من حظها في الإرث الشرعي اثناء الحساب بينها وبين إخوتها كما يبين هذا النموذج من (امطدي) بتاريخ صفر عام 1165 (يناير 1752م).

النص

[-] ثم يليه جهازها نهايته سبعة عشر مثقالا وثلث [-] أحد عشرة مثاقيل جهزت بها نفسها من سعايتها بين إخوانها وإرثها من ديون أمها وسعايتها وسبعة وثلث من أخويْها محمد وأحمد و جدتهم [–] عائشة بنت داود إلى الحساب بينهم كل ذلك في مال الزوج و ذمته لا يبريه منه إلا الواجب بقيمة عادلة لا زيادة فيها قيمة الكسوة و الحلى و المزاود وغير ذلك وذلك سكة اسماعيلية و انفصلت معهم في ما احتوت عليه الدار و به عنه عارفهم

---

[1] **بلحركة، حقوق المرأة ، مرجع سبق ذكره ص.19.**
[2] **الكرسيفي، مرجع سبق ذكره... 292.**
[3] **بلحركة، حقوق المرأة، مرجع سبق ذكره، ص,2**
[4] الكرسيفي، مرجع سبق ذكر، ص,292

وفي وسط صفر عام 1165 عبد ربه احمد [-]بن إبراهيم أبو [-] المتضى [– – –]و ابراهيم بن [– – –] [وثيقة 10 مصور]

ملاحظات:

انطلاقا من عقد الجهاز، يمكن استخلاص الملاحظات التالية:

- كانت الشابة زهرة بنت إبراهيم يتيمة الأبوين، وتعيش مع أخويها محمد وأحمد، ومع جدتهم عائشة. وكانت تشتغل وتساهم في تنمية أموال الأسرة.

- تزوجت زهرة بتاريخ صفر عام 1165 (يناير 1752م).من أحمد بن على، بصداق قدره خمسة وعشرين مثقالا سكة اسماعيلية، انقد منه الزوج عشر (موزونات). وقد نقلت العروس إلى بيت الزوجية جهازا بلغت قيمته سبعة عشر مثقالا وثلث [المثقال]، وكان مكونا من الملابس والحلي والمحافظ النسوية وغيرها من الأغراض والأثاث. وتم توفير الموارد المالية اللازمة لتمويل الجهاز من مصدرين متكاملين:

+ أموال غير متبوعة بالحساب لأنها في ملك العروس ، وقدرها أحد عشرة مثقال نتجت عن حظها في السعاية بين أخويها في " ما احتوت عليه الدار"، بالإضافة إلى ما ورثته من ديون وسعاية أمها.

+ أموال متبوعة بالحساب لأنها في ملك الاسرة، وقدرها سبعة [مثاقيل][1] وثلث، وقد أُخِذت من حظها في التركة من أراض وعقارات وأصول، وعندما ستقسم هذه التركة يوما ما، فإن هذا المبلغ المالي سينقص من حظ الفتاة في الإرث.

ب- جرد الثروة عند التحاق العروس ببيت الزوج

إذا تزوجت الفتاة، ينتهي "كسبها" ضمن أسرتها، ويبدأ مع أسرة زوجها،و يتجدد بعد العام من يوم تزويجها إلى الفراق بموت أو طلاق[2]. وتبادر أسرة الزوج إلى اجراء جرد دقيق لثروتها المالية، أو ما تسميه الوثائق العائلية **"عمارة الدار"**، وتشمل عادة الدواب من خيل وبغال وحمير، والماشية من أبقار وأغنام، والحبوب والملابس والحلي والاثاث والأواني والتجهيزات، والأغراض الثمينة بالإضافة إلى المبالغ المالية وقيمة رهن الأراض الفلاحية التي لا تعود ملكيتها للأسرة، ولا تشمل هذه العملية "الدمنة" وهي الأصول من أراضي فلاحية وأشجار وأغراس[3]. وكان جرد الثروة عند التحاق زوجة جديدة بالأسرة اجراء ضروريا لما فيه مصلحة الطرفين، فالعروس لا يمكنها أن تطالب عائلة زوجها بأي حظ

---

[1] **عند زيادة 7 مثقال وثلث على إحدى عشر يصبح المجموع 18 وثلث، وليس 17 مثقال وثلث كما في عقد الجهاز**
[2] **الكرسيفي، مرجع سبق ذكره ، ص,291**
[3] **العبادي، فقه النوازل مرجع سبق ذكره، ص. 416 و421.**

في كل الثروة التي تم تكوينها قبل إبرام عقد الزواج، وأسرة العريس بدورها لا يمكنها ان تحرم العروس من حظها في الأموال التي تمت مراكمتها بعد إنجاز هذا الإحصاء.

وسنورد نموذجين من قبيلة (ءاڭنسان) يضم كل واحد منهما جردا لـ"ما دخلت عليه" الزوجة: الأول بتاريخ شوال عام 1274 (1858م)، والثاني بتاريخ ذو الحجة 1285/(1869م).

- النموذج الأول : جرد بتاريخ شوال عام 1274/(1858م):

[وثيقة مبتورة الأول]

نذكر أيضا ما دخل [...] الزوجتين [...]

بنت على بني الحسن به الحسن من تزضت وعائشة بنت همُّ من بني

[...] بن واحمان الاتـڭـالية فلأول ما دخلت على متاع أبو الزواجيْـ[ـن...]

[...] و هي بهيميْن أي البغلة والبغل قيمة الأول بمائة وعشر مثـ[ـا...]

[...قـ]ـلا والبغل بسبعين [مثـ]ـاقلا وأربعة بهآئم أيضا اللواتي

اشتراكه ابوهم لاهل [...]ـزوضة ثلاثة رمكة والبغلة انصـ[...]

[...] بينه بين مشاركه وسبعة بقارية كبيرة واحد منهـ[...]

[...]ـهنَّ ثوْرٌ والعجلة الرضاعة أيضا كذلك كانت عنده في الدا[ر...]

[...]دخلوا عليهن تلك العروسة وماية وأربعة وثلاثين رءوسا [...]

[...]من الغنام كلهن كبيرٌ واما ابنائهن لم يندرج في الزمام الغـيْـ[...]

[...]هم بين الغنام والماعز وأربعة مكاحلة قديمة وهي متا[...]

[...]ع الطالب صالح أربعة صنعة ابريْ و الخامسة صنعة تسَدَّ [...]

[...]يكون ذلك عندهم بيعا قاطعا [...] والأخرى وهي تسدَّ

كانت عندهم بالرَّهن وأربعة كُمِيَّةٌ اثنان منهن صنعة

الجداري القادم والثالثة صنعة الصاورية والرابعة صنـ

صنعة المُسْلِمِيَةِ وأربعة زوجة من الخلالة الفضة الصا

[فـ]ـية واحدة منهن قيمتها أربعة وخمسين مثاقلا صنعة الدو

[د]ة والأخر بثمانية عشر مثاقلا صنعة الدكّية والثالثة بأربعـ[ـة...]

[...عـ]ـشرون مثاقلا وهي صنعة الدكّية والرابعة بثلاثة عشر مثاقـ[ـلا]

[صـ]ـنعة الدكّية وثلاثة نبيلة والفرد الأساور والقلادتين اللبا[ن...]

[...]قديم مع فصولهنَّ من الدراهيم والمرجان الحرّ والقلادة النقرة

[...] اطْرْنيشْن ثلاثة رجال مع فصولهم من المرجان الحورّ و

[...]دراهم مع نقوصيْن من الفضة والقلادتيْن من الدراهم أيضا مع

[فصو]لهما من المرجان الحُرِّ الأول يكون فيها ثلاثة رجال والأخرى رجليْن

[و القـ]ـلادتين من الفرنفل و السفيفة من النقرة الصافية والقلادتين

[...]من المرجان الطويل الحُـ[ـر مع] فصولهما من الدَّراهيم بين الفردية

[...] والموزونة واثنانِ قُرنات مع حوائجهنَّ من الثواب و المجا

[ديل]من الحرير وأربعة رداء من الصيصة مع خطوطهم من القطنة مطلع

[...] و ثلاثة برنوس وبرنوستيْن واثنان هَدَّان الصوفة وأربعة من

الذي لبسوا في وقتهم وأربعة قميص من الكتَّان واثنان رداء

[الـ]ـكتان وحزمتين من اللكية صنعة الهشتوكية وثلاثة عمامة

[الـ]ـتان واثنان معون من النحاس صطلين وأربعة محرات وأربعة

[فا]سة واثنان كوسيْن واثنين فاستين[1] الماضية

[الصفحة الثانية]

[...]لكضيف وهي بنْ شْكْر والأخرى صغيرة والْجَبِيلِيةَ المخطَّ[...]

[...]ـيلة الربطة بثمانية مثاقلا ومأْئتان مثاقلا وخمسـ[...]

[...مثا]قلا أيضا وهي راس ماله كان ذلك بيده وقيدوا ذلك

[1] **هناك كلمة ضرب عليها**

[ليكـ]ـون بيان وضياء ليوم ما بين الرجال والنسوان وهكذا

[...]بتاريخ شهر الله شوال عام 1274 عبد ربه الحسـ[...]

[...بن]احمد الهشتوكي امام الاكّـجان في وقته لطف الله به ءامين [وثيقة 9]

تتطرق هذه الوثيقة لحالة أخوين كانا يعيشان مع والدهما، وتزوج أحدهما من قرية (تازوضوت) والآخر من قرية (ايتكال)، والتحقت الزوجتان بمنزل الأسرة "الممتدة" التي كان الوالد يسير شؤونها؛ فكان لزاما القيام بجرد لما دخلتا عليه من "متاع " الأب. ورغم أن الوثيقة مبتورة، فإن أهم عناصر ثروة الاسرة تبدو حاضرة في هذا الجرد، ويمكن تصنيفها إلى ما يلي:

- الدواب:

+ البغلة بقيمة 110 مثاقيل، والبغل بقيمة 70 مثقال، وتستعين بهما الأسرة في نقل الأحمال والركوب[1].

+ ثلاث رمكات وبغلة أخرى، اشتراهم رب الأسرة، ووضعهم على وجه الشركة عند عائلات من قبيلة (ءونزوط)/(مزوضة) عند تخوم سهل الحوز. لم تكن هذه الدواب الفارهة موجهة لحمل الأثقال أو الركوب، لذا عمد رب الأسرة إلى نقلها بعيدا إلى قبيلة (ءونزوط) حيث تتوفر الأعلاف الكافية لتربية الخيول مقابل اقتسام الربح الناتج عن هذا الاستثمار.

- الأبقار: يشمل الجرد سبعة أبقار ضمنها ثور واحد، بالإضافة إلى عِجلة في مرحلة الرضاع. قد يبدو هذا العدد عاديا في المناطق السهلية حيث يتوفر العشب بكمية مناسبة لقطعان الماشية، ويكفي عادة راع واحد لحراسة قطيع أبقار قرية كاملة. أما في المناطق الجبلية، فإن الأبقار تبقى غالبا في حظائرها، وتقتات على العشب الذي تُحضره النساء في قفاف على ظهورهن من الأراضي المسقية خلال أغلب فترات السنة[2]، لذا فإن توفير الغذاء لهذا القطيع "الضخم" بمقاييس المجال الجبلي، يفترض امتلاك مساحات هامة من الأراضي المسقية، ويتطلب تفرغ عدة نساء لهذه المهمة. وهذا الأمر لم يكن متاحا إلا للعائلات الموسرة، بينما تكتفي أغلب الاسر ببقرة واحدة [3].

-الأغنام: أحصت الوثيقة مائة وثلاثة وأربعون رأسا من الغنم البالغ المختلط بين الضأن والماعز، بالإضافة إلى عدد آخر من "الغنم الصغير" الذي لم يتم جرده. لم تكن كل الأسر تتوفر على هذا العدد الكبير من الأغنام، الذي كانت العناية به تتطلب تشغيل راع متفرغ ليقوم بتوجيه القطيع يوميا نحو المراعي الجبلية البعيدة.

---

[1] **ربما الحرث كذلك**

[2] **تتوجه النساء في بعض فترات السنة للبحث عن الاعشاب في الغابات المجاورة للقرية**

[3] **أفا، قبيلة مسكينة، مرجع سبق ذكره، ص. 111.**

- الأسلحة: تتوفر الاسرة على:

+ اربع مكاحيل قديمة تسمى "الطالب صالح"[1]، من صنف (أبوريڤ)[2]، وهي في ملكية الأسرة بعد أن اقتنتها بالبيع "القاطع"[3]

+ مكحلة من صنف (تاسدّا)، و هي عند الأسرة بالرهن؛ أي أنها أخذتها من عند صاحبها مقابل قدر من المال، وبالتالي فذلك القدر من المال المساوي لقيمة الرهن هو الذي أدمج في إحصاء الثروة.

+أربع خناجر من نوع (كُمُّيَّة): اثنتان منهما من صنف (الجداري القديم)، واحدة من صنف (الصاورية[4])، وواحدة من صنف (المُسْلِمِيَةِ[5])

ولم تكن هذه (المُكْحُلات) و(الكُمُّيات) تؤدي بالضرورة وظيفة دفاعية، فهذه الأسلحة كانت وسيلة من وسائل الادخار، لذا فإن جردها يهدف إلى توثيق قيمتها النقية كأحد أنفس مكونات ثروة الاسرة.

- الحلي: ضمت الوثيقة قطعا كثيرة ومتنوعة من الحلي، ومن أهمها:

+ أربع أزواج من المشابك الفضية : صنعت واحدة منها بتقنية (الدو[د]ة)[6] وبلغت قيمتها 54 مثقال، بينما صنعت الثلاث الأخريات بتقنية (الدكّية) وبلغت أثمنتها على التوالي : 18 مثقال، و 24 مثقال و13 مثقال.

+ ثلاثة أسوار من صنف (تانبالت) بالإضافة إلى إسورة رابعة.

+ حوالي عشر قلائد مختلفة التصميم والمواد؛ وقد رُكِّبَت من حبات اللبان الأصفر، والقطع النقدية، وعيدان القرنفل، والمرجان الأحمر على شكل حبات أو اسطوانات صغيرة.

+حلية جبينية من صنف (تاسفيفت) المصنوعة من الفضة الخالصة.

- الأزياء : من بين قطع اللباس التي تجرده الوثيقة:

+ أربعة حياك منسوجة من الصوف ومزينة بخطوط قطنية[1].

---

[1] تسمى أيضا مكحلة (أكادير)، وتنسب إلى (الطالب صالح) الثائر الذي كانت تصنع هذه الأسلحة في مرسى أكادير تحت اشرافه خلال فترة المولى عبد الله بن إسماعيل، انظر:

Capitaine Delhomme, Les armes dans le Sous occidental, les Archives Berbères, publication du Comité d'Etudes Berbères de Rabat, Volume : II, Editions Frontispice Casablanca (Première édition 1917), 2005,pp.123-129, p.123

[2] أي أن جعبتها من نوع (ءابوري)، ويجدر الإشارة إلى أن اسم (ءابوري) يدل أيضا على نوع من الأسماك، انظر :

Delhomme, 2005, op. cit. p.124.

[3] أي أن البيع نهائي وليس بيع ثنيا وإقالة.

[4] ربما نسبة إلى مدينة الصويرة

[5] تسمى (تاموسلمت) بالأمازيغية، وتقابلها (تارومیت) أو الأو روبية، ولا نتوفر على الفروق التقنية والجمالية بين الصنفين.

[6] انظر تقنية (تأو كا) ضمن فصل التقنيات في الباب الأول .

+ ثلاثة برانس، وبرنوستيْن وسلهامين (هَدَّان) من الصوف.

+أربعة قمصان من الكتان، وحائكين (رداءين) من نفس القماش،

+ حزامين من (اللكية)[2] منسوجين في قبيلة (ءاشتوكن) بسهل سوس

+ ثلاث عمائم.

- الأواني: سطلين من النحاس (معون النحاس)

- أدوات الأشغال الفلاحية، وتشمل:

+ أربعة محاريث [خشبية]، ويبدو أن امتلاك أربعة محاريث دليل على كثرة الأراضي المسقية التي كانت تمتلكها الأسرة.

+ أداتين حديديتين حادتين ومعقوفتين من نوع (أَلْكّاوسو)، تركبان في مقبض خشبي وتستعملان لشذب الأشجار والأشواك.

+ فـأسين[3]

- الفراش: يمنع تمزيق الورقة من معرفة نوعية وعدد قطع الفراش بدقة، ولكنه كان يضم من بين مكوناته زربية (الكضيف) من صنف (بنْ شْـكْـرْ)، بالإضافة إلى زربية أصغر...

- لوازم فنية : ضم الجرد أداتين مميزتين لرقصة (تاسكيوين)[4] التي كانت واسعة الانتشار في سفحي الأطلس الكبير الغربي. تسمى هذا الأداة بالأمازيغية (تيسكت)، وقد ترجمها محرر الوثيقة بلفظ (قرنة)، أي مؤنث كلمة القرن. وكان الرجال يضعونها فوق الكتف الأيسر عند المشاركة في الرقصة. ويضم الجرد أيضا مجموعة من "الإكسسوارات" التي تلازم آلة (تيسكت) وهي

---

[1] ربما يتعلق الامر بحياك نسوية ما دامت مزخرفة بخطوط قطنية

[2] ربما يقصد التكية. والتكة هي حزام رفيع ومسطح يصنع من الحرير أو القطن ويشد السروال حول الخاصرة، وينتهي طرفاه المتدليان بزخارف مختلفة .انظر :

A. Joly, Industrie de Tetouan suite, Les industries textiles et celles du vêtement, Archives Marocaines, Volume XV, 1909,p.80-157.p.96.

[3] ربما هناك فؤوس أخرى غير أن التمزيق الذي أصاب الورقة لا يسمح بتأكيد ذلك

[4] ادرجت الرقصة ضمن التراث العالمي لليونسكو على لائحة الصون العاجل منذ دجنبر 2017.

قطع من المنسوجات ومجادل من الحرير[1].

يقدم لنا هذا الجرد نموذجا لثروة العائلات الغنية بالأطلس الكبير والغربي التي تدخر أموالها في الأسلحة والحلي الفضية، أو تستثمرها في تربية الأبقار والأغنام والدواب التي كان عددها من علامات الثراء والجاه، ومن مؤشرات التراتبية في المجتمع المحلي[2]. وتحتل الحلي مكانة هامة ضمن أموال هذه الاسرة، ويتضح ذلك من خلال ترتيبها في الجرد مباشرة بعد الماشية والدواب والأسلحة، كما يتجلى في عدد القطع الذي بلغ أكثر من تسعة عشرة حلية. وكان التحاق زوجتين جديدتين بالأسرة اعلانا عن انطلاق مرحلة جديدة من العمل والإنتاج بعد زيادة عدد المساهمين.

- النموذج الثاني : جرد بتاريخ[3] ذو الحجة 1285/(1869م)

- النص

الحمد لله وحده

زمام و تذكيرة و تنبيها وضياء لمن وقف عليه وذلك فيما دخلت عليه الزوجتان زوجة عبد الله بن احمد ازمون وهي ءامنة بنت مَحمد ابوالـق[...]ية و كدلك زوجة أخيه سعيد بن مَحمد[4] هرة[5] بنت على بن الحسن نيت بلا من تمكدوت و ذلك [ـ] تضمن عمارة دارهما من المتروك و المواعين و سائر الامتعة وسياتي كل حاجة باسمها وا[لأو ل] من ذلك أربعون راسا من الغنام عشرة منـ[ـهم] متاع عبد الله والباقي لاخوانه مَحمد وسعيد وثم بقرة عند عبد الله وثم بقرة عند سعيد وأخيه مَحمد وثم مكحولتان تسد الرامية[6] القديمة متاع عبد الله والأخرى عند اخوانه وهي التي في سريرها الحيحة[؟] والرومية الجيدة الحسانة والكمية عند سعيد واخواه مَحمد وقلادة اللوبان والأخرى متاع اطنش [اطرنيش] وهي عندهم بالرهن بخمس وخمسين وقية وغرارتان عند عبد الله زرعا ومثله من البشن وثم أربعة غراير زرعا عند سعيد مع أخيه مَحمد ومثله منة حبوب البشن والرحآء[7] مشاركا بينهم و ثلاثة فاسة من الحـ[ـديد] ومحارة[8] ومواعن الكوْس انتهى و كفى [وثيقة 18 ءاكْنسان]

---

[1] تكتسي هذه الإشارة أهمية بالغة في كتابة تاريخ الفنون الشعبية المغربية من خلال تتبع حضور الآلات الموسيقية و"الأكسسوارات" الفنية في الوثائق المحلية، مما سيساهم في تركيب صورة أو ضح لمسار تتطور فنون العرض التقليدية في الزمان والمكان. وتبرز هذه الأشارة أيضا أن المجتمع كان حريصا على العناية بالفنون، وأن العائلات كانت تتنافس في امتلاك لوازم المشاركة في العروض الفنية للقرية.

[2] محمد أقديم ، مرجع سبق ذكره، ص, 396.

3 هذا الجرد غير مؤرخ، ولكن المحرر كتب اسفله مباشرة عقد زواج بتاريخ "ذو الحجة في عام 1285 /(1869م)"، والوثيقتان مرتبطتان بشكل مباشر، لأن الجرد انجز بمناسبة زواج أبناء الأسرة والتحاق الزوجة ببيت العائلة.

[4] ربما هناك سهو، فاذا كان اخاه فهو ليس ابن مَحمد بل بن أحمد و خاصة أن أحد اخوانه يسمى كذلك مَحمد، وقد يكون أخا غير شقيق

[5] ربما تاهرا

[6] المقصود: الرومية

[7] المقصود الرحى اليدوية المنزلية التي يطحن بها

[8] المحراث الخشبي

تتحدث الوثيقة عن ثلاث أخوة، وهم عبد الله، وسعيد ومَحمد؛ تزوج الأول من امنة بنت مَحمد واقترن الثاني بـ(تاهرا) بنت علي من قرية (تامكّادوت). وكما جرت العادة بذلك بعد زواج أي فرد من الاسرة، بادر الأخوة إلى جرد "ما دخلت عليه الزوجتان" من "عمارة دارهما من المتروك والمواعين وسائر الامتعة"، وضمت ثروتهمُ المكونات التالية:

- 40 رأسا من الغنم موزعة كما يلي: 10 في ملكية عبد الله، و30 في ملكية كل من مَحمد وسعيد

- بقرة عند عبد الله، وبقرة أخرى في ملكية مَحمد وسعيد

- مكحلة من نوع (تاسدّا) الرومية القديمة عند عبد الله، ومكحلة أخرى من نوع (تاسدّا) رومية جديدة عند مَحمد وسعيد

- كُمية عند سعيد ومَحمد.

- غرارتان من الشعير وغرارتان من الذرة (البشن) عند عبد الله

- أربع غرائر من الشعير وأربع غرائر الذرة (البشن) عند سعيد مع أخيه مَحمد

- رحى [يدوية] مشتركة بين الإخوة الثلاثة.

- أدوات فلاحية مشتركة بين الإخوة وتضم: ثلاث فؤوس من الحديد، ومحراث خشبي، وأداة حديدية معقوفة [الكّأوسو]

- الحلي: قلادتان واحدة من حبات اللبان الأصفر، وهي في ملكية الاسرة، والثانية مركبة من علّاقات (ءيطرناش) الفضية، وهي موضوعة عند الأخوة على وجه الرهن مقابل خمس وخمسين أوقية. أي أن هذه الحلية لم تكن في ملكية الأخوة، لذا فإن قيمة الرهن هي التي تم احصائها ضمن "عمارة الدار".

يشمل هذا الجرد أدوات فلاحية، وقلادتين، وأسلحة، وعددا محدودا من الماشية، بالإضافة إلى كميات من حبوب الشعير والذرة. ويبدو أن هذه المكونات كانت تشكل نموذجا لمتوسط ثروة أغلب الأسر ذات الإمكانيات المادية المحدودة، والمتناسبة مع ظروف هذه البيئة الجغرافية الجبيلة. وإذا كانت الوثيقة تجرد قلادتين فقط، فإن الأسرة كانت تتوفر على عدد أكبر من الحلي، ولكنها كانت في ملكية نساء الأسرة اللائي يتزين بها، اوكتفي الجرد بعرض القلادتين لأنهما في ملكية كل أفراد الأسرة بشكل عام كما هو حال باقي الأغراض من أسلحة وخنجر وماشية وأدوات.

حدد الجرد عدد الماشية، وكَيْلَ الحبوبِ وعدد الآلات الفلاحية. كما ذكر عدد المقتنيات الثمينة من خنجر فضي ومكاحل دون الإشارة إلى قيمتها المالية. أما بالنسبة للحلي، فقد اكتفى الكاتب بالإشارة إلى

أن قلادة اللوبان الأصفر التي توجد في ملكية الأسرة دون تحديد قيمتها النقدية، ولكنه حرص بالمقابل على تحديد قيمة رهن قلادة علاّقات (ءيطرناش)، وذلك لأن الأسرة لا تمتلك كل القيمة الفعلية لهذه الحلية في السوق، ولكن فقط قيمة الرهن التي ستتسلمها من أصحاب القلادة عند انتهاء المعاملة وعودة الحلية الى الراهن.

ت- السعاية واستقلال الذمة المالية للزوجين

كان أفراد الأسرة يشتغلون بشكل جماعي، ويحق لكل واحد منهم أن يستفيد من حظه في الثروة التي ساهم فيها بكده وسعايته إلى جانب الآخرين. وبما أن الزوجان يتمتعان باستقلال ذمتها المالية، فقد كان بإمكان كل واحد منهما القيام بما يراه مناسبا من مبادرات لتكوين وتنمية أمواله، ويمكنه أن يحتفظ بثمار اجتهاده دون قسمته مع أفراد الأسرة الآخرين، شريطة اثبات أن الثمن الذي دفعه في إنشاء ثروته كان من ملكه الخاص[1]، وبأنه اشتغل فيها دون تدخل من الآخرين.

وسنعمل على توضيح هذه الموضوع باستعراض نموذجين من قبيلة (تاجـكّـالت): الأول بتاريخ محرم 1157هـ/(فبراير1744م)ويجرد ثروة أحد الأزواج، والثاني غير مؤرخ، ويحصى أموال إحدى الزوجات.

- جرد ثروة زوج بتاريخ محرم 1157 /(فبراير1744م)

" الحمد لله و حده صلى الله و سلم على سيدنا محمد وءاله

وعن لسان يحيى بن محمد التجكالتي انه اشترى العبْد ولم تحضر له زوجته

الحمد لله وحده وعن لسان يحيى بن محمد التجـكّـالتي انه اشترى الامة بعشرين مثاقيلا والمكحولة نعته انصرنيْ بثمانية مثاقيلا والأخرى تسدّ ام الاعظام بثمانية مثاقيلا وحـ

خيطة العنق بادِّز بثلاثة مثاقيلا والبقرة بأربعة مثا[قـ]يلا ثم الحميرة بأربعة مثاقيلا ثم دفع لسعيد بني انشادن البلالي خمس وعشرون أوقية ثم دفع أيضا لبني يدير سبعة عشر أوقية بالبورة تفرْونْ ثم دفع أيضا ثلاثة قل اقتيْن للحسّانة براس البطير بتفرون ثم اشترى العجلة في تخرب بإحدى عشر أوقية ثم اشترى الاخرة أيضا من عند عبد الكريم بن مبارك بازكـار بثلاثة عشر أوقية ثم له عند أو لاد أخيه عبد الله في الابوار بتكلتمت خمس وعشرون أوقية وبه عن لسان المذكور وشهد به بتاريخ أوائل محرم 1157 /(فبراير1744م)عبيد الله تعإلى سعيد بن احمد بن الحسن الازكاري نعم وجملة ذالك الثمن ثمانية

[1] كمال بلحركة , مرجع سبق ذكره, الهامش 4, ص. 20

وخمسون مثاقيلا قل أوقية لم تحضر لهم عزونة بنت [أ]حمد تجرفت وبه كمل سعيد بن احمد [وثيقة 42 تجكالت]

تبين الوثيقة أن عناصر الثروة التي كونها ونماها يحي بن محمد دون مساهمة زوجته عزونة بنت [أ]حمد، كانت متنوعة وتشمل:

- العبد، دون تحديد ثمنه

- الأَمَة.

- مكحولتين كل منهما بثمانية مثاقيل: إحداهما من نوع "انصرنيْ[1]"، و الأخرى "تسدّ أم الاعظام[2]"

- قلادة (ءودّيز) المركبة من حبوب الفضة.

- البقرة بأربعة مثا[قـ]ـيلا،

- عجلتين اقتناهما بما مجموعه 24 أوقية

- الأتان بأربعة مثاقيلا

- كما دفع الزوج مبالغ مالية في أراضي فلاحية، ويبدو أنه أخدها من أصحابها على سبيل الرهن لاستغلالها، ومنها أرض بورية بسبعة عشر أوقية، وحقل مسقي بـثلاثة[مثاقيل][3] قل أوقيتين...

والخلاصة أن الأموال التي راكمها الزوج و" لم تحضر لهم" زوجته، بلغت قيمتها ثمانية وخمسون مثقالا قل أوقية.

لا تجرد هذه الوثيقة كل ثروة يحيى بن محمد التجـكّـالتي، وتكتفي بإحصاء الأموال التي لم تساهم زوجته في تكوينها. ويتضح من بعض المؤشرات أن الزوج كان من أغنياء قريته، ومن بين هذه المؤشرات امتلاكه لعبد وأمة، واستثماره لمبالغ نقدية في رهن الأراضي الفلاحية. ومن المرجح أن الثروة الكاملة للأسرة كانت تشمل حليا كثيرا يتناسب من حيث قيمته المالية مع درجة ثراءها وتنوع مواردها المادية، ولكن الوثيقة اقتصرت على ذكر قلادة واحدة، لأنها، على ما يبدو، الحلية الوحيدة التي اقتناها الزوج دون مساهمة زوجته.

---

[1] تارومیت

[2] أي أنها مرصعة بقطع من العظام التي كانت تدمج في الجزء الخشبي من المكحولة، وكان الحرفيون يستخدمون عظم الجمل أو قطع العاج لهذا الغرض : Delhomme, s, op. cit. p. 125

[3] كلمة ناقصة في الاصل وزدناها لتستقيم الدلالة

- جرد أموال زوجة

النص

[تمزيق في أعلى الورقة]

يشهد من يسمى في هذ من شهداء انهم عرفوا راقية بنت عبد الله من أبناء الحاج التجـكـالتي اثم المعريفة واكملها داتا واسما وأنها عـ[...] حين زوجها وهو محمْد بن محمد من أبناء يدير من قرية [...] لم مضت عندهُ إلا مقدار ثلاثة أعوام وذهبت لدار أبيها يوم الذي رحل زوجها المذكورْ لبلادة تشع وهي بقيت في دار ابيها تعيش فيها تحرث في وسط بستان ابيها وتحتيت[1] الزيت وتلقض هرجانا في الغابة[2] وتحرث بور أبيها و هي عاشت في متاع أبيها وتبع الزيت وتبيع الهرجان و تشتري بهم قشوشها وكسوتها وأما متاع زوجها لم تاكل فيه ولم من يوم الذي خرجت عنده وأما الاصا [؟] من بهائمها الا بالشركة عند الناس وكلما قبض يديها يكو[ن] بهائما و قشوشا من فضة لم فعلت ذلك الا في متاع ابيها هي وبنتها خديجة بنت محمْد المذكورْ حتي هي عاشت في تحت يد أمها في متاع اخوالها ولما زوجها محمْد المذكورْ لم ياتيها شيئا يكون كسـ[ـوة] وحناء وصبونا وصباطا ونفقةً حتى مات في تلـ[ـك] الرحل في قرية تشع وبقيت راقية المذكورة في دار ابيـ[ـها] مع بنتها خديجة المذكورْة حتى زوجها محمد من أبناء بني الابلالة وتعيش ثانيا معه في دار ابيها ويَحرثان في وسط الفدادين ابيها ويحتتون الزيت الذي يعجبون لهم ويلقضون الهرجان ويحرثون الابوارْ[3] هي وبنتها وزوجها محمّد المذكورْ وهو لم ياتيهما شيء في متاعه قليل ولا كثير ولم ينفق[4] بلو فلسا واحدا [...][وثيقة 34 تجكالت]

لا نتوفر على النص الكامل لهذه الشهادة بسبب تمزق بعض أطراف الورقة، كما أن الأفكار الواردة في الوثيقة تبدو متداخلة، ومكررة أحيانا، ولكن يمكن تلخيص مضمونها في النقط التالية :

- تزوجت راقية بنت عبد الله في البداية من محمْد بن محمد من أبناء يدير(ءايت ءيدير)، وبعد ان بقيت معه في قريته حوالي ثلاث سنوات، "رحل" الزوج إلى "بلادة " (توشعا)، وعادت الزوجة للعيش في دار أسرتها.

- لم يوفر الزوج منذ رحيله نفقة زوجته ولا أنفق على ابنتهما خديجة، ولم يوفر لهما الملابس والحناء والصابون والحداء[صباط].

---

[1] "تحتيت " هو استعمال قضيب طويل لضرب اغصان شجر زيت الزيتون كي تتساقط حباتها فوق الأرض. تجمع هذه الحبات بعد ذلك وتحمل إلى المعصرة.

[2] عندما تتساقط ثمار شجرة الأركان في الغابة يقوم السكان بالتقاطها تبعا لأعراف متوارثة.

[3] الأراضي البورية

[4] كلمة أضيفت في الهامش

-بعد عودتها إلى بيت أبيها، اشتغلت الزوجة في أملاك والدها من خلال حرث الأراضي المسقية والبورية، وجمع محاصيل الزيتون، وجمع ثمار شجرة أركان.

- استغلت الزوجة المداخيل الناتجة عن بيع زيت الزيتون وزيت الأركان في اقتناء "القشوش" والملابس.

-دخلت الزوجة في شراكة مع بعض السكان لتربية المواشي مقابل اقتسام الأرباح.

- عمدت الزوجة إلى ادخار واستثمار أموالها في اقتناء المواشي، والحلي الفضية.

- توفي زوجها الأول في قرية (توشعا) التي رحل اليها.

- بادرت المرأة إلى الزواج مرة ثانية من شخص آخر وهو محمّد من أبناء بَنِي الابلالة (ءايت بلال).

- استقر معها زوجها الجديد في "دار أبيها"، وساعدها هي وابنتها في حرث حقول "أبيها" وجمع غلة الزيتون والتقاط ثمر شجر الأركان، وحرث الأراضي البورية.

- لم يقدم الزوج الجديد لزوجته وابنتها "لا قليل ولا كثير"، ولم ينفق عليهما ولو "فلسا واحدا"

من الجلي أن الزوجة بادرت إلى تحرير هذه الشهادة لتحقيق هدفين متكاملين:

الأول : إثبات أن زوجها الهالك رحل إلى قرية أخرى، ولم ينفق عليها ولا على ابنته طوال مدة رحيله إلى أن توفاه الأجل، وبأنها خلال تلك الفترة كانت تشتغل في أملاك ابيها مما سمح لها بتوفير حاجياتها، وتحقيق فائض هام خصصته لاقتناء الحلي والمواشي.

الثاني: إثبات أن زوجها الثاني انتقل للعيش معها في بيت أبيها، واشتغل معها في أملاك أبيها، ولم ينفق عليها ولا على ابنتها شيئا.

ويبدو أن الزوجة تحاول صيانة أموالها وضمان مصالحها في وجه التهديدات التي قد تلحقها من جهة أسرة زوجها الأول، أو من طرف زوجها الثاني. لذا، أو ضحت أن الزوج الأول لم يكن له أي فضل في كل ما راكمته من الأموال التي أنشأتها بفضل كدها وسعايتها، في دمنة أبيها. وفوق كل هذا، فمن حقها أن تطالب اسرة الزوج بدفع النفقة التي لم تتوصل بها منذ رحيله إلى أن وافته المنية.

أما الزوج الثاني والذي كان يعيش معها أثناء تحرير الشهادة، فإنه يتعاون مع زوجته وابنتها في أملاك أبيها، ولا يمكنه ان يطالبها لاحقا إلا بقدر سعايته وعمله ككل السعاة.

تعكس هذه الوثيقةُ الهواجس الخاصة بزوجة حريصة على تنمية وحماية ثروتها. وتثير في نفس الوقت بعض الانشغالات التي تهم المرأة والمجتمع بشكل عام والتي يمكن أن نركز من بينها على ثلاث قضايا:

- لم تكن حقوق المرأة في مجال النفقة تقتصر على الأكل واللباس والحذاء، ولكنها تمتد إلى أمور جديرة بالاهتمام كالحناء والصابون. فلم تكن هذه المواد ترفا أو كماليات، ولكنها من الأمور الضرورية التي يُحاسَب الزوج إن لم يوفرها لزوجته. إننا أمام مجتمع حريص على قيم النظافة والجمال والأناقة.

- اجتهدت الزوجة وكدت لتنمية ثروتها، وبادرت إلى اتخاذ الإجراءات التي تراها مناسبة لتحصين أموالها وأموال ابنتها مستفيدة من الممارسات الإجتماعية التي تفتح المجال للمرأة، كما للرجل، للإنتاج، وتحسين وضعيتها المالية والمساهمة في الرخاء الاقتصادي للمجموعة التي تنتمي اليها.

- كانت الزوجة تبادر إلى اقتناء " قشوش من فضة" بجزء من المداخيل الناتجة عن جمع غلال الزيتون وثمار الأركان وتربية المواشي. وتندرج هذه الممارسة في إطار تفاعل المجتمع مع اكراهات التقلبات المناخية، والاستفادة من سنوات الخصب لاقتناء الحلي الفضية باعتبارها تشكل ادخارا آمنا استعدادا لسنوات الجدب والجفاف.

ث- حصول الزوجة على سعايتها

عند حدوث الطلاق بين الزوجين أو في حالة وفاة الزوج، تحصل الزوجة على كل حقوقها من مؤخر الصداق، والجهاز، والشروط، والإرث[1]، بالإضافة إلى حظها في السعاية، ونورد هنا نموذجين لما حصلت عليه الزوجة بعد وفاة الزوج، الأول من (تاجكّالت) بتاريخ ذي حجة 1154/(1742م)، والثاني من (ءاكّنسان) بتاريخ جمادى الأولى عام 1189هـ/(يونيو 1775م)

- النموذج الأول : وثيقة من (تاجكّالت) بتاريخ ذي حجة 1154/(1742م).

النص

الحمد لله وحده و صلى الله على سيدنا محمد و ءاله

تفاصلان معا يحي بن محمد بني حامد التجكّالتي بينه وبين الحسن بن محمد بني الحاج من موضع المدكور الذي هو وكيل اخته عزونة بنت أحمد زوجة الهالك الحسن بن محمد بني حامد بعد ثبوت وكالتها بيد أخوها الحسن المذكور بالنظر والاصفاح[2] في جميع سعايتها من متروك دراهما في البهائم والغنم والحميرة والمكاحيل والنقرة والدراهيم والشعير والادام والبشن ومواعين الدار من صنعة الفخار وما هو ثمنها في متضمن تركة الدار والاجباح والخضرة اليابسة[3] والدار والأملاك لم يندرج في الانفصال وما ذكرنا في المتروك تفاصلاه مفاصلة صحيحة قاطعا تاما أبدا بحيث لا يرجع واحد منهما في ءاخر في ذلك

[1] في حالة وفاة الزوج
[2] الإفصاح
[3] جرت العادة بتبيس بعض الخضر كاللفت ة الجزر لاستهلاكه خاصة أيام انعدام الخضر الطازجة.

وسقط من بينهم جميع الدعاوي اسقاطا تاما أبدا شهد به في دي حجة عام 1154 عبيد ربه عبد الله بن الحاج احمد التجكّلتي وعبد ربه احمد بن يحيى التجكّلتي وفقه الله به ءامين

الحمد لله اعلم بثبوته عبيد ربه محمَّد بن محمد بن إبراهيم [وثيقة 38 تاجكّالت]

ملاحظات:

بعد وفاة الحسن بن محمد، وكلت أرملته عزونة بنت احمد أخاها الحسن بن محمد[1] "ليتفاصل" مع أخ الزوج الهالك، وهو يحي بن محمد، في موضوع سعايتها، وقد شملت هذه العملية حظها في "متروك الدار"، وحصلت على حقها في الأموال التالية:

- (البهائم)، أي الابقار

- الغنم من معز وضأن

- الأتان

- (المكاحيل) وهي الأسلحة النارية.

- (النقرة)، أي الحلي الفضية

- الدراهم وهي السيولة النقدية التي كانت في ملكية الأسرة أثناء وفاة الزوج.

- الحبوب من شعير وذرة بيضاء (البشن)

- الإدام من سمن وعسل وزيت

- أواني الطين

- منتوج النحل من العسل

- الخضر اليابسة، وخاصة اللفت، وربما الجزر أيضا.

من المعتاد عند وفاة الزوج أن تسترجع زوجته جهازها، وتحصل على مؤخر الصداق، وباقي الحقوق. أما الوثيقة التي بين أيدينا فلا تستعرض إلا ما حصلت عليه من سعايتها ضمن "متروك الدار"، من خلال قيمة حظها من الماشية والغنم والدابة والنقود وأواني الطين، والأغراض الثمينة وخاصة الحلي والأسلحة النارية. كما نالت حظها من المواد الغذائية من شعير وذرة بيضاء وإدام وخضر يابسة،

[1] **لا نعرف المقصود بالأخ، فهي عزونة بنت أحمد، وأخوها هو الحسن بن محمد، فهل هو أخ بالأم، أم أن المقصود بالأخ أنه من عائلتها كأن يكون ابن عمها مثلا ؟ أم أنه أخ غير شقيق؟**

وعسل... لقد عادت الأرملة إلى بيت أبيها وهي محملة بالأموال وبالمواد الغذائية، لذا لن تشكل عودتها عبئا على أسرتها التي ستستفيد من الموارد الجديدة لتحسين وضعيتها.

- النموذج الثاني: وثيقة من (ءاڭنسان) بتاريخ جمادى الأول ى عام 1189/(1775م)

النص

" الحمد لله وحده تفاصل بحول الله و قوته اشـ[1][..] بن إبراهيم من امرشيح مع الفقر محمد بن عبد الله اضـ[...] بوكلة زوجته والدها الفقير[2] سعد بن احمد [...][3] بنت لمبرك من تزضط في جميع المترك الدر زوجها الهالك عنها في الحبب والادم واللبس والنقرة والكسوة والبهائم والغنم ومواعن الحديد ومواعن النحاس وجميع كدها وكسبها في الاجباح وجميع المترك في الدر وتفاصل في دالك انفصالا صحيحا قاطعا تاما ابدا وتبرءو في دالك تبرية صحيحة تاما انفصالا صحيحا قاطعا كل دعوايا وسائر الحجائج وتفرقو على تبرية الدوام ءايت [؟] كانت على الشـ ـل و اسقطوا بينهم جميع الاسترعاء و لاستحفضاء وشهدوا علي بدالك بحال كمال الاشهد بتارخ افتتاح شهر الله جد[4] الأولى عام 1189 عبد ربه داوود بن محمد بن احمد السوسي الهلإلى امام مسجد [فـ]كـر في الوقت اختر الله له بالمقام و الرحيل (اڭنسان وثيقة 21)

ملاحظات:

حررت الوثيقة بتاريخ جمادى الأولى عام 1189هـ /(1775م)، وهي عبارة عن "انفصال" بين من وكلته الزوجة[5]، من جهة، وأسرة زوجها الهالك، من جهة ثانية، وذلك بشأن حظها في متروك الدار. ولا تقدم هذه الوثيقة تفاصيل الأموال التي توصلت بها الزوجة، وتكتفي بالإشارة إلى أنها حصلت على حقوقها كاملة في (متروك الدار)، وبالضبط في المجالات التالية:

- الحبوب: وتكون غالبا من شعير وذرة (بشن)

- الإدام: ويقصد به عادة السمن والعسل وزيت الزيتون أو زيت اركان

- الأزياء[6]

---

[1] **ربما يقصد : الشاب**

[2] **كتبت كلمة "الفقير" بالياء و لكنها كتبت بدون ياء في السطر السابق.**

[3] **ربما مخيرة**

[4] **جمادى**

[5] **التمزيق في الورقة وتداخل عبارات المحرر يجعلان من الصعب معرفة الشخص لذي وكلته الزوجة لينوب عنها في الحصول على حقها في سعايتها.**

[6] **ذكر المحرر "اللبس"، و"الكسوة" كعنصرين منفصلين، ولم نفهم الفرق بينهما، فهل يحيل أحدهما على أزياء الرجال والآخر على أزياء النساء؟.**

- (النقرة) وهي الحلي الفضية

- (مواعن الحديد)، وهي أدوات مصنوعة من الحديد وتستخدم غالبا في الأشغال الفلاحية

- (مواعن النحاس) وهي الأواني المصنوعة من النحاس كالسطل والقنديل...

- البهائم من أبقار ودواب

-الغنم من ضأن وماعز

- منتوج العسل الحاصل عن العناية بخلايا النحل.

تحدد الوثيقة هذه المجالات التي شملتها "سعاية" الزوجة التي حصلت على حظها مما كان مدخرا في المخازن من حبوب وادام، ومن الماشية والدواب، ومن الأزياء والحلي، ومن أواني النحاس والأدوات الفلاحية، إضافة إلى حظها في منتوج خلايا النحل من العسل.

ج- انتقال حظ سعاية الزوجة المتوفاة بالإرث

إذا توفيت الزوجة، فإن زوجها لا يمكنه أن يستبد بحظها من الثروة التي ساهمت في تنميتها أثناء فترة الزواج، إذ تنتقل جميع حقوقها، بما فيها حق سعايتها، إلى ورثتها، وهذا ما تبرزه وثيقة (انفصال) من (تاجكّالت) بتاريخ صفر 1132 هـ /(يناير 1720م)

النص:

الحمد لله و صلى الله على سيدنا محمد و ءاله

تفاصلان معا إبراهيم بن عبد الله بني حامد التجكّلتي بينه و بين [...]

هم بني وسعدن المسناوي[1] وزوجته مماسة بنت علي في جميع ارثهما بابنتهما عائشة بنت محمد[2] الهالكة عن عصمة يدير بن عبد الله بني حامد وهو ارتهما فيه نصف كامل و ذلك قبض جميع ما بقي في جهازه بنفسه وقبض ثلاثة عشر أواقية الذي كسر به وقبض في سعايتها في الغنم أربعة رءوس و قبض في سعايتها أيضا في البهائم العجل وقبضوا ما بقي في الشروط بعد وصيتها عشرون صاعا قمحا وسعايتها في الزرع و البشن قبض في الزرع خمسة قفاف الزرع وخمس قفاف البشن وثمانية مثاقيل دراهيما فضة عادلة عشرة أواق في المثقال في صداقها فعلى ما دكرنا وقع به الفصل و التبرية بينهما بعد الحساب و النقش ورجوعه حتى تبين لكل دي حق حقه وقبضوه ولم يبقى بينهما قليلا ولا كثيرا ولا دعوى ولا حجة

[1] قد تقرأ أيضا: الحسناوي
[2] همو هو نطق محلى لاسم محمد

ولا تبعية ولا علقة يمين ولا وجه مطالب بوجه من الوجوه و بينة السر والاعلان وتساقطا بينهما نزاعا و اعتراضا ابدا بحيث ان قام واحد منهما على الاخر بدعوى يدعيها فدعوته باطلة و حجته داحضة وبينته زور كادبة لا حكم له ولا تاتير وعرفوا قدر ذلك و شهدوا به بحال الصحة والطوع والجواز والرضى في انسلاخ صافر عام 1132هـ

عبيد ربه عبد الله بن الحاج احمد التجـكّـلتي لطف الله به ءامين

وعبد ربه عبد الحمن بن عبد الله المعلأو ي [وثيقة 26 تاجـكّـالت]

ملاحظات:

الوثيقة عبارة عن "انفصال" بين همو بن ويساعدن وزوجته مماسة بنت على، من جهة، وبين زوج ابنتهم عائشة، من جهة ثانية؛ وتسلم الأبوان من صهرهما ما نالهما من إرثهما في ابنتهما المتوفاة، وتوصلا بما يلي:

- مؤخر صداق الزوجة المتوفاة.

- الجهاز الذي سبق للوالدين أن جهزا به ابنتهما عندما تزوجت. وبما أن بعض مكونات هذا الجهاز كانت ناقصة، فقد حصل الأبوان على مقدار ثلاثة عشر أوقية لتعويض ما ضاع منه[1].

- الوصية: عشرون صاعا من القمح ضمن ما تبقى من شروط الزوجة التي أو صت بها قبل وفاتها لوالديها

- السعاية: نال الوالدان حظهما في سعاية ابنتهما المتوفاة، حيث حصلا على أربعة رؤوس من الغنم، وعجل، وخمس قفاف[2] من الشعير، وخمس قفاف من الذرة البيضاء (البشن)، وكان لهذه العناصر تأثير ملموس على ثروة الأسرة من خلال زيادة عدد ماشيتها، ودعم مخازنها بكمية هامة من الشعير والذرة في وسط جبلي يعاني من مشاكل عدم انتظام محاصيل الحبوب.

عموما، تبرز هذه الحالة أن حق (تيزّلا) كان يحظى، في مجال انتقال الحقوق والثروات، بنفس الأهمية التي يحظى بها الجهاز، والصداق والارث والوصية. فتستفيد منه الزوجة في حياتها، وينتقل إلى ذوي الحقوق من اقاربها عند وفاتها.

[1] استعمل المحرر لفظ "كسر" للدلالة على ضياع مكونات الجهاز، وهي ترجمة حرفية للفظ الأمازيغي (طيرژي)
[2] تستعمل القفة كوعاء لكيل الحبوب

خ- الحصول على الحلي مقابل حظ السعاية

اطلعنا على وثيقة (انفصال) من تالـكّـجونت بتاريخ صفر عام 1284هـ/(يونيو 1867م) توضح إمكانية حصول المرأة على الحلي مقابل حظها في الكد والسعاية.

النص

"الحمد لله وحده

اشهدت لدى وعلى نفسها رقية بنت إبراهيم بُــ ـ من اشبر فزارة بموافقة زوجها محمد بن احمد بني رسين من تلـكّـط انها انفصلا مع إخوان زوجها منهم الحسين[1] وعلى وعمر وكلهم شقائق في جميع ما ضربت عليهم من الكد بعد ـن قبضت منهم زوزة الدبالج في كدها عليهم وابرات لهم في دالك ابراء كليا وانفصلت معهم انفصالا صحيحا قاطعا جميع الدعاوى واللجاج ولا يبقى بينهم الا المودة والاحسان سواء طال الزمان ام قصار شهد عليهم بما فيه وهما في حال كمال الاشهاد وبتاريخ 16 يوما من صفر عام 1284 عبد ربه محمد بن احمد ازكراو ملازم مسجد فدان الأعلى في الوقت لطف الله به ءامين[2]

و عبد ربه سبحانه تعالى عمر بن محمد بنى [ـ] التلكـ ـ لطف الله به ءامين [تالـكّـجونت، وثيقة 33]

ملاحظات

- تفيد الوثيقة بأن رقية بنت إبراهيم "قبضت" من أشقاء زوجها إسورتين مقابل **"جميع ما ضربت عليهم من الكد"**، وانفصلت معهم **"انفصالا صحيحا قاطعا"**. وبهذا لن يكون بإمكانها ان تطالبهم بعد ذلك بأية حقوق.

- كان أربعة أشقاء يعيشون تحت سقف واحد، وبتاريخ صفر 1284هـ /(يونيو 1867م)، قرروا تقسيم "متروك دار ابيهم"[3]، كي يستقل كل اثنين منهم بثروتهما ومسكنهما، وتطلبت هذه الخطوة البدء بتحديد قيمة "الكد" الذي "ضربته" الزوجة على أشقاء زوجها، و"قبضت منهم" زوج الأساور، مما يدفع إلى الاعتقاد أن أخوين على الأقل كانا سيغادران منزل الأخ المتزوج، لذا كان من الضروري حسم مسألة كد الزوجة، كي يتم الانفصال بدون تبعات، ويحصل كل ذي حق على حقه. ونلاحظ أن الزوجة حصلت على الأساور مقابل حظها في (تيزّلا)، مما جعلها تستفيد من جهتين، حصولها على حلية لتزيين معصميها، وقيمة مادية موثوقة تشكل ادخارا آمنا.

---

[1] أضيفت كلمة الحسين فوق السطر

[2] الاسم و الدعاء شكل منهما التشكيل

[3] توجد اسفل هذا النص وثيقة أخرى محررة بنفس التاريخ تتعلق بقيام الأخوة الأربعة بتقسيم "متروك دار ابيهم"، فنال الحسين وعلي زوج مشابك، وزوج أقراط الاذن، وسطلة [من النحاس]، وبقرة مع عجلها، ونصف قطيع الغنم، ولم تشمل هذه القسمة بعض مكونات الثروة مثل "المكحولتان " التي بقيت "مشاعا" بين الأشقاء الأربعة. [وثيقة 32]

خاتمة

أصدر الباحث الهولندي بيرت فلانت (Bert Flint) سنة 1973 كتيبا حول الحلي المغربية، كخطوة أولى في إطار مشروع لدراسة الأشكال والرموز في الفنون [الشعبية الحرفية] بشكل عام. وضم هذا الكتيب حوالي ثلاثين صورة لقطع من الحلي من مختلف مناطق المغرب، وكانت كل صورة مرفقة بنص بالفرنسية من تحرير بيرت فلانت الذي كان يحاول الغوص في الأبعاد الرمزية للحلي، بالإضافة إلى ترجمة إلى العربية من إنجاز محمد عياط. ويلخص العنوان محتوى الكتاب بدقة، فالعنوان الذي اختاره بيرت فلانت بالفرنسية هو: (Bijoux et amulettes)، والترجمة التي اقترحها محمد عياط هي:(حلي وخميسات). ويؤكد هذا العنوان على أن للحلية وظيفة التميمة أو (الخميسة) المرتبطة بالحماية. والمقصود حماية الحياة من التأثيرات المضرة التي تؤثر على الخصوبة وتسبب الجدب والعقم أو المرض[1]. وقد أغرت هذه المقاربة أغلب الكتاب الذين تطرقوا للبعد الرمزي للحلي بالجنوب بعد ذلك، فركزوا على دورها في الحماية من العين والقوى الخفية المؤذية[2].

قد نتفق مع هؤلاء الكتاب في ارتباط الحلي بوظيفة الحماية في المجتمع التقليدي المغربي في الجنوب. ولكننا نختلف معهم في طبيعة هذا الحماية. فهم يحصرونها في دفع القوى الغيبية والعين، أما نحن فنراها حماية مادية ملموسة. لقد كانت المرأة تشتغل وتجتهد ككل أفراد الأسرة، فتساهم في تكوين الثروة وتنميتها، ويحق لها أن تجني ثمار عملها، من خلال حصولها على حق (تيزلا) أو الكد والسعاية، كما تحصل على حظها في الإرث على شكل جهاز يضم عناصر مختلفة من ضمنها الحلي، كما كان يحق للمرأة أن تبادر، في إطار استقلال ذمتها المالية، إلى الاستفادة من مداخيل خاصة بشكل فردي دون تدخل زوجها أو أي رجل آخر. وكانت المرأة تحرص على تحويل جزء من ثروتها إلى الحلي التي تشكل ادخارا آمنن يوفر حماية عملية وواقعية للمرأة.

---

[1] - Bert Flint, Bijoux et Amulette. Formes et Symboles dans les Arts du Maroc, tome: I, Editeur E.M.I. Rabat, 1973

[2] انظر كل من:

- Raouch D. , Bijoux Berbères du Maroc dans la tradition judéo-arabe , ACR Edition Courboie (Paris), 1989,
- Barthélémy Anne, Tazra tapis et bijoux de Ouarzazate, Edisud/Sochepress, Aix-en-Provence, 1990
- Ramiriz F. et Rolot Ch., Bijoux du Maroc. La Beauté des Diables Edit. ACR, 2002,

الفصل الثالث: الوظيفة السياسية (السلطة والحلي)

مقدمة

أورد المؤرخ ابن زيدان "مكتوبا ملكيا" موجها للأمير مولاي الحسن بتاريخ 2 ربيع الثاني 1281 (شتنبر 1864م) جاء فيه : " ... ولدنا الابر سيدي حسن ... وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا من الزمام الذي وجهته في طيه ما أهداه ولد سيدي بوبكر الناصري، ولم تجر العادة بإهدائهم حليا ولا غيره من أنواع الفضة، وإنما يهدون التمر والكحل مثلا، وعليه فرد له الخلخال ولابد، وأدخل ما أهداه من التمر لدارنا العالية بالله، كما عرفنا ما دفعه ولد التزكيني وأهل رودانة، وما وجهه الكلاوي والحسن المزميزي، والفرس زده على خيل الهدية والسلام "[1]

كان هذا "المكتوب الملكي" جوابا لرسالة سبق للأمير مولاي الحسن أن بعثها إلى والده السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن. وبعث السلطان جوابه بتاريخ ربيع الثاني 1281(شتنبر 1864م)، وذكر فيه أنه اطلع على "الزمام" المرفق بالرسالة والذي ضم جردا لما "دفعه" أو "وجهه" بعض رجالات المخزن و"أهل رودانة". وأعطى تعليماته للأمير بضم الفرس التي توصل بها إلى "خيل الهدية".

توقف السلطان كثيرا عند حالة سيدي بوبكر الناصري الذي "اجتهد"، وقدم لدار المخزن بعض الأغراض التي لم يتعود أجداده تقديمها كهدية، ويتعلق الأمر بخلخال، يبدو من السياق أنه كان مصنوعا من الفضة. وذكّر السلطان بأنه جرت العادة بأن تهدي أسرة الناصري **"التمر والكحل مثلا"**، والتي هي من منتوجات المنطقة التي توجد فيها زاوية (تامكْروت) التي ينحدر منها سيدي بوبكر. لذا، أمر السلطان بقبول التمر الذي جاء مع الحلية، وأصدر تعليماته الصارمة برد الخلخال، مع التأكيد على ضرورة التنفيذ بعبارة **"ولا بد"** مما يبين أن المسألة جادة، والسلطان لا يقبل أي تهاون.

تبرز هذه الحالة أن المخزن كان يجعل من "الهدية" آلية لتحديد العلاقة مع كل الأطراف، وتحديد مجال تحرك كل الفاعلين والمتدخلين في تدبير الشأن السياسي والاجتماعي. لقد قبل السلطان "التمر"، لكنه أمر برد "الخلخال"، لأن الحلي في المجتمع المغربي كانت لها وظائفها المحددة، وتخضع تنقلاتها لضوابط متوارثة، وهذا ما سنحاول التعرف عليه من خلال تتبع الوظائف السياسية للحلي داخل بنيات القبيلة، من جهة، وداخل هياكل المخزن بالجنوب، من جهة ثانية.

[1] **ابن زيدان، العز والصولة ، الجزء الثاني المطبعة الملكية، الرباط 1962، ص. 147**

أولا : الحلي والسكان

تقديم

حاول روبير مونطاني أن يفهم التركيب الاجتماعي والسياسي لسكان الجنوب من خلال التمييز بين مستويات التجمعات البشرية المختلفة بدءا بمجموعة العائلات التي تربط بينها علاقات قرابة[1]، فالقرية، ثم "الفرقة"، وصولا إلى القبيلة والاتحادية وأخيرا "اللف". وحاول أن يحدد خصائص هذه التجمعات على مستوى المجال الجغرافي والقرابة الدموية، وعلى مستوى تدبير الأنشطة الاقتصادية والمرافق المشتركة كالمسجد، والمخزن الجماعي، والسوق، والهيئات المحلية كمجلس (الجماعت)، ومجلس (ءينفلاس)[2]. وخلص الكاتب إلى أن وحدة الأرض هي التي تخلق روابط اجتماعية دائمة بين عائلات نفس المجموعة، وليس الشعور بالأصل المشترك كما يظنه السكان المحليون أنفسهم أحيانا.[3]

حاول روبير مونطاني بناء إطار نظري عام تنتظم داخله التجمعات السكانية المختلفة بالجنوب، ثم حاول الباحثون الذين اهتموا بعده بقبائل هذه المنطقة أن يقاربوا خصائص القبيلة انطلاقا من مجالات اثنية وجغرافية محددة في كل من الأطلس الصغير[4] والأطلس الكبير الغربي[5] وجبل سيروا [6]... وساهمت مختلف الدراسات في مقاربة أهم الركائز المحددة لكيان القبيلة، مثل الوعاء المادي الذي يمثله الإطار الجغرافي بخصائصه الطبيعية، والمحتوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بخصائصه التاريخية والبشرية، بالإضافة إلى الممارسات الثقافية التي صاغت الهوية المميزة للمجموعات المختلفة.

كان السكان واعين بأن القبيلة هي وحدة ثقافية واجتماعية بالأساس، ومثل هذا ما عبر عنه محرر عقد جهاز من قبيلة (تيـڭـوڭـا) بالأطلس الكبير الغربي بتاريخ ذي حجة عام 1095هـ/(1684م)، حين

---

[1] تسمى: (أفوس)، وتعني لغة اليد؛ وتعرف أيضا باسم : (ايخص) –وتعني لغة العظم- انظر مونطاني

[2] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.159.

[3] .ibid, p.153

[4] المحمدي على، السلطة والمجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران، دار توبقال، الدارالبيضاء،1989، الطبعة الأولي

- Alahyane M., Etudes anthropologiques en Anti Atlas occidental : Lakhsass, Rabat, Editeur IRCAM 2004.

[5] انظر:

- محمد زرهوني، العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في أعوام الستين من القرن التاسع عشر، جامعة الحسن الثاني-عين الشق-، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الاطروحات الرسائل: 5. مطبعة فضالة المحمدية، 1988.

- محمد اقديم، التحولات السوسيوتاريخية ,، مرجع سبق ذكره.

- Berques J., Structures sociales. op. cit.

- Hira L., Parenté et mariage chez les Chleuh (Berbères marocains du Haut-Atlas occidental) « Cas d'Idaw-Mahmud », thèse pour le Doctorat de 3eme Cycle, Option Anthropologie, Université de Toulouse le Miral, 1983.

- Mahdi M., Irguiten : Monographie d'une tribu du Haut-Atlas, Edit. Institut Royal de la Culture Amazighe, Imprimerie El Maârif A Jadida, Rabat, 2007.

[6] إبراهيم ياسين ، مرجع سبق ذكره ، ص. 62.

استعرض ما حصلت عليه العروس في صداقها، وأكد أن ذلك ينسجم مع "عادة القبيلة" في مجال الزواج[وثيقة قب 6][1].

كانت القبيلة من أهم مستويات التنظيم الاجتماعي التقليدي للسكان. فعند هذا المستوى تبرز الخصوصيات الثقافية والاجتماعية المميزة للمجموعات البشرية المتجاورة. وتتضح هذه الخصوصيات في اللباس وطرق إعداد الطعام وتشابه السكن وفنون الغناء والرقص الجماعيين "احواش"[2]، كما تتجلي في باقي الممارسات والعادات والاحتفالات. وكانت الحلي مرآة للقيم الجمالية والفنية للسكان، وحاملا لرصيدهم التقني والحرفي، ووسيلة للادخار الآمن في بيئة مهددة بالتقلبات المناخية المتعاقبة، لذا وضع المجتمع التقليدي آليات مضبوطة لتدبير هذه الحلي، وللمحافظة عليها في كل الأزمات.

1) التنظيمات المحلية

في بداية القرن العشرين، وبالضبط سنة 1904 ميلادية، شارك عبد العزيز الزناكي المنحدر من الجزائر، ضمن بعثة دي سيكونزاك إلى المغرب، واختار مسارا قاده من الصويرة نحو تارودانت، ومر ببعض المناطق مما كان يُطلق عليه أحيانا "بلاد السيبة" التي قضى فيها عدة شهور، وما أثار انتباهه هو: **" هذا الأمن، هذا الائتلاف الصادق بين كل أعضاء المجتمع، وهذا الانضباط المدهش الذي نلاحظه فيها، والذي نفتقده في كثير من الأحيان في البلاد الخاضعة للحكومة"**[3].

لقد كان الانضباط داخل المجتمع القبلي معتمدا على تنظيم محكم قائم على قوانين محلية وعلى عدد من الهيئات التي كانت تسهر على تدبير المشاغل اليومية للسكان، وعلى تدبير العلاقات "الخارجية" مع المحيط، والتعاون مع الحلفاء، والتعامل مع تحديات الخصوم.

أ- الهيئات المحلية

تختلف هيئات تسيير شؤون السكان تبعا لطبيعة اختصاصاتها، من جهة، وتبعا للأعضاء الذين يحضرون اجتماعاتها، ومدة انتدابهم من جهة ثانية. ورغم التنوع الكبير في التنظيم القبلي التقليدي من منطقة إلى أخرى، يمكن أن نميز بين فئتين أساسيتين من الهيئات، وهما: (ⵍⵊⵎⴰⵄⵜ)، و(ⵄⵉⵏⴼⵍⴰⵙ)، بالإضافة إلى هيئة ثالثة كانت لها وظيفة استشارية بالأساس، ويسمى أعضاؤها (ⵄⵉⵎⵣⵔⴰⵏ) في بعض المناطق.

---

[1] **"بصداقها معلوم غير مجهول نهايته اربع و خمسين أو اقية سكة موزون قبل تاريخه في الكال و اتنا عشر أواقية من الحلي و اللباس نقد ذالك في حظ الزوج في الأرض و الأشجار بوجه الرهن و يليه ان شاء الله ما هو قضعها بحيرتها تمانية اقصاب في حظه و مثل ذالك في مرجته و عود الجوز و مثل ما هو عادة القبيلة وثلاثة بيوت في داره انتهى" [وثيقة 6 قب]**

[2] **إبراهيم ياسين، مرجع سبق ذكره ، ص. 34.**

[3] **نشرت يوميات عبد العزيز الزناكي ضمن كتاب:**

Segonzac Mis de R., Au cœur de l'Atlas, op. cit. p.238.

+ (ٱلْجماعْت)

يدل مصطلح (ٱلْجماعت) على مجلس مفتوح لكل رجال القرية أو القبيلة الملتئمين للتداو ل بشكل جماعي حول أمور السكان، ويضم كل البالغين الذين يحضرون اجتماعاته بانتظام، ويحق لهم ابداء الرأي والمساهمة في اتخاد القرارات.[1] وكانت (لجماعت) بمثابة الهيئة التشريعية[2]، التي تضع القوانين المنظمة لمختلف المرافق القرية، وتحدد الذعائر وتعمل على استخلاصها من المخالفين.[3] كما تشرف على تدبير المشاغل العملية اليومية لسكان القرية مثل السهر على حماية المزروعات، وتحديد فترات استغلال غابة الأركان، سواء للرعي أو لالتقاط الثمار. كما تحدد فترة بداية الحرث، وجمع محصول الأشجار المثمرة، وتتدخل من أجل ضبط استعمال السواقي وصيانتها، كما تتدخل غالبا لتعيين المسؤول عن تسيير عملية الري، وتُنَظِّم عملية توفير الضيافة للغرباء الذين يفدون على المنطقة، وتضبط إجراءات التعاقد مع (الطالْبْ) الذي يقوم بتدريس الأطفال وإمامة الصلوات في المسجد[4]. وكانت (لجماعت) تنسق تنظيم الأعياد الدينية والاحتفالات المحلية على مستوى القرية. ولكنها لا تتدخل عادة في الأمور السياسية[5] التي تبقى من اختصاص هيئة (ءينفلاس)

+ (ءينفلاس)

يعرف أعضاء هذا المجلس في الأطلس الكبير بـ(ءايت ربعين)[6]، وفي سهل سوس والأطلس الصغير باسم (ءينفلاس)[7]. ويتكون من ممثلي العائلات الذين يتم اختيارهم لهذه المسؤولية بالتناوب؛ وكانت كل قرية ممثلة في هذا المجلس بثلاثة أو أربعة أفراد ، أو أقل أو كثر، وذلك تبعا لعدد العائلات[8]. وكان كل عضو يشارك في جلسات المجلس لمدة سنة واحدة فقط، ثم ينتقل الدور بشكل "ديموقراطي" في كل أسرة إلى شخص آخر ليأخذ مكانه تبعا لنظام خاص يضمن لكل الرجال تمثيل عائلاتهم في هذا المجلس والمساهمة في تسيير شؤون القبيلة.

يختار مجلس (ءينفلاس) أحد أعضائه للقيام بمهام (المقدم)/ (ءامزوار)، الذي يضطلع بهذه المسؤولية لمدة سنة واحدة. وكان المقدم يلعب دورا أساسيا في تنسيق الأنشطة الفلاحية والاقتصادية والسياسية للسكان وكذا مشاغلهم التدبيرية اليومية[9]، كما كان يتقدم المحاربين في المعارك، وهو المتحدث

---

[1] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.219.

[2] J. Berque , Structures. op. cit. p. 324.

[3] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.219.

[4] *ibid*

[5] Montagne R., "Aghbar". op.cit. p.11

[6] يقول وربير مونطاني أن أصل هذا الاسم غير معروف، وأضاف بأنه ربما في الماضي، كانت القبائل موزعة إلى أربعة أجزاء و كل ربع منها يمثل بعشرة اعضاء. [Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.192] وهناك تفسير آخر سمعناه من شيوخ قبيلة (تاجلت) بالسفح الشمال للأطلس الكبير الغربي، ومفاده أن أعضاء هذا المجلس يشترط في قبول عضويتهم ان يتجاوز عمرهم أربعين سنة،

[7] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.219-220.

[8] Montagne R., "Aghbar" op.cit. p.12

[9] J. Berque , Structures. op. cit. p. 376.

باسم قبيلته في المحادثات مع التجمعات المجاورة. ولم يكن بإمكانه أن يتخذ أي قرار بمفرده إلا بعد أن يستشير أعضاء مجلس (ءينفلاس) وخاصة في القضايا الهامة[1].

+ (ءيمـژران)

إلى جانب مجلس (لجماعت) المفتوح للجميع، ومجلس (ءينفلاس) الذي كان محصورا على ممثلي المجموعات العائلية الذين يشغلونه لمدة سنة واحدة، كان هناك في كل مجموعة سكانية عدد من الشخصيات التي كان لها وضع اعتباري وتحافظ على دور متميز في تدبير شؤون القرية. تضطلع هذه المجموعة بمهام استشارية، ويلعب أفراد ها دور(الحكماء) الذين يفيدون المجالس الأخرى بآرائهم ومقترحاتهم. ويُعرف هؤلاء "الحكماء" باسم: (ءيجمّاعن)[2] و(ءيمصلاين)[3] و(ءيمباركين)[4]. ويطلق عليهم في السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي اسم: (ءايمـژران)[5]، وقد اشتق هذا اللفظ من فعل :(ءيـژرا)، ومعناه: نظر. ويمكن ترجمة هذا الاسم حرفيا بـ: "النظار"، والمقصود أن هؤلاء الاشخاص يتمتعون ببعد النظر الناتج عن خبرة وتجربة في الحياة، ويرون عواقب الأمور، مما يسمح لهم بإسداء المشورة السديدة للجماعة.

كان مجلس (لجماعت) العام، ومجلس (ءينفلاس) الخاص، وهيئة (ءيمـژران) الاستشارية، يتدخلون في تدبير مختلف تفاصيل الحياة اليومية للسكان، وكانت تعرض عليهم المعاملات الخاصة بالحلي، حين يحضرون عند توزيع التركة بين الورثة[6]، أو عند تحديد قيمة الجهاز أثناء الزواج[7]. وفي حالة وقوع الطلاق، فإن الزوجة لا تتسلم ما يقدمه لها زوجها المفارق عنها من صداق وجهاز وكد وسعاية، [بما في ذلك من حلي]، إلا بحضور هذه الهيئات التي تضمن تبرئة ذمة الزوج المفارق، وحصول المرأة على حقوقها كاملة[8]

كانت الإشارة إلى حضور (الجماعة) في تقويم مكونات الجهاز من الأمور الثابتة في الوثائق، فنجدها، تبعا لأقدم ما اطلعنا عليه، في عقد من قبيلة (ءاكنسان) بالأطلس الكبير الغربي بتاريخ ذي قعدة 1050هـ/(1641م) وورد في هذه الوثيقة ما يوضح أن تحديد القيمة النقدية للجهاز كان **"بالمقامة المرضية من الجماعة وشهود اهل بلدتِهم"**[وثيقة 6]، ويعني هذا أن (الجماعة) والشهود من أهل البلد أشرفوا على هذه العملية الدقيقة، وكان تقييمهم لمكونات الجهاز، ومن ضمنها حلي من الفضة، مرضيا

---

[1] **Montagne R., "Aghbar". op.cit. p.13**

[2] **Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.351**

[3] **(ايمصلاين) مفردها (ءامصلي)، وتعني الرجل المبارك الميمون، وكان الناس يقدمونهم في أشغال مختلفة كالحرث تفاؤلا بهم، [معلومات ميدانية من قبيلة(أكنسان) بالأطلس الكبير الغربي.]**

[4] **Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.223**

[5] **معاينة ميدانية بقبيلة (تاجلت) بالأطلس الكبير الغربي، وقد أشار روبير مونطاني بدوره إلى أن هذا اللفظ مشتق من فعل (ژر)، ولكنه ذكر بأن (ييمـژران) قد يدل أيضا على ممثلي العائلات، انظر المرجع السابق .**

[6] **J. Berque , Structures. op. cit. p. 356.**

[7] **Laoust E., Noces, op. cit. p.156.**

[8] **J. Berque , Structures. op. cit. p. 264**

ومقبولا من جميع الأطراف دون غبن ولا محاباة. وتحفل عقود الجهاز بعبارات أخرى من قبيل وصف أعضاء (الجماعة) بأنهم من أهل **"المعرفة والبصر"**[1]، حيث توحي هذه العبارة بأن (الجماعة) تضم الكفاءات والخبرات اللازمة لصياغة مبادرات عملية مناسبة. ولا يغيب الإطار الروحي والديني[2] عن الصورة التي ترسمها الوثائق المحلية للهيئات المعنية بتدبير شؤون السكان؛ فأفراد هذه الهيئات يشكلون **"الجماعة الراغبة في الأجر"**[3]، الذين لا تغريهم المطامع الدنيوية، ولا يطمحون إلا في الأجر والثواب في الآخرة.

ويمكن أن نقول بشكل عام، أن الوثائق العائلية التي كتبها محررو العقود تقدم لنا الصورة التي ينبغي أن تكون عليها (الجماعت) لتنجح في أداء مهامها والدفاع عن مصالح السكان. فالهيئات المشكلة للجماعة يجب أن ترتبط بمجالها الإثني والجغرافي، وأن تعي انشغالات السكان الذين تمثلهم، وتتحدث باسمهم، وأن تستعين بكل الخبرات والآراء، وأن تستحضر الجانب الديني في تدخلاتها كي لا تنساق وراء المطامع الدنيوية.

كانت هيئات (لجماعت) تشرف على كل المعاملات التي يتم فيها تداول الحلي بين السكان سواء أثناء تقويم مكونات جهاز العروس، أو عند تقسيم الإرث، أو انهاء إجراءات الطلاق، أو جرد الثروات والمصاريف في المناسبات المختلفة. فخلال هذه العمليات وغيرها، قد تنشأ خلافات بين سكان نفس القرية أو القبيلة مما يجعل من حضور (لجماعت) وسيلة ضرورية لتجاوز العقبات، وضمانة سلاسة المعاملات.

لم يكن السكان يعيشون في قرى معزولة؛ فالمصاهرات بين العائلات، من جهة، والمعاملات التجارية بين الأفراد ، من جهة أخرى، قد تؤدي أحيانا إلى بروز خلافات بين سكان قبائل متباعدة؛ وفي هذه الحالة يمكن لكل طرف أن يُعوَّل على دعم هيئات جماعته التي تتجند لمساندته. ولم يكن هذا الدعم اعتباطيا، ولكنه يخضع لضوابط منظمة. فكل المعاملات سبق أن تم توثيقها بعقود ملزمة، ويكون دور الجماعات هو توضيح وجهة نظر الأطراف المختلفة، والتذكير بالالتزامات والتأكيد على احترامها. وتحتوي الوثائق العائلية على نماذج من الرسائل التي كانت تتبادلها مجالس القبائل البعيدة فيما بينها، لطلب توضيحات بشأن بعض المعاملات التجارية[4]، أو لطلب التعاون لحل مشاكل عالقة بين أفراد من قبليتين مختلفتين، وخاصة في حالة طلاق أو وفاة أحد الزوجين. لقد كانت الحلي تشكل ملكية خاصة لأصحابها؛ غير أن ضبط تنقلاتها بين الأفراد ، رجالا ونساء، كان يتم في إطار جماعي من خلال الهيئات المختلفة المعنية بتدبير شؤون السكان، والتي كانت تشجيع مبادرات الأفراد للقيام بعمليات تجارية داخل

---

[1] **يرد في العديد من الوثائق، كما في عقد جهاز من أكلو بتاريخ شعبان 1177 [وثيقة 351]**

[2] **العديد من العقود تصف السكان المجتمعين للتداول ب(جماعة المسلمين) كما ورد في وثيقة جهاز من (ءايت حامد) بتاريخ صفر 1117، [وثيقة 1]**

[3] **وردت هذه العبارة في عدة وثائق من بينها، عقد جهاز من اكونسان بتاريخ 1169 [وثيقة 7]**

[4] **انظر رسالة حول الحلية الجبينية (تاسففت) في فصل الوظيفة الاقتصادية للحلي.**

القبيلة وخارجها، وتوسيع مجالات انتشار الحلي عبر المصاهرات أو عبر المعاملات التجارية من رهن وبيع وشراء[1].

ب – القوانين المكتوبة

كانت الهيئات المعنية بتدبير شؤون السكان تعتمد في اتخاد قراراتها على قوانين وضعية محلية تسمى (اللوح)، وهي عبارة عن قواعد وضوابط صارمة، تشتمل على إجراءات وعقوبات مالية يعاقب بها كل من صدرت منه مخالفة مّا من المخالفات التي تمس شرف الإنسان أو ماله أو بدنه، أو عرَّض الأمن الداخلي أو الخارجي للخطر[2]. وكانت هذه القوانين تُعنى بضبط المرافق السياسية والشرعية والاقتصادية والاجتماعية للقرية أو القبيلة، وتولي أهمية خاصة لضبط الأمن داخليا وخارجيا، في وقت السلم وفي وقت الحرب. وتهتم بتنظيم المرفق التجاري، من أسواق أسبوعية ومواسم تجارية سنوية، والمرفق التربوي، في المدارس العلمية أو القرآنية أو الزوايا أو الجوامع أو المساجد، ومرفق الإيداع والإذخار في المخازن الجماعية المحصنة (ايـكّيدار) بالجبال أو في المطامير في للمناطق السهلية، والمرفق الفلاحي، الخاص بضبط استغلال بساتين القرية أو القبيلة والأراضي الزراعية والأشجار المثمرة، وغيرها من الغلات، ومرفق الرعي (تَايْسّا)، الذي ينظم عملية رعي مواشي سكان القرية، ومرافق متنوعة[3].

كانت هذه الألواح تمثل الإطار القانوني العام الذي يرجع اليه السكان لحسم النزاعات التي قد تنشأ بسب السرقة أو الغش أو الإخلال بالالتزامات. وتضم بنودا عامة تتعلق بعقوبات الجنايات والجنح والمخالفات، والتي تطبق على كل الأغراض والممتلكات بما فيها الحلي[4].

2) الحلي في الممارسات العرفية

يعتمد أعضاء مجلس (ءينفلاس) على بنود القانون المكتوب في (اللوح) لفصل المنازعات، وتحديد العقوبات في حق المخالفين. ويُفرض على أصحاب القضايا المعروضة للحكم أن يبرهنوا عن استعدادهم للإذعان لقرار (ءينفلاس) من خلال وضع إحدى الأغراض الثمينة أمام المجلس في إطار ممارسة تسمى (ءيسفكا). كما يُطلب منهم تقديم وثائق مكتوبة لشرح وجهات نظرهم، وتدعيم إفاداتهم الشفوية.

---

1 انظر فصل الوظيفة الاقتصادية للحلي في هذا الباب.

2 - العثماني أمحمد، ألواح جزولة والتشريع الإسلامي دراسة لأعراف قبائل سوس في ضوء التشريع الإسلامي، منشورات، دار الأمان الرباط، مطبعة الأمنية، الطبعة الثالثة، 2017، ص107

3 نفسه

4 انظر نموذجا للإشارة للحلي في لوح اكادير في مبحث المحافظة على الحلي،

أ- (ءيسفكا)

(ءيسفكا) لفظ في صيغة الجمع، ويبدو أنه مشتق من فعل (ءِيفْكَا) الإمازيغي الذي يعني: أعطى؛ ويطلق اصطلاحا على الأغراض الثمينة التي توضع من طرف المتنازعين أمام مجلس (ءينفلاس) قبل التداول في موضوع النزاع وإصدار الحكم. وورد لفظ (ءيسفكا) الأمازيغي في بعض الألواح المكتوبة باللغة العربية والتي تضم بنود القوانين القبلية[1]. كما ورد لفظان عربيان آخران في الوثائق المحلية، يؤديان نفس الدلالة وهما: "الوثائق" و"الرهائن".

عندما زار_الرحالة الفرنسي دي سيكونزاك، قبيلة (ايت حميد) منطقة (ايزناكن) شرق الأطلس الصغير الأوسط في بداية القرن العشرين، ذكر بأن لسكانها عادة مميزة تفرض عليهم وضع ضمانة أمام هيئة الحكم قبل طلب إقامة العدل[2]، في إشارة واضحة إلى ممارسة (ءيسفكا). والواقع أن هذه التقليد كان منتشرا في أغلب مناطق الجنوب ولم يكن خاصا بقبيلة من القبائل.

ترتبط ممارسة (ءيسفكا) بعدة مجالات، فعند رفع قضية ما إلى مجلس (ءينفلاس)، يضع كل من المدعي والمدعي عليه (ءيسفكا) أمام الحضور، كدليل على الاعتراف بسلطة (ءنفلاس) وعلى الاستعداد للإذعان لقراراتهم، ويكون الغرض الموضوع هو ضمانة التنفيذ، لذا حددت القوانين المحلية هذه الممارسة ونظمت ضوابطها.[3] وإذا انتقلنا من مستوى الأفراد ومجال التحاكم، إلى مستوى الجماعات ومجال التحالف، تحضر(ءيسفكا) في حال الصراعات بين القبائل والقرى المتنافسة أو المتصارعة، حيث تكون هذه الممارسة وسيلة لتأكيد احترام الالتزامات والاتفاقيات، أو حسب عبارة واردة في كتابات المختار السوسي: **"رهائن لتصحيح الأقوال والبرهنة عن حسن النوايا"**[4]، كما تحضر (ءيسفكا) عند استعداد القبيلة للانخراط في مشروع سياسي جديد[5]، لتأكيد التزامها بتعهداتها[6].

يشترط في (ءيسفكا) أن تكون قيمتها المادية مرتفعة[7]، أما طبيعتها فتختلف من حالة لأخرى، ولكنها تتشكل غالبا من بندقية ثمينة[8]، أو من حلي نفيسة من الفضة[9]. واطلعنا في هذا الإطار على إفادة

---

[1] انظر لوح المخزن المحصن ايت مخصّب بقبيلة ايداو لتيت . انظر : العثماني، مرجع سبق ذكره ، ص, 284

[2] De Segonzac. op.cit. p. 560

[3] ورد في لوح إحدى القبائل :"... من أخذ الوثيقة الموضوعة أمام أعيان القبيلة دون إدنهم، سيؤدي 5 مثاقيل، ويستضيف الأعيان و يذبح على شرفهم تيسا جيدا".، وتعني (الوثيقة) في هذا الإطار، غرضا ثمينا موضوعا أمام (ءينفلاس) أنظر:

Montagne R., et Ben Daoud, M., 1927. « Documents pour servir à l'étude du droit coutumier du Sud Marocain » Hespéris (7), pp. 401-445, p.409

[4] السوسي، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، الجزء 3 ص. 127.

[5] خاطب القايد الناجم الباعمارنيين في موسم (ايسك) قائلا: " فأريد منكم ان تعطوني الرهائن على ما تقولونه [أي التزامهم ببيعة الهيبة] ويسمون هذه الرهائن بالوثائق، فصارت البندقيات الأ روبية الغالية الثمينة تلقى أمامنا من كل فخذ من افخاذ القبائل البعمرانية". انظر: السوسي، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، الجزء 20 ص. 131.

[6] تعتبر ممارسة (ءيسفكا) تقليدا متجذرا في تقاليد ممارسة السلطة بالمغرب، ولكن بينما تكتفى القبائل والقرى بضمانة الحلي والأغراض الثمينة، فإن السلطة المركزية والقياد الكبار يحرصون على ضمان ولاء بعض القبائل عن طريق الاحتفاظ بأبناء الرؤساء كضمانة على وفائهم. انظر :

De Chenier, op.cit. p.101]

[7] - Aspinion, « Un louh du Sou, règlement coutumier du Souq el-.Jemaa des Ida ou Gnidif », Hespéris, t. XLI, 1954, p.395- 410, p.400.

[8] السوسي، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، الجزء 20 ص. 131

[9] المصدر السابق ، الجزء 3 ص. 127

مكتوبة من قبيلة (ءيداوكايس) بالأطلس الكبير الغربي محررة بتاريخ أوائل رمضان عام 1150هـ/(دجنبر 1737). من الصعب استيعاب المعنى الدقيق لهذه الوثيقة بسبب الخلل في عباراتها، وغموض بعض مصطلحاتها، ورغم ذلك فإننا نفهم من السياق العام أن محمد بن أحمد **"وثق"** لصالح أخيه سعيد بن احمد **"زوجة خلالة بخمسة مثاقيلا داهيما نقرة صافية إلى يوم الفك"** [وثيقة 5][1]. من الصعب فهم ظروف المحيطة بهذه الواقعة، ولكن نفهم منها فلسفة (ءيسفكا) التي تعتمد على تقديم حلية ثمينة كضمان لاحترام التزامات معينة. وكان الضمان في هذه الحالة عبارة عن زوج مشابك من الفضة.

ب – نماذج للاستدلال بوثائق مكتوبة

+ جرد المسروقات

عند وقوع السرقة، يبادر المتضرر إلى إنجاز إحصاء دقيق للمسروقات ليستدل به أثناء المطالبة بحقوقه؛ ومن بين الأمثلة التي وقفنا عليها "زمام" غير مؤرخ من (ايدوكايس) بالأطلس الكبير الغربي، وجاء فيه:

" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد زمام وبيان ما سرق السارقين

في دار أحمد بن مُحمَّد بني أحمد بن على الأول ذلك زوجتين من الجراو يت[2] و(افوُّ) من الصوف واقشب والحزمة باربعون أواقية والحزام[3] من الحرير بعشرون أواقية والاخر بثلتين أواقية وتكزت واللبان هي تسعة رجلين والمرجان باتنا عشر رجلين ورجلين من المقرفْل والبان الأخرى بسبعة مثاقيل والعبروق بتلثين أو اقية والأخرى بعشرين أواقية وتنوسْ[4] بتسعة عشر أواقية والنبالة باربعون أواقية وزوجة الخلالة بثمانية مثاقيلا الأخرى بثمانية مثاقيلا وزوجة الخلالة من الدوْ باثناعشر مثاقيلا والأخرى بخمسة عشر مثقلا واللبان الصائر اليه من بنآء ريسْ[؟] بسبعة مثاقلا" [وثيقة 23]

[بدون تاريخ وبدون اسم المحرر]

تبين هذه الوثيقة أن عملية السرقة وقعت في منزل المتضرر، الذي استعان بالكتابة من أجل القيام بجرد دقيق لطبيعة المسروقات من أزياء وحلي، مع ذكر اسمائها المحلية، وقيمتها المادية، ونرجح أن المتضرر سيستدل بهذه الوثيقة عند اكتشاف المتهمين بالسرقة وتحديد قيمة التعويض.

---

[1] الحمد لله وحده و صلى الله على [محمد و ءاله] وثق محمد بن احمد لاخيه سعيد بن احمد زوجة الخلالة بخمسة مثاقيلا دراهيما أو نقرة صافية إلى يوم الفك و يكون اصل الخلالة و النقرة في زوـ احدى اللواتي دفع له بالقطع و كمل تسعة مثاقيلا و نصف افتدى[؟] [–] ما لزم ازكّـغن [؟] في تملت و حضروا لذلك الحسن بن سعيد بن وسعدن و الفقير محمد بن على[؟] بن الحسن من عنق الاعلا و الكاتب [–] مع ابراهيم بن احمد بأوائل رمضان عام 1150

عبد ربه الحسن بن محمد بن الحسن [بشكله]

وبه استدراك بخمسة مثاقيلا و عشرة موزونة و به ثم [= تم] الحسن أيضا [وثيقة 5 ايداوكايس]

[2] الكلمة مقروءة لكنها غير مفهومة

[3] قد تقراء كذلك : الحرَام

[4] ربما يقصد تيوينناس؟

تحصي الوثيقة عدة قلائد من اللوبان الأصفر والمرجان وعيدان القرنفل، وتضم أيضا أقراط الأذن (تيويناس) وإسورة من نوع (تانبالت) وأربع أزواج من المشابك، من بينها زوجان من نوع (تاوكّا) الفاخرة والمرتفعة الثمن.

ونلاحظ في الختام، ان الوثيقة لا تحمل اسم المحرر ولا تاريخ التحرير، ولا أسماء الشهود، مما يحرمها من أهم شروط العقود المتعارف عليها بين السكان، ولكن هذا لا ينفي عنها أهميتها باعتبارها تمثل جردا للمسروقات، وسيكون لها دور في الإجراءات التي سيقبل عليها المتضرر لاحقا لاستعادة حقوقه.

+ "الاسترعاء" و"الاستحفاظ"

توثَّق كل العمليات المرتبطة بتداول الحلي بين المتعاملين، من بيع وشراء ورهن وأمانة وغيرها من المعاملات. فإذا أخل أحد الأطراف بالتزاماته فإن الطرف المتضرر يقوم بتحرير وثيقة ليحدد بها موقفه ويؤكد تمسكه بحقوقه. ويسمى هذا النوع من الوثائق في الإرث المحلي: "الاسترعاء والاستحفاظ"، وقد عثرنا على نموذج خاص بمجال الحلي محرر بتاريخ صفر 1128هـ/(يناير1716م) من قبيلة (تاجـكّـالت) بالأطلس الكبير الغربي:

"الحمد لله اشهدنا [الفقير؟] عبد الله بن الحسن نيت حامد أنه استرعى واستحفظ على المكرم إبراهيم بن عبد الله نيت يدير في سبع أواق وربع الاقية محل سبعة أواق التي بقيت في جوجة الاسوار بعدما مضى تسعة أو اق بقيت سبعة [...] واعمل له ذالك الاستحفاظ والاسترعاء ولو سكت [...]عليه حتى يجد الحق يصل يوصل اليه طال الزمان ام قصر شهد به في التاريخ أوائل صفر عام ثمانية وعشرون ومائة والف.

وكتبه احمد بن ابي بكر بتـيـصرت كان الله له

ومحمد بن دوود التشرتي وفقه الله بمنه

نفهم من هذه الوثيقة أن عبد الله بن الحسن سلم زوج الأساور لإبراهيم بن عبد الله، دون ان يوضح العقد طبيعة التسليم إن كان بيعا أو رهنا أو زيادة في رهن. ولم يلتزم الطرف الثاني بدفع المبلغ المالي المطلوب كاملا، لذا بادر المتضرر إلى تحرير هذا العقد ليؤكد أن سكوته لا يعني تنازله عن المبلغ المتبقي، وانه سيعمل على استخلاصه كاملا. ويبدو أن الغرض من تحرير هذه الوثيقة هو الاستدلال بها عند طرح الخلاف امام أعضاء مجلس (ءينفلاس).

3) حماية الحلي

<u>أ-المخازن الجماعية المحصنة (ايكيدار)</u>

+ تعريف المخازن الجماعية المحصنة

تعرف المخازن المحصنة في الأطلس الكبير

الغربي وفي الأطلس الصغير وجبل باني تحت اسم (أكّـادير)، وجمعه (ءيكّـيدار) و(ءيكّـودار)، ويدل نفس المصلح في مجال انتشار الأمازيغية السوسية [1]على القرية المحاطة بسور[2]، وعلى القصبة العسكرية التي بناها المخزن أو أحد قياده لاتخاذها مقرا للحكم في مختلف مناطق الجنوب[3]. وتلتقي هذه المعاني الثلاثة للفظ (أكّـادير) في دلالتها على فكرة التحصين؛ فالمخزن الجماعي، والقرية المحصنة والقصبة المخزنية كانت كلها مدعمة بأسوار وأبراج لتوفير الحماية للسكان أو للممتلكات أو لهما معا. ولهذا نجد محرري العقود و(ألواح) القوانين المحلية يستعملون لفظ "الحصن"[4] لترجمة دلالة المخزن الجماعي (اكادير) كما استعمله المؤلفون السوسيون قديما في كتاباتهم وفي مجموعاتهم الفقهية[5]. وتنبهت جاك مونيي لارتباط اسم هذه المؤسسة بفكرة التحصين والدفاع، فترجمت لفظ (اكادير) الأمازيغي بالتعبير الفرنسي (Greniers-Citadelles) أي: المخازن/الحصون، في عنوان كتابها الذي أصدرته حول هذه المؤسسات سنة 1951م[6].

يبنى (اكادير) عادة بالحجارة، وتتشكل تهيئته الداخلية من أزقة ضيقة تنتظم على جانبيها غرفُ التخزين الموزعة على ثلاثة أو أربعة طوابق، أما في واحات جبل باني وبعض الواحات الواقعة عند قدم السفوح الجنوبية للأطلس الصغير الغربي، فإن هذه المؤسسة تبنى عادة بتقنية (اللوح) أي (التراب المدكوك) والتي تسمى بالأمازيغية (ءامدّاي) أو (تابيا)[7]، وتتوسطه ساحة واسعة تقام فيها المرافق الجماعية الضرورية، كما تعقد فيه سوق للمبادلات التجارية.

يتكون المخزن المحصن من قسمين متكاملين: قسم خاص؛ ويضم غرف التخزين الخاصة بكل عائلة على حدة. وقسم عام؛ ويشمل التحصينات الدفاعية من أسوار وأبراج، والمرافق الجماعية المشتركة من قاعة الصلاة، وقاعة الحارس، وقاعة الاجتماعات، وخزان (مطفية) مليء بالماء باستمرار للسماح بتحمل حصار

---

[1] جرد ايميل لاووست عدم معاني متقاربة لكلمة (أكّـادير)، وهي: القلعة عند (ءيكسيمن) بسهل سوس (المخزن الجماعي) عند (ايت باعمران)/، القرية في (ئيداوتنان وءيحاحان)، المنزل المحصن أو "قصبة" القايد أو أحد الأعيان (في سهل سوس ودير الأطلس) : Laoust E, « Habitation ». op.cit. p.114

[2] يدخل لفظ (أكّـادير) في اسم أغلب القرى الواقعة بسهل تيزينت، مثل: (أكّـادير زربن)، و(أكّـادير زكّاغن)، و(أكّـادير بو واضان)... [معاينات ميدانية]

[3] Montagne R., les Berbères, op. cit. p.261.

[4] انظر نماذج من (الواح) مخازن (ايكيدار) في كتاب العثماني ، مرجع سابق.

[5] انظر كتابات المختار السوسي، و الحسن العبادي، فقه النوازل، مرجع سبق ذكره.

[6] Jacques-Meunier D., 1951,Greniers-Citadelles au Maroc, Paris, Arts et métiers graphiques, 2 vol, in-4° (publications de l'Institut des Hautes Etudes marocaines, t. LII) 1951. Jacques= Jacques-Meunier D. ,Greniers

[7] ينطق هذا اللفظ في الصيغة العربية الدارجة بصيغة (طّابيا)

طويل.[1] وتمتلك كل عائلة غرفة أو أكثر تستغلها لحفظ أغراضها؛ ويختلف عدد الغرف تبعا لعدد الأسر التي تستغل الـ(أكادير)؛ فهناك مخازن متواضعة تضم عددا محدودا من الغرف يستغلها تجمع عائلي صغير، وهناك، من جهة ثانية، مخازن ضخمة تستغلها قبائل مختلفة وتضم أكثر من 500 غرفة موزعة على ثمان طبقات[2].

كانت وظائف (أكادير) متعددة، فمنها الوظيفة الأمنية، إذ يوفر الملجأ للسكان في حالة الخطر، ومنها الوظيفة الاقتصادية، وتعقد بجواره، أو داخل ساحته، سوقٌ للمبادلات التجارية، ومنها الوظيفة الصناعية، حيث كان يضم ضمن ملحقاته ورشات مجهزة ينزل فيها الحرفيون الغرباء أثناء مقامهم بالقرية لتوفير خدماتهم للسكان في مجال الحدادة والخرازة وصياغة الحلي. غير أن أهم أدوار (أكادير) كانت مرتبطة بتخزين المنتجات الفلاحية وغيرها من السلع ومختلف الأغراض.

توزع العائلة غرفتها بشكل ملائم أفقيا وعموديا ليتسع لاحتواء الحبوب من قمح وشعير وذرة ودخن، وقطاني، وخضر يابسة من جزر ولفت وبصل، ولحم مقدد، وأنواع الفواكه الجافة من تمر وتين، وتين شوكي ولوز وجوز وخوخ وزبيب، وحناء وغيرها من مواد التجميل، بالإضافة إلى كل الأغراض الثمينة من أسلحة وملابس الاحتفالات والحلي. كما كانت الأسر، تودع في الأكادير أغلى ما تملك، وهو أرشيفها المكتوب الذي يضم عقود الملكية[3].

+ الحلي في المخزن الجماعي

كان المخزن المحصن المكان الأنسب لحفظ الحلي وضمان سلامتها من مختلف الآفات، من حريق أو تسرب للمياه أو اختلاس. فصرامة القوانين تفرض على أصحاب الغرف العناية المتواصلة بمخازنهم كي لا تتسرب منها مياه الأمطار إلى جيرانهم وتتسبب في اتلاف مدخراتهم، كما تمنع هذه القوانين تخزين مواد قابلة للاشتعال في (اكادير)، مما يجعل المدخرات في مأمن من الحريق. ثم إن الحراسة المتواصلة، نهارا بواسطة (البوّاب) الرسمي، ومساء بواسطة عدة رجال يتناوبون على الحراسة طوال الليل، كلها تمنع عمليات السرقة. وحتى إذا حدث وفقد أحدهم حليه من غرفته، رغم كل هذه الإجراءات، فإنه سيتلقى التعويض المناسب سواء تم كشف المسؤول عن السرقة ام لم يكشف عنه.[4]

كانت الحلي من أهم المدخرات التي تخزن في (أكادير)، لذا خصتها بعض (الألواح) بإشارات صريحة اثناء عرض المخالفات والعقوبات، ونذكر على سبيل المثال نموذجا من أكادير (امـكّور)[5] في الأطلس الصغير الغربي. حرر هذا اللوح بتاريخ 1212هـ/(1796-1797م)، وينص أحد بنوده على ما يلي:

---

[1] **Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.252**
[2] **Montagne R., « Ikounka ». op.cit. p.282**
[3] **J. Meunier, Magasin. op. cit. p. 211.**
[4] **يلزم السارق بغرم المسروق، وإذا تعذر ذلك فغن أهل الحصن ملزمون بغرم "تلك السرقة لربها" أنظر :العثماني، مرجع سبق ذكره، ص. 245**
[5] **محمد البوقدوري، تاريخ قبائل هلالة بسوس، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ,2000, ص, 228.**

"وعقدوا أن السرقة إذا وقعت في الحصن سواء في البيوت أو خارج البيوت، وادعى رب المال أن السرقة موجودة في بيت من بيوت الحصن، ولأراد التفتيش أو اعطى الرشوة عليها، وقال سرقتي في بيت فلان أو رماها هو أو غيره في بيت أحد وراد الفخاحة[1] فإن كانت السرقة مثل الخلاخل[2] أو اللبان أو الأساور أو الدراهم، احتمل أن تطرح في كوة، ولم يرها رب البيت، فإذا فتشوا البيوت ووجودها مدفونة في شعير أو تحت اغْلِ [كذا] أو دفنت في الأرض أو صندوق أو سقف أو دست في موضع فيغرم رب البيت خمسين دينارا، وإن كانت السرقة تحت العتبة السفلى فلا شيء عليه، فإذا التبست المسئلة على (العمال)[3] أو استشكل الامر زادوا أربعة أو خمسة من اهل الحصن حتى يتفقوا عليه[4]، كتبه محمد ابن إبراهيم التملي وكتبه لعمال بني سيْسّيض عام 1212".

يستعرض هذا البندُ الاشكالَ الذي يُطرح عند ادعاء أحد أصحاب الغرف بـ(أكادير) أن مخزنه تعرض للسرقة، ويتهم شخصا آخر بالاختلاس ويطالب بتفتيش غرفته بحثا عن أغراضه المسروقة. وإذا حدث وعُثِر على المسروق بعد التفتيش، فإن (ءينفلاس) مطالبون بتحديد الظروف الحقيقية التي أوصلت الأغراض المفقودة إلى غرفة شخص آخر. ويجب في هذا الإطار التمييز بين حالتين:

- في الحالة الأولى عندما تكون الأغراض مدفونة داخل كومة الشعير المُخَزَّن، أو موضوعة في صندوق، أو مخبّأة بإحكام في مكان ما، فإن صاحب الغرفة هو المتهم الأساسي، لأنه الوحيد الذي يدخل إلى غرفته ويمكنه أن يخبأ الأغراض كيف يشأ. لذا فإنه سيدفع غرامة قدرها خمسون دينارا.

- في الحالة الثانية، عندما تكون الأغراض ظاهرة للعيان وملقاة بشكل طبيعي فوق أرضية الغرفة، فقد يكون شخص آخر هو الذي القاها من الخارج عبر "كوة" التهوية بغرض الإيقاع بصاحب هذه الغرفة ليتهم ظلما بالاختلاس.

طرح هذا البند الإشكال الذي يواجه (ءينفلاس)عند محاولتهم تحديد الطريقة التي انتقلت بها المسروقات من غرفة إلى أخرى ضمن مخازن (أكادير). وركز البند على النقود والحلي، من مشابك وأساور وقلائد اللوبان الأصفر، وذلك لأن هذه الأغراض، الصغيرة الحجم، هي التي يمكن ان يخفيها السارق بسهولة في غرفته، أو أن يلقيها عبر "الكوة" في غرف أخرى لاتهام أصحابها بالسرقة.

ب- حصانة المرأة

نقل روبير مونطاني رواية عن الزياني، مفادها أن المغرب كان في فترة حكم مولاي إسماعيل ينعم بالأمان التام إلى درجة **"كانت المرأة تبادر إلى السفر من واد نون إلى وجدة، دون أن يتجرأ أحد على أن يسألها من أين أتت وإلى أين تتجه"**، ثم انتقل روبير مونطاني بعد ذلك إلى التشكيك في هذه

---

[1] **المقصود أراد الإيقاع بأشخاص آخرين، لاتهامهم ظلما بالسرقة**

[2] **لعل المقصود بالخلاخل الخلالات، أي: المشابك التي تشد حانك المرأة.**

[3] **المقصود مجلس (ءينفلاس) الخاص بالإشراف على تسيير مرفق (أكادير)**

[4] **إذا استعصت المسألة على (ءينفلاس) "العمال"، يمكنهم الاستعانة بخبرة أشخاص آخرين من أصحاب الغرف.**

المقولة بسبب ما عرفته منطقة سوس خلال فترة المولى اسماعيل من اضطرابات سياسية وعسكرية متواصلة[1]. لا نريد الدفاع عن رواية الزياني، ولا التقليل من شأن تحفظات روبير مونطاني، ولكننا نرى أن تنقل المرأة بحرية عبر مناطق سوس خلال فترة المولى إسماعيل، كما في فترات سابقة أولاحقة، لم يكن مشروطا دائما بتوفر الأمن في الطرقات بفعل قصبات السلطة المركزية، فالممارسات المحلية كانت تعطي للمرأة حصانة تجعلها في مأمن من التجاوزات.

عندما يفرض قائد أو زعيم سياسي سلطته "الاستبدادية" على السكان، ويعطل الممارسات "الديمقراطية" المحلية، فإنه لم يكن يتردد في ممارسة التعسف على رجال القبيلة وتسخيرهم للقيام بأعمال الحرث وجمع المحاصيل وكذلك الدراس وخزن الحبوب[2] بدون أجرة أو تعويض. ولكن نفس الرئيس لا يتجرأ عادة على تسخير النساء مخافة إثارة غضب السكان والتسبب في ثورهم.[3] وكانت النساء يحظين بمعاملة خاصة حتى في الحروب والنزاعات المسلحة؛ فالمعارك بين القبائل في سوس لم تكن عنيفة، ولم تكن تتسبب عادة في مقتل المحاربين الذين كانوا يقصدون مكانا محددا من أجل حسم الخلاف، ويكتفون بتبادل إطلاق الرصاص [من بعيد] لمدة طويلة[4]. ومن النادر أن يتمكن تكتل من المتحالفين من إلحاق هزيمة مفاجئة بالخصم، وحتى وإن وقع ذلك، فلا ينتج عنه إلا تخريب إحدى القرى. ولكن في كل الحالات، تبقى النساء والأطفال دائما محترمين[5]. وقد أشار المختار السوسي إلى أن هذه الممارسة هي **"عادة السوسيين"** العريقة، الذين كانت للمرأة عندهم **" مكانة، ولا يقدر أحد ان يمد إليها اليد حتى في حالة الانهزام، ولذلك يخرجن إذ ذاك بما يخف من الحلي والرسوم[6] فينجو ذلك بسببهن"** ويزيد المختار السوسي تأكيدا بأن هذا الامر **" عادي ضروري"** عند السوسيين[7]. فعند اندلاع نزاع مسلح، كانت الأسر تستعين بالمرأة في ضمان أمن الحلي والأرشيف المكتوب الذي يضم عقود الممتلكات والعقارات وتاريخ العائلة بشكل عام. ولم يكن أحد يجرؤ على التعرض للمرأة بسوء ولو انهزمت المجموعة التي تنتمي اليها، لذا فهي تحمل أثمن ما تمتلكه الاسرة – أي الحلي والارشيف – كي لا يتعرض للنهب. وكان اختيار هاذين العنصرين محكوما بعوامل موضوعية، فالحلي تشكل رأسمال الاسرة التي تسمح لها بتجاوز العقبات المادية التي تواجهها في حالة الأزمة، أما الأرشيف المكتوب فهو الأساس الذي تقوم عليه مشروعية ملكية

---

[1] **Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.129**

[2] **Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.332**

[3] **نحو 1270 هـ تولى القايد محمد البعقيلي مقامَ والده القايد سعيد بن أحمد البعقيلي الكردوسي، وأمر مرة أهل وادي الاكماريين أن تنفر نساؤهم كلهن خفافا وثقالا ليأتين إلى داره بالحطب، فامتعض الناس لهذه المهانة [...] فنشبت الثورة على محمد بن سعيد . أنظر: السوسي، الرؤساء، مصدر سبق ذكره، ص. 89،**

[4] **Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.233**

[5] ***idem***

[6] **الرسوم هي وثائق الأرشيف العائلي المخطوط**

[7] **جاء حديث المختار السوسي عن هذا الموضوع أثناء سرده لأحداث الحروب ضد (بوحمارة) في الشمال، والتي شارك فيها السوسيون ضمن قوات المخزن المركزي، وعند انهزام القبائل المساندة لبوحمارة، خرجت النساء هاربات... "فإذا بأحد الجند يجرد امرأة، فثار عليه [العساكر من] أصحاب[القايد] المتوكي، ببنادقهم قائلين : لا، والله ما تُمسُّ اية امرأة هنا، فأزالوها وما معها من يده". محمد المختار السوسي، حول مائدة الغذاء، مطبعة الساحل، الرباط، الطبعة الأول ى، 1983، ص. 45.**

الأرض؛ ففي هذه المناطق لم يكن الانهزام أمام الخصم أو الرحيل عن القبيلة يؤدي لفقدان الأرض والمنزل، فالسكان بإمكانهم المطالبة باسترجاع ما اضطروا لتركه ما داموا محتفظين بعقود ووثائق أملاكهم[1].

تنسجم مساهمة دور المرأة في الحفاظ على الممتلكات، مع وظيفتها في توفير الأمن للأشخاص الذين يطلبون حمايتها. وكان الهارب من الانتقام أو من الخطر يلجأ إلى منزل ما ويتشبث بامرأة من ملابسها فيصبح تحت حمايتها، وتحت حماية زوجها وكل الرجال القادرين [على حمل السلاح] في المنزل، والذين تفرض عليهم هذه الممارسة الدفاع عن المستجير بهم. ولم يكن هذا التقليد الامازيغي القديم مقتصرا على القبائل الأمازيغية بالأطلس المتوسط، ولكن كان ممارسا عند قبائل الجنوب كما هو الحال في قبيلة (تاكَنتافت) بالأطلس الكبير الغربي[2].

كان (اكادير) يوفر الحماية للحلي والوثائق بفضل موقعه الطبوغرافي المنيع، وأسواره الدفاعية المتينة، ويقظة حراسه في الليل والنهار، وصرامة مجلس (ءينفلاس)، وفعالية القوانين التي تجزر كل المخالفات. أما المرأة، فإنها تؤدي وظيفة مشابهة حماية الحلي والأرشيف العائلي، مستفيدة من الحصانة التي منحها المجتمع، باعتبارها "**آخر ما يمكن أن يمتهن**"[3].

4) تدبير الحلي في زمن الوباء.

عرف الجنوب المغربي، خلال الفترة التي تغطيها دراستنا، أوبئة ومجاعات متتابعة كان لها تأثير كبير على السكان وعلى أنشطتهم الاقتصادية وممارساتهم الاجتماعية والثقافية. فعرفت المنطقة قبل 940هـ طاعونا جارفا، "ترك أقطارا شاسعة ينعق فيها البوم"[4] . ثم توالت الأزمات الصحية بعد ذلك، وصولا إلى الوباء الشهير الذي عانت منه المنطقة سنة 1214[5] (1799م), ووجدنا له صدى في الوثائق العائلية للسكان.

كانت الأوبئة المختلفة تؤدي إلى خراب "العمران"، واختفاء مجموعات بشرية بأكملها؛ فحين مر جاكسون سنة 1799 بمنطقة (ايحاحان) شاهد مجموعة من القرى المهجورة التي تحولت إلى أطلال بعد أن كانت مزدهرة. وقد أُخبر بأن قرية كانت تضم ستمائة نسمة لم يتبقى منهم إلا أربعة أفراد، وقرية أخرى كانت تضم ما بين أربعمائة وخمسمائة مائة نسمة لم يتبقى منها إلا ستة أو سبعة أشخاص أحياء[6]. ويخبرنا نفس الكاتب أن الخسائر البشرية في "إقليم سوس" كانت أكبر وأفدح من باقي المناطق؛ فتارودانت التي كانت عاصمة الإقليم ، كانت تفقد في قمة الوباء حوالي ثمانمائة شخص يوميا. ... وكان

---

[1] **J. Berque, Structures .op. cit. p. 287.**

[2] **E. Doutté, En Tribu. op.cit. p.27**

[3] **المختار السوسي الرؤساء. مصدر سبق ذكره ، ص. 89**

[4] **البوقدوري ، مرجع سبق ذكره ، ص. 91**

[5] **نفسه**

[6] **James Grey Jackson, op.cit. p.173**

إيقاع الوفيات في المغرب سريعا لدرجة أن الأحياء لم يكن لديهم الوقت الكافي لدفن الأموات؛ لذا كانت الجثامين تُلقى مجتمعة في حفر، وعندما توشك على الامتلاء تغطى بالتراب[1]. وتسببت هذه الأوبئة بخراب عدد كبير من التجمعات السكانية في "كل الجنوب" والتي تحولت فيها القرى إلى أطلال مهجورة[2]. ـ

لقد كانت المجاعات والأوبئة تعصف بالمجال، وتحدث خللا في الأسس العقارية للمجتمع القبلي، وتشكل "إعصارا حقيقيا" يؤدي إلى تدمير الاقتصاد والحاق الضرر بالحقوق[3]. وبمجرد نهاية الأزمة، وعودة الحياة تدريجيا إلى طبيعتها المعتادة، يعمد الناجون إلى اتخاذ ما يرونه مناسبا من إجراءات لضمان حماية مصالحهم وحقوقهم، وضبط المعاملات التي لم تسمح ظروف الوباء أو المجاعة بتوثيقها سابقا. وقد اطلعنا على وثيقتين محررتين بعد الوباء الجارف الذي عرفته المنطقة سنة 1214 هـ/(1799م)، وترصد الوثيقتان تنقلات الحلي في تلك الفترة.

أـ شهادة حول نقل ماشية وحلي وأزياء خلال فترة الوباء

تاريخ الوثيقة ممزق، ولكن نفترض أنها حررت بعد سنة 1214 التي عانت خلالها المنطقة من تبعات ذلك الوباء الشهير، ولعل ما يرجح هذا الاحتمال هو وجود نص آخر خلف هذه "الشهادة" حُرر بتاريخ جمادى الثاني عام 1239، ويضم "ترتيب وفيات" أبناء "ابلهض" من نفس القبيلة. وجدير بالذكر أن ترتيب الوفيات، كان عملية ضرورية خاصة بعد أزمات المجاعات والأوبئة، إذ يكثر الموتى بإيقاع أسرع من المعتاد، ويحتاج الناس إلى معرفة تتابع تلك الوفيات وربطها باستحقاق الإرث، ومعرفة من يرث الآخر[4].

وهذا مضمون الوثيقة:

الحمد لله وحده اشهد لدينا الفقير بن

سعيد نيت مبارك و مع محمد بن سعيد نيت [...]

[...]هم و مع مُحمد بن سعيد الـ[...]ري بشهـ [...]

[...]ـدار الآخرة و لا معبود سواه و قالوا في [شهادتهم...]

[...] فحين مات المرحوم بالله سعيد بن محَّمد [...]

[...] بيسكنان[5] الوباء الواقع في العام أربعة...[6]

[...] و ترك البقرة والعجلة ومقدار عشرون

---

[1] **Ibid. p.174.**

[2] **Montagne R, « Ikounka ». op .cit p.155.**

[3] **Berque J., Notes sur l'histoire des échanges, op.cit. p.311.**

[4] **كان بعض العلماء يتطوعون ويدورون على القرى لتقييد تواريخ وأسماء من يموتون بالوباء "المعرفة السابق من اللاحق لأجل الميراث" كما وقع خلال وباء 1214 هـ، انظر: . السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، ج:17، ص. 19**

[5] **تنطق (بي ءيسـّنان)، وهو لقب شخص، ومعناه الحرفي: ذو القفاف القصبية المليئة بالزروع، كناية عن الغناء والثراء.**

[6] **وباء عام عرفته منطقة سوس 1214**

[...رأسا من الغنم ومكحولته و قشـ[ـابته...] ـتركا

[...زوجـ]ـة الخلالة والحرير والمر[...]

بكل ذالك دهبت زوجته [...]

[...] احمد من بني اشرفن لدار أهلها و[...]

ـ ـ بتاريخ دي حجة الحرام عام [...]

عبد ربه محمد بن حد [أو همو أو احمد] الهشتوكي و عبد ربه سعيد [؟] بن علي [...] [وثيقة 3 ءاكْنسان]

هذه الوثيقة عبارة عن شهادة لثلاثة رجال على الأقل، يشهدون بأنه بعد وفاة "المرحوم بالله سعيد بن حمد" بسبب الوباء، فإن زوجته بادرت إلى نقل بعض الممتلكات من بين الزوجية إلى بيت أسرتها، من بينها[1]:

- الماشية: بقرة وعجلة وحوالي عشرين رأسا من الغنم،
- بندقية (مكحولته)،
- قطع أزياء من الحرير،[2]
- [زوج] مشابك (خلالة)

لا نتوفر على النص الكامل للوثيقة لأن الورقة التي حررت فوقها الشهادة مبتورة، مما حرمنا من فهم خلفيات نقل الزوجة للمواشي والحلي والأزياء إلى دار أهلها. فهل استغلت المرأة وضعية الوباء من أجل الاستفراد بجزء من ثروة زوجها؟ أم كانت حريصة على سلامة ممتلكات الزوجية في تلك الظروف الاستثنائية من خلال نقلها إلى مكان آمن عند اهلها؟

ما يبدو مؤكدا في كل الحالات هو أن أسرة الزوج استعانت بشهادة بعض الرجال كدليل على أن الزوجة نقلت بعض المواشي والأزياء والحلي خلال فترة الوباء الواقع سنة 1214. ويبدو أن هذه الوثيقة كانت ستستعمل في إحصاء الثروة عند تقسيم الإرث.

ب - شهادة من تالـكْـجونت بتاريخ رجب الأول[3] 1233 (1818م).

نص الوثيقة :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد و ءاله

اشهدت لدينا وعلى نفسها الحرة الرشيدة مماسة بنت على من أبناء الحسن بن هم وفاطمة بنت هم من أبناء مَحمد بن عبد الرحمان من دار العافية [؟] كلتاهما بتلـكْـجنت انهم حضرتا ووقفتا حين ذهبت

[1] الجرد غير تام بسبب تمزيق الورقة
[2] يقصد بالحرير عادة في الوثائق العائلية اغطية الرأس النسوية، وأحيانا أحزمة نسوية
[3] هكذا في الأصل رجب الأول

فاطمة بنت محمد من أبناء راسين من (فدان الأعلى) من دار زوجها أحمد بن عبد الله من أبناء مَحمد بن عبد الرحمان المدكور أعلاه لدار والدها مَحمد المدكور حين أمر الله بالموت على عباده في عام الوباء وذهبت لدار والدها المدكور وأتت بقشوها[1] الذين جهز لها والدها المدكور نهاية ما تحملت حين ذهبت زوجة الخلالة من الفضة وثلاثة خيوط اللوبان وقلادتين من الدراهيم يقول له سْلْتَ. شهدتا بدالك و قيدنا عنهما شهادتهما مسئولة منهما لسائلتهما ونقل عنهما عارفهما وهما بحال كماله في تاريخ وسط رجب الفرد عام 1233 عبد ربه تعإلى [...] بن الحاج احمد التلـكْـجونتي

[تالـكْـجونت الوثيقة 36]

تضم هذه الوثيقة شهادة امرأتين من (تالـكْـجونت) بشأن قيام زوجة بنقل مجموعة من الحلي من دار زوجها إلى دار والدها في قرية أخرى خلال فترة عانى فيها السكان من الموت بسبب الوباء. وتفيد الشهادة أن الزوجة نقلت معها "قشو[شـ]ـها" المكونة من: مشبكين فضيين (خلالة)، وثلاث قلائد من اللوبان الأصفر، وقلادتين من القطع النقدية من النوع المسمى (سّلتا). وتوضح الوثيقة أن هذه الحلي هي في ملكية الزوجة التي سبق أن حصلت عليها من والدها ضمن مكونات الجهاز. يبدو أن هذه الشهادة حُررت بمبادرة من عائلة الزوج، لتكون وثيقة إثبات أن الزوجة أخذت معها بعض الحلي من مكونات الجهاز حتى لا تطالب بها بعد ذلك زوجها أو ورثته.

تبرز الوثيقتان أن الحلي كانت حاضرة في انشغالات السكان اثناء الوباء وبعده. فأثناء الازمة الصحية تنتقل الحلي من بيت لآخر لأسباب مختلفة، وعند انتهاء الوباء ومع محاولة المجتمع إعادة تنشيط المؤسسات القبلية، وتسريع الحركة الاقتصادية، واستعادة الممارسات الاجتماعية المعتادة، تكون الحلي في قلب التوازنات، فيحرص السكان على إعادة ترتيب كل التنقلات التي لم تسمح ظروف الوباء بتوثيقها سابقا. ويبدو أن الاهتمام بالحلي وباقي الممتلكات مرتبط ببعدها المادي، وما تمثله من ادخار هام بالنسبة لمجتمع يحاول الخروج من مرحلة الأزمة، والبحث عن الإمكانيات المادية لإعادة بناء الثروة من جديد.

5) مظاهر التراتبية

تقدم بعض الدراسات المجتمعَ التقليدي بالجنوب باعتباره مجتمعا تنتفي فيه الفوارق الاقتصادية، ولا يوجد فيه أغنياء حقيقيون ولا فقراء حقيقيون[2]، ولكن عند العودة إلى الوثائق المحلية، يتضح أن المجتمع لم يكن "متساويا" بالشكل الذي تقدمه هذه الدراسات، وكانت ممتلكات بعض الأسر توحي بوجود نوع من التراتبية على مستوى الموارد المالية. وتتعدد مظاهر هذه التراتبية على مستوى عدد ونوعية الممتلكات؛ فمن حيث العدد، يتجاوز ما تمتلكه بعض العائلات المعدل العام السائد لدى باقي الأسر، ومن

[1] اي: قشوشها

2 انظر نوذجا لهذه الآراء في كتاب روبير مونتاتي :

Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.49

حيث النوعية كانت بعض ممتلكات العائلات الميسورة تختلف عما هو مألوف في محيطها القبلي، كالخيل والعبيد التي كان يتطلب الحصول عليها إمكانيات مادية "استثنائية".

- الخيل:

وقفنا على الإشارة إلى إناث الفرس (الرمكة) في بعض وثائق الأطلس الكبير الغربي، هذه المنطقة الجبلية التي لم تكن مناسبة لتربية واستعمال الخيول، ونورد منها نموذجا لجرد ثروة أسرة من (ءاڭنسان) بتاريخ 9 شوال 1274 (1858م)[1].

أنجز هذا الجرد في إطار الإجراءات المصاحبة لضبط الكد والسعاية، ويضم مكونات متنوعة من أزياء وأدوات حديدية وأو اني النحاس، وأسلحة وحلي بالإضافة إلى عدد كبير من المواشي والدواب.

يجرد الإحصاء ثلاث "رمكات" من إناث الخيل، وبما أن هذه الحيوانات لا تلائمها الطبيعية الجبلية ذات التضاريس الوعرة، فإن الأسرة وضعتها على وجه الشركة[2] لدى أسر أخرى تقيم بعيدا في قبيلة (أو نزوط) - مزوضة- عند مشارف حوز مراكش حيث تتوفر الأعلاف الكافية لتربية الخيول. ويبدو أن الأسرة لم تقتني هذه الدواب الفارهة لاستغلالها في قبيلتها بقمم الأطلس الكبير، وإنما شكلت نوعا من الاستثمار، وما يؤكد هذا الطرح هو اختيار الرمكات الإناث -بدل الأحصنة الذكور- للاستفادة منها في إنتاج المهور. لقد كان امتلاك ثلاث رمكات - إلى جانب عدد كبير من الأبقار والبغال - في هذه البيئة الجبلية، من مظاهر الثراء الذي كانت ترفل فيه الأسرة، وتؤكد الأسلحة والحلي هذا الانطباع، حيث يشير جرد ثروتها إلى خمس بنادق (مكحلات)، وأربعة خناجر (كمية). أما الحلي، فضمت عدة قطع، من بينها: أربعة أزواج من مشابك فضية، وأربعة أساور، وحوالي عشر قلائد العنق، وحلية جبينية من صنف (تاسفيفت).

- العبيد:

كان امتلاك العبيد مقتصرا على شيوخ القبائل والأعيان. وكانت الأَمَة المنحدرة من بلاد "السودان" من بين ما تقدمه بعض الأسر الموسرة كهدية لبناتها المتزوجات، في كل من الأطلسين الصغير والكبير وبسهل سوس. وتفيد عقود الزواج أن هذه الممارسة كانت عريقة في المنطقة، فقد وردت في الأطلس الكبير الغربي في عقد صداق مؤرخ بسنة 916 هـ / 1510م[3] ، كما وردت في وثيقتين من نواحي (أكلو) إحداهما بتاريخ ربيع النبوي 1077 **(شتنبر 1666م)**- [الوثيقة 325]، وفي عقد من (ءايت ءيـڭـاس) بتاريخ شعبان 1174هـ/(1761م) [وثيقة 2]. وكان تقديم الأَمَة للعروس معيارا للثروة والجاه[4]،

---

1 انظر تفاصيل حول الوثيقة أعلاه ص. 329-334 [وثيقة 9]

[2] توضع هذه الداب عند أسر مقيمة في المناطق السهلية للعناية بها مقابل الحصول على نسبة من الربح،

[3] J. Berque, Structures. op. cit . 332.

[4] في الحواضر كمدينة أزمور كانت الأسر الميسورة تقدم أمة لابنتها المتزوجة

Le Cœur Ch., « Les rites de passage d'Azemmour », in Hespéris, 1933,pp.128-148

وكان مرتبطا بمظاهر أخرى للتراتبية الاجتماعية، كأن يكون مبلغ الصداق مرتفعا جدا[1]، أو أن تكون مكونات الحلي منفردة باشتمالها على قطع ذهبية، كما هو الحال في عقدي الصداق والجهاز من (أكلو).

كان امتلاك الخيل والعبيد، في المناطق الجبيلة بالجنوب، يمثل ترفا وتميزا اجتماعيا لا يتأتى إلا لفئة محدودة من العائلات الموسرة. وكانت مظاهر هذا الترف تتجلى أيضا في كثرة الأراضي الفلاحية ونوعية الأثاث، وعدد المواشي والدواب، بالإضافة إلى قيمة الحلي والأزياء. ومن المرجح أن الثروة كانت تقوى المكانة الاعتبارية لرؤساء العائلات الثرية الذين يساهمون في تدبير أمور السكان في احترام تام للضوابط "الديمقراطية" المتوارثة. فـ"التراتبية المالية"، لم تكن تقود بالضرورة إلى "تراتبية سياسية". وعند وصول أحد "الأعيان" إلى شغل منصب "المقدم" - أهم المسؤوليات داخل هيئات التدبير القبلي- فإنه كان يكتفي بممارسة مهامه لمدة سنة واحدة، ثم يترك المجال لغيره من أفراد الأسر الأخرى تبعا لمبدأ "التداول على السلطة" بين مكونات القرية أو القبيلة. ويمكن أن نورد في هذا الإطار، نموذج "أحمد فرتال" من قبيلة (ءاڭونسان) بالأطلس الكبير الغربي، الذي كان يشغل منصب "مقدم" القبيلة بتاريخ رمضان عام 1278هـ/(1862م) وقد اطلعنا على وثيقة تجرد معاملاته مع أشخاص من قرى مختلفة[وثيقة 1]. بعض المعاملات الواردة في الوثيقة كانت عبارة عن قروض نقدية قدمها المقدم لأشخاص آخرين، والبعض الآخر كانت ديونا مترتبة عن معاملات تجارية مرتبطة بالشعير، أو البرنوص وغيرها من الأغراض التي باعها المقدم ولم يتسلم ثمنها كاملا. وتشير الوثيقة أيضا إلى مبادرة استثمارية خارج المجال الجغرافي الذي ينتمي اليه المقدم، وذلك حين وضع "عودة"-أنثى الفرس- على وجه "الشركة" عند شخص من قبيلة (ءونزوط) ليرعاها مقابل تقاسم الارباح. وقد سار في هذه المبادرة على درب "الأثرياء" من قبيلته الجبلية الذين يكتسبون إناث الخيل في أماكن بعيدة بأحواز مراكش. وتكتسي بعض هذه المعاملات طبيعة "خيرية"، وخاصة تلك المرتبطة بتقديم ديون نقدية أو كميات من الشعير على وجه "السلف والإحسان"[2]. أو عند التطوع لتقديم مبالغ مالية نقدية نيابة عن شخص في قضية ضمان[3]. ولا تغيب الحلي عن معاملات محمد فرتال، وذكرت الوثيقة أن "المقدم" وضع بعض القطع "بوجه الأمانة" عند شخصين من قريتين مختلفتين، فوضع عند أحدهما إسورة فضية من نوع (تانبالت)، ووضع عند الثاني زوج مشابك فضية.

لا تجرد الوثيقة كل مكونات ثروة المقدم فرتال، وتكتفي بسرد المعاملات التي جمعته بأفراد من قرى وقبائل مختلفة في سفحي الأطلس الكبير الغربي. ولم يكن من الممكن أن يدخل في كل هذه المبادرات لو لم تكن ثروته المادية تسمح له بذلك. وتنتمي هذه المعاملات إلى مجالات متعددة: فمنها المبادرات التجارية التي تهدف إلى تحقيق الربح، وتنمية الثروة، ومنها المبادرات "الخيرية" من خلال القروض

[1] **J. Berque, Structures. op. cit . 347.**

[2] **أي بدون فوائد.**
[3] **لم تكن الصيغة واضحة**

النقدية والعينية التي يمنحها للمحتاجين، وأخيرا هناك مبادرات ذات طبيعة خاصة تتمثل في وضع الحلي عند أشخاص آخرين على "وجه الأمانة". لا تفصح الوثيقة عن الأسباب التي تفسر إقدام المسؤول الأول داخل القبيلة على وضع حليه كأمانة عند شخصين من قريتين مختلفتين، ونرى أن هذه المبادرات تنسجم من حيث وظيفتها مع باقي المعاملات. فالمقدم يقوم بتوسيع شبكة علاقاته داخل القبيلة وخارجها، من خلال إجراء المعاملات التجارية، وتقديم القروض والضمانات؛ وفي هذا الإطار، فإن وضع حلي على "وجه الأمانة"، وكيفما كانت مبرراتها، تخدم "الاستراتيجية التواصلية" للمقدم، وتساعده في توسيع شبكة علاقاته وعلى ترسيخ مكانته الاعتبارية في المنطقة.

كان المقدم محمد فرتال نموذجا لغيره من العديد من المقدمين الذي عرفتهم مجالات مختلفة في الجنوب، والذين جمعوا بين "السلطة" والثروة المادية؛ ولكنهم ظلوا يطورون نفوذهم المالي والسياسي في الحدود التي تسمح بها مؤسسات القبيلة، ولم يشكلوا تهديدا لبنياتها الديمقراطية؛ وكيّفوا طموحاتهم مع التوازنات المحلية، واكتفوا بشغل منصب "المقدم" فقط حين يحين دورهم في إطار محدد بضوابط متوارثة، وبعد انقضاء عهدتهم، ينسحبون بهدوء، ويتركون المكان لغيرهم من ممثلي باقي أسر القرية أو القبيلة. مما يسمح بتداول السلطة بشكل سلس ويمنع تركزها في يد فرد أو جماعة واحدة.

قد يتعرض "الوضع الديمقراطي" لاختلالات تؤدي إلى استبداد جماعة أو عائلة[1]. وقد تنجح بعض العائلات "المستبدة" في احتكار السلطة، وتسارع إلى تهميش دور الهيئات التمثيلية القبلية، وترسخ الحكم الفردي الوراثي وتنفصل عن عمقها القبلي، وترتبط بدوائر المخزن لتقوية سلطتها في مواجهة السكان.

ثانيا: الحلي والمخزن

<u>تقديم</u>

يدل مصطلح "المخزن" على مؤسسة سياسية لممارسة الحكم، وعلى نظام اجتماعي وسياسي يتميز به المغرب، واشتق هذا المصطلح من لفظ "خزن"، أي: حافظ واكتنز وادخر[2]، وحافظ الحكم المركزي في المغرب على هذا الاسم العريق – أي "المخزن"- ، الذي يحيل من الناحية اللغوية على مؤسسة معدة أساسا لتشكل خزانا دائما للمال والأسلحة والذخيرة، والمؤن من كل نوع[3]، وبالفعل فقد تعددت مخازن الدولة التي منها بيوت المال الناض وبيوت المال العين ومخازن السلاح ومخازن الحبوب والضيعات التي تُربى فيها البهائم والمواشي على اختلاف اجناسها[4]. كانت المخازن والأهراء الموزعة في

---

[1] احمد التوفيق، الإفتاء. مرجع سبق ذكره ، ص, 17

2 الطيب بياض، المخزن والضريبة والاستعمار، ضريبة الترتيب 1880-1915، مطبعة افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011، ص.68، نقلا عن ميشو بيلير

3 Montagne R. , Les Berbères, op. cit. p.366

4إبراهيم بوطالب، "المخزن "، معلمة المغرب ، ج 21، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا ، 2005، 7038-7042، ص, 7039.

مختلف مناطق البلاد تُجمع وتخزن فيها زكوات وأعشار القبائل، للاستفادة منها في توفير حاجيات الجيش في "عولة" الجنود، وعلف الخيل[1]، وعند تعرض المغرب لمجاعة قاسية، كان المخزن يعمد إلى فتح "أهراء الزرع" وبيعه للسكان بأثمنة منخفضة[2].

كان "المخزن" يحيل في بداية الأمر على المكان الذي تجمع فيه الضرائب الشرعية والموجهة إلى بيت مال المسلمين[3]. ثم تخلص تدريجيا من الدلالة المالية لصالح المعنى الإداري منذ الفترة الوسيطية خاصة مع المرابطين والموحدين والمرينيين بعد فترة من الخلط بين تعبيره عن ما هو مالي وما هو إداري[4]، وأصبح يدل على " الحكومة المغربية" وبنياتها[5]، وجميع دواليبها، أي: السلطان والجيش والموظفين وكل الأشخاص الذين يربطون السلطة العليا بالمجتمع المدني[6].

فكيف كانت مكانة الحلي ضمن اهتمامات المخزن؟ وكيف ساهمت في تحديد معالم ممارسة السلطة في الجنوب المغربي بشكل عام؟.

1) الوصول إلى السلطة عبر الحلي

نقل المختار السوسي، في كتابه (إيليغ قديما وحديثا) حكاية شفوية مفادها أن الحسين بن هاشم المتوفى شوال 1303هـ/(1886م)، **"جلس يوما مع أنيسه اليزيد العروسي السملالي، وكانت بينهما مصافاة ومداخلة في جميع الأسرار، فقال له الحسين : أرأيت مقدار ما تدور فوقه اثنتا عشرة بغلة من المال الناض يقوم بتأسيس ملك ؟ فقال العروسي –وقد حكى عن نفسه أن مقصوده في الجواب- لفت نظره عن تلك الجهة : لا والله، بل ليس في ذلك المقدار ما يمكن أن يقوم بطرابيش الجند، فما وراءها"**[7].

لفهم هذه الصورة نرى من الضروري الإشارة إلى أن الحوار يستلهم صورة دراس محصول الشعير أو القمح، حين تصطف الدواب وتدور حول عمود خشبي مثبت وسط البيدر وتدك بأقدامها سنابل الزرع إلى أن ينفصل الحب عن التبن؛ وكلما كثرت كمية الزرع التي يراد دراسها، زاد عدد الدواب المستعملة في الدوران. ولنا أن نتخيل كمية وقيمة الأموال النقدية التي يمكنها أن تملأ بيدرا كبيرا يتسع عادة لاستيعاب أكثر من اثنتا بغلة وهي تدور على كميات ضخمة من الحبوب أثناء دراسها.

---

1 - أبو القاسم الزياني ، البستان الظريف في دولة مولاي علي الشريف القسم الاول (من النشأة الى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله) دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة المعارف الجديدة، لرباط، الطبعة الاولى، 1992، ص. 164.

[2] عرف المغرب مجاعة قاسية من أو ل سنة أربع وعشرين وسبعمئة إلى جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمئة " ..,وصنع أمير المسلمين [عثمان أبو سعيد المريني] في هذه الشدة والمجاعة مع رعيته من الخير ما لا يقدر واحد على وصفه، فتح لهم أهراء الزرع وأخرجه للبيع، فبيع أربعة دراهم للمد، والناس يبيعونه بخمسة عشر درهما وأمر بالصدقات. أنظر : ابن ابي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور الرباط، 1972 ص. 401.

[3] اكنوش عبد اللطيف، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، [بدون تاريخ]، ص.118.

[4] الطيب بياض، 2011، المخزن والضريبة والاستعمار، ضريبة الترتيب 1880-1915. افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص, 68.

[5] بياض، المخزن والضريبة. مرجع سبق ذكره، ص. 118-119.

6 اكنوش عبد اللطيف، تاريخ المؤسسات , مرجع سبق ذكره، ص. 118.

[7] محمد المختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا، هيأه للطبع وعلق عليه الفقه الأديب محمد بن عبد الله خرباش الروداني المعروف بكوثر، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الرابعة، 2005، ص. 270.

تقدم الحكاية حوارا بين شخصين: الأول هو الحسين ءوهاشم، سليل أسرة بودميعة، الذي كان يطمح خلال القرن التاسع عشر لاستعادة أمجاد الإمارة السملالية التي أنشأها جده خلال القرن السادس عشر، والثاني هو أنيسه اليزيد العروسي السملالي الذي اكسبته الأيام الخبرة والحكمة. وإذا كان الأول مدفوعا بالحماسة والطموح، فإن الثاني مقيد بالحكمة والتبصر؛ ونفهم من هذا الحوار وكأن الحسين ءوهاشم كان يستشير اليزيد العروسي في إمكانية الإقدام على تحقيق مشروع سياسي بالاعتماد على الموارد المالية الهامة التي كانت متوفرة آنذاك لدار ايليغ، غير أن اليزيد، حاول اقناعه بالعدول عن هذه المغامرة، لأن كل تلك الأموال لن تكفي حتى لتوفير طرابيش الجنود، فبالأحرى ملابسهم وأسلحتهم وخيولهم وكل المصاريف اللازمة للنهوض بشؤون الحكم.

إذا كانت هذه الحكاية تعكس ارتباط ممارسة السلطة "وتأسيس الملك" -في الذهنية المحلية- بتوفر موارد مالية ضخمة، فإن شهادة أخرى وثقها نفس الكاتب تبرز مكانة الحلي ضمن هذه الموارد، ودورها في تثبيت دعائم الحكم؛ فقد نقل المختار السوسي عن الباشا منّو أن مولاي عبد حفيظ عندما بويع سلطانا للمغرب، كلف أعوانه بالبحث عن الكنوز المخبأة في دار المخزن بمراكش، فوجدوا صندوقا كبيرا، "**وبعد فتحه عثر فيه على صندوق [آخر] يضم حليا كثيرا ومجوهرات مرصعة هائلة** "[1] ويضيف الباشا منّو في شهادته، أنه "**بذلك المال ارتشنا حتى تمكنا مما في (أسفي) و(الجديدة) من المراسي، وكان وجود هذا المال يعد من سعادة السلطان، فيه تنظم جند جديد والحرس الخاص الملوكي**[2]"

تفيد شهادة الباشا منّو في مقاربة الهواجس الأولى للسلطان الجديد الذي يواجه تحديات مختلفة بمجرد تسلمه مقاليد الحكم[3]، فهو في حاجة إلى الحصول على موارد مالية من أجل تغطية المصاريف المستعجلة وفي مقدمتها تمويل حاجيات الجند، وتوفير السلاح والمؤونة ومصاريف مختلفة لتعزيز السلطة في بدايتها؛ وكانت الحلي من بين المصادر الأولى التي يستعين بها السلطان المبايَع لتوفير الأموال في انتظار ترسيخ نفوذه ليتمكن بعد ذلك من تنويع موارده بمداخيل المراسي والضرائب والهدايا...

تتعدد نماذج الاستعانة بالحلي من أجل تقوية حظوظ المنافسين للوصول إلى السلطة أو المحافظة عليها، ففي الفترة السعدية مثلا، بعث مولاي زيدان مع سفيره إلى هولندا كمية هامة من العنبر الأسود، إضافة إلى العديد من المجوهرات "قصد بيعها أو رهنها"، من أجل استقدام ستة آلاف جندي[4]. و في الفترة العلوية، اضطر مولاي عبد الله بن إسماعيل إلى بيع حليه وأغراض أخرى ليدفع لجيش العبيد

---

[1] المختار السوسي، على مائدة الغذاء، مرجع سابق، ص, 55-56

[2] نفسه

[3] ذكر شوني أن الوصول إلى السلطة في المغرب بعد وفاة السلطان يعتمد على عدة أمور، من بينها: قوة شخصية المتنافسين، وموقف الرأي العام، وتأثير [قادة] الجيش، ودعم مختلف الأقاليم، و"خاصة امتلاك الخزينة، لأن بالمال يتم تمويل حاجيات الجنود" . أنظر :
de Chenier M., Recherches historiques, op. cit. p. 506

[4] وصف الممالك المغربية، مذكرة خورخي دي هنين، 1997، ص. 106.

الأموال التي وعدهم بها مقابل دعمه في ترسيخ نفوذه[1]. وفي فترة تاريخية أقرب إلينا، حوالي 1335هـ/(1016-1917م) بالأطلس الصغير الغربي، في وقت لم يصل بعد جيش الحماية الفرنسية إلى تلك المنطقة الجبلية، عمد القايد مبارك بوطعام المجاطي إلى رهن حليه للقايد مبارك البنيراني عندما ضمنه هذا الأخير في دفع غرامة حربية مقدارها نحو أربعة آلاف ريال حسني[2].

لقد كانت للحلي قيمة مادية موثوقة، وتتقلب قيمتها تبعا لسعر معروف من لدن الجميع، ويمكن اعتبارها بمثابة رأسمال نقدي حقيقي[3]. لذا، فإن ممارسي السلطة والنفوذ يحرصون على جمع كميات هامة من الحلي التي يستعينون بها في مختلف مراحل ممارسة السلطة، منذ مرحلة البحث عن الموارد للسيطرة على الحكم، وصولا إلى القيام بالتضحيات المالية الضرورية للمحافظة عليه من خلال بيع أو رهن الحلي.

2) مظاهر السلطة والحلي:

رافق حسن الوزان عمه في مهمة إلى ملك تنبكتو حوالي سنة 1511، وعند وصولهم إلى منطقة درعة، بعثه عمه في زيارة مجاملة لزعيم محلي في منطقة (ءايت واوزكّيت). وانبهر الوزان بما شاهده من مظاهر الأبهة عند هذا الزعيم الذي وصفه بـ"رئيس جبل" "، والذي كان يخرج في رحلات صيد بمرافقة موكب فخم، ويقدم أطباقا فاخرة لضيوفه، ويحب الاستماع لشعر المديح، ويجزل العطاء والهدايا للمبدعين[4]. وكان زعيم (ايت وأو زكيت) الذي زاره الوزان في القرن السادس عشر نموذجا لغيره من الرؤساء المحليين المنتشرين في واحات وجبال وسهول الجنوب، والذين حرصوا على التميز عن طبقة المحكومين في أغلب شؤون حياتهم. وحافظت عائلات بعض هؤلاء الرؤساء على توارث الحكم، وعملت على إبراز انتمائها إلى دوائر السلطة المخزنية من خلال المعمار والأثاث والطعام، وطقوس الضيافة والفنون، إلى جانب الأزياء والحلي.

أ- المعمار:

في مجال المعمار المحلي، كان من الصعب التمييز بين منازل الأغنياء والفقراء،[5] حيث تكون هذه المنازل عادة متناسقة من حيث أحجامها وأشكالها وزخارفها، وتنخرط كلها في تصميم واضح يحدد توزيع المكونات كالمسجد والساحات والطرق وباقي المرافق[6]. قد تظهر بعض الاختلافات بين المساكن تبعا للإمكانيات المالية لبعض الأسر، غير أن هذه الاختلافات لا ترقى إلى بروز معالم قد تشكل بحجمها أو

---

[1] de Chenier M., Recherches historiques, op. cit. p. 443.

[2] محمد المختار السوسي، الرؤساء السوسيون في العهود الأخيرة من أواخر القرن الثالث عشر إلى أواسط القرن الرابع عشر الهجريين، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط الطبعة الأولى، 2010، ص. 290.

[3] Besancenot - J., Bijoux. op.cit. p XII

[4] الوزان الحسن ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الأول ، ص, 171-172.

[5] Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.132-131

[6] انظر:

Adam A., 1951 «La maison et le village dans quelques tribus de l'Anti Atlas », collection Hespéris, n° XIII, Larose Editeur, Paris, 1951.

زخارفها عنصرا "نشازا" في تلك اللوحة المتناسقة التي يمثلها معمار القرية. وحده (اكادير)-أي المخزن المحصن الذي يستغل لحفظ ممتلكات السكان- كان يلفت النظر، ويعلو ببنايته الضخمة كل المساكن، ويحيل على قوة الجماعة ومتانة مؤسساتها.

أما عند بروز سلطة مخزنية في المحيط القبلي، فإنها تختار معمارا بمواصفات مختلفة، ليصير مقرا للحكم، ووعاء ماديا لممارسة "طقوس" السلطة وترسيخ قيمها الرمزية. وكان ممثلو المخزن يعتمدون في بناء قصباتهم ودُورهم على تقنية التراب المدكوك التي كانت تسمح، وفي وقت وجيز، بإنشاء معالم ضخمة بجدران ممتدة وأبراج مرتفعة.[1] وكانت هذه الأبراج من التفاصيل الهندسية الثابتة في قصبات المخزن، وكانت لها، بطبيعة الحال وظيفة دفاعية، بالإضافة إلى بعدها الجمالي، حيث إن ادماجها في البناء يكسر رتابة الأسوار والجدران السميكة الصلبة. وفوق كل هذا، كانت الأبراج من الحوامل المعمارية والمادية لقيم السلطة والجاه[2].

تُزيَّن مرافقُ تاكاديرت[3] - أو القصبة المخزنية- بأحسن ما انجزته أنامل الصناع المحليين، وابداعات كفاءات حرفية مستقدمة من المدن العريقة، لإضفاء لمسة حضرية رقيقة على البناية الضحمة. وكان الهيكل الأساسي للقصبة يُبنى بالتراب المدكوك، بينما يستعمل الحجر المنجور في تزيين وتدعيم إطارات الأبواب[4]، وكذا زوايا الجدران والأقواس. ويولي القايد أهمية خاصة للقاعات المعدة لإقامته أو لاستقبال ضيوفه، فيحرص على تزيينها بزخارف الجبص والزليج والخشب المصبوغ والقباب[5]، وينوع فراشها وأثاثها بتحف فاخرة من مختلف مدن وقبائل المغرب[6].

ب- فن الطبخ

كانت فنون الطبخ من الخصائص الثقافية المحددة للهوية القبلية، إذ كانت كل منطقة تحافظ على أطباقها التراثية التي كانت تتميز بتنوع أشكالها ومواد إعدادها وطرق تقديمها، والممارسات الاجتماعية المؤطرة لتناولها، والوظائف الرمزية المرتبطة بها[7]. أما المراكز المخزنية كتارودانت، وقصبات القياد المنتشرة في القبائل، فكانت تجمع بين أشهى الأطباق المحلية، وأشهر الوصفات المرتبطة بالطبخ

---

[1] **Montagne R. ،" une tribu berbère du sud marocain : Massat", Hespéris, T . IV, 1924,pp. 357 – 403= Montagne R. " Massat"**

[2] **كان الاعيان والتجار أيضا يتنافسون في تزيين وتدعيم دورهم بالأبراج، ليعرف الناظر اليها أن مجد صاحب الدار "عظيم كأبراج داره". أنظر: السوسي ، المعسول، مصدر سبق ذكره ، الجزء 14 ، ص. 165**

[3] **تعرف قصبات القواد عادة باسم (تاگـاديرت) وهو مؤنث (أگـادير) بمعنى الحصن، وقد تعرف القصبة أيضا باسم (أگـادير) في صيغة المذكر ، أنظر : ايت عدي واسماهري ، مرجع سبق ذكره ، ص. 166 .**

[4] **Montagne R,"Massat" op . cit. p.394.**

[5] **كانت جدران القصبات تزين بمواد مستورة من الخارج مثل الزليج الاسباني :**
Cornet, Ch.-J.-A., A la conquête du Maroc Sud avec la colonne Mangin, 1912-1913.

[6] **ذكر طومسون في القرن الناسع عشر أن المخدات الجلدية الرفيعة والزربية الرباطية كانت من مكونات اثاث الدور المخزنية التي زارها في القبائل:**
Thomson , op. cit.p. 69.

[7] **انظر :**
- المختار السوسي، المعسول الجزء :1،
- الصالحي صالح بن عبد الله، المدرسة الأولى.

الحضري[1]. وكانت قصور القياد والشيوخ الموزعة في السهول والدير وفي الجبال، تستلهم "الطقوس المخزنية" في مجال تقديم الطعام، ومن ذلك ما حكاه طومسون عن المأدبة التي أقامها القايد الكلاوي على شرفه هو ورفاقه عندما زاروه في قصبته بتلوات نهاية القرن التاسع عشر. وكتب طومسون: "يقوم عدد من العبيد بإحضار الماء لغسل أيدي الضيوف، ثم تحمل الأطباق المغطاة وتوضع أمام الحضور، ويتكفل العبيد بإزالة الغطاء، حيث تبدأ حركة ذهاب وإياب بين قاعة الاستقبال والمطبخ لإحضار عدد كبير من الأطباق التي توضع تباعا أمام ضيوف القايد، فمنها ما هو مهيأ بالدجاج، واللحم والشواء، وتنتهي المأدبة بالكسكس؛ ثم تليها كؤوس الشاي مع الحلويات". وذكر الكاتب أن أعوان القايد كانوا يرشون الضيوف بماء الورد ويحرقون البخور والعنبر في المجمر مع الفحم ليعبق عطرها في القاعة[2].

ت-فنون العرض التراثية

لا يكتمل استقبال ضيوف الرئيس وتنظيم مختلف الاحتفالات إلا بحضور لوحات العرض التراثية من أحواش وفن (الروايس) وفقرات (ايهيّاضن)، وغيرها من الفنون. فكانت لوحات أحواش تُفرغ من محتواها الاجتماعي[3]، وتقتصر وظيفتها على "تأثيث" المناسبات المتعددة التي يقيمها القايد بانتظام في قصبته[4]. أما فرق "الروايس" الموسيقية، ومجموعات(ايهيّاضن)[5] المتخصصة في الحركات الرياضية الرشيقة، فإنها تخدم "الحملات التواصلية والدعائية" للقايد أو الأمغار؛ إذ بعد تقديم عروضها والحصول على تعويض سخي، ترحل لتنشر في الآفاق أخبار ثراء المسؤول المخزني وقوة سلطته وسعة كرمه.

ث-الملابس

كانت الملابس، كباقي المظاهر الثقافية الأخرى، من بين المحددات الأساسية للانتماء القبلي[6]، وكانت أزياء السكان متشابهة على العموم، ولا تسمح برسم فروق كبيرة بين أفراد القرية الواحدة. أما مسؤولي المخزن، فكانت لهم أزياء خاصة، يتميزون بها عن سكان القبائل التي يحكمونها، ويرسخون بها ارتباطهم بالسلطة المركزية في العواصم التاريخية للبلاد. وكان القايد بمجرد تعيينه من طرف السلطان

---

[1] **Cornet, Ch.-J.-A., op .cit. p. 108**

[2] **Thomson , op. cit.p. 273.**

[3] **كان احواش بالنسبة للمجتمع القبلي وسيلة ترفيهية واداة لتمتين العلاقات التحالفية وعرضا فنيا له امتدادات روحية واستشفائية، انظر :**
- بزيد الكنساني احمد، أحواش ، مرجع سبق ذكره.
- عمر أمرير، رموز الشعر الأمازيغي، وتأثرها بالإسلام، مطبعة دار السلام، الرباط، 2003.

[4] **خلال أكتوبر 1912، وعند شروع القوات الفرنسية في التوسع في المغرب، وصلت حملة الكولونيل مانجان إلى مقر حكم القايد نفلوس الذي كان يحكم حاحا الشمالية. وبعد تناول وجبة العشاء، قدم القايد انفلوس لضيوفه الأوروبيين رقصا أمازيغيا في ساحة القصبة، من أداء أربعين [رجلا] "مرتدين اللباس الأبيض ومتحرفين بالخنجر المعقوف، ويؤدون نفس الحركات، فيضربون الأرض بأرجلهم، ويتمايلون بأجسامهم، بقيادة رئيس كبير في السن ولكنه خفيف [الحركات] :**

Cornet, Ch.-J.-A , op.cit. p. 109

[5] **يُعرفون أيضا باسم (تاروا ن سيدي حماد ءوموسا)، ومعناه "أو لاد سيدي أحمد بن موسى"، وقد التقى برايفس في مارس 1904 في ايحاحان بفرقة منهم قرب قصبة القايد الكيلولي، وزاد برايفس موضحا أن هذه الفرق التي كانت تقوم بقفزات رائعة كانت تزور أوروبا والجزائر لتقديم عروضها :**

Brives , op.cit. 297.

[6] **انظر:**
- Besancenot J., Types et costumes, op. cit
- Adam A., Le costume, op. cit.

يتلقى "كسوة تامة"، مكونة من "قفطان [رجالي] وفرجية وجبة وشاشية"،[1]، كما يتلقى فرسا وفساطيط مقببة [2]، وذلك في إطار "عوائد متبعة من قديم"[3].

ج- الحلي

كانت حلي نساء القرى تلتصق من حيث جوانبها الجمالية والتقنية بمجالات جغرافية وقبلية محددة وتعتمد في إنجازها على معدن الفضة. أما نساء النخب المخزنية فكانت حليهن تستلهم الخصائص القبلية المحلية وتنفتح، في نفس الوقت، على التقاليد الحضرية المنتشرة في مراكز الحكم شمال الأطلس الكبير من حيث تقنيات الصياغة المستعملة، والمواد الأولية التي تدخل في إنجاز الحلي، وخاصة الذهب و"الجوهر". وكان استعمال الذهب من خصائص حلي نساء أسر المسؤولين المخزنيين، والأعيان الكبار من ذوي السلطة والمال. وبما أن حرفيي الجنوب لم يكونوا يعتمدون على الذهب كثيرا في صناعتهم، فإن القطع المصنوعة من هذا المعدن النفيس كانت تنجز عادة في مدينة مراكش، وتسوق منها في كل منطقة سوس الممتدة من الأطلس [الكبير] إلى جبل باني عند تخوم الصحراء[4]. وعندما يريد قايد من المنطقة أن يستعرض ثرائه، فإنه كان يشتري لنساء أسرته حليا ذهبية من أقراط الأذن والمشابك وأكاليل جبينية وغيرها من القطع المصنوعة في المدينة[5]. أما المسؤولون الأقل نفوذا وثراء، فإنهم يكتفون بإضفاء لمسة حضرية على حلي نسائهم من خلال الاقتصار على إدماج قطعة ذهبية واحدة في أناقتهن المعتمدة أساسا على الحلي الفضية[6].

كان (الجوهر) يطلق على الأحجار الكريمة ويدخل في تركيب القلائد والحلي الجبينية وأقراط الأذن؛ وكانت تتزين به النساء في مدينة تارودانت[7]، وفي مراكز الحكم المخزني المنتشرة في القبائل[8]. ويبدو أن الطلب على الجوهر من طرف نساء النخب الثرية والمخزنية هو ما شجع القوافل على نقل هذه السلعة الثمينة إلى مناطق الحوز وسوس[9].

---

[1] كان الفقيه الذي يرافق القايد ليصلي به ويكتب عنه، يتسلم بدوره بغلة مسرجة و كسوة بيضاء " برداء (حائك) وسلهام سكري أبيض". أنظر : السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، الجزء 20- ص. 10

[2] نفسه، ص. 9

[3] نفسه، ص. 9 و12.

[4] Jacques-Meunier, « Bijoux ». op. cit.p.58

[5] Besancenot J., Costumes , op. cit. p.165.

[6] كانت ابنة شيخ من شيوخ قبيلة الأطلس الصغير تتميز عن باقي الفتيات بكون جبينها كان مزينا بصفيحة من الذهب المثبتة بخيط من الصوف. انظر:

Segonzac Mis de R., Au cœur de l'Atlas, op. cit. p.158.

[7] تضمنت وثيقة صدقة من تارودانت بتاريخ ذي قعدة الحرام 1249 (مارس 1834م)حلية جبينية من نوع تاسفيفت مكونة "طابع من الذهب"، و"جعاب" من الذهب بالإضافة إلى "الجوهر" ما بين الصغير والكبير، وضمت أيضا زوج أقراط الأذن من الذهب "منبتة بالاحجار والجوهر" .

[8] ثارت قبيلة ايحاحان سنة 1871 على اسرة قياد ايت أو بيهي في ايحاحان ونهبت ما كان في منزل القايد من "من حليه وأثاثه"، وخاصة "مدجات الجوهر، وخواتم ذهب". أنظر : زرهوني، مرجع سبق ذكره ، ص. 370-357

[9] خلال شهر رمضان 1197 وجه سيدي محمد بن عبد الله محلة عسكرية لزعير لانهم "أكلوا الحجاج وأخذوا لهم مالا كثيرا من أهل مراكش وسوس، ونهبوا لهم سلعا كثيرة من أنواع الديباج ، حتى قيل إن واحدا منهم خرج في نحو مد من الجوهر وتوهم أنه كسكس، فأتى به لزوجته فأخذته وجعلته في الكسكاس ليتبخر فاسود لونه من الدخان فقلبته في الأرض حيث لم ينضج وتركته هناك :محمد بن عبد السلام الضعيف، تاريخ الضعيف ، مصدر سبق ذكره ، ص. 187 .

لقد كانت الحلي، بكميتها، وبقيمتها المادية، وبمواد إنجازها وبخصائصها التقنية، وبأساليبها الجمالية، تشكل أحد مظاهر التراتبية الاجتماعية التي ترسخ الفوارق الثقافية والاقتصادية بين سكان القبائل من جهة، والأسر الممارسة للسلطة من جهة ثانية. وتنضاف الحلي إلى باقي مظاهر السلطة من معمار وأثاث وأزياء وطبخ وفنون لتجعل من قصبات القياد ودور أعوان المخزن نوعا من "الجزر الثقافية " المتناثرة وسط محيط التقاليد القبلية المحلية.

3) فقدان الحلي

عندما ينجح الرئيس في فرض سلطته على القبيلة، يعمد إلى القضاء على البنيات السياسية المحلية، أو يحافظ عليها مع إفراغها من محتواها "الديموقراطي"، ويحول هياكلها عن أداء وظائفها المعتادة لتصبح في خدمة مصالحه الشخصية. ويعمل على جمع الأموال وتوسيع الأراضي وإرهاق السكان بالسخرة. وقد يعمد إلى نهب القبائل المنهزمة التي قاومت مشروعه التوسعي[1]. غير أن الثروات التي راكمها يمكن أن تنتزع منه لأسباب متعددة، وفي مقدمتها تعرض سلطته لثورة السكان، أو تعرض ممتلكاته للمصادرة و"التتريك" من قبل المخزن.

أ- ثورة القبائل

كان هدم قصبة القايد أو الشيخ، ونهب محتوياتها الثمينة من الممارسات المعتادة التي يقدم عليها السكان كلما تمردوا على المسؤول المخزني [2]، ويعملون على إحياء المؤسسات الاجتماعية المحلية التي كانت تضمن لهم حقوقا لا يمكن الاستفادة منها تحت سلطة "الإقطاع" التي فرضها القايد وأعوانه. وتجدر الإشارة إلى أن الثورة على المسؤول المخزني وهدم قصبته ونهب محتوياتها لم تكن تتعارض مع ارتباط السكان بالسلطان، فهم "دائما يعترفون بالجالسين على العرش تدينا"، ولكنهم ينقلبون على القياد بمجرد انصراف جيش المخزن الذي كان يحميهم[3].

بعد تمردها على القايد، تعمد القبيلة إلى الاستيلاء على ما تختزنه جنبات قصبته من الأثاث الفاخر والتحف النفيسة التي عمل المسؤول المخزني على توفير كل الموارد الضرورية للحصول عليها. وكانت الحلي في مقدمة هذه التحف، وهذا ما قع مثلا أثناء "ثورة" قبيلة (ايحاحان) على أسرة قياد (ايت أو بيهي) سنة 1871 والتي وثقتها الوثائق المخزنية بدقة؛ ففي تلك الفترة، ثارت القبيلة على القايد محمد نتيجة عوامل متعددة، فدخل السكان داره ونهبوا ما فيها. وعمل المخزن المركزي لاحقا على تتبع مآل ما نُهب للقايد **"من حليه وأثاثه"** بغرض استرجاعه. وتذكر الوثائق المخزنية أن هذه الحلي كانت تضم **"مدجات الجوهر، وخواتم ذهب"**[4].

---

[1] **جمع القايد الكنتافي كمية هامة من حلي النساء المصنوعة من الذهب والفضة خلال اخضاعه بقوة السلاح لكل القبائل المجاورة لمنطقة نفوذه عندما كان يعمل على توسيع قيادته، أنظر : Thomson J., op.cit. p.312.**

[2] **Dalton Hooker J., op. cit. p.332**

[3] **السوسي ، المعسول ، مصدر سبق ذكره ، الجزء 20- ص. 256**

[4] **زرهوني، مرجع سبق ذكره ، ص. 370-357**

كانت (المدجات) –أي القلائد- منظومة بـ"الجوهر"، ويقصد بها الأحجار الكريمة التي كانت تدخل عادة في صناعة حلي المدن، وكانت قيمتها المادية أكبر بكثير من قيمة خرز اللوبان والمرجان الذي تنظم منه القلائد القروية المحلية. أما الخواتم، فصنعت من الذهب، وهي بذلك تختلف عن الخواتم المحلية التي تصنع عادة من الفضة. وبسبب هذه المواد الثمينة كانت حلي قصبة القايد أو دار الشيخ تغري بالنهب. وهذا ما يبرر جهود الحكم المركزي لاسترجاعها بسبب قيمتها المالية من جهة، وبسبب أهميتها "السلطوية" الرمزية من جهة أخرى، باعتبار التنازل عنه قد يؤدي إلى فظائع أخرى[1]. ويشجع على المزيد من "الجرأة" على ممثلي المخزن في القبائل.

ب ـ المصادرة والتتريك

كانت مصادرة الأموال، ومن ضمنها الحلي، من بين الممارسات الشائعة في الأوساط المخزنية بمستوياتها المختلفة، فنجد الرؤساء الصغار المتنافسين على النفوذ المحلي يتوجون انتصاراتهم بمصادرة ثروات المنهزمين[2]. وقد يعطي السلطان أوامره بمصادرة الأموال التي راكمها كبار المسؤولين بطرق مشروعة أو التي سلبوها من ثروات الناس، على أساس أن تلك الأموال تتجاوز حاجياتهم الضرورية، "وبالتالي فبيت مال المسلمين أحق بها"[3]. وكان هذا الإجراء، يحقق نوعا من العدالة مادام يعاقب تجاوزات المسؤولين المخزنيين، كما يصب في مصلحة خزينة الدولة التي تعود عليها هذه الممارسة بموارد مالية إضافية[4]. وحتى في حالة توفي المسؤول، فإن المخزن قد يلجا إلى ما يسمى في أدبيات الحكم بـ"التتريك"، حيث يرث السلطان كل الثروة التي جمعها المسؤول منذ تعيينه في منصبه إلى تاريخ وفاته[5].

لم تكن مصادرة أموال المسؤولين من طرف السلطان، والقاءهم في السجون، مرادفا للتهميش والاستبعاد من دوائر المخزن؛ فقد يحدث أن يعود المسؤول، أو أحد أفراد أسرته، إلى منصب المسؤولية، ويسترد اعتباره بعد مصادرة أملاكه، وكأنه "اغتسل من ذنوبه بعد التخلص من ثروته "[6]. ولعل هذا ما وقع مع قيّاد أسرة المتوكي، الذين تعرض "أحد قوادهم الأولين" للعزل ومصادرة أمواله من طرف "سلطان وقته"، وكان من بين هذه الأموال "حلي كثير"، وبعد ذلك سيعود أفراد الأسرة إلى تسيير قبيلتهم (اينتوگـا) بالأطلس الكبير الغربي، وسيبرز من بينهم عدة رؤساء مشهورون[7]، وخاصة القايد عبد الملك الذي خلف عمه القايد مسعود انطلاقا من حوالي 1890، والذي وصلت قيادة (اينتوگـا) في عهده إلى

---

[1] **زرهوني، مرجع سبق ذكره ،ص. 370.**

[2] **Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.284**

3 **James Grey Jackson, op.cit. p.153**

[4] **De Chenier, op.cit.p. 174**

[5] **Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.384**

[6] **لخص شوني نظرنه إلى عملية مصادر أموال المسؤولين قائلا: " المال في هذا النظام [المخزني] هو جريمة المتهم، ووسيلته للتطهر من الذنب" De Chenier, op.cit.p. 174 :**

[7] **محمد المختار السوسي، حول مائدة الغذاء ،ص. 55-56.**

أوج قوتها[1]. ودائما في الأطلس الكبير الغربي، وأثناء الصراع على النفوذ بين بعض أطراف قبيلة (ءوناين)، تعرض الشيخ الحاج مبارك بني عز من قرية (تاشريفت) للقتل على يد خصومه، فقام القايد محمد الكنتافي من (تاكنتافت) بحيازة "تركة دار" القتيل كما تبين ذلك شهادة عدلية جماعية، بتاريخ فاتح ذي القعدة عام 1278هـ/ أبريل 1862، وقد جاء فيها[2]:

"يعرف شهوده المذكورون أسماؤهم عقب تاريخه، أن في علمهم وتحقيقهم أن المرحوم بالله الشيخ الحاج مبارك بني عز، بقرية تاشريفت الخلفاو ي بأوناين، قام وحاز القائد السيد مُحمَّد بن الحاج أحمد نايت الحسن بتاكنتافت النفيسي، جميع ما ترك المرحوم من تركة داره: فالأول سبعمائة مكاحل بوشفر بسريرتها[3]، وثلاثين أكمامها مصوبة بالفضة وحديدها، كل واحدة بصنفها، ومجدولها حرير، وثم دمالج خمسة وعشرون مصنوعة من الفضة والذهب. زوجتان دبالج شمس قمر، مصنوعتان من الفضة والذهب، وثم نبالة عشرون زوجا من الفضة وصنعتها مخزنية. وقلادة بمرجانها مركبا بالفضة، وفيها ستة وثلاثون، بنصف ريال الدزايري لكل واحد منها أربعون قلادة. وثم خمسون زوجا من الخلالة المصنوعة من الفضة مع سلسلتها من الفضة بثلاثين ريالا لكل واحدة. اثنا عشر سْلتَا مركبة بالفضة بخمسة وعشرين ريالا لكل واحدة، وبمرجانها. وعشرون زوجا من الدْوَاوح مصنوعة من الفضة. مواعين الأتاي : خمسة عشر طبلة مختلطة بالأصفر والاحمر، كلها نحاس، مع براريدها الخمسة عشر، ومجامرها بالنحاس المختلط، ومقارشها خمسة، وثم قدور النحاس اثني عشرة كبيرة. وثم عشرة اسطال النحاس الكبار. وثم أربعة من (لْخْدْم) ووصيفة الدار. ثم بغلتين الفرس الحرة والفراش.

كل ما ذكرنا حازه حوزا تاما، حاجة بحاجة، على عين القبيلة، وكل ذلك في علمهم وتحقيقهم، وقيدوا شهادتهم مسؤولة منهم لسائلها، في تاريخ فاتح ذي القعدة الحرام عام ثمانية وسبعون ومائتين وألف

وممن شهد بذلك: الحاج همو ند بحسو النسب

الحاج محمد بن بحسو بتاكوشت

الحسن نايت تيزي

الفقير مالك بفجة الندر تيزي ن أونرار

الحاج أحمد ندبلا

الفقير محمد أمشتاق الأزازي

والحسن ند المودن، بهونة أكديم

---

[1] **Montagne R., Les Berbères. op.cit. p.333**

[2] **- بزيد الكنساني احمد و ج. عمر حبيب ايد يوس الخلفاوي، من تاريخ الأطلس الكبير الغربي، أسرة إيد يوسف الوزكيتية بأوناين، مطبعة دار السلام، الرباط ,2019، صفحة 117-120.**

[3] **السرير هو الجزء الخشبي من البندقية انظر : خديجة بن بوسلهام، المخزن والمجتمع في النصف الأول من القرن التاسع عشر عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام، 1822-1859, نشر المندوبية السامية لقدماء المقاو مين وأعضاء جيش التحرير، دار ابي رقراق، الرباط ,2013، ص. 103.**

والفقير همو ند بالقاسم

والسيد محمد بدمبارك

والفقير حدوش ندهمو بأكديم

والسيد محمد نايت مبارك، بني عمة بتاشريفت

والفقير محمد بيكيأو ن

والفقير الحسن نايت الحاج بتاورضا

في مسند علمهم وتحقيقهم للمجاورة والاطلاع على الأحوال، شهادة مسؤولة منهم لسائلها، ونقل عنهم من عرفهم وقال فيهم عدل رض بالتاريخ أعلاه، عبد ربه عبد الرحمن بن أحمد بني عمو بتاشريفت، وعبد ربه تعإلى محمد بن عبد الله بني آيت ضمن بأكديم بني خلف "

لقد تمت عملية الحيازة بحضور رجال القبيلة الذين ينحدرون من أكثر من خمس قرى، ولكن محرر الوثيقة اكتفي بإيراد أسماء ثلاثة عشرا شخصا من بين الحضور، ويبدو أن التركيز عليهم للشهادة مرتبط بمكانتهم الاعتبارية داخل الجماعة، ويتجلى ذلك من تحليتهم ببعض الألقاب، فثلاثة منهم ينتمون إلى فئة الحُجاج، وستة إلى فئة (الفقراء)، والتي تحيل على المتقدمين في السن كما تحيل على المنتمين للطريقة الصوفية، وهناك شخصان ارتبط اسمهما بكلمة "سيد"[1]...

وهمت عملية (التتريك) العناصر التالية:

- 700 بندقية من نوع (بوشفر)

- ثلاثين (كمية) فاخرة مكونة من خنجر معدنية حادة مغلفة بجواء من الفضة، ومربوطة بمجدول حريري لتسهيل التحرف بها.

- أواني إعداد الأتاي: وتتكون من 15 صينية[2]، و15(براد)، وخمسة من الـ(مقارش) التي تملأ بالماء المغلي، وخمسة من الـ(مجامر) التي تملأ بالجمر وتوضع فوقها (المقارش) لتحافظ على حرارتها. وكانت أواني إعداد الأتاي مصنوعة من النحاس بنوعيه الأصفر والأحمر. ويدل عددها المرتفع على أن دار الشيخ كانت تستقبل أعدادا كبيرة من الضيوف.

- اثنا عشر قدرا من النحاس، والتي كانت تستعمل غالبا لإعداد الطعام. وكانت الزوايا الدينية ودور المخزن والأعيان التي تستقبل أعدادا كبيرا من الزوار، تمتلك قدور النحاس التي تتحمل كثرة الاستعمال أثناء الطبخ، ولا تتعرض للكسر كما هو حال قدور الطين.

- عشرة سطول كبيرة الحجم من النحاس، تستعمل لحفظ ونقل السوائل من ماء ولبن وعسل وسمن ...

---

[1] يستعمل لفظ "سيد" أو "سيدي" عادة عند الحديث عن الفقهاء والعلماء وأئمة المساجد

[2] استعمل المحرر (طبلة)، والمقصود (صينية) النحاس التي توضع فوقها الكؤوس والبراد.

- الفراش، ويطلق هذا اللفظ عادة على الزرابي والمنسوجات الصوفية والحصير، وقد تدمج فيها أيضا المخدات الجلدية، والوسائد.

-أربعة أفراد من (لْخْدْم) ووصيفة الدار؛ وتدل عبارة الخدم عادة على العبيد والإماء.

- بغلتين، والفرس الحرة

أما الحلي فكانت من بين أهم ما "حازه" القايد من "تركة دار" الشيخ، حيث جردت الوثيقة القطع التالية:

- الأساور، وتضم خمسة وعشرين دملجا مصنوعة من الذهب والفضة، وزوجان من الأساور (شمس وقمر) المصنوعة من الذهب والفضة كذلك، بالإضافة إلى عشرين زوجا من (تانبالت) الفضية المصنوعة بتقنية تسمى (صنعة مخزنية)

- أربعين قلادة للعنق منظومة بالمرجان والقطع الفضية[1].

- خمسين زوجا من المشابك الفضية، وكل زوج مربوط بسلسلة من نفس المعدن.

- اثنتا عشرة حلية من نوع "سْلتَا" المركبة من القطع النقدية والمرجان[2]،

- عشرين زوجا من أقراط الأذن الكبرى من نوع " الدُّوَاح " المصنوعة من الفضة.

من خلال استعراض مكونات الوثيقة، يمكن الخروج بمجموعة من الملاحظات:

- تتميز الحلي بتنوعها وكثرة قطعها، وبقيمة المواد التي صنعت منها، مما يجعل منها ثروة حقيقية، تتجاوز من حيث كميتها وأهميتها المادية، متوسط ما تتوفر عليه الأسر من حلي.

- تجمع هذه الحلي بين القطع المحلية المصنوعة من الفضة، والقطع "الوافدة" التي يدخل الذهب في صناعتها. وهذا "التعايش" بين الخصائص القبلية المحلية والخصائص الحضرية الوافدة كان من بين مميزات حلي الأسر الممارسة للسلطة.

- جاء ترتيب الحلي في هذا الجرد مباشرة بعد الأسلحة، ونرى أن هذا الترتيب لم يكن اعتباطيا، ويحيل ربما على ذلك الترابط القائم بين السلاح والثروة كركيزتين أساسيتين للسلطة.

- تنسجم أهمية الحلي ضمن "تركة الدار"، مع أهمية مظاهر الثروة الأخرى المتمثلة في وجود أربعة من (لْخْدْم) ووصيفة الدار، والفرس الحرة وعدد كبير من أواني النحاس.

لا تشير الوثيقة إلى الأسباب المباشرة التي شجعت القايد على تتريك أموال وحلي الشيخ؛ ونفترض أن مبادرته مرتبطة بالحرص على المحافظة على التوازنات السياسية المحلية، فالشيخ قُتِلَ في إطار صراعات بين الأجنحة المتنافسة على السلطة داخل القبيلة، وبما أن القايد الكنتافي كان يتابع هذا الصراع عن كثب، فقد يكون قرر التدخل لضمان عدم استعمال تلك الثروة في مشاريع سياسية قد لا تخدم

---

[1] **خلل في العبارة لا يسمح بفهم التركيب الدقيق للقلائد**

[2] **تطلق لفظ (سَلتا) في هذه المناطق على نوع من قلائد العنق، ولكنه في مناطق أخرى يطلق على حلية جبينية.**

مصالح مركز (تاڭنتافت) الذي كان يعمل على تثبيت نفوذه عل طول واد نفيس والقبائل المجاورة، ويراقب في نفس الوقت تطور المشاريع السياسية لمنافسيه في قبيلة (ءيڭلوّا) شرقا، و(اينتوكا) غربا.

وتوضح الوثيقة من جهة أخرى، أن سكان القبيلة عاينوا عملية الحيازة وهذا ما عبر عنه المحرر بعبارة " **على عين القبيلة، وكل ذلك في علمهم وتحقيقهم** "، ولم يكن من الممكن أن تتم هذه العملية بحضور السكان لولا موافقة القايد، الذي كان بإمكانه أن يعطي تعليماته بإبعاد "الفضوليين"، حتى "يستولي" على محتويات الدار. ولم يكتفي السكان بمتابعة أطوار الحيازة عن بعد، بل تتبعوا جزئياتها بدقة، وهذا ما سمح لهم بتحرير شهادة عدلية جماعية مفصلة لكل ما تمت حيازته من حيث الصنف والعدد والوصف والقيمة المالية. ونرى أن القايد كان حريصا على حضور الشهود لعملية الحيازة، حتى يتجنب الإشاعات والمبالغات، وحتى يتمكن من وضع (التتريك) في إطاره السياسي والاجتماعي "المنظم"، الخاضع للقواعد والضوابط المعتادة في التقاليد المخزنية المتوارثة.

4) ممارسات الحفاظ على الحلي

يتخذ صاحب السلطة السياسية ما يراه مناسبا من إجراءات للحفاظ على ممتلكاته مما يهددها من أخطار. وكانت أغلب هذه الإجراءات تشكل ممارسات شائعة يشترك فيها السكان وأقطاب المخزن. ونذكر منها ثلاث ممارسات أساسية، وهي: النقل، والاكتناز، والاستئمان[1].

أ- نقل الحلي

تحفل المصادر التاريخية بنماذج عديدة لضمِّ الحلي إلى الأموال التي ينقلها أصحاب النفوذ السياسي. ففي فترة الحكم السعدي مثلا، وبعد حكم المنصور الذهبي التي تميز باستقرار سياسي وازدهار اقتصادي ورخاء اجتماعي، سيشتد الصراع على الحكم بين المتنافسين من أبنائه. وبما أن كفة التوازنات العسكرية كانت تتغير باستمرار، فقد اضطر المنهزمون إلى نقل مجوهراتهم ضمن ما ينقلونه معهم من أغراض. فمولاي عبد الله الذي انهزم أمام مولاي زيدان، أُرغم على الخروج من مراكش، فوضع "كيسا مليئا بالمجوهرات من ياقوت وماس" في قربوس مقعد مطيته، لينقله معه[2]. وفي ظروف مشابهة، وعند اضطراب الأوضاع في مراكش، قامت أم الأمير مولاي زيدان بإخفاء كمية كبيرة من المجوهرات والنقود استعدادا لنقلها إلى شيشاوة[3]. وعندما توجه مولاي عبد الرحمان العلوي، ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله، إلى الجنوب المغربي واستقر عند عرب هوارة بسوس، كان يحتفظ على الدوام، ليلا ونهارا، عند مدخل خيمته بجملين سريعين، أحدهما محمل بالتبر والمجوهرات، والآخر مهيأ للركوب، وذلك ليكون مستعدا في كل الأوقات للتوغل في الصحراء في حالة تعرضه لهجوم مباغت[4].

---

[1] تحدث عمر أفا عن دور بعض هذه الممارسات في المحافظة على النقود بشكل عام .عمر افا، النقود . مرجع سبق ذكره ، ص 269

[2] خورخي دي هنين، وصف الممالك المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، 1997، ص. 157.

[3] نفسه

[4] Jackson , op. cit. p. 92.

لم يكن نقل الأموال مرتبطا بالضرورة بحالات الحروب والأزمات، فالسلطان كان كثير التنقل، وخزينته يجب أن تكون دائما في حالة تسمح بنقلها في أسرع وقت ممكن، فبعد وفاة مولاي عبدالله بن إسماعيل، وجد ابنه سيدي محمد الذي تولى مقاليد الحكم بعده، مجموعة من الثروات من بينها : " مائة رحى من الذهب الخالص كقرص الشمع، وفي كل رحى وزن أربعة آلاف ريال، وكانت تكون محمولة على البغال في أعدالها مغطاة بالقطائف المسماة عند المغاربة بالحنابل مشدودا عليها بالحبال"[1].

وكان القياد بدورهم يعمدون إلى نقل حليهم وأموالهم كلما اضطروا للرحيل عن قصباتهم ودورهم الفخمة؛ فعندما مر هوكر مع رفاقه من منطقة (ايحاحان) في القرن التاسع عشر، تحدث عن اضطرار أحد قياد المنطقة إلى الهروب من قصبته خوفا من ثورة سكان القبيلة. فهرب ليلا مع قافلة من نسائه وعبيده، بالإضافة إلى اثنين وعشرين بغلا محملا بالكنوز، وقد استطاع الإفلات من أتباعه الغاضبين الذين دمروا قصبته[2]. لا يعطي هوكر تفصيلا عن الكنوز التي نقلها القايد معه على ظهور البغال المحملة، ولكننا نرجح أنها كانت تضم كمية هامة من الحلي.

إذا تعذر على المسؤول نقل أمواله وأثاثه نحو مكان آمن، فإنه قد يعمد إلى إتلافها، كما فعل القايد سعيد المجاطي حين ثارت عليه قبيلته، وحاصرته بداره في قرية (تاڭـجـڭـالت) بقبيلة (ءيمجّاط) بالأطلس الصغير الغربي، فهرب ليلا بعدما أوقد النار على أثاثه وأمتعته"[3]. ويبدو أن المجاطي فضل حرق أثاثه كي لا يقع في ايدي خصومه. أما الحلي فمن المرجح أنها كانت من بين الأغراض التي رافقت القايد في هروبه ونجت من الحريق ومن نهب الثوار.

رغم ما كان يعترض نقل الأموال من صعوبات، وما تتطلبه هذه العملية من إمكانيات لوجيستيكية، ومن تنظيم محكم، فإن مسؤولي المخزن يحرصون عل اتخاذ الإجراءات اللازمة للتغلب على كل الإكراهات وحمل جزء من ثرواتهم معهم في تنقلاتهم. وكانت الحلي، الخفيفة الوزن والمرتفعة القيمة النقدية، من بين أهم ما يُنقل لتجنب سقوطها في أيدي المنافسين السياسيين، وكذا للاستفادة منها، إلى جانب الأموال الأخرى، كـ"خزينة متنقلة" من أجل تغطية المصاريف العادية والطارئة، وتمويل المشاريع العسكرية، وتمتين التحالفات لمحاولة استعادة السلطة.

---

[1] **خاد الناصري ، الاستقصاء، مصدر سبق ذكره ، الجزء الرابع ص. 92**

[2] **Dalton Hooker J., op. cit. p. p.331.**

[3] **السوسي ،المعسول، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثالث ص. 266**

ب- الاكتناز

أبدعت الذاكرة الشعبية في نسج حكايات كثيرة عن ممارسات الاكتناز، ودفن الثروات، وما يلف هذا المجال من أسرار وغموض، وما أحاط به من أخبار الخيانة والأطماع، وما ينطلي عليه من فلسفة وحكم[1]. وأثار دفن الأموال في حفر تحت الأرض اهتمام الكثير من الرحالة الأوروبيين[2] الذين زاروا المغرب، فذكر شوني أن السكان لم يكتفوا بتخزين فائض القمح فقط في المطامر تحت الأرض، ولكنهم كانوا يدفنون أيضا ثرواتهم. وتكثر هذه الممارسة في بعض المراحل التي تسود فيها القلاقل وينعدم فيها الأمن، ويضطر السكان إلى الرحيل عن قراهم، فيدفنون أموالهم التي ليس لهم لا الوقت ولا الإمكانيات لنقلها معهم في انتظار تحسن الأوضاع، والعودة لاستخراج ما أخفوه تحت الأرض[3]. وكانت عملية الدفن تشمل القطع النقدية، وكذلك الحلي وكل الأواني والأدوات المصنوعة من معادن ثمينة وخاصة الذهب والفضة[4]. وكان السلطان وكبار مسؤولي المخزن يضطرون بدورهم إلى دفن المال الذي يتعذر عليهم نقله اثناء تنقلاتهم حتى لا يقع بين أيدي المنافسين. ويتساوى في هذا السلوك السلطانُ في مراكز المملكة مع المسؤولين في أبعد مناطق الجنوب، فنجد مثلا أحد شيوخ قبيلة (ءاشتوكن) في سهل سوس، عندما اضطر للرحيل عن قصبته، بادر إلى دفن مال له تحت أرضية برج مخرب[5]. أما في مراكز الحكم، فسنذكر السلطان مولاي عبد الله [بعد جمادى الثانية 1149] الذي "احتمل أمه وعياله وحشمه وجميع ذخائره وأمواله وارتحل من مكناس، وكان لما أراد الخروج من مكناس إلى تادلا حيث وصله خروج العبيد عليه، دفن الأموال والذخائر التي لم تحضر الدواب لحملها"[6].

كان الخصوم السياسيون يجتهدون في البحث عن الأموال المدفونة، سواء في عواصم المملكة أو في أبعد القبائل. فهذا مولاي محمد الذي كان خليفة في تارودانت استغل متاعب والده مولاي إسماعيل، وخطط للاستيلاء على مراكش رفقة 40 الف من جنوده، واستطاع الاهتداء إلى الكنوز التي دفنها قايد هذه المدينة بعد ان دلته أمَة شابة على مكانها[7]. وفي الأطلس الكبير الغربي، وبالضبط في (ايسكساوان)،

---

[1] انظر نموذجا من هذه الحكايات عند هوكر: Dalton Hooker J., Journal,op.cit . p.471-473

[2] اشار اليها كل من دي شونيي: De Chenier , op. cit. p. 220
و الاسيرة الهولندية ماريا تير ميتلن التي استقرت في المغرب بين 1731 و1743: ماريا تير ميتلن، اثنتا عشرة سنة من الاستعباد، مصدر سبق ذكره، ص.86.

[3] نفسه

[4] ، حفر السلطان محمد بن عربية بحثا عن الذخائر التي كان دفنها مولاي عبد الله [بعد ذي القعدة 1149 هـ] فوجد كثيرا من الذهب المطبوع ومن الدراهم السكية وكثيرا من الأساور من الذهب والفضة، وكثيرا من الجواهر واليواقيت وسكاكين كثيرة بجبائر الذهب، أنظر: محمد بن الطيب القادري ،نشر المتاني ،الجزء الثالث، الرباط ، 1988،ص. 394

[5] ا السوسي، المعسول، مصدر سبق ذكره، الجزء 14 ، ص. 124.

[6] محمد بن الطيب القادري ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثالث ، ص. 394

[7] De Chenier M., op.cit. p.409.

نجح أحد الأعيان في طرد منافسه من القبيلة، وفرض سلطته بعد سنوات من الحرب بينهما؛ وأمر بالحفر تحت رماد منزل الرئيس المنهزم بحثا عن الأموال[1].

لقد رسخت الأخبار التاريخية، من جهة، والحكايات الشفوية من جهة ثانية، صورة المغرب كبلد الدفائن الكثيرة[2]، والكنوز السرية التي ترقد تحت أطلال البنيات في كل المناطق[3]. وإذا كانت أغلب الأخبار حول هذا الموضوع تكتسي طابعا أسطوريا، وتتسربل بطابع من الغرائبية والغموض، فإنها مع ذلك تعكس الدور الهام الذي منحته الممارسات والذهنية المغربية لأعماق الأرض في صيانة أنفس الممتلكات بدأ من خزن الزرع ووصولا إلى دفن الحلي.

ت- الاستئمان

في الكتاب الذي خصه دييكو دي طوريس للمغرب في القرن السادس عشر، تحدث المؤلف عن الكثير من العادات والممارسات الثقافية والإجتماعية، كطقوس الدفن والتقاليد الجنائزية؛ وأشار في هذا الإطار إلى أن الناس يضعون " المال والمجوهرات في أضرحتهم مقتنعين بأنهم سيجدون كل ذلك في الآخرة ويتاجرون به"[4]. ويبدو أن الكاتب عاين نقل الناس للحلي والأموال إلى بعض الاضرحة، ولكنه لم يفهم الغرض من ذلك، واعتقد أنها تدخل في الطقوس الجنائزية[5]. والواقع أن هذه الممارسة كانت من المبادرات التي تساهم في الحفاظ على هذه الأغراض الثمينة بوضعها في فضاءات ذات طبيعة مقدسة.

تحظى مجموعة من الفضاءات بالاحترام والتوقير بفضل ما تتسم به من قدسية ولما تحتله من مكانة خاصة في الممارسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للسكان. وتشمل هذه الفضاءات المساجدَ والمدارسَ العلمية والأضرحةَ والزوايا الدينية. ولكل فضاء من هذه الفضاءات وظائف خاصة، ولكنها تؤدي في نفس الوقت وظيفة مشتركة من خلال ما توفره من حماية للأشخاص والممتلكات؛ فهذه الأماكن لا تنتهك حرمتها، ويلجأ لها المظلوم أو الهارب دون ان يتجرأ أحد على متابعته[6].

تُعرف أغلب الأماكن المقدسة عادة بالمصطلح الامازيغي (ءاڭدال)[7]. ويطلق نفس المصطلح على المراعي المحمية التي يمنع استغلالها للرعي خلال فترة محددة إلى أن تُستنزف المراعي الأخرى. ويدل أيضا على المنع الذي يطال أشجار الأركان عند اقتراب أوان نضج الثمار؛ كما انتقلت دلالة المصطلح إلى

---

[1] Chapelle F. de la, « La formation du pouvoir monarchique dans les tribus berbères du Haut Atlas occidental », Hespéris, 1928,pp. 263-283, p.286.

[2] Thomson , op.cit. p. 377.

[3] Doutté E , En tribu . op . cit.p.374

[4] ديكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء،مصدر سبق ذكره ص. 158.

[5] أو ضح المترجمون إلى اللغة العربية في الهامش أن المؤلف يعمم" عادة حمل الصدقات والنذور إلى اضرحة الأول ياء على جميع الموتى ويؤول ذلك تأويلا بعيدا عن تعاليم المسلمين وبدع المسلمين معا ". المصدر السابق ، ص. 158

[6] Doutté E , En tribu . op . cit.p.393.

[7] ويقابلها في العربية لفظ (الحِمَى). انظر: السوسي ، خلال جزولة، مصدر سبق ذكره ، الجزء الرابع، ص. 33

البنايات والمؤسسات الدينية والسياسية، فيُطلق على الأرض المحصنة الملاصقة للقصور السلطانية بكل من مكناس والرباط ومراكش، وعلى منطقة الحماية المحيطة بالضريح[1] أو [الزاوية].

كانت (الزواية) من أهم مؤسسات (ءاڭدال)التي تحظى بعناية خاصة من طرف السكان والمخزن على السواء، وكان مصطلح (الزاوية) يدل على أضرحة الأولياء والصلحاء الموزعة في القرى والقبائل، كما يدل على البنايات التي تقيمها الطرق الصوفية المختلفة ليجتمع فيها المريدون للذكر والعبادة[2]. وكانت "زوايا" الأولياء المشهورين تشكل أماكن آمنة لا يمكن انتهاك حرمتها، ولا تصل لها يد انتقام الأشخاص أو العدالة[3]. وكان بعض الناس يُودِعون أغراضهم الثمينة في الاضرحة[4]، كأمانات مصانة، وخاصة الحبوب، والأرشيف المكتوب والحلي وأغراض ثمينة[5]. وكانت كل عائلة تحرص على العناية بأرشيفها المكتوب الذي يضم وثائق مختلفة من بينها عقود ملكية الأراض، ويضع السكان هذه الوثائق في أماكن آمنة سواء في المخزن الجماعي المحصن(أكادير) أو في المؤسسات الدينية كالأضرحة، وقد ذكر المختار السوسي أنه عندما دخل قبة (سيدي عمرو بن هارون) بمنطقة (أولوز) بسهل سوس، وجد في جوانبها "كشكولات[6] فيها رسوم[7] الناس، فلا يقدر أحد أن يمسها في كل وقت وفي كل الفتن..."[8]

كانت الحلي من الممتلكات النفيسة التي تجد طريقها إلى حرم (ءاڭدال) لتنعم بالحماية اللازمة، وقد ذكر المختار السوسي أن القبائل اعتادت أن تضع ما تملكه من "ذهب ولوبان[أصفر] ورسوم وأنواع الامتعة" عند فقهاء المدارس العلمية مخافة إغارة العدو ونهب الديار، وذلك "لكون المدارس وفقهائها في غاية الإحترام"[9].

لقد شكلت مختلف مؤسسات (ءاڭدال) المكان الآمن الذي كان السكان يودعونه أنفس ما يملكون من أثاث وأموال وحلي، لذا فإن الأعراف المتوارثة والقوانين المكتوبة تؤكد على دور الزاوية في حفظ أمانات الناس وتؤكد على ضرورة التزام الجميع بأمن هذه الودائع، وتتوعد المخالفين بالعقوبة والغرامة[10] وكانت فضاءات الاكدال، من أضرحة وزوايا ومساجد ومدارس، أماكنَ "محايدة" تحظى باحترام القبائل والمخزن على السواء، وظلت منزهة عن النزاعات والخلافات لتؤدي وظيفتها في أغلب الظروف

---

[1] **Laoust E., 1934," Habitation " .op . cit. p. 120.**

[2] **انظر: بصير، الحاجة الماسة، ص. 242، و Jackson , op. cit. p.**

[3] **Thomson , op. cit . 97.**

[4] **Jackson , op. cit. p. 147.**

[5] **كانت هذه الممارسات شائعة خارج سوس أيضا ، ففي منطقة الغرب، حين ينعدم الأمن، كان السكان يضعون أغراضهم الثمينة في "زاوية" تنسب إلى ولي صالح يعرف باسم: "سيدي عمر الحاضي"، وقد أطلق عليه هذا الاسم –أي الحاضي- لأنه يؤمن حراسة رمزية للأمانات فلا يقترب منها أحد :**

Villes et tribus du Maroc Rabat et sa région tome : IV Le Gharb : les Djeballas Editions Frontispice Casablanca 2002, p. 67

[6] **الكشكولات هي فتحات غير نافذة في الحائط.**

[7] **(الرسوم) هي الأرشيف والوثائق العائلية المخطوطة .**

[8] **السوسي، خلال جزولة، مصدر سبق ذكره، الجزء الثاني ص. 177.**

[9] **السوسي ، المعسول، مصدر سبق ذكره ،الجزء 3، ص. 281.**

[10] **إ أعطت قبيلة (ءاشتوكن) الأمان لكل من يلتجئ بنفسه أو بماله إلى الزاو ية البوشوارية . أنظر: العثماني ، مرجع سابق ، ص126-127 .**

والأزمات. وكان المخزن يدرك أهمية هذه المؤسسات، ويحترم قدسيتها، ولا يتجرأ عادة على انتهاك حرمتها، فلا يطارد خصومه حين يحتمون بها[1]، ولا تمتد يد جيشه لنهب الممتلكات والثروات الموضوعة فيها. وكان السكان أحيانا يحفرون مطاميرهم لخزن الحبوب بالقرب من مجال موقر كالمسجد[2] كي لا تتعرض للنهب في حالة تقدم جيش المخزن، واضطر أصحابها للرحيل، وتبقى مصانة إلى أن يعودوا إلى قراهم، ويستخرجون الزرع الذي تستحيل الحياة بدونه.

كان رجال المخزن النافذين من قياد وشيوخ يحترمون فضاءات (ءاڭدال)، لأنهم يدركون أهيمتها، ولا يجدون حرجا في الاستعانة بحرم الزاوية والضريح أو المدرسة والمسجد من أجل وضع ثرواتهم، بما فيها من حلي، في مأمن من ثورات السكان أو من تقلب مزاج المخزن اتجاههم بسبب الدسائس والمؤامرات التي ينسجها القياد المنافسون[3]. ولم يكن احترام (ءاڭدال) مرتبطا بخلفيات دينية ورمزية خالصة، ولكنه كان محكوما باعتبارات "براغماتية" ملموسة؛ فلم يكن من مصلحة الرئيس أن ينتهك حرمة هذه المؤسسات ما دام قد يحتاج خدماتها يوما ما، بعد أن يتقلص نفوذه أو تتراجع سلطته. لقد كان رجال المخزن حريصين على عدم الإضرار بمكانة هذه المؤسسات، لأنه عندما تتغير موازين القوى، وتتبدل مواقع السلطة، سيصبح صاحب النفوذ بالأمس، مُطارَدا باحثا عن الأمان في اليوم الموالي.

[1] **Doutté E , En tribu . op . cit.p.79**

[2] **اضطر الفقيه المشارط في مسجد ايداوعيسى بقبيلة (ءاشتوكن) للهرب حين هجم جيش القايد الكيلولي على المنطقة، "فلما رجع وجد بيته ومطمورة أمامها لم يمس أحد ما فيها احتراما للمسجد" .السوسي، المعسول ، مصدر سابق ، الجزء 14، ص.134**

[3] **كان الضارضوري من اهم قياد المخزن في سوس، وقد بنى ديارا لخزن أمواله ورسومه -أي ارشيفه المكتوب- في "حرم" ضريح سيدي عمرو بن هارون، "لان الحروب كانت لا تنقطع، ولكن كل ما في حرم الزاوية لا يمس بيد ". أنظر السوسي، خلال جزولة، مصدر سبق ذكره، الجزء الثاني ص. 177**

خاتمة

كانت الحلي حاضرة في كل مفاصل السلطة والنفوذ في المجتمع التقليدي بالجنوب كما في كل مناطق المغرب، وشمل حضورها مؤسسات القبيلة والأوساط المخزنية والفضاءات المقدسة من زوايا وأضرحة ومساجد ومدارس. فعلى مستوى القبيلة، كانت الحلي تشكل وسيلة فعالة لربط العلاقات بين الأفراد والعائلات من قبائل وتجمعات متباعدة، فإذا كانت المعاملات حول الأراضي الفلاحية محكومة بحسابات وإكراهات عائلية وقبلية، فإن الحلي كانت تنتقل بسهولة بين الأفراد بواسطة معاملات الرهن والبيع ، وبين العائلات بواسطة المصاهرة وما يرتبط بها من معاملات. وأبدع السكان مؤسسات تدبيرية فعالة، وقواعد قانونية مكتوبة لضبط تحركات الحلي داخل القبيلة وخارجها.

كان مصطلح (المخزن) يدل على إطار سياسي عريق لممارسة الحكم المركزي في المغرب، وكان هذا المصطلح، وكما رأينا، مرتبطا من الناحية اللغوية بمؤسسة معدة أساسا لتشكل خزانا للمال والأسلحة والذخيرة، والمؤن من كل نوع، لذا عملت الدولة على إقامة مخازن في مختلف مناطق البلاد، لحفظ الزرع قصد توفير حاجيات الجند، والاستعداد للمجاعات القاسية التي كانت تهدد "الأمن الغذائي" للسكان بفعل التقلبات المناخية المتواصلة. ولم تكن الحلي بعيدة عن اهتمامات (المخزن)، فسارع السلاطين والقواد والرؤساء وشيوخ القبائل الى "خزن" الحلي، لما لها من دور في توفير التمويل الضروري لكل المشاريع والطموحات السياسية.

لعبت الفضاءات الدينية المبجلة أدوارا متعددة في تاريخ المجتمع المغربي، فساهمت في "التأطير الديني" للسكان، واضطلعت بدور الوسيط بين الأطراف المتنازعة، وعملت على توفير المساعدة في حالات لمجاعة بفضل ما توفر لها من موارد متنوعة. وكانت وظيفة حماية الأموال والحلي من بين العوامل الكثيرة الأخرى التي تفسر الأهمية التي حظيت بها الزوايا والمدارس والاضرحة لدى السكان والمخزن.

الخاتمة

انتهت بنا الحلي لملامسة جوانب أساسية في تاريخ المجتمع بمجال هذه الدراسة، فتبين لنا أن القرى في الجبال، والواحات في تخوم الصحراء لم تكن معزولة عن حركة التجارة العالمية. وكانت المواد التي تدخل في تركيب الحلي تستقدم من قارات مختلفة، وتصل إلى القرى النائية عبر شبكة من الطرق والأسواق، ولم يتوقف تدفق هذه المواد منذ القرن السادس عشر على الأقل، مما يؤكد أن التجارة كانت تتجاوز كل العوائق السياسية والعسكرية والثقافية لتربط بين الشعوب التي تفرقها الجغرافيا، ويجمعها الاهتمام بالأناقة والجمال.

وسافرت بنا الحلي حتى موريطانيا في الجنوب ونحو الجزائر وتونس في اتجاه الشرق، حيث وقفنا على روابط عميقة بين الصياغة في كل هذه البلدان. وتتجلي هذه الروابط في نوعية الأدوات المستخدمة، وفي بعض تقنيات الإنجاز، وفي تصاميم الحلي، بل وحتى في المعجم بمكوناته الأمازيغية والعربية. وهذا ما يبين أن الحرفيين في هذه المناطق صاغوا خصائصهم المحلية انطلاقا من إرث تاريخي مشترك.

وبيَّنا كيف ساهمت البنيات السياسية القبلية والتقاليد التشريعية المحلية في ضبط تنقلات الحلي بين الأفراد والجماعات. ورصدنا جانبا من التقاطعات المعقدة بين القبيلة والمخزن والزاوية في مجال حماية الثروات. وتوسعنا في استعراض جهاز العروس(ءاروكو) ودوره في خلق التوازن بين حق الفتاة في نيل حظها الشرعي من الإرث، من جهة، وضرورة بقاء الأرض ضمن إطار عائلي ضيق باعتبارها تشكل الوعاء المادي للقبيلة، من جهة ثانية. كما أثرنا حق الكد والسعاية (تيزّلا) الذي شكل آلية محلية مبتكرة للإنصاف في المجتمع التقليدي، وأتاح للمرأة، ومنذ قرون، الاستفادة من حظها في تكوين وتنمية الثروات.

وتتبعنا دورة الحلي انطلاقا من زمن الخصب وتكوين الثروات، حين يسارع السكان إلى الادخار الآمن للأموال في منتجات الصياغة، وصولا إلى أهمية الحلي عند مواجهة تداعيات مختلف الأزمات كالمجاعة والجفاف، أو الحرب والأوبئة، وعرضنا في هذا الإطار، بعض الوثائق المحلية التي تقدم نماذج للإجراءات التي وضعها المجتمع لضبط تنقلات الحلي والثروات، وصيانة الحقوق في "زمن الوباء".

وأثرنا بعض القضايا التي يبدو لنا أنها في حاجة الى المزيد من البحث واالتمحيص، وخاصة أصول بعض التقنيات الفريدة، كالنيال الزجاجي، والنيال الرصاصي، وتقنية (تاوكّا). كما أثرنا قضايا اقتصادية مرتبطة بمكانة القطع النقدية والمسكوكات في الحلي التقليدية، والتي تحتاج إلى دراسة مستقلة،

وأشرنا أخيرا إلى قضية البعد الرمزي للحلي، التي يبدو لنا الآن أن تحليل أبعادها يمكن أن ينطلق من الوظائف ومن الحمولة الثقافية المحلية... ونرى أن مقاربة هذه القضايا يتطلب المزيد من العمل الميداني مع الحرفيين، والبحث في الوثائق التاريخية والأرشيفات العائلية، مع ضرورة نشر نتائج الأبحاث الأثرية التي أنجزت في المنطقة.

وخلصنا أخيرا إلى أن الحلي تشكل حوامل مادية لتراث ثقافي هام يعكس غنى الرصيد الحضاري المغربي، وذلك بفضل تنوع أشكالها وزخارفها، وتعدد تقنيات إنجازها، وعمق دلالاتها الاجتماعية، وعراقة جدورها التاريخية. ويستحق هذا التراثُ التقني والجمالي الأصيل، العنايةَ والاهتمام على المستوى القانوني لضمان حماية القطع النفيسة والتحف النادرة من أخطار الاتجار غير المشروع. كما يحتاج هذا التراث إلى تلقينه للأجيال الصاعدة من الحرفيين، من خلال الحرص على إدماج الحمولة الثقافية التقليدية للحلي ضمن برامج التكوين في مراكز الصياغة. ومن شأن هذه الخطوات أن تساهم في المحافظة على هذا الإرث الحضاري الفريد الذي ساهم في صياغة هويتنا الحضارية، تلك الهوية التي حافظت على خصوصياتها المميزة، واستطاعت أن تتفاعل باستمرار مع ثقافات أخرى.

البيبليوغرافيا

1- المصادر باللغة العربية :

- ابي عبيد البكري، **المسالك و الممالك**، الناشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، 1969.
- ابن الخطيب لسان الدين ، **خطرة الطيف**، ارتياد الافاق، الطبعة الأولى، 2003.
- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الرابعة ،2012 .
- التادلي (ابن الزيات)، **التشوف إلى رجال التصوف** وأخبار أبي العباس السبتي، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، 2014
- ابن زيدان، **العز والصولة** ، الجزء الثاني ، المطبعة الملكية، الرباط، 1962.
- ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج: 1، طبعة الثالثة ، بيروت، 1983.
- احبار من عائلة أداندان الغرناطية الفاسية، **كتاب التواريخ او تاريخ فاس**، تـأليف ، ترجمة عبد العزيز شهبر، نشر جمعية تطاون أسمير، تطوان ،2002.
- البيدق، **اخبار المهدي وبداية الدولة الموحدية**، مطبعة دار المنصور، الرباط، 1971.
- التاسافتي عبد الله بن إبراهيم، **رحلة الوافد، لحظات من تاريخ ادرار ن درن (اطلس مراكش) وسوس في القرن 12 الهجري/ 18 الميلادي**، تحقيق علي صدقي ازايكو، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة نصوص ووثائق، القنيطرة، 1993.
- الحضيكي محمد بن أحمد، **طبقات الحضيكي**، تقديم وتحقيق بومزگـو أحمد، (جزئين)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006.
- الجزنائي علي ، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1991.
- دي صالدانيا أنطونيو، **أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب**، تقديم وترجمة وتحقيق: إبراهيم بوطالب وعثمان المنصوري ولطفي بوشنتوف، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة (Rabat Net Maroc)، الرباط،2011.
- الشريف الادريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، اعتنى بتصحيحه ونشره هنري بيرس (Henri Peres) دار الكتب، الجزائر، 1957.
- الزياني أبو القاسم ، **البستان الظريف في دولة مولاي علي الشريف** القسم الاول (من النشأة الى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الاولى ، 1992.
- الضعيف محمد بن عبد السلام ، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)**، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، دار المأثورات، الطبعة الأولى، الرباط، 1986.
- محمد المختار السوسي، **خلال جزولة**، المطبعة المهدية، تطوان، (اربعة أجزاء)،1377 ه.

- محمد المختار السوسي، **حول مائدة الغذاء**، مطبعة الساحل، الطبعة الأولى، الرباط، 1983.
- محمد المختار السوسي، **إيليغ قديما وحديثا**، هيأه للطبع وعلق عليه الفقه الأديب محمد بن عبد الله خرباش الروداني المعروف بكوثر، المطبعة الملكية، الطبعة الرابعة، الرباط ، 2005.
- محمد المختار السوسي، **الرؤساء السوسيون في العهود الأخيرة من أواخر القرن الثالث عشر الى أواسط القرن الرابع عشر الهجريين**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط الطبعة الأولى، 2010.
- القادري محمد بن الطيب ، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ، الجزء الثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية ، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1982.
- مارمول كاربخال، **افريقيا**، ثلاثة أجزاء، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بن جلون، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984.
- **كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية**، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، 1971.
- **كتاب الاستبصار في عجائب الامصار**، وصف مكة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد المجيد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
- المقدسي محمد بن أحمد ، **احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم** ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2003 .
- مؤلف مجهول، **سيرة الأكابر في ذكر بعض لغة البرابر**، إعداد وتحقيق أحمد المنادي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، 2012.
- مويط، **رحلة الأسير مويط** ، ترجمة حمد الاخضر ، مركز الأبحاث والدراسات العلوية، الريصاني، دار المناهل، الرباط، 1990
- طوريس ديكو دي ، **تاريخ الشرفاء**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1988.
- العياشي عبد الله ، **الرحلة العياشية 1661 - 1663م**، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، منشورات دار السويدي، أبو ظبي، 2006.
- الكرسيفي عمر بن عبد العزيز، **رسالة في قسمة التركة اذا كان فيها كد وسعاية حفاظا على حقوق المرأة و الكسبة، المؤلفات الفقهية الكاملة للعلامة عمر بن عبد العزيز الكرسيفي**، جمع وتحقيق عمر افا، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 2006.

- ناصر الدين على القوم الكافرين، **مختصر رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب لأحمد بن قاسم الحجري الاندلسي (أفوقاي)** ، تحقيق محمد رَزُوق، من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء (3)، مطبعة النجاح الجديدة ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء،1987.
- النفيسي عمر بن عبيد الله بن علي، **المجموع اللائق على مشكل الوثائق معجم عربي أمازيغي،** تأليف عمر بن عبيد الله بن علي النفيسي القرن 12 هـ / 18 م، تحقيق عمر افا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007.
- الوزان الحسن، **وصف افريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت دار الغرب الإسلامي،1983.

2- المراجع باللغة العربية

- أديوان محمد، **الثقافة الشعبية المغربية الذاكرة والمجال والمجتمع**، مطبعة سلمى، الرباط، 2002.
- أديوان سعيد، " أركان"، **معلمة المغرب**، الجزء الاول، ص. 323-324، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا ، 1989 .
- اشوان بلقاسم، **الشعر الشعبي في قبيلة امانوز**، بحث الاجازة، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط ، تحت اشراف الدكتور عباس الجراري، 1976.
- أزيكي عبد الله ، **منحلة تادارت انزركي بايدا اوزيكي الأطلس الكبير (الذات – الحقل الثقافي – التاريخ)**، مطبعة الورود، إنزكان، 2017.
- أوسوس محمد ، **اماوال ن ءمودرن معجم حيواني (فرنسي-امازيغي-عربي)**، مؤسسة تاوالت الثقافية – سلسلة معاجم ، (طبعة رقمية).
- اكنوش عبد اللطيف، **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب**، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، (بدون تاريخ)
- **أسبوع الزربية الواوزكيتية بدائرة تاليوين** ، يوليوز 1989، بحث مرقون.
- اشماعو محمد، **المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة 1350-1400هـ**،مطبعة الرسالة، الرباط، 1980.
- أفا عمر ، **مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-1906)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، الطبعة الأولى. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988= عمر أفا، النقود

- افا عمر، " اكوتام" ، **معلمة المغرب**، الجزء 1، ص 635-636 ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا، سلا ، 1989 = افا عمر، " اكوتام".
- افا عمر، "الدرهم"، **معلمة المغرب** ، الجزء 12،ص. 4019-4021، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر مطابع سلا، سلا، 2000= افا عمر، "الدرهم".
- عمر افا و الحسين افا، **قبيلة مسكينة في سوس غرب الاطلس الكبير: بوابة سوس**، الطبعة الاولي ، مطبعة imprimerie EXPRIM'IMMPRESSION، 2017= عمر افا و الحسين افا، قبيلة مسكينة.
- اقديم محمد ، **التحولات السوسيو تاريخية في منطقة الاطلس الكبير من اقّيفن الى إمنتانوت** مساهمة في كتابة التاريخ المحلي، منشورات دار الأمان، مطبعة الأمنية، الرباط، 2016.
- أمرير عمر ، **رموز الشعر الامازيغي، وتأثرها بالإسلام**، مطبعة دار السلام، الرباط، 2003= امرير عمر ، **العصاميون السوسيون في الدار البيضاء**- السلسلة الذهبية الأولى، الطبعة الثانية ، مطبعة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 2017= امرير عمر ، العصاميون.
- امرير عمر ، **سيدي حمو الطالب شاعر امازيغي عالمي من مواليد 1706**، دار النشر سوماكرام، الدار البيضاء، 2017= امرير عمر ، سيدي حمو
- أيت بومهاوت الوسخيني السملالي امحمد، **اطلالة تمنح الاجيال تاريخ قبيلة إداوسملال**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2015.
- ايت عدي مبارك والمحفوظ اسمهري، **واحات طاطا : سحر المجال وغنى التراث"**، سلسلة تاريخ ومجتمعات المغرب الصحراوي ، دار النشر DTG Société nouvelle، الرباط، 2011.
- بجي خديجة، **الحلي في عقود النكاح السوسية: دراسة معجمية احصائية**، اطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، 2013-2014.
- محمد بصير، **الحاجة الماسة الى تعريف ماسة**، مطبعة IRAMSI، الدار البيضاء،2011.
- بلفقير محمد، **المعتقدات والعادات بقبيلة ايت وافقا وعلاقتها بالادب المغربي**، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط/ تحت اشراف د. محمد بنشقرون، 1980.
- بوزيد الكنساني أحمد، **محمد بن سليمان الروداني من اعلام المغرب في القرن الحادي عشر الهجري**، منشورات عكاظ، الرباط، 1990.
- بوزيد الكنساني أحمد، **أحواش الرقص والغناء الجماعي في سوس**، منشورات عكاظ، الرباط، 1996.

- بوزيد الكنساني أحمد، **تاريخ تارودانت في العصر الحديث : عهد الدولة السعدية**، منشورات منتدى الادب، 2006.
- بوزيد الكنساني أحمد و ج. **عمر حبين ايد يوس الخلفاوي، من تاريخ الاطلس الكبير الغربي، أسرة إد يوسف الوزكيتية بأوناين**، مطبعة دار السلام، الرباط، 2019 .
- بووزيد الكنساني أحمد ، **تاريخ تارودانت في العصر الحديث: عهد الدولة العلوية**، كتاب مرقون.
- الحسين البعاوي، "الكحول"، **معلمة المغرب**، الجزء 20، ص. 6775، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا،2004 .
- بنعبيد عبد المالك ، "اركان –نبات"-، **معلمة المغرب**، الجزء 1، ص.322-323، الجمعية المغربية للتـأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1989.
- بنعبيد عبد المالك ، "الريحان"، **معلمة المغرب**، الجزء 13 ، ص.4511-4510 ،الجمعية المغربية للتـأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا،2001.
- بنعبيد عبد المالك ، "الزعفران"، **معلمة المغرب**، الجزء 14، ص. 4667-4666، الجمعية المغربية للتـأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 2001 .
- بنعبيد عبدالمالك ،" السواك"، **معلمة المغرب**، الجزء 15، ص. 5148، الجمعية المغربية للتـأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 2002.
- بنعبيد عبد المالك ، "الطرفاء"، **معلمة المغرب**، الجزء 17، ص. 5739-5740، الجمعية المغربية للتـأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا،2003.
- بنعبيد عبد المالك ،" القرنفل"، **معلمة المغرب** الجزء 19، ص. 6623-6624، الجمعية المغربية التأليف وللترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 2004.
- بنعبيد عبد المالك ، "الكتان" ، **معلمة المغرب**، الجزء 20، ص. 6745-6746، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 2004.
- بنيدير جامع، **سوس والبحر من خلال المعجم لامازيغي للكائنات البحرية**، منشورات مركز أكلو للبحث والتوثيق رقم-7، مطبعة الأمنية، الرباط، 2015 .
- بلحركة كمال، **"حقوق المرأة العاملة عند النوازليين المغاربة: حق الكد والسعاية نموذجا"**، مداخلة ضمن ندوة دولية في موضوع النوازل الفقهية عند المالكية : تـأصيلا وتطبيقا، دار الحديث الحسنية يومي 1 و2 مارس 2017، (نسخة رقمية).
- إبراهيم بوطالب، "المخزن" ، **معلمة المغرب** ، الجزء 21،ص. 7038-7042،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا ، 2005.

- بوشرب أحمد، **دكالة والاستعمار البرتغالي الى سنة اخلاء آسفي وأزمور (قبل 28 غشت 1481 – أكتوبر 1541)** ، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1984.
- بوسلام محمد، "الحايك" ، **معلمة المغرب**، الجزء 10، ص. 3291-3292 الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1998.
- بوسلام محمد "الحلي"، **معلمة المغرب** ، الجزء 11، ص. 3553-3554. الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، مطابع سلا، 1998.
- محمد بوسلام ، "الشوار"، **معلمة المغرب**، الجزء 15، ص. 5428، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا،2001.
- خديجة بن بوسلهام، **المخزن والمجتمع في النصف الأول من القرن التاسع عشر عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام، 1822-1859**، نشر المندوبية الساية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار ابي رقراق، الرباط، 2013.
- بومزگو أحمد، "البحر في تاريخ سوس"، ضمن كتاب جماعي : "ثقافة البحر والصيد البحري بسواحل سوس" **اشغال اليوم الدراسي المنظم بدار الثقافة بتزنيت** يوم 2012/12/15، منشورات مركز اگلو للبحث والتوثيق رقم 8، ص. 25-30، 2016.
- بياض الطيب ، **المخزن والضريبة والاستعمار: ضريبة الترتيب 1880-1915**، مطبعة افريقيا الشرق، الدار البيضاء،2011.
- **تزنيت: الذاكرة الجماعية**، إشراف: عبد اللطيف أعمو، منشورات بلدية تيزنيت، المطبعة الرئيسية، أكادير، 2009.
- التمنارتي عبد الرحمان، **"الفوائد الجمة في اسناد علوم الامة"**، اعداد محمد بن عبد الله الروداني، تحقيق اليزيد الراضي، وطبع ونشر مطبوعات السنتيسي ، الدار البيضاء، ص. 79-80 ، 1999.
- التوفيق أحمد ، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850-1912)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، رسائل وأطروحات رقم 6، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2011= التوفيق أحمد ، المجتمع.
- التوفيق أحمد ، **الإفتاء والتاريخ قضية المرجع الديني في النقاش حول التنمية ببلاد الإسلام**، مطبعة النجاح الجديدة (CTP)، الدار البيضاء، 2019= التوفيق أحمد ، الإفتاء
- حجاج الطويل محمد ، "المرس"، **معلمة المغرب** ، الجزء 21، ص. 7086، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2005.

- الحلوي محمد، **معجم الفصحى في العامية المغربية**، شركة النشر والتوزيع الدار البيضاء، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 1988.
- جهادي الحسين، **من ذاكرة سوس وبصمات الحاضر نموذج ايت باعمران**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2016 .
- خورخي دي هنين، **وصف الممالك المغربية**، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،1997 .
- السبتي عبد الأحد، **بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،2009.
- رينهارت دوزي، **تكملة المعاجم العربية، الجزء السابع**، ترجمة محمد سليم النعيمي، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992.
- زرهوني محمد، **العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرفي الاطلس الكبير الغربي في أعوام الستين من القرن التاسع عشر**، جامعة الحسن الثاني-عين الشق-، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الاطروحات الرسائل: 5. مطبعة فضالة، المحمدية، 1988.
- شروتر دانييل، **تجار الصويرة المجتمع الحضري والامبريالية في جنوب غرب المغرب 1844-1886**، تعريب خالد بن الصغير، سلسلة نصوص واعمال مترجمة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، بالدار البيضاء، 1997.
- شفيق محمد، **المعجم العربي الامازيغي**، ثلاثة اجزاء، منشورات اكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 1987-2000= شفيق محمد، المعجم.
- شفيق محمد، **الدارجة المغربية مجال تَوارد بين الامازيغية والعربية**، منشورات اكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،1999= شفيق محمد، الدارجة
- الصالحي صالح بن عبد الله، **المدرسة الاولى**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998.
- صابر أحمد ، **رحلة سفارتين اسبانيتين الى مراكش: رحلة السفير فرسنثكو ميري أي كلوم الى مراكش 12 مايو 22 يونيو 1863**، الرباط، 2003.
- العبادي الحسن ، **فقه النوازل في سوس قضايا وأعمال**، منشورات كلية الشريعة بأكادير، رسائل وأطروحات جامعية -5، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999 .
- العثماني أمحمد، **ألواح جزولة والتشريع الإسلامي دراسة لأعراف قبائل سوس في ضوء التشريع الإسلامي**، منشورات دار الأمان ،الطبعة الثالثة، ، الرباط، 2017.
- العطراوي عبد الرحيم ،" سوس والبحر من خلال بعض الدراسات"، ضمن كتاب **جماعي ثقافة البحر والصيد البحري بسواحل سوس**، اشغال اليوم الدراسي المنظم بدار الثقافة بتزنيت يوم 2012/12/15، منشورات مركز اكْلو للبحث والتوثيق رقم 8، ص. 69-84.، تيزنيت ، 2016.

- كيكر عبد الله، **قبيلة ايت براييم تاريخ وذاكرة**، مطابع الرباط نت، الرباط، 2015.
- ميتلن ماريا تير ، **اثنتا عشرة سنة من الاستعباد** : رحلة أسيرة هولندية في بلاد المغرب 1731-1743، ترجمة وتقديم بوشعيب الساوري، منشورات المتوسط بميلانو ايطاليا، دار السويدي للنشر والتوزيع ابوظبي الامارات، الطبعة الأولى، 2018.
- المحمدي على، **السلطة والمجتمع في المغرب نوذج أيت باعمران**، دار توبقال، الدارالبيضاء، الطبعة الاولى، 1989.
- المنصوري عثمان ،**تطور التجارة باسفي خلال القرن السادس عشر الميلادي، تاريخ إقليم اسفي من الحقبة القديمة الى الفترة المعاصرة**، اعداد محمد الاسعد، دفاتر دكالة عبدة رقم : 1، منشورات مؤسسة دكالة عبدة ، دار النشر الغربية، الدار البيضاء، 2000.
- المنصوري عثمان ، **العلاقات المغربية البرتغالية 1790-1844** (جزئين)، مطبعة فضالة المحمدية، 2005.
- المزكلدي عمر، **حق الكد والسعاية محاولة في التأصيل**، بحث في اطار دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون الخاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالرباط، السنة الجامعية 2005-2006.
- الهتاف الحسين، **معجم المصطلحات الأدبية والموسيقية بمنطقة امحاميد الغزلان**، بحث لنيل الاجازة في اللغة العربية وآدابها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير جامعة ابن زهر تخصص أدب ، موسم جامعي 1997- 1998.
- إبراهيم ياسين، **جنوب أطلس مراكش تحت حكم الفرنسيين والقادة الكلاويين: اثار الاحتلال الفرنسي لبلاد ايت واوزكيت**، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2003.

3- المراجع باللغات الأجنبية

- Adam A., «La maison et le village dans quelques tribus de l'Anti Atlas », **Hespéris**, t. XIII, Larose Editeur, Paris, 1951 = Adam A., «Maison ».
- Adam A., «Le costume dans quelques tribus de l'Anti Atlas », **Hespéris,** 1952 , pp. 459- 485 = Adam A., «Costume ».
- Alahyane M., **Etudes anthropologiques en Anti Atlas occidental : Lakhsass**, Rabat, Editeur IRCAM. ,2004.

- Arié R., «Traduction annotée et commentée des traités de Hisba d'Ibn cAbd al-Ra'üf et de cUmar al-Garsïfï (suite et fin) », **Hespéris Tamuda**, 1960, t.1 fasc. 3, Editions techniques nord-africaines, pp. 349 – 386
- Aspinion J., « Un louh du Sou, règlement coutumier du Souq el-.Jemaa des Ida ou Gnidif », **Hespéris,** 1954, t. XLI, p.395- 410.
- **Au fil d'Argane**, ouvrage imprimé sur les presses de l'Imprimerie Art et Caractère, Lavaur, Editions Privat Galénic , Paris, 2007.
- Azizi S., « Lqimt (la dot : Système de transmission des biens dans les relations matrimoniales dans le Sous », **Awal (Cahier d'Etudes berberes**), 2001, pp. 31- 42.
- Barthélémy A., **Tazra tapis et bijoux d'Ouarzazate**, Edisud/ Sochepress, Aix-en-Provence, 1990.
- Bellakhdar J., **Hommes et plantes au Maghreb : Eléments pour une méthode en ethnobotanique**, Plurimondes , 2008.
- Benali M., « La « Ziadah » ou naissance à Safi (Maroc) » , **Revue africaine** , 1913, pp.48-62.
- Ben Daoud R. « Recueil du droit coutumier de Massat, Exemplaire des Ida Ou Mat **», Hespéris**, t. IV, 1929, pp.405 - 439.
- Benfoughal T., **Bijoux et bijoutiers de l'Aures**, CNRS Editions, Paris, 1989.
- Bert Flint , « Essai d'inventaire des styles dans les arts populaires du Maroc », **Maghreb art** 2, 1997, pp.31 – 44.
- Bert Flint, **Bijoux et Amulette. Formes et Symboles dans les Arts du Maroc,** tome: I, Editeur E.M.I. Rabat, 1973.
- Berques J., **Structures sociales du Haut-Atlas, suivi de retour aux seksawa,** 2e édition, Presse Universitaire de France, Paris, 1978= Berques J., Structures
- Berque J., « **Notes sur l'histoire des échanges dans le Haut-Atlas occidental** », Annales, 1953, 8-3, pp.289-314= Berque J., « Notes ».

- Berque J., **« Terroirs et Seigneurs du Haut Atlas occidental** », Annales, Année 1951, 6-4, pp. 474-484= Berque J., « Terroirs »
- Bokbot Y., Cressier P., Delaigue M.-C., R. Izquierdo Benito, S. Mabrouk, J. Onrubia, Pintado, « Enceintes refuges, greniers fortifiés et qasaba-s : fonctions, périodisation et interprétation de la fortification en milieu rural pré-saharien », in **Mil anos de Fortificacoes ne Peninsula Iberica e no Magreb (500-1500)** (Actes du colloque de Lisbonne, 2000), Palmela, 2001, p. 213-227.
- Boulifa S., **Textes Berbères en dialecte de l'Atlas marocain**, Publications de l'Ecole des Lettres d'Alger, Paris, Ernest Leroux Editeur, 1909.
- Bounfour A., **Poésie populaire berbère, textes recueillis par Arsen Roux**, Edit. CNRS, Paris, 1990.
- Besancenot J., **Types et costumes du Maroc**, Paris, Les Horizons de France, Réédition : Costumes du Maroc , Edisud, 1988= Besancenot J., Costumes
- Besancenot J., **Bijoux Arabes et berbères du Maroc**, Casablanca, Editions de la Cigogne, Réédition : Edit. Casablanca Frontispice, 2001= Besancenot J., Bijoux
- Bey Ali, **Voyages d'Ali-Bey el Abbassi (Domingo Badia y Leyblich) en Afrique et en Asie : pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806 et 1807**. T. 1 , 1814, (rédigé par Roquefort), Source: gallica.bnf.fr.
- Bellaires Michaux E., Quelques tribus de montagne de la région du Habt, **Archives marocaines,** publication de la mission scientifique du Maroc, V : XVII, Kraus Peprint, Nendeln/Liedttenstein, 1974 (première édition 1911)
- Bellaires Michaux E., Villes et tribus du Maroc Rabat et sa région tome : IV , Le Gharb : les Djeballas, Editions Frontispice Casablanca, 2002. (Première édition 1911)

- Brives A., **Voyages au Maroc**, éd. Typographie Adolphe Jordan, Alger, 1909.
- Bruno, « noms de récipients à Rabat », **Hespéris**, 1921, t. 1, pp. 111-140
- Cambazard-Amahan C. « Le Bijou », **Arts et architecture amazighes du Maroc** , IRCAM, Rabat, 2011, pp. 59 – 117 .
- Camps-Fabrer H. **Les Bijoux de grande Kabylie**, éd. Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1970= Camps-Fabrer H. Kabylie
- Camps-Fabrer H. « Problèmes posés par l'origine de l'orfèvrerie émaillé en Afrique du Nord », in I**I congrès international de l'occident musulman et de la Méditerranée**, numéro spécial, 13-14, 1970,p.98-110= Camps-Fabrer H. « Problèmes »
- Camps Fabrer H., « L'origine des fibules berbères » , **Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée** n° 13-14,1er Semestre, 1973, pp. 217-213= Camps Fabrer H., « Fibules ».
- Camps Fabrer H., « Ambre », **Encyclopédie berbère**, Volume :4, Aix-en-Provence, Edisud, 1986, pp.1-8= Camps Fabrer H., « Ambre ».
- De Castries H., **Les Sources inédites de l'Histoire du Maroc, Première partie, Dynastie Saadienne, Archives et Bibliothèques d'Angleterre**, t. 1, Editions Ernest Leroux, Paris , 1918.
- De Castries Le Lt-Colonel H**., Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, Archives et Bibliothèques des Pays-Bas**, t. 5, Editions Ernest Leroux/ La Haye Mertinus NijHoff, Paris, 1920.
- Célérier J., « L'Atlas et la circulation au Maroc », **Hespéris**, 1927, p. 447- 530= Célérier J., « L'Atlas ».
- Célérier J., « Conditions géographiques de développement de Fès », **Hespéris**, 1934,pp. 1 -19= Célérier J., « Conditions ».
- Chaumeil J., « Le mellah de Tahala aux pays des Ammeln **», Hespéris**, 1953, p.227-240.

- le Cœur Ch., « Les rites de passage d'Azemmour », **Hespéris**, 1933, pp. 128-148
- Chapelle F. de la, « La formation du pouvoir monarchique dans les tribus berbères du Haut Atlas occidental **», Hespéris**, 1928, pp. 263-283 = Chapelle F. de la, « Pouvoir ».
- Chatelier Le, A., **Tribus du Sud-Ouest marocain : bassins côtiers entre Sous et Drâa**, 1891, Source: gallica.bnf.fr.
- Chenier de M**., Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc**, vol.3, Paris, 1787. Source: gallica.bnf.fr.
- Colin G.S., « Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech », **Hespéris,** 1931, t.XII , pp.229-242 = Colin G.S., « Noms ».
- Colin G.S., **Le dictionnaire d'Arabe Dialectal Marocain**, 8 volumes , Sous la direction de Zakia Iraqui Sinaceur, Editions Al Manahil, Ministère des Affaires Culturelles, Rabat, 1994= Colin G.S., Dictionnaire.
- Cornet, Ch.-J.- A., **A la conquête du Maroc Sud avec la colonne Mangin**, 1912-1913,
- Cressier P., « Du Sud au Nord du Sahara : la question de Tâmdult (Maroc)», in **Du Nord au Sud du Sahara. Cinquante ans d'archeologie francaise en Afrique de l'Ouest et au Maghreb, Bilan et perspectives**, A. Bazzana, H. Bocoum (éd.), Paris, 2004, p. 151-158
- Delhomme C., Les armes dans le Sous occidental, **les Archives Berbères**, publication du Comité d'Etudes Berbères de Rabat, Vol. II, Editions Frontispice, (première édition 1917), Casablanca , 2005, pp.123-129,
- Delarozière M.-F., **Perles d'Afriques**, Edisud, Aix-en-Provence, 1994.
- Destaing E., **Etude sur la Tachelhit du Sous Vocabulaire français-berbère**, éd. Librairie Ernest Leroux, Paris, 1938.
- Deverdun G . « Découverte d'un trésor monétaire près de Boujad », **Hespéris**, 1958, t. XLV, 3e-4e trimestre , pp. 291-293 .

- Doutté E., **En Tribu : Missions au Maroc**, Paris, Librairie Paul Geuthner, 1914= Doutté E., En Tribu
- Doutté E. **, Merrakech, Paris, Comité du Maroc**, 1905= Doutté E. , Merrakech.
- Dupas A . , « Notes Sur les Magasins collectifs du haut Atlas occidental (Tribus des Ida ou Mahmoud et des Seksaoua) », **Hespéris**, 1929, pp.303-321.
- El Aloui N., « L'Arganier : arbre du Maroc de la récolte du fruit à l'extraction de l'huile », **Bulletin de l'information de la Société des Amis du Muséum national d'Histoire naturelle**, Cedex-Paris, 2007,pp. 49-53.
- EL Graoui M., Bokbot Y., Junger H. et Searight-Martinet S., 2010, « Datation radiocarbone des ossements mis au jour dans un tumulus à l'Adrar n'Zerzem, oued Eç-çayad, région de Taghjijt (Sud marocain) », **Sahara,** n° 21, pp.77-80.
- El Khayat R., **Le Somptueux Maroc Des femmes**, (peintures Meriem Mezian), Rabat, Editions Marsam, 2001.
- Eudel P., **L'Orfèvrerie algérienne et tunisienne**, éd. Adolph Jourdin Imprimeur-Editeur, Alger, 1902= Eudel P., L'Orfèvrerie
- Eudel P., **Dictionnaire des Bijoux de l'Afrique du Nord**, éd. Ernest Leroux Editeur, Paris, 1906= Eudel P., Dictionnaire .
- Flamand P., **Un mellah en pays berbère Demant**, Institut des Hautes études, marocaines, Notes et documents : X, Librairie Générale de droit et de jurisprudence, Paris , 1952.
- Fili A., Fentress E. et Limane H., « Indices sur la production du verre à Volubilis à l'époque islamique », **Le Jardin des Hespérides**, Revue de la Société Marocaine d'Archéologie et du Patrimoine, Mai-2016, pp. 14-16.
- Fili A., « La céramique de tradition amazighe », **Asinag**, n° 6, 2011, p.21-29

- Fili Abdallah, Messier Ronald, Chloé Capel, « Aghmat, la découverte de la première capitale almoravide », **Le patrimoine culturel marocain, Ministère de la Culture et de la communication**, éd. la Croisée des chemins, pp. 256-277.2018
- Gargouri-Sethom S., **Le Bijou traditionnel en Tunisie Femmes parées, femmes enchainées**, éd. Edisud, Aix-en-Provence, 1986.
- Gatell J., « Description du Sous » , **Bulletin de la Société de Géographie** ,Paris, 1871/01-1871/06 pp.81-106.
- Gélard M.-L., **Les couleurs de la mariée dans le Sud-Est marocain**. CNRS. Décors des corps, 2010, pp.99-106.
- Gonzalez V., **Emaux d'al Andalus et du Maghreb**, Aix-en-Provence, Edisud, 1994.
- Goudard J., **«** Bijoux d'argent de Taza», **Hespéris,** 1928, pp. 285-340.
- Goulven J., **Le Cercle des Doukkala**, éd. Emile Larose Libraire-Editeur, Paris, 1917.
- Herber J., « Peintures corporelles au Maroc : Les peintures au H'arqus », **Hespéris**, 1929, pp. 59- 78.
- - Hira L., **Parenté et mariage chez les Chleuh (Berbères marocains du Haut-Atlas occidental) « Cas d'Idaw-Mahmud** », thèse pour le Doctorat de 3eme Cycle, option Anthropologie, Université de Toulouse le Miral, 1983.
- Host G., **Relations sur les Royaumes de Marrakech et Fès recueillis dans ces pays de 1760 à 1768**, Traduction F. Damgaard et P. Gailhanou, éd. La Porte, Rabat, 2002. (1e Edition en danois 1979).
- D.Hooker J., **Journal of a tour in Marocco and the great atlas**, Macmillan And Co, London, 1878.
- Humbert A. et Herbert Pop, **L'Anti Atlas une montagne méconnue**, éd.IRCAM, imprimerie El Maarif Al Jadida, Rabat, 2016.

- Jackson J., **An account of the empire of Marocco**, second edition, London, 1811.
- Joly, « Industrie de Tetouan suite, Les industries textiles et celles du vêtement », **Archives Marocaines**, Vol. XV, p.80-157, 1909.
- Jordan A., **Dictionnaire berbère français (dialectes tašlhit**), Editions Omnia, Rabat, 1934 .
- Justinard J., « Notes d'Histoire et de Littérature berbères les Haha et les gens du Sous », **Hespéris**, 1928,pp. 333- 413
- Laoust E., **Mots et Choses berbères**, éd. August Chalamel Editeur, Paris, 1920= Laoust E., Mots
- Laoust E., « Pêcheurs Berbères du Sous : notes sur un vocabulaire maritime du Sous », **Hespéris**, 1923, pp.237-346= Laoust E., « Pêcheurs ».
- Laoust E., Noces Berbères, **Les Cérémonies Du Mariage Au Maroc**, éd. Claude Lefébure, Collection Bilingues, Edisud, Aix-en-Provence, 1993= Laoust E., Noces.
- Laoust E., « Le Dialecte berbère du Rif », **Hespéris,** 1927, = Laoust E., « Le Dialecte ».
- Laoust E. , « L'habitation chez les transhumants du maroc central », **Hespéris**, 1930, pp.149-253 = Laoust E. , « Habitation ».
- Lapanne-Joinville J., « Les métiers à tisser de Fès », **Hespéris**, 1940, t. XXVII,
- Lapourre O., **Analyse de l'évolution d'un outil apicole à valeur productive en objet à valeur patrimoniale étude de cas : Le rucher collectif d'Inzerki, commune rurale Argana,** Maroc, Mémoire de fin étude, Ecole supérieure d'Agro-Développement international, Cedex, 2014.
- Lebel R., « Le Maroc dans les relations des voyageurs anglais Aux XVIe , XVIIe et XVII siècles », **Hespéris,** 1929,pp. 269- 294.

- Lemoine, P., **Missions dans le Maroc occidental (1904),** Publications du comité du Maroc, Paris, 1905.
- Lemprière W., **Voyage dans l'empire de Maroc et le royaume de Fez**, Paris, Cordier et Legras imprimeurs-libraires, Paris, 1801.
- Oscar Lenz, **Timbouctou, Voyage au Maroc, au Sahara et au soudan**, T :I, traduit par Pierre Lehautcourt, Hachette, Paris, 1886.
- Loussert R. et Ferrak A., **Secrets des oasis et du palmier dattier**, éd. Imprimerie Toumi, Salé, 2015.
- Mahdi M., **Irguiten : Monographie d'une tribu du Haut-Atlas**, Edit. Institut Royal de la Culture Amazighe, Imprimerie El Maârif A Jadida, Rabat, 2007.
- Marchesani I., d'Alessandro F., Othmani M., **Tizerzaï , La fibule au Maroc** ; collection parures et bijoux traditionnels du Maroc tome : I, Edition SICOPA, Milan ,1987.
- Marcy G., « Une tribu berbère de la confédération des ait Warain : Les Ait Jellidasen », **Hespéris,** 1929, pp. 79 - 143.
- Jacques-Meunier Dj., **Bijoux et bijoutiers du Sud marocain**, Cahiers des Arts et Techiques d'Afrique du Nord, N.6, Editions Privat, Toulouse. 1960-1961 = Jacques-Meunier D., Bijoux.
- Jacques Meunier Dj., **Architecture et Habitas de Dadè**s, Paris, Librairie C. flincksieck, 1962 = Jacques Meuniers Dj, Architecture
- Jacques-Meunier Dj., **Greniers -Citadelles au Maroc**, éd. Arts et Métiers -Publications de l'Institut des Hautes Etudes du Maroc. 1951= Jacques-Meunier Dj., Greniers.
- Jacques-Meunier DJ., **Cités anciennes de Mauritanie Provinces du Tagannt et du Hodh**, Librairie C. Klincksieck, Paris, 1961= Jacques-Meunier DJ., Cités.
- Marçais G., **Les Bijoux Musulmans de l'Afrique du Nord**, Imprimerie officielle, Alger, 1958.

- Marcy G., « Une tribu berbère de la confédération des ait Warain : Les Ait Jellidasen », **Hespéris**, 1929, pp. 79 - 143.
- Mariani Toni, Quelques considérations sur l'art populaire traditionnel au Maroc, **Maghreb art 2**, (sans date), pp. 15-19.
- Martinez M., **Les Bijoux du Toudgha et des ait Atta**, Rapport dactylographié, 1939.
- Maurin Garcia M., **Le Henné: plante du Paradis**, éd. Imprimerie A.G.E.P., Marseille, 1992.
- Montagne R., « Une tribu berbère du sud marocain : Massat », **Hespéris**, t .IV, 1924, pp. 357 – 403= Montagne R., « Massat ».
- Montagne R., , « L'Aghbar et les Hautes vallées du Grand Atlas », **Hespéris**, 1927, pp. 1-84= Montagne R. , « L'Aghbar ».
- Montagne R, « Un Magasin collectif de l'Anti Atlas : l'Agadir des Ikounka **»**, **Hespéris**, t. IX, 1929, pp.145 – 253 = Montagne R., « Un Magasin ».
- Montagne R., **Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc**, Collection Archives, Editions Afrique-Orient= Montagne R., Les Berbères.
- Montagne R., et Ben Daoud, M., « Documents pour servir à l'étude du droit coutumier du Sud Marocain » , **Hespéris** , t . 7, 1927, pp. 401-445.
- Moqadem S., **Contes de Safi, sud Maro**c, coédition : conseil international de langue française et Afrique orient, Paris, 1994,
- Nami M. , « l'Art rupestre », in **Arts et architecture amazighes du Maroc** , Imprimé en Italie, IRCAM, Rabat , 2011, pp. 19 – 57 .
- Naji S., **Fils de saints contre fils d'esclaves : Les pèlerinages d e la Zawya d'Imi n'Tatelt (Anti-Atlas et Maroc présaharien)** », Editeur : Centre Jacques-Berque, collection : Description du Maghreb, Angers,2011,
- Paris A., " Haouach Telouet", **Hespéris,** t. 1, 1921, pp. 208 - 223

- Paris A. et Férriot F., « L'industrie du fer chez les Berbères du Maroc. Hauts fourneaux berbères des Aït Chitachen », **Hespéris**, t. II, 1922, p. 339-345..
- Pascon P., **Le Haouz de Marrakech**, t. I , éd. Editions marocaines et internationales, Tanger, 1983 = Pascon P., Le Haouz
- Pascon P. , **La Maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt**, avec la collaboration de A. Arrif, D. Schoeter, M. Tozzy, H. Van Der Wusten, Société marocaine des éditeurs réunis, Casablanca, 1984.
- **Présentation des principales variétés du Palmier Dattier au Maro**c. Dépliant de l'Agence Nationale pour le développement des zones oasiennes et de l'Arganerie (ANDZOA), sans date.
- Prolongeau-Wade S., **Voyage au pays des fibules**, éd. Editions du Regard, Paris, 2008.
- Puigaudeau du O**., Arts et coutumes des Maures**, éd. Le Fennec, Casablanca, 2009.
- Oussikoum B., **Dictionnaire Amazighe-Français le parler des Ayt Wirra** Moyen Atlas - Maroc, Publications de l'Institut Royal de la Culture Amazighe, Imprimerie El Maarif Al Jadida Rabat, 2013.
- Rabaté M.-R., **Bijoux du Maroc du Haut Atlas à la vallée du Draa**, Edisud/Le Fennec, Aix-en Provence, 1996, Réédition , ACR Edition, Paris-La Défense, 2015 = Rabaté M.-R., Bijoux.
- Rabaté M-R., **Les Fibules : deux mille ans en Afrique du Nord**, éd. ACR Edition, Paris, 2013= Rabaté M-R., Fibules
- Rabaté M-R. et Goldenberg A., **Bijoux du Maroc du Haut Atlas à Méditerranée,** Edisud/Eddif, Aix-en-Provence, 1999.
- Ramirez F. et Rolot Ch**., BIJOUX DU MAROC. La Beauté des Diables** , éd. ACR, 2002.
- Raouch D. , **Bijoux Berbères du Maroc dans la tradition judéo-arabe**, éd . ACR Edition Courboie, Paris, 1989

- Ricard, Pr., « Les métiers manuels à Fès **», Hespéris**, t. IV, 2 trimestre, 1924, pp. 205-224= Ricard, Pr., « Métiers ».
- Ricard R., « La côte atlantique du Maroc Au début du XVIe siècle d'Après des instructions nautiques portugaises » , **Hespéris**, 1927, pp. 229 – 259= Ricard R., « La côte atlantique ».
- Roux A., « Les Imdyazen ou Aèdes berbères du groupe linguistique Berber » , **Hespéris,** 1928, pp.231-251
- Rosenberger B., « Cultures complémentaires et nourritures de substitution au Maroc (XVe-XVIIIe siècle). » , **Annales Economies, sociétés, civilisations**. 35e année, n°. 3-4, 1980. pp. 477-503;
- Sabir A., « Structure étymologique berbère (examen d'un modèle) **», La Culture populaire : spécifités locales et dimension nationale, actes de la troisième rencontre, (du 1 au 16 Août 1988**) , éd. Editions Okad, Rabat,1990, pp.17- 22.
- Rovsing Olsen M., **Chants de Mariage de l'Atlas marocain**, thèse de Doctorat en Ethnologie, Université de Paris X, 1990.
- Schuyler Ph.-D., **The Music of the Rways, Berber Musicians from southwestern Moroco,** Doctorat of Philosopy, University of Washington, 1979.
- Segonzac Mis de R., **Au cœur de l'Atlas, mission au Maroc 1904-1905**, E. Larose Libraire Editeur , Paris, 1910,
- **Safi et sa région / exposition franco-marocaine**(1915 Casablanca, p.34-35), Editeur impr. G. Ercié et Cie, Casablanca, date Edition 1915
- Terrasse H., « Note sur l'origine des bijoux marocains », **Hespéris**, 1930, pp.125-130.

- Thomson J., **Travels in the Atlas and Southern Morocco : a narrative of exploration**, London, 1889.
- Van Staëvel Jean-Pierre, Ettahiri Ahmed et Fili Abdallah, « La montagne d'Igīlīz et le pays des Arghen : quinze ans d'archéologie rurale dans le sud du Maroc », **BAM,** n°24, INSAP, Rabat, p. 123-148, 2019.

فهرس الخرائط والصور والرسوم

رقم الصفحة	تعريف الصورة	مصدر الصورة
20	خريطة لتوزيع مراكز الصياغة في الأطلس الصغير الغربي	(Rabaté M-R., Bijoux)
22	خريطة لتوزيع مراكز الصياغة في الأطلس الصغير الأوسط	(Rabaté M-R., Bijoux)
23	خريطة لتوزيع مراكز الصياغة في سهل سوس والأطلس الكبير الغربي	(Rabaté M-R., Bijoux)
23	صائغ في ورشته بقبيلة (تاجلت) بالأطلس الكبير الغربي	أمرير عبد السلام عمل ميداني سنة 2021.
28	خريطة لتوزيع مراكز الصياغة في المجال الشرقي	(Rabaté M-R., Bijoux)
34	إناء من النحاس لنقل وحفظ المياه	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
57	خرز المرجان الأحمر	عبد السلام أمرير(مهرجان تيزوزاف للفضة بطاطا سنة 2020)
64	كريات اللوبان الأصفر	عبد السلام أمرير(مهرجان تيزوزاف للفضة بطاطا سنة 2020)
67	عقد مركب من عيدان القرنفل	عبد السلام أمرير(مهرجان تيزوزاف للفضة بطاطا سنة 2020)
68	أصداف من نوع (ءامجون)، وهو الحلزون البحري	عبد السلام أمرير(مهرجان تيزوزاف للفضة بطاطا سنة 2020)
74	حلية جبينية مزينة بزجاج مرصع بتقنية المخلب داخل بوتقة، وبزجاج مسحوق ومذوب على شكل نيال داخل فجوات السلك	(Rabaté M-R., Bijoux)
78	حرفي من قبيلة (تاجلت) بالأطلس الكبير الغربي في ورشته يضيف الجمر في الموقد وينفخ عليه بمنفاخ عصري	عبد السلام أمرير (عمل ميداني 2021)
80	رسم منفاخ جلدي من الجنوب الشرقي	(Martinez M, Les Bijoux du Toudgha)
81	رسم بوتقة لتذويب الفضة من الجنوب الشرقي	(Martinez M, Les Bijoux du Toudgha)
82	رسم مسبك من الجنوب الشرقي	(Martinez M, Les Bijoux du Toudgha)

83	رسم أداة التفريغ (ترزيق) من الجنوب الشرقي	(Martinez M, Les Bijoux du Toudgha)
83	الإطارين الحديدين المكونين لهيكل (الترزيق)	توصلت بالصورة عبر الواتساب في إطار مجموعة نقاش مع الحرفيين من أسرة البيض التي يتوزع صاغتها بين عدة مراكز: مراكش، الصويرة، تيزنيت...
84	رسم مطرقة متوسطة الحجم من الجنوب الشرقي	(Martinez M, Les Bijoux du Toudgha)
85	رسم سندان حديدي من الجنوب الشرقي	(Martinez M, Les Bijoux du Toudgha)
85	سندان حديدي مثبت في قاعدة خشبية في قبيلة (تاجلت) بالأطلس الكبير	عبد السلام أمرير (عمل ميداني 2021)
86	رسم ملقط يستعمل لمناولة البوتقة وتحريك الجمر	(Martinez M, Les Bijoux du Toudgha)
88	رسم أداة جر السلك	(Martinez M, Les Bijoux du Toudgha)
90	صائغ من مدينة الصويرة وهو ينقش حلية موضوعة فوق هيكل خشبي، وقد أخذت هذه الصورة قبل سنة 1902.	(Eudel , **L'Orfèvrerie .** op.cit. p. 511)
91	رسم إسورة مثبتة حول عمود خشبي لزخرفتها بالنقووش المحفورة	(Martinez M, Les Bijoux du Toudgha)
91	المعلم أحمد الفضي ينهي صناعة إسورة موضوعة في عمود خشبي	توصلت بالصورة عبر الواتساب من السيد الفضي من ءيمي ءوكاير [فم الحصن]
92	رسم أداة حفر النقوش على الفضة	(Martinez M, Les Bijoux du Toudgha)
93	أداتين لحفر النقوش على الحلي	عبد السلام أمرير (صورة من مهرجان تيزيوزاف يمدينة طاطا 2020)
101	حرفي يجر السلك	(Rabaté M-R. et Goldenberg A., Bijoux)
105	قنينة مملوءة بسائل (أماغوس) المستعمل في تشبيب الحلي	أمرير عبد السلام (بحث ميداني بقبيلة تاكموت سنة 2019)
106	علّاقة من منطقة (ءايت واوزكّيت) مزينة بالنيال الزجاجي داخل فجوات السلك، وتنظم في القلائد.	(Rabaté M-R., Bijoux)
106	صائغ منهمك في إعداد فجوات السلك التي ستُملأ بالنيال الزجاجي	عبد السلام أمرير (مهرجان تيميزرا للفضة بتيزنيت 2019)
111	قضبان صغيرة من النيال الرصاصي من إعداد المعلم مبارك بن سعيد من لاخصاص	عبد السلام أمرير (صورة من مهرجان تيزيوزاف يمدينة طاطا 2019)

112	مراحل انجاز النيال الرصاصي	(Rabaté M-R., Bijoux)
113	المعلم مبارك بن سعيد من لاخصاص يحفر نقوشا معدة لاحتواء النيال الرصاصي.	توصلت بالصور من مبارك بن سعيد عبر الواتساب
114	خاتم مزين بالنيال الرصاصي الأسود داخل النقوش المحفورة في الصفيحة الفضية.	أمرير عبد السلام (صورة من مهرجان تيزوزاف يمدينة طاطا 2019)
116	رسم لمشبك مصنوع بتقنية تاوكّا منشور سنة 1920	(Laoust E., Mots et choses berbères)
117	مشبك مصنوع بتقنية تاوكّا	أمرير عبد السلام (صورة من مهرجان تيزيوزاف يمدينة طاطا 2020)
122	حلية تاسفيفت من قبيلة ءايت حربيل بإقليم كلميم	من صور البعثة الأثرية سوس تكنة
126	حلية (أمشبوح) الجبينية من لاخصاص وأيت باعمران والقبائل المجاورة	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
129	نموذج قديم لحلية (تازرا) الجبينية من قبيلة ءاشتوكن	(Rabaté M-R., Bijoux)
129	سمكة من نوع بي ئيسني	بنيدير جامع، سوس والبحر ...ص. 91
130	فتاة من أيت باعمران تزين جبينها بحلية (ءيسني)	عبد السلام أمرير (مناسبة رسمية بسيدي إفني سنة 2009)
132	حلية جبينية مركبة من خواتم الأصابع المضفورة في شريط من الصوف	(Rabaté M-R., Bijoux)
134	امرأة تزين جبينها بحلية (تالـكّـاموت)	(Besancenot J., Types et Costumes)
135	فتاة من تيزنيت تزين جبينها بحلية (تاونزا)	كتاب: تيزنيت، الذاكرة الجماعية، بلدية تيزنيت
136	لوحة تشكيلية لفتاة من (ءيداونيضيف) تزين جبينها بحلية (تاونزا)	(Besancenot J., Types et Costumes)
136	حلية جبينية من نوع (تاونزا) مكونة من ضفيرة رفيع من السلك وعلّاقات	(Rabaté M-R., Bijoux)
136	فتيات من قبيلة ايداومحمود في موسم (ايميلمايس) سنة 1978، يضعن حلية (تاونزا)	(الباحثة الدانماركية مريام روفسينج اولسن Miriam Rovsing Olsen)
137	فتيات من قبيلة ايداومحمود يشاركن في رقصة سنة 1978، ويزين جباههن بحلية (تاونزا)	(الباحثة الدانماركية مريام روفسينج اولسن Miriam Rovsing Olsen)
138	سيدة من قبيلة (ايت سغروشن) تضع حلية (تاونزا) على جبينها	(Besancenot J., Types et Costumes)
140	رسم أقراط الاذن من صنف (تيويناس)	(Laoust E., Mots et choses berbères)
143	لوحة تشكيلية لفنانة (تارّايست) من تيزنيت في كامل أناقتها، ومن بين	(Besancenot J., Types et Costumes)

	حليها، هناك (ءادوّاح) الذي يزين الأذن وجانب الرأس	
144	أقراط الأذن من صنف (ءيمجرّان)	(Rabaté M-R., Bijoux)
145	رسم أقراط الأذن من صنف (تيبوكارين)	(Besancenot J., Bijoux)
147	رسم الجزء العلوي من أقراط الأذن من صنف (تيزعضاض)	(Besancenot J., Bijoux)
147	أقراط الأذن من صنف (تيزعضاض)	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
148	أقراط الأذن من صنف (الخرّوب)	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
149	أقراط الأذن من صنف (توزديّين)	البعثة الأثرية لسوس تكنة
149	امرأة يهودية من قرية (تاهالا) بالأطلس الصغير مع حليها	(- Adam A., «Le costume)
154	نساء في حفل زفاف بقبيلة (ءيدا ومحمود) وهن يزيّن العروس، ويضعن في أعناقهن قلائد من القطع النقدية والمرجان والخواتم)	(صورة الباحثة الدانماركية مريام روفسينج اولسنMiriam Rovsing Olsen)
163	صورة تفصيلية لبعض مكونات قلادة من سهل سوس، وتُظهر أربع حبات من (ءودّيز) منظومة إلى جانب القطع النقدية، وحبات المرجان، وكرية فضية مجوفة	(Rabaté M.-R., Bijoux)
167	قلادة (تازلاكّت) المنتشرة في قبائل أيت باعمران، ولاخصاص، وءيمجّاط.	(Rabaté M-R., Bijoux)
167	قلادة (تازلاكت) المنتشرة في ماسة والقبائل المجاورة.	(Rabaté M-R., Bijoux)
169	ثلاث قلائد من نوع (أجوجو) من قبيلة أيت حربيل مكونة من عقيق زجاجي مختلف الألوان.	من صور البعثة الأثرية لسوس تكنة
169	لوحة تشكيلية لسيدة من قبيلة (أملن) تضع الحلي المميزة للمنطقة	(Besancenot J., Types et Costumes)
172	رسم قلادة (تازرا) من قبيلة (ايكلوّا)	(Besancenot J., Bijoux)
176	مشبك من نوع (ءاژرژي)	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
180	صورة تفصيلية للجزء الوظيفي من المشبك	من صور البعثة الأثرية لسوس تكنة
182	سلسلة من نوع (ءازضا) من إنجاز المعلم سعيد بن مبارك من (لاخصاص)	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
182	زوج مشابك مربوط بسلسة تتوسطها كرية فضية	من صور البعثة الأثرية لسوس تكنة
184	نقش صخري لمشبك من (ءاسيف	، (صورة عبد الهادي ڤكّ)

	بودروك) بمنطقة ياڭور بالأطلس الكبير الغربي	
184	نقش صخري لمشبك من (ءاسيف بودروك) بمنطقة ياڭور بالأطلس الكبير الغربي	،(صورة عبد الهادي ڤكّ)
184	نقش صخري لزوج مشابك من (ءاسيف ءولغوز) بمنطقة ياڭور بالأطلس الكبير الغربي	(صورة عبد الهادي ڤكّ)
184	نقش صخري لزوج مشابك من (ايفارد) بمنطقة ياڭور بالأطلس الكبير الغربي	(صورة عبد الهادي ڤكّ)
185	نقش صخري لمشابك من (ءاسيف بودروك) بمنطقة ياڭور بالأطلس الكبير الغربي،	(صورة عبد الهادي ڤكّ)
186	رسم امرأة حضرية من مغرب القرن الثامن عشر وهي تتزين بالمشابك واسورة (تانبالت) والخلخال	Host G. , Relations sur les) (Royaumes…
187	صورة لمجموعة من منتجات الصناعة التقليدية ومن ضمنها مشبكان.	(Thomson J., Travels in the…).
188	زخارف قبة ضريح سيدي بوالفضايل بإقليم تيزنيت	عبد السلام أمرير (بحث ميداني سنة 2009)
188	زوج مشابك مصبوغ على جدران قبة سيدي بوالفضايل بإقليم تيزنيت	عبد السلام أمرير (بحث ميداني سنة 2009)
189	ثلاثة نماذج لزخارف من مخطوط نسخ بتاريخ (أكتوبر1869)	توصلت بالصور من السيد محمد كونبارك
189	زوج مشابك مركب من قطع نقدية تشكل جسم الحلية	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
190	مشابك (هوارة) والقبائل المجاورة بسهل سوس	(Rabaté M-R., Bijoux)
190	مشابك (ءيداوكّنيضيف)	(Rabaté M-R., Bijoux)
191	مشابك (تيرشت) المنتشرة ما بين تاغجيجت وءيمي ءوكادير	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
192	رسم مشبك (تيزنيت)	(Besancenot J., Bijoux)
194	مشابك الأطلس الصغير الأوسط من نوع (مّي يّوژا)	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
195	مشابك قبيلة (ءيحاحان)	(Rabaté M-R., Bijoux)
195	مشبك (مّو ءوزلّا) من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي، وشرق سهل سوس	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
196	رسم مشبك قبيلة (ءيـكّلووّا)	(Besancenot J., Bijoux)
197	رسم مشبك (طوبّيجت) من قبيلة (ءاشتوكن)	(Besancenot J., Bijoux)
204	رسم لِمِفْصَل إسورة من القبايل بالجزئر	Camps-Fabrer H. Les Bijoux de

	شبيهة بنموذج (تانبالت)	grande Kabylie
204	أساور من نوع (تانبالت)	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
205	إسورة (تانبالت) من ايت واوزكيت	(Rabaté M-R., Bijoux)
205	رسم اسورة (تانبالت) من مركز (تاهالا)	(Besancenot J., Bijoux)
206	إسورة (بيبودا)	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
207	رسم إسورة (شمس وقمر)/ (تافوكت د وايّور)	(Besancenot J., Bijoux)
207	زوج أساور (شمس وقمر)/ (تافوكت د وايّور)	(Rabaté M-R. et Goldenberg A., Bijoux)
208	إسورة (بيبودا)	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
209	رسم إسورة مزينة بالحب والسلك من جبل باني	(Besancenot J., Bijoux)
209	زوج أساور مزينة بالحب والسلك من جبل باني	(Rabaté M-R. et Goldenberg A., Bijoux)
210	اسورة (بو يمي) المفتوحة	(Besancenot J., Bijoux)
215	رسم لأنواع مختلفة من الخواتم	(Besancenot J., Bijoux)
215	خاتم (ايت واوزكيت)	(Rabaté M-R., Bijoux)
216	رسم خاتم (لفتل ن تكياض) من واحات باني	(Besancenot J., Bijoux)
216	رسم خاتم (ءادّلبايح) من واحات باني	(Besancenot J., Bijoux)
216	رسم خاتم رباعي من منطقة باني	(Besancenot J., Bijoux)
217	خاتم ثلاثي من الأطلس الكبير الغربي	عبد السلام أمرير (معرض الجمعية المحمدية لحوار الثقافات وصيانة التراث الحضاري لتارودانت سنة 2009)
218	لوحة تشكيلية لامرأة من قبيلة (ايسافن) بالحلي المميزة لقبيلتها، وتزين ثلاثة أصابع في كل يد بالخواتم	(Besancenot J., Types et Costumes)
230	أطلال سوق (أيت عباس) بقبيلة (السيحل) بإقليم تيزنيت	أمرير عبد لسلام (عمل ميداني سنة 2009)
231	صورة عن بعد لموسم (سيدي أحمد اوموسي) بتازروالت	أمرير عبد لسلام (عمل ميداني سنة 2010)
232	دكاكين تعرض الحلي في موسم (سيدي أحمد اوموسي) بتازروالت	أمرير عبد لسلام (عمل ميداني سنة 2010)
266	نساء يحملن مكونات (ءاروكو) فوق رؤوسهن ضمن إحدى لوحات حفل الزفاف بقبيلة (ءيداومحمود)	(صورة الباحثة الدانماركية مريام روفسينج اولسنMiriam Rovsing Olsen)

266	موكب (ءاروكو) يتوجه نحو منزل العريس بقبيلة (ءيداومحمود)	(صورة الباحثة الدانماركية مريام روفسينج اولسنMiriam Rovsing Olsen)
279	حقيبة جلدية نسوية (تاوّلكت)،	عبد السلام أمرير (معرض بالثانوية الإعدادية أيت وافقا بإقليم تيزنيت يناير 2004)
280	حُق العطور (تيدارڭيت)،	عبد السلام أمرير (معرض بالثانوية الإعدادية أيت وافقا بإقليم تيزنيت يناير 2004)
282	إعادة تركيب طبق لوازم الزينة بأسلوب حديث	أمرير عبد السلام (مهرجان تيزوزاف بطاطا سنة 2019)
286	وعاء حفظ الإثمد	عبد السلام أمرير (معرض بالثانوية الإعدادية أيت وافقا بإقليم تيزنيت يناير 2004)
294	سطل نحاسي من أمطدي بإقليم كلميم	من صور البعثة الأثرية لسوس تكنة
298	آنية (تاڭرا) من العود من أمطدي بإقليم كلميم	من صور البعثة الأثرية لسوس تكنة
301	محلج الصوف (اينفسا/ اقرشال)	عبد السلام أمرير (معرض بالثانوية الإعدادية أيت وافقا بإقليم تيزنيت يناير 2004)
301	مشط الحائك (تازڭا)	عبد السلام أمرير (معرض بالثانوية الإعدادية أيت وافقا بإقليم تيزنيت يناير 2004)
303	موكب احتفالي في قبيلة (تاجلت) يحمل حصيرة ضمن الهدايا والأغراض(ءاروكو) التي قدمتها الأسرة لابنتها بمناسبة زواجها	(الباحثة الدانماركية مريام روفسينج اولسن Miriam Rovsing Olsen)
308	الوثيقة رقم 21، من أمطدي، حررت بتاريخ قبل شهر ربيع سنة 979	من صور البعثة الأثرية لسوس تكنة
318	رقصة تاسكيوين بالأطلس الكبير الغربي	أمرير عبد السلام (بحث ميداني أبريل 2004)
341	مخزن جماعي مبني بالتراب في قبيلة (تاكموت) بإقليم طاطا	أمرير عبد السلام (بحث ميداني بتاريخ يناير 2019)
342	مخزن جماعي مبني بالحجارة بمنطقة (ءيبركاك) بقبيلة (ءيسافّن) بإقليم طاطا	عبد السلام أمرير (بحث ميداني بتاريخ يناير 2019)

فهرس الموضوعات

الإهداء.....2
الشكر.....3
مقدمة.....5
الباب الأول: الصاغة والصياغة.....18
الفصل الأول : الصـــــــاغة.....19
مقدمة.....19
أولا : الخصائص الدينية واللغوية للحرفيين.....19
1) الصاغة المسلمون الأمازيغ.....19
2) الصاغة اليهود.....25
3) المسلمون العرب.....30
ثانيا : قنوات الولوج إلى عالم الصياغة.....31
1) التلقين.....31
2) الحدادة.....32
3) صناعة النحاس.....34
ثالثا : الصياغة والبركة والعلم.....36
1) الفقهاء والعلماء.....36
2) (ءيـكّرّامن)/المرابطون والصلحاء.....37
3) الشرفاء.....39
خاتمة.....40
الفصل الثاني: المواد.....41
مقدمة.....41
أولا - المواد المعدنية.....42
1) الفضة:.....42
2) النحاس:.....47
3) الذهب:.....50
4) الحديد:.....55

ثانيا – مواد من أصل عضوي.....57
1) المرجان.....57
2) اللوبان الأصفر.....61
3) القُرُنْفُل 65
4) الأصداف البحرية: 68
ثالثا – مواد مصنعة : العقيق الزجاجي.....71
1) الاستعمال المباشر عن طريق النظم والتثبيت بالخيط 74
2) الترصيع: 74
3) النيال الزجاجي داخل فجوات السلك: 75
خاتمة 76
الفصل الثالث: أدوات الصياغة.....77
مقدمة 77
أولا : أدوات النار (ايماسّن ن تاكات): 78
1) الموقد:.....78
2) المنفاخ.....79
ثانيا : أدوات التذويب والتفريغ:.....80
1) البوتقة: 80
2) أدوات التفريغ: 82
ثالثا : أدوات الطرق.....84
1) المطرقة: 84
2) السندان (تاوّونت): 85
رابعا : الملقط (ءِيغُمْدَانْ): 85
خامسا : أداة جر السلك.....87
سادسا: المبرد: 88
سابعا: حوامل الحلي اثناء انجاز الزخارف. 90
1) (تَاغْيُولْتْ)/(ءاحْمّارْ): الهيكل الخشبي.....90
2) (تاسترا)/(ءازدوز) العمود الخشبي:.....91
3) (تاكّـجّاط) قطعة جدع الشجرة: 91

ثامنا : أدوات الزخرفة 92
1) (ايماسّن ن تزبـكّـوت) أدوات النقر: 92
2) أدوات النقش والحفر (ايماسّن ن تكرّاط): 92
خاتمة 94
الفصل الرابع: التقنيات 95
تقديم 95
أولا: التذويب (ءَاسُّفْسِي): 95
ثانيا: تقنيات الطرق والتقطيع والتلحيم 96
1) الطرق 96
2) التقطيع: 97
3) التلحيم: 97
ثالثا : تقينة (ءازّوكّـز)/ الفريغ: 98
رابعا : تقنيات السلك 101
1) إعداد السلك: 101
2) تقنية (السلك بالحب)/ (تاتُّولْت ن سّلك) 103
خامسا: (التشبيب): 104
سادسا: النيال 105
1) النيال الزجاجي (نيال ن جّاج): 106
2) النيال الرصاصي: 111
سابعا : تقنية (تاوكّا)/ (شهد العسل) 116
خاتمة 119
الباب الثاني: أنواع الحلي 120
الفصل الأول : حلي الرأس 121
مقدمة 121
أولا : حلي الجبين 122
1) (تاسفيفت) 122
2) (ءامشبوح) 125
3) (تازرا) 128

4) (ءيسني) 129
5) (ءادلّال)/ (ءادلال) 131
6) (تاونزا) 133
ثانيا: حلي جانب الرأس والأذنين 139
1) (تيوبناس) 139
2) (ءادوّاح) 142
3) (ايمجرّان) 144
4) تيبوكارين 145
5) (تيزعضاض) 146
6) (الخرّوب) 148
7) (توزديين) 149
8) (توبّيكين) 149
خاتمة 150
الفصل الثاني : حلي العنق 152
مقدمة 152
أولا: قلائد القطع النقدية 152
1) الأسماء 152
2) خصائص قلائد القطع النقدية 154
3) قلائد القطع النقدية في الوثائق العائلية 154
ثانيا: أنواع القلائد 163
1) (تيفيلت ن- وودّيز) 163
2) (تازلاڭت) 166
3) (ءاجوجو)/ (جوجّو) 168
4) (تازلّومت) 170
5) (تازرا) 171
خلاصة 172
الفصل الثالث: حلي الصدر: (تيزرزاي)/ المشابك 174
مقدمة 174

أولا: الاسم 174
ثانيا: مكونات المشبك (تازرزيت) 179
1) الدبوس 179
2) الحلقة 180
3) جسم المشبك 181
4) السلسلة 181
5) العلاّقات 182
ثالثا: معطيات تاريخية 183
1) المشابك في النقوش الصخرية 183
2) المصادر التاريخية 185
3) الصور والرسوم في الكتابات الغربية 186
4) المشابك في المعمار: نموذج قبة (سيدي بوالفضايل) 187
5) رسوم المشابك في المخطوطات 189
رابعا: أنواع المشابك 189
1) مشبك القطع النقدية 189
2) مشبك (ءيداوكّنيضيف) 190
3) (تازرزيت ن تيرشت) 191
4) مشبك تيزنيت 192
5) مشبك (مّي يّوژا) 193
6) مشبك (ءايحاحان) 195
7) مشبك (موژّلا) 195
8) (تازرزيت ن ءيكّلوّا)/ مشابك قبيلة (ءيكّلوّا) 196
9) مشبك: (تارزيت ن تالقوبّيت)/ (تازرزيت ن تفارنوت) 196
10) مشبك (طوبّيجين) 196
خاتمة 198
الفصل الرابع: حلي المعصم 200
مقدمة 200
أولا : الأسماء العامة 201

ثانيا: أنواع الأساور 203
1) (تانبالت) 203
2 (بيبودا)/ (بيركّـن) 206
3) (شمس وقمر)/ (تافوكت د وايّور) 207
4) الأساور المجوفة (ءيمخوان) 208
5) (ءودّيز د سّلك) 209
6) (بويمى)/ الإسورة المفتوحة 209
7) إسورة القرن: (تاسكيوت) 210
خاتمة 211
الفصل الخامس: حلي الأصابع 212
مقدمة 212
أولا: عموميات 212
1) الاسم 212
2) الخاتم في الوثائق العائلية 213
3) أنواع الخاتم 214
ثانيا : نماذج متميزة 215
1) خاتم (ءايت واوزكّيت) 215
2) خواتم الرأس في واحات جبل باني 215
3) الخاتم المتعدد 216
ثالثا: طريقة تزيين الأصابع بالخاتم 217
خاتمة 219
الباب الثالث: وظائف الحلي 220
الفصل الأول : الوظيفة الاقتصادية (الثروة والحلي) 221
مقدمة 221
أولا: المحاور التجارية والأسواق 222
1) الطرق: 222
2) الأسواق 229
ثانيا : الموارد الاقتصادية المحلية: 234

1) زراعة الحبوب: 235
2) الأغراس والأشجار المثمرة:..... 237
3) أركان:..... 239
4) الأغنام..... 241
5) العسل والشمع:..... 243
ثالثا : الحلي في المعاملات التجارية المحلية..... 244
1) الرهن: 245
2) بيع الثنيا والإقالة..... 256
3) البيع القاطع:..... 257
4) افتكاك الحلي المرهونة أو المباعة بيع "ثنيا وإقالة" 260
خاتمة : 263
الفصل الثاني: الوظيفة الاجتماعية (المرأة والحلي) 264
مقدمة 264
أولا: الجهاز/(ءاروكو) 265
1) الإطار العام 265
2) مكونات الجهاز 271
أ- الازياء..... 271
ب- محفظة جلدية نسوية/(تاوّلكت)..... 279
ت- لوازم الزينة..... 280
ث- مواد الطيب والعطور 288
ج- الأواني..... 292
ح- أدوات النسيج..... 299
خ- عناصر الفراش..... 301
د- العِجلة..... 305
ذ- الحلي في الجهاز 306
ثانيا: الكد والسعاية (تيزّلا) 310
1) تعريف 310
2) نماذج من حالات الكد والسعاية..... 312

أ- سعاية البنت قبل الزواج 312
ب- جرد الثروة عند التحاق العروس ببيت الزوج 313
ت- السعاية واستقلال الذمة المالية للزوجين 321
ث- حصول الزوجة على سعايتها 325
ج- انتقال حظ سعاية الزوجة المتوفاة بالإرث 328
خ- الحصول على الحلي مقابل حظ السعاية 330
خاتمة 331
الفصل الثالث: الوظيفة السياسية (السلطة والحلي) 332
مقدمة 332
أولا : الحلي والسكان 333
1) التنظيمات المحلية 334
أ- الهيئات المحلية 334
ب – القوانين المكتوبة 338
2) الحلي في الممارسات العرفية 338
أ- (ءيسفكا) 339
ب – نماذج للاستدلال بوثائق مكتوبة 340
3) حماية الحلي 341
أ-المخازن الجماعية المحصنة (ايكيدار) 341
ب- حصانة المرأة 344
4) تدبير الحلي في زمن الوباء. 346
أ- شهادة حول نقل ماشية وحلي وأزياء خلال فترة الوباء 347
ب - شهادة من تالـكّـجونت بتاريخ رجب الأول 1233 (1818م). 348
5) مظاهر التراتبية 349
ثانيا: الحلي والمخزن 352
1) الوصول إلى السلطة عبر الحلي 353
2) مظاهر السلطة والحلي: 355
أ- المعمار: 355
ب- فن الطبخ 356

ث-الملابس 357
ج- الحلي..... 358
3) فقدان الحلي..... 359
أ- ثورة القبائل..... 359
ب - المصادرة والتتريك..... 360
4) ممارسات الحفاظ على الحلي 364
أ- نقل الحلي 364
ب- الاكتناز..... 366
ت- الاستئمان..... 367
خاتمة 370
الخاتمة..... 371
البيبليوغرافيا..... 373
فهرس الخرائط والصور والرسوم 393
فهرس الموضوعات..... 400